

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رقم التسجيل

الرقم التسلسلي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري
من خلال جريدة "البرق"
(دراسة إحصائية فنية)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث شعبة
الحركة الوطنية الجزائرية

إشراف :

إعداد الطالب :

عبد الكريم طبيش

د . محمد العيد تاورته

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور جامعة رئيسا

الأستاذ الدكتور : محمد العيد تاورته جامعة منتوري قسنطينة مشرفا ومقررا

الدكتور : جامعة عضوا ومقررا

الدكتور : جامعة عضوا ومقررا

العام الجامعي: 1427/1428هـ الموافق لـ 2006 / 2007 م

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

تشكرات ...

شاء الله أن ينجز بحثنا الموسوم بأدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة "البرق" (دراسة إحصائية وفنية) وأن يرى النور ، ولم يكن لييصر ذلك لولا تلك الأيادي الخفية التي أمدتني بالعون والتشجيع .
ولذلك يسرني أن أقدم إليهم شكري الخالص جميعا دون استثناء . من الأب والأم والزوجة إلى الإخوة والأحباب دون أن أنسى الأستاذ **أحمد لعجال** الذي ساقه القدر إلينا يتأبط نسخا من أعداد جريدة "البرق" دون علمه بأننا في أمس الحاجة إليها

أما المشرف الأستاذ الدكتور **محمد العيد تاورته** فإن فضله علينا لا يجد بمقياس .
وأرجو الله أن يجعل جهدنا خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله منا .
عبد الكريم طيبش ...

مقدمة :

من حق القارئ أو المتلقي أن يتساءل لماذا دراسة أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري ومن خلال جريدة "البرق" بالذات ؟ والإجابة عن ذلك - بالطبع - متعددة الأوجه والنواحي ، وجوهرها - في تقديرنا - هو أن الأديب "محمد السعيد الزاهري" شخصية أدبية مرموقة قبل الاستقلال ، وتكاد تكون مغفلة بعده ، مع أن بعض الأوائل من الباحثين الجزائريين - لظرف أو لآخر - عرجوا في بحوثهم على أدب محمد السعيد الزاهري ونتاجه الصحفي بما لا يروي الغليل ، ويشفي الصدور - بإشارات عابرة - والسبب الثاني من وراء عنايتنا بهذا الأديب وأدبه هو أن هنا في المعتقد أو يعتقد بأن الجزائر خلت ساحتها بعد الاحتلال الفرنسي لها من أدباء فحول تبلغ مكانتهم مكانة مصطفى صادق الرافعي ، وحسن الزيات ، وطه حسين وغيرهم . ولعل هذا الأمر فيه بعض الإجحاف في حق الكثير من الأدباء الجزائريين ممن كانوا رموزا في الفكر ، وأئمة في الأدب ، ومثالا في الوطنية . ويضاف إلى السببين الماضيين محاولة إيصال فكرة أن الأدب الجزائري الحديث ليس هو فقط ما كتب بعض الأعلام وممن ترجم لهم أو كتب عنهم من أمثال محمد البشير الإبراهيمي ، وأحمد رضا حوحو ، والطيب العقبي الذين سمحت الظروف لتتاجهم الأدبي بالخروج من الدائرة الضيقة ، بل هنالك أدب وأدباء لم تسمح الظروف - لسبب أو لآخر - بالعناية به أو بالكتابة عنه ، ومن هؤلاء الكتاب "محمد السعيد الزاهري" موضوع هذه المذكرة من حيث شخصيته وأدبه المكتوب تحديدا في جريدة "البرق" .

من هنا انبثقت الحاجة إلى دراسة جريدة "البرق" التي كان يرأس تحريرها هذا العلم الجزائري في العصر الحديث دراسة أفقية ، ورصد صور المقاومة في نثر محمد السعيد الزاهري فيها ، وهو النثر الذي لا يزال حبيس الرفوف . ولعل ما يلاحظ في مجال الدراسات الأكاديمية في بلادنا أنها لا تزال تميل إلى تفضيل أدباء المشرق رغم الاعتراف بوجود أمثالهم لا يقلون عنهم أهمية ، لهم تراث جزائري ضخم قابع ، يلتهمه النسيان

والإهمال . والمثال مجسد أمامنا في تراث شاعر الجزائر في العصر الحديث - كما كانت مجلة الشهاب تحب أن تسميه - ذلك هو محمد السعيد الزاهري الذي لا يعرف له ديوان كغيره من الشعراء ، أمثال محمد العيد آل خليفة ، ومفدي زكريا وأبي اليقظان وغيرهم ، على الرغم مما عرف عن محمد السعيد الزاهري من أنه كان شاعر الجزائر الملي الكبير . أما نثره الأدبي المقاوم للمحتل ، المتعدد المواضيع من سيرة ورسالة ومقال وحكاية وقصيدة ، والذي نشر جانبا منه في جرائد المشرق قبل المغرب - والذي أعجب به قادة الفكر وأئمة الأدب أمثال أمير البيان شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ، والذي ترجم أيضا - لعلو شأنه - إلى الفرنسية ولغة الملايو فلا يكاد يعرف منه جيل الاستقلال إلا اليسير والنادر . أما نشاطه الصحفي فقد بلغ ست صحف ابتداء بجريدة " الجزائر " لعام 1925م وانتهاء بالمغرب العربي الجديد لعام 1956م ، مروراً بجريدة البرق ، ثم الوفاق ، ثم المغرب العربي ، ثم عصا موسى ، وكلها تشكو الإهمال ، بل تهفو إلى من يعيرها أدنى اهتمام . هذا إلى جانب تلك الصحف التي ساهم في رئاستها أو في إدارتها .

إن جريدة " البرق " وثيقة أساسية من الوثائق الهامة التي انعكست على صفحاتها صور مقاومة المحتل وعملائه ، في فترة تعد من أهم الفترات المفصلية في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للشعب الجزائري . وتمثل في الوقت نفسه منبرا إعلاميا وفكريا منافسا للصحافة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر آنذاك ، كما تعد منافسا ومضادا أيضا لصحافة بعض الطرق الصوفية آنذاك ؛ مثل جريدة : البلاغ التي كانت تصدرها الطريقة (العلوية) . ولذلك فإنه من الممكن القول بأن جريدة " البرق " في تلك الفترة هي بمثابة شعاع تستنير به بعض العقول المضللة ، سواء من الجهات الاستعمارية أو من جهات بعض الطرق الصوفية العميلة ، وتبصر من خلاله الأعين التي أريد لها أن تعشو عن رؤية شمس الحقيقة .

لقد اضطر محمد السعيد الزاهري أن يقف مدافعا عن جريدة " البرق " كي لا تعطل أو أن يخنق صوته ، من ذلك أنه اضطر أن يطبعها خارج الوطن ابتداء من العدد السابع

عشر ، وذلك من أجل استمرار صوت المقاومة الوطنية الجزائرية ، وحتى لا تبقى الساحة خالية إلا من التي دجنت أو قلمت أظافرها . لقد واجهت محمد السعيد الزاهري صعوبات حمة في سبيل الدفاع عن وطنه من خلال جريدته "البرق" . ولعل أهمها وقوف النائب ابن التهامي له ولجريدته بالمرصاد في كل سبيل حتى وأدها .

وتأتي دراستنا لأدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة " البرق " لا للتكرار والإعادة ، لأن هذه الجريدة تعتبر مجهولة الهوية إلا لدى القليل من الباحثين، هذا فضلا عن ندرة البحوث والدراسات حولها . بل إن محاولتنا في هذا العمل حول هذا الأديب ، وحول هذه الجريدة تصب - في رأينا - في خانة المحاولات الجديدة التي يحاول الكثير القيام بها ، ولا نزع أن هذه الدراسة المتواضعة قتلت الجريدة بحثا ، أو ستقطع الطريق عن غيرنا في تناول جوانب أخرى منها ، بل نعتبر ذلك خطوة في الطريق ، ونطمح أن تضاف إليها خطوات أخرى من أجل التمحيص والشمين والترتيب والتقييم .

أما من حيث المنهج ، فقد اتبعنا مناهج نعتقد أنها مناسبة لمثل هذه الدراسة ، وهي المنهج الإحصائي والمنهج التصنيفي ، والمنهج التحليلي الفني . وقد حرصنا من خلال هذه المناهج الجهد المقاوم لمحمد السعيد الزاهري من خلال القلم والكتابة ؛ لقد استخرجنا نصوصه من ضمن المحتوى العام للجريدة ثم حاولنا الوقوف عند المعاني الجميلة لهذه النصوص بغض النظر عن المفردات الموظفة . كما أشرنا إلى قيمة جماليات النصوص التي أوردناها ، سواء من حيث المعاني المتضمنة لها ، أو من حيث توظيفها للألفاظ القديمة والجديدة ، وعلاقتها بزمان الأديب والظروف المحيطة به . ومن هنا فإن استفادتنا أيضا من المنهج التاريخي والمنهج النفسي والمنهج الاجتماعي كبيرة ، ومن خلال جميع هذه المناهج حاولنا إبراز علاقة المضمون الذي حرص الأديب على إيصاله للمجتمع كمبدع من جهة ، وكمعبر عن اللاشعور الجمعي من جهة أخرى .

وكأي محاولة تتناول موضوعا من المواضيع الغائبة عن البحث والدراسة سابقا ، فقد واجهتني صعوبات حمة وجوهرية ربما ناتجة عن وجود أنواع أدبية أغفلتها الدراسات

السابقة ولم تشر إلى وجودها لدى أدباء الحركة الإصلاحية والوطنية بعد الحرب العالمية الأولى مثل الحكاية ، أو السخرية عند أدباء تلك الفترة . لأنه حتى الآن لا توجد دراسة - فيما أعلم - منهجية تناولت مثل هذه المواضيع عند الطبقة الأولى لأدباء العشرينيات من القرن العشرين .

ربما أكون قد وقعت في بعض الأخطاء التي لا يخلو منها بحث ، وبخاصة إطلاق الأحكام على بعض أنواع الكتابة عند محمد السعيد الزاهري ، ولعل مرد ذلك إلى قلة البحوث التي تناولت دراسة جريدة دراسة أفقية تمكن الباحث من الاستفادة منها أو الاستناد إليها . هذا لا يعني أن البحوث في هذا المجال معدومة تماما ، أو ضعيفة في مستواها ، بل هي موجودة ، وقيمة ، ولكنها في مراحلها الأولى إذا ما قورنت بالتراث الضخم الذي تزخر به رفوف الأرشيف الوطني الجزائري .

خطة البحث :

لقد قسمنا البحث إلى الجزئيات التالية :

أولا : مقدمة ، تناولت فيها إشكالية الموضوع وأهميته ومنهج تناول هذه الدراسة.

ثانيا : أربعة فصول هي :

الفصل الأول بعنوان : الواقع الجزائري خلال قرن من الاحتلال ؛ ذلك أني أعتقد

أن فترة النهضة نتيجة طبيعية للعقود السابقة التي مرت بها الجزائر في ظل مقاومة الحكم الاستعماري حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وذلك في كل المحاولات ، وبخاصة في الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي ، ومن ضمن ما تعرض له هذا الفصل آراء بعض أقطاب الدارسين في مجال الحركة الوطنية حول الصحافة ، وبخاصة دور صحافة الحركة الإصلاحية ، والحركة الوطنية على وجه العموم ، ثم الصحافة الاستعمارية . وآخر ما تعرض له هذا الفصل هو النشاط الصحفي لمحمد السعيد الزاهري .

الفصل الثاني : المحتوى العام لجريدة " البرق " . وهذا الفصل يتكون من ثلاثة

مباحث ، بدأنه بنبذة تاريخية عن حياة الأديب محمد السعيد الزاهري ، ثم تناولنا في

المبحث الثاني جميع محتويات جريدة (البرق) وبيننا في المبحث الثالث بعض التعليقات التي وجدناها ضرورية حول الكتابات الثرية والشعرية لهذه الجريدة .

الفصل الثالث وهذا بعنوان : **تجليات المقاومة في كتابات محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة (البرق)** ، تعرضنا في المبحث الأول منه إلى المقاومة السياسية التي أبدتها الأديب محمد السعيد الزاهري من خلال كتاباته في جريدة (البرق) ، وبعدما تطرقنا إلى مسألة الانتخابات النيابية والبلدية التي عانى منها الشعب الجزائري الكثير عرجنا على ذكر موقف الزاهري من أعمال بعض الشخصيات الجزائرية النيابية التي كانت لها دور كبير في إعادة العمل بالقوانين التعسفية مثل قانون "الاندجينا" ، مروراً بمقاومة الزاهري لأعمال الجمعيات اليهودية ، وأطماع الحركة الصهيونية ، والأسباب الموضوعية التي أدت إلى استيلاء المستوطنين على الأراضي الخصبة للملاك من الشعب الجزائري . أما في المبحث الثاني فذكرنا مقاومة محمد السعيد الزاهري للآراء المضللة التي كانت تنشرها بعض الطرق الصوفية عموماً والطريقة العلوية على وجه الخصوص .

الفصل الرابع وهذا بعنوان : **الخصائص الفنية في كتابات الزاهري** ، تعرضنا فيه لكتابات محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة "البرق" ، ثم تعرضت إلى لغة التعبير الأدبي لنفس الأديب ، وكذلك بينا أهم الوسائل التي اعتمد عليها هذا الأديب في كتاباته التي تضمنتها جريدة "البرق" .

الخاتمة ، وقد أجملنا فيها ما رأيناه من نتائج مهمة .

الملاحق ، وهي نصوص الأديب محمد السعيد الزاهري في جريدة (البرق) . ولعل هذه المحاولة المتواضعة لباحث مبتدئ معرضة أكثر من غيرها إلى التقصير والخطأ والزلل ، و"لكل شيء إذا ما تم نقصان" . فإن أصبت فيها فذلك أملنا ، وإن أخطأت فأنا على يقين من أنني طالب لا غير .

وأخيرا أجدني مثقلا بجميل من قدم لي يد العون والمساعدة من أسرتي وأساتذتي
وأصدقائي وزملائي ، وأخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور المشرف محمد

العيد تاورته .

كما أقدم الشكر الجزيل لأسرة إدارة قسم اللغة العربية وآدابها ، وإلى جامعة
قسنطينة التي ذلت لنا الصعوبات وفتحت لنا صدرها لمواصلة تلقي العلم . وعلى الله
قصد السبيل .

الفصل الأول

الواقع الجزائري من خلال قرن من الاحتلال .
1- الواقع السياسي .

المرحلة الأولى :

- أ- دور حمدان خوجة في المقاومة .
- ب- المقاومة في فكر الكبابي .
- ج- واقع الجزائر بعد محاولة إبعاد الطبقة المثقفة عن دورها .

المرحلة الثانية في أعقاب

الحرب العالمية الأولى .

- 2- الواقع الاجتماعي .
- 3- الواقع الثقافي .
- 4- الصحافة : أهميتها ومنافعها للمجتمع .
- 5- آراء بعض رواد من كتب حول الصحافة في مجال الحركة الوطنية في الجزائر .
- 6- صحافة المحتل .
- 7- النشاط الصحفي لمحمد السعيد الزاهري .
- 8- جريدة "البرق" في آراء بعض الباحثين
- 9- كتاب جريدة "البرق" .
- 10- تأثير جريدة "البرق" في الرأي العام الجزائري .

قبل أن نتحدث عن حياة " محمد السعيد الزاهري " وأدبه وآثاره من خلال جريدة (البرق) نحب أن نتعرف على حال الجزائر بعد أن احتلها الفرنسيون ، حتى تتبين لنا الأوضاع التي كانت سائدة في زمانه ، ونتعرف على موقع هذا الأديب ومكانته في الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية ، واتجاهه في الأدب واللغة . إن الزمان الذي شهده " محمد السعيد الزاهري " حافل بالفوضى الفكرية والقلق الاجتماعية والاضطرابات النفسية ، نتيجة تعاقب الحكومات الفرنسية " بفرنسا " وسوء تصرفات إدارتها بمستعمراتها " الجزائر " في أحضان حقد سياسة التنصير ، وأطماع حركة الاستيطان . ولابد من عودة متأنية إلى مثل هذه الأحداث التاريخية التي مرت بها الجزائر في ظل الاحتلال لنفهم الأسباب المؤدية إلى جرح شعور أدباء الحركة الوطنية ومنهم " محمد السعيد الزاهري " رئيس تحرير جريدة (البرق) .

* * *

1- الواقع السياسي :

لم تكن الدبلوماسية الجزائرية قبل احتلال فرنسا لبلادها تأبه أو تعطي أهمية كبيرة لما كان يصرح به ، أو يصدر عن القادة الفرنسيين وأولي السياسة عندهم من العسكريين و المدنيين ، على الرغم من أنه لم تتوقف سياسة أوروبا عن التحرش على الشمال الإفريقي خاصة السواحل الجزائرية بل تعدى ذلك إلى التصريح بأن الجزائر (بنت روما البكر ، وأنها كانت مستعمرة لروما ، وجاء العرب فاحتلوها وغزوها معتدين ، وجاء الأتراك بعدهم فاحتلوها كذلك وغزوها واستعمروها ، وجئنا نحن أبناء فرنسا لنعيد الأشياء إلى موضعها وهو استئناف إرث روما جدتنا في وضع طبيعي)¹ .

أما على صعيد الواقع فإن كثرة هذه التحرشات التي تعرضت لها الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي من بعض الدول الأوروبية كفرنسا وبريطانيا وأسبانيا كقيلة بالقول بأن الأوروبيين قد عقدوا العزم على التخلص النهائي من نشاط الأسطول البحري الجزائري الذي كان

يفرض قيودا على التجارة الأوروبية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ويعيق أطماعهم التوسعية في القارة الإفريقية .

وبالفعل فإن أحلامهم تلك التي راودتهم قرونا لم تتحقق إلا بالمباغطة الغادرة لهذا الأسطول الجزائري ، وشل حركته وتخطيطه . ومن جهة أخرى تعتبر هجمة فرنسا على ميناء سيدي فرج يوم الخامس من جويلية سنة ثلاثين بعد الثمانمائة والألف انفراد الاحتلال الفرنسي بالجزائر . بعدها بسط هذا المحتل الفرنسي نفوذه على العاصمة وما جاورها من مدن كبرى . وقد ترتب عن ذلك تحول كبير في حياة المواطن الجزائري الآمن المطمئن ؛ حيث حلت به تراجيديا الجهل والفقر والخوف والتخلف ، بدأت فصولها من ذلك التاريخ المشؤوم واستمرت قرنا واثنين وثلاثين سنة ، تفنن المحتل خلالها في تعذيب وتجهيل وتجويع وقتيل شعب تفاجأ بسقوط بلاده بهذه السرعة .

لم يكن المحتل الفرنسي ينظر إلى الجزائر نظرة بسيطة سطحية ، كما كان ينظر إلى مستعمراته في الهند أو الصين ، فالجزائر في اعتقاده (بنت روما البكر)¹ ، أما هو فوارث شرعي لـ: إرث جدتنا روما² ، والإنسان الجزائري أبله وبليد ، وباطن الأرض أولى به من ظاهرها ، والفرق بينه وبين الفرنسي كالفرق بين العلم والجهل ، والتقدم والتأخر ، والليل والنهار ، وهذا ما ذهب إليه (بيرموران) في أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه قائلا : (يجب أن لا ننظر إلى المواطن الجزائري وكأنه ذو عقل شبيه بعقولنا)³ . ولا فائدة تجنى من الجزائري حتى وإن أسعف بمناهج العلم والتربية ، وأعين بأحسن ما توصلت إليه البشرية من وسائل محاربة الجهل ، لأن تلك الصفات طبيعة هذا الإنسان ومتأصلة فيه ، وإذا فكرنا في أن التعلم يستطيع أن يغيره تغييرا كاملا فإننا نخالف ذلك بل نتجاهل قانون التطور والثابت⁴ . ويبدو أن هذه النظرة الفوقية للمحتل استمرت في الجزائر حتى الاستقلال . حدث قبيل الحرب العالمية الثانية أن تقدمت النخبة الجزائرية بطلب فتح المدارس أمام أبناء الشعب

¹ - نايت بلقاسم ، مولود قاسم ، المرجع السابق . ص 233 .

² - المرجع نفسه . ص 233 .

³ - العسلي بسام : ابن باديس وبناء قاعدة الثورة في الجزائر . دار النفائس ، الطبعة الثانية بيروت - لبنان - ص 54 .

⁴ - المرجع نفسه . ص 54 .

الجزائري فما كان من السلطات إلا أن ردت قائلة : (إن الجزائريين ليسوا أهلا بها لأنهم لا يعقلون لا التربية ولا العلم)¹.

وكما لم يصدق الشعب الجزائري ما جاء في البيان الموجه إليه من طرف قادة الاحتلال ، والذي خلاصته أن الفرنسيين أصدقاء لا يضمرون الشر ولا يريدون من حملتهم على الجزائر إلا طرد الأتراك . فإن الأتراك أنفسهم لم يصدقوا أيضا محتوى البيان الثاني الموجه إليهم من أن أمراءهم ودورهم ومساجدهم لن تمس بأذى².

ومن هنا لم تشذ القاعدة لدى الجماهير الجزائرية في أن بلادهم أصبحت أسيرة الذين حاولوا إخضاعها منذ قرون عديدة ، وتساوى هذا الشعور في ذهن كل المواطنين ، وقد بدا ذلك جليا في سلوكياتهم اليومية تجاه المحتل . ثم إن الجزائريين والأتراك اعتبروا أنفسهم وبلادهم رهينة الحقد الدفين للصليبية الأوروبية التي عملت جهدها منذ زمن بعيد على تكسير شوكة دولتهم القوية الواقفة باستمرار في وجه أطماعهم التوسعية ، ولذلك نجد المقاومة السياسية تبدأ من أول يوم السقوط .

ويجب أن نشك - على الأقل - فيما جاء على لسان بعض الباحثين الأوروبيين من أن الحملة الفرنسية على الجزائر لم يكن وراءها لا تخطيط ولا دراسة بل كانت مغامرة (لم يسبقها تحضير وأنها اتخذت من طرف حكومة كانت في حالة احتضار... ولقد كان الارتجال والجهل والوهم مصادر لتلك المغامرة)³ ، وأن نتيقن من أن الجزائر أصبحت بالنسبة إليهم بيئة خصبة لتجارهم السياسية والقانونية ، يتفنن خيراؤهم في تفصيل الحياة الاجتماعية والسياسية للشعب الذي أريد له أن يكون من خلال ذلك فرنسيا معيشة ولسانا (لقد أصبحت الجزائر منذ حملة الاحتلال عام 1830م مسرحا للعديد من الأنظمة الإدارية المختلفة انطلاقا من نظام " المكاتب العربية " . فبعد الاحتلال مباشرة وجدت السلطات

¹ - بوالصفاصاف ، عبد الكريم ، ج ع م ج ودورها في الحركة الوطنية 1931م-1945م ط1 ، دار البعث قسنطينة ، 1981 م . ص 43 .
² - الزبيري ، محمد العربي ، مذكرات احمد باي وأحمد خوجة وبوضربة ، الطبعة الثانية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ، 1981م ص 130 .
³ - ايفون ، تورين " الأشكال الرئيسية للمقاومة في الجزائر إبان القرن التاسع عشر : شهادة الوثائق الفرنسية وظواهر ضعفتها " محاضرات وتعليقات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي . المجلد الأول ، من 13 جمادى الثانية إلى 1 رجب 13 هـ الموافق لـ 24 يوليو إلى 10 أغسطس 1972 م ص 249 .

الفرنسية نفسها أمام شعب كثير العدد تجهل لغته وعاداته وتقاليده وطبيعة بلاده الجغرافية ، وحاول ضباط جيشها أن يستميلوا إليهم بعض الشخصيات التي تفاوضوا معها وأغروها بمناصب الآغوات والخلفاء والقواد . وعندما تولى الدوق (دوروفيقو DE ROVIGO) السلطة في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين ، أنشأ في مكتبه فرعاً إدارياً سماه "المكتب العربي Cabinet Arabe ، ثم تكلف الضابط (لاموريسبير La morispire) بمصلحة خاصة تعنى بالاتصال بالجزائريين ، واعتبر بعد ذلك مبتكر (السياسية الأهلية)¹ .

ومما لا شك فيه أن الباحثين تعرضوا بالدراسة والتحليل لتلك المقاومة السياسية التي أبداهها الجزائريون سواء كانوا طبقة مثقفة أو كانوا طبقة شعبية صامدة بعاداتها وتقاليدها وأخلاقها وعزها وكبريائها في وجه المحتل الفرنسي . وقد ذكرت " د. ايفون تورين " في محاضرة ألقته في ملتقى الفكر الإسلامي السادس بالجزائر إن من أشكال المقاومة الجزائرية للطبقة الشعبية الإشاعة (وأهمها تلك التي صدرت عن (مولى الساعة) المحرر الذي سيلقي بالفرنسي عرض البحر)² ، وفائدة مثل هذه الأخبار هي رفع معنويات الأفراد وفتح أبواب الأمل والتحرر والاستقلال والتخلص من المحتل (لقد كانت هذه التنبؤات تغذي أملاً كان من الممكن أن يكون بعيداً . غير أنه كان من اللازم كذلك مقاومة كل ما كان من شأنه أن يكون من نشاط المستعمر أو اختراعاته المفاجئة)³ .

لقد تميزت الساحة السياسية للشعب الجزائري فترة الاحتلال الفرنسي بمرحلتين ، ظن الشعب الجزائري عامة والمثقف خاصة في أولها أن المحتل صاحب حضارة عالية يفهم عمق المعاني الإنسانية والمثل العليا ، خاصة حينما سمعه يرفع شعار الحرية والمساواة والأخوة ، فتعامل معه في إطار المعاهدة المبرمة بين الجزائر والمحتل الرامية إلى وجوب احترام المنصوص عليه وضرورة إعطاء كل ذي حق حقه . أما الثانية ففيها استوعب الجزائري الدرس فانتظم

¹ - بوعزيز ، يحيى ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ورشة أحمد زبانة - الجزائر - 1986م ، ص 179 .
² - د. ايفون تورين : محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي . المجلد الأول ، من 13 جمادى الثانية إلى 1 رجب 1392هـ الموافق لـ 24 يوليو إلى 10 أغسطس 1972 م ، ص 245 .
³ - المصدر نفسه ، ص ن .

في أحزاب سياسية وجمعيات دينية واجتماعية من أجل أهداف تجتمع في عمومها على إخراج المستعمر .

ويمكن أن نطمئن إلى ما ذهب إليه كثير من الباحثين في تحديد الفترتين ، فالأولى تتمثل في البطولات الجزائرية في صورة الأفراد وقوة الرجال . أما الثانية فهي التي حبلت بالحركة وتصارع الأفكار والتعبير بحق عن مرارة الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، (أما في الماضي فقد كانت البطولات تتمثل في جرأة فرد لا في ثورة شعب ، وفي قوة رجل لا في تكاتف مجتمع ، فلم تكن حوادثها تاريخية بل كانت قصصا ممتعة . ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله وإنما كانت مناجاة ضمير لصاحبه لا يصل صده إلى الضمائر الأخرى فيوقظها من نومها العميق¹ . وإذا أردنا تأريخ الماضي الذي تحدث عنه صاحب هذه المقولة فنجد عند الكثير من الباحثين ينتهي بنهاية الحرب العالمية الأولى (فيعدون هذا التاريخ فاصلا حاسما في تاريخ الجزائر الحديث ، ونقطة تحول جذري في حياتها من جميع الوجوه)² . أما المرحلة الثانية فتبدأ في أعقاب الحرب العالمية الأولى من القرن العشرين إلى نهاية الاحتلال .

سنلقي الضوء على المرحلتين لنقف من خلالهما عن كثر على جهود الأدباء والعلماء والسياسة سواء أكانت فردية أم جماعية منذ الأيام الأولى لوجود المحتل على أرضهم حتى رحيله ، دون أن ننسى أن المظهرين يدلان على أن الجزائريين أدركوا أنه لا وجود لبلد عربي نال الاستعمار الأجنبي من صميمه مثل الجزائر ، ولا عانى أكثر مما عانته الجزائر ، وأن الاستعمار الفرنسي تسبب في خراب روحي رهيب : وعليه فالأجدر بالعلماء والأدباء والسياسة أن يشمروا عن ساعد الجد لأن الخطب جسيم .

المرحلة الأولى :

¹ - بن نبي ، مالك : شروط النهضة . ترجمة كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين ، ط 4 ، دار الفكر بوزريعة - الجزائر - 1987 م . ص 22 .
² - خرفي ، صالح : المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر . 1983 م ، ص 11 .

أ - دور حمدان خوجة في المقاومة :

سنركز في هذه النقطة على أهم صور المقاومة وأشكالها عند الطبقة المثقفة والتي أجمع الباحثون بأن حمدان خوجة زعيمها من خلال تحركاته السياسية الموسومة بالذكاء النادر والدهاء الباهر ، والحكمة البالغة إلى جانب كون الرجل نزيها فاضلا ، محبا لشعبه ومفوضا للحديث باسمه . اعتمد حمدان خوجة في مقاومته على تجسيد وإظهار مخالفة المحتل لبنود المعاهدة المبرمة بين الداي حسين والمحتل . ولم يسكت يوما عن المظالم المرتكبة في حق المواطن الجزائري سواء بتدخلاته الكثيرة أو بمراسلاته للجهات المسؤولة عما يحدث في البلاد وللعباد ، وبذلك (لا نحسب أننا نبالغ إن قلنا أن حمدان يعد أول جزائري في ذلك العهد ، بل أول مغربي تجرأ وانتقد السياسة الفرنسية بحجج منطقية وقرائن ثابتة ، مستخدما في ذلك أسلوبا تغلب عليه روح التفتح وغزارة الإطلاع)¹. لقد وقف حمدان خوجة في وجه الجنرال "كلوزيل" كثيرا وتحداه في مواطن عديدة ومواقف شتى شهدت له كلها بوطنيته العالية ، الشيء الذي دفع بالمحتل إلى نفيه . ومن مواقف الجرئية التي تدل على صلابته في الحق والاستمرارية في طلبه أنه أقنع الكثير من الناس بضرورة التصدي للجنرال "كلوزيل" في محاولته لتحويل مسجد "المسكة" إلى مسرح ، والاستيلاء على أملاك مكة والمدينة التي هي صدقة من أصحابها على الفقراء بمقتضى الشروط بعد الموت على وقف الدين الإسلامي لا طريق لأي أحد أن يستولي عليها مهما كانت صفته .

لقد حاول حمدان خوجة جاهدا تكوين أول حزب وطني سياسي عرف (بلجنة المغاربة أو حزب المقاومة)² وذلك بعد أن شعر بأن المحتل لا يقيم للعهد وزنا . كان المنتمون لهذا الحزب (من الأعيان والبرجوازيين الذين كانوا على وعي بدورهم السياسي الوطني)³. ورغم أن هذا العمل كان ردا فعليا لجرائم المحتل البشعة ، فإن دور الحزب كان محدودا ، كذلك ، فإن أتباعه ليسوا من الطبقة الشعبية العريضة ، ومع ذلك فقد عمل - إلى

1- عميراي ، حميدة ، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827 - 1840م ، دار البعث قسنطينة الجزائر ، 1987م ، ص 143 .
 2 - نويهض ، عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط 3 ، مؤسسة نويهض الثقافية ببيروت - لبنان - 1983 م ، ص 137 .
 3 - سعد الله ، أبو القاسم : الحركة الوطنية 1900-1930 ، ط 1 ، دار البعث قسنطينة - الجزائر - 1981 م ، ص 36 .

حد ما - على إيقاظ الشعور القومي للجماهير وتوعيتها بضرورة إظهار التبرم الاجتماعي والسياسي والثقافي لسياسة المحتل ، وعلى هذه القاعدة مهدت " لجنة المغاربة " لمقاومة شرسة قادها بعض الوطنيين الذين استيقظت فيهم نوازع التحرر الوطني وعلى رأس هؤلاء الأمير عبد القادر سنة 1832م فقد رأى هذا الأخير (بأن الواجب يقضي عليه وعلى مواطينة بأن ينهضوا لمقاومة الغازي المعتدي ؛ إذ عز عليهم أن تسقط بلادهم في أيد أجنبية لا ترحم)¹.

كما حاول حمدان خوجة إثارة الشعور الوطني لدى الجماهير الجزائرية عن طريق مواقف السياسية الشجاعة ، حاول أن يوصل صوت الجزائر الباهت إلى أعلى درجات سلم العمل السياسي حيث توجه إلى فرنسا "من أجل وطنه" ليتصل بمن في يده الحل والعقد . سافر حمدان خوجة إلى فرنسا واتصل بالمسؤولين فيها وعلى رأسهم الملك ، ورفع إلى الجميع ومنهم وزير الحرب عددا من الاعتراضات والشكاوى ، وقد ضمنها جميع المخالفات التي ارتكبتها الجيش الفرنسي في حق الجزائري الأعزل من كل سلاح إلا من التشبث بحقه في أرضه . ولا شك في أن الجزائري وقتئذ كان من الوعي بمكان حيث رأى أن المسؤولية تفرض عليه أن يكون يقظا وفي أشد درجات التأهب لفعل أي شيء من أجل أن يجنب البلاد شرور الاحتلال ، ولذلك نبذه يكلف حمدان خوجه كمثقف بأداء دور المبلغ والمتصل بالمسؤولين الفرنسيين والأتراك وأن يكون متحدثا باسمهم (وذا رغبة في تأسيس نظام حكم جزائري متطور من جهة أخرى ، وتعد هذه النقطة من العوامل التي دفعت حمدان إلى النشاط والتقدم للحكومة الفرنسية باسم الجزائريين للدفاع عن قضاياهم حيث سلم عريضة إلى الملك على أنها ممضاة من طرف وجهاء الجزائر وموكل بواسطتها أن يتحدث باسمهم أمام المحكمة العليا والملك ، والدفاع عن حقوقه)². والجدير بالذكر فإن حمدان خوجة شعر بعظم المسؤولية التي حملها إياه الشعب الجزائري وفرضها عليه الضمير المتيقظ . ولولا وفاؤه بالعهد وحرصه على أداء الأمانة لما تحمل عبء المسؤولية في وجه

¹ - مصاييف ، محمد : في الثورة والتعريب . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر . 1973. ص 10 .

² - عمير اوي ، حميدة ، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية . 1827 - 1840م . دار البعث قسنطينة الجزائر . 1987م . ص 147 .

المحتل منددا بسياسة الإبادة والاستيطان التي تعرضت لها بلاده ، وقد برهن من خلال (مرآته) أن المحتل يدعي المواقف الحضارية وأنه بعيد كل البعد عن الحضارة التي ينادي بها والتي هي أقرب ما تكون إلى همجية القرون الوسطى وعصبية الحملات الصليبية . لقد شدد حمدان في تدخلاته مع سياسة المحتل والأتراك في قضية أن الجزائريين أصحاب حقوق ولا يجوز هضمها وأصحاب مكانة بين شعوب العالم ويجب المحافظة عليها وصيانتها (ولم يكتف بالنقد للمظالم والمطالبة باسترجاع الحقوق إلى ذويها فحسب ، بل نقل القضية إلى جدال فكري وذلك بأن ربطها بأعمق القضايا التي حظيت بمناقشات واسعة وحادة ، وهي قضية القومية التي عمادها الدين وعلى أساسها فضح نوايا الحكومة الفرنسية¹ . ولما وجد المحتل في الداخل متماديا في سفك الدماء وهضم الحقوق وهتك الأعراض واستباحة الأموال وتفكيك عرى المجتمع ، وأن المسؤولين في الخارج قد صموا آذانهم لسماع مطالب الشعب الجزائري ، قرر حمدان خوجه التوجه إلى السلطان التركي بكلام شديد اللهجة أدان فيه المواقف المخزية للأتراك في الداخل والخارج (إننا يوم القيامة سنتوجه إلى العالي جل جلاله قائلين له إن سلطاننا قد تخلى عنا بحيث أن ذلك لم يكن قد ساعدنا . إلا أن السلطان سيحيب : لقد كنت مشغولا بمشاكل أخرى ولكن الله لن يقبل منه هذا الجواب)² . ورغم بعد المسافة بينه وبين هذا السلطان إلا أنه أجهد نفسه في تبليغه الوضع المزري الذي آل إليه حال الجزائريين . ويبدو أن حمدان خوجه توجه بكلامه إلى قلب السلطان قائلاً : (عرفوا سلطاننا ... استعطفوا لنا شفقتة أنا قد جاهدت بقلمتي ، والرعايا بسيوفهم ، فجاهدوا بألستكم ... الغياث ، الغياث . الفرنسيين لا يخرجوا من الجزائر إلا بقوة سلطانية ، ومواعيده لا أصل لها ...)³ .

إذن لم يترك حمدان خوجه وجهة إلا اقتحمها رغبة منه في التسريع بخلاص الجزائر . وكما كانت له مواقف مع المحتل داخل البلاد وخارجها كانت له أيضا مع الجزائريين والأتراك على حد سواء .

¹ - عميراي ، حميدة ، المصدر السابق . ص 144 .

² - المصدر نفسه . ص 171 .

³ - المصدر نفسه ، ص 168 .

لا نترك مقاومة حمدان السياسية دون أن نشير إلى أن جهوده ومواقفه مسجلة خارج كتاب "المرأة" أكثر مما نجدها في كتابه المرأة لأن هناك إشارات عديدة تؤكد على وجود مراسلات جمّة غفل عن تدوينها رغبة منه حتى لا تكون سببا في عرقلة جهوده الرامية إلى إنقاذ البلد السليب (ولو أن الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتآليف ومراسلات مع الأجناس وغير ذلك لأجل إنقاذ البلاد لأكلوا لحمي وأوقعوا بي . والحمد لله سترني الله)¹. وهناك أيضا من ناضل سياسيا على عهد حمدان خوجة مثل الكبابطي .

ب - المقاومة السياسية في فكر الكبابطي:

لم يكن حمدان خوجة وحده في خانة المقاومة السياسية ، وإنما هنالك شخصيات جزائرية قامت بأدوار معينة في هذا الاتجاه . ومن أجل سياسة التوسع وبسط النفوذ في مختلف المناطق من الوطن الجزائري اخترع المحتل سياسة المكاتب العربية ، وأنشأ هيئات لجمع المعلومات عن الجزائريين عموما ، الذين استعصى عليه مهادنتهم والاحتكاك بهم والتعاون معهم في سبيل مشروعه الاستيطاني ، وكان أول شخص عين في هذا المنصب النقيب " موريسير " MORICIERE باعتباره يجيد اللغة العربية . وكانت سياسة المكاتب العربية في ظاهرها : - إقامة الجسور لربط الجزائريين بالفرنسيين .

- الوصول إلى القبائل في كل المناطق من البلاد ومحاولة طمأنتها .

- التفاوض مع رؤساء العشائر وإقناعهم بضرورة التعاون مع فرنسا .

إن النجاح الذي أحرزته فرنسا من خلال سياسة المكاتب العربية جعلتها تحرص على تطويرها وزيادة العملاء فيها . كانت في البداية ثلاثة مكاتب في الجزائر ووهران وكذلك قسنطينة ، ثم تم فتح وحدات إدارية فرعية أساسية و ثانوية (وباختصار فإن المكاتب العربية تحولت إلى إدارات محلية للتحكم في السكان الجزائريين)². كل المكاتب وفروعها المبثوثة بين السكان تابعة للجيش الذي بدوره يتولى تعيين المسؤولين فيها وخلعهم

¹ - عميراي ، حميدة : دور حمدان خوجة في القضية الجزائرية 1827 - 1940م . أنظر هامش . من رسالة إلى محمود بن أمين السكة بباريس 23 محرم 1250 1 جوان 1834 . ص 79.

² - بوحوش ، عمار : التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان - 1979 م ، ص 130 .

واستصدار القوانين لجمع الضرائب ، وأدخلت على هذه المكاتب العربية عدة تعديلات قانونية عبر سنوات لتمتص غضب الجزائريين وتمردهم ، وكذلك تضيق الخناق على الأحرار منهم .

بمذه السياسية الماكرة كاد المحتل أن يصل إلى هدفه الباطني المتمثل في تحطيم النظام الاجتماعي والثقافي والسياسي ، وإحلال ما يناسب مصالحه المادية والمعنوية . وتصب هذه السياسة في النهاية ضمن بوتقة تجريد الجزائريين من ممتلكاتهم وإبعاد الطبقة المثقفة عنهم وعن وظائفهم الأساسية كالقضاء والإفتاء .

لقد دفع الظلم والتعسف وكثرة القضايا المعقدة والمتشابكة المطروحة على أصعدة مختلفة للحياة الاجتماعية والسياسية الجديدة في ظل الاحتلال بالقضاء والمفتين إما إلى الهجرة خارج الوطن فرارا بدينهم أو إلى تقديم الاستقالة هروبا من مسؤولية الظلم والافتراء على الشعب ، (وعندما فشلوا في الغلبة على الحضارة الجديدة هاجروا من ديارهم متوجهين إلى قواعد الثقافة التي تلائم تكوينهم . وهكذا استقر الآخرون في المشرق وكانت هجرتهم في الغالب عن كره ، فالأمير عبد القادر أخذ معه طائفة من المثقفين وأرغم الاحتلال طائفة أخرى على الهجرة . ولما جاءت سنة 1848م لم يبق في الجزائر من المثقفين سوى من لا أنياب له وأيضا لا قيم له ¹ . في الوقت نفسه أبى بعض الغيورين على وطنهم من العلماء والأئمة والقضاة والمفتين إلا المكوث في مناصبهم والاستمرار في أعمالهم مفضلين بذلك الصمود والمقاومة للممارسات التعسفية الصادرة خاصة من العسكريين والتي تظهر من حين لآخر في شكل قوانين ومراسيم . ومن الصامدين في وجه المحتل في الداخل على الهجرة إلى الخارج القاضي الكبابي وهو (مصطفى بن الكبابي : شاعر رقيق ، له اشتغالات بالسياسة ، ومن فقهاء المالكية . ولي الإفتاء بمدينة الجزائر في بداية عهد الاحتلال الفرنسي ، (1259هـ) ² ، وقد استقال من منصبه بعد عام مباشرة من وجود الاحتلال . لقد دفعه إلى ذلك استحالة الجمع بين مبادئ القضاء الإسلامي والأسلوب الإداري الجديد القاسي من

¹ - سعد الله ، أبو القاسم : أفكار جامعة . المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985م . ص 60 .

² - نويهض ، عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط 3 ، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت - لبنان - 1983 م ، ص 273 .

جهة ، ومن جهة أخرى لأن المحتل أراد منه أن يكون طوع إرادته وإشارته لتنفيذ السياسة الاستعمارية . ولم يكن نفي القاضي الكبايطي المقاوم لمثل هذه الممارسات مقيد اليدين وتحت حراسة شديدة إلا بعد مرادته ترغيبا تارة وترهيبا أخرى بقبول الإملاءات العسكرية والسياسية لعدة سنوات عارض خلالها القاضي الكبايطي قرارات الجنرال (كلوزيل و بيجو) القاضية بضم أملاك مكة والمدينة ، وجميع مؤسسات الوقف الإسلامي إلى الأملاك الفرنسية . وكذلك محاولة تحويل المساجد إلى ثكنات عسكرية أو معابد مسيحية . واستطاع الكبايطي الحيلولة دون تحقيق آمال العسكريين ردحا من الزمن . ولم يتغير رأي المقاوم الكبايطي المعروف لدى الفرنسيين خصوصا إزاء مسألة تعليم اللغة الفرنسية في الكتاتيب ، رغم الإغراءات والتهديدات التي تعرض لها ؛ إذ نجد العسكريين يجهدون أنفسهم في التخلص من الكبايطي بعدما تأكدوا من أن مواقفه الوطنية قد خلقت في قلوب الناس هالة من القدسية وفي أوساطهم تأثيرا . ومن هنا لفقوا له التهم والافتراءات وألصقوها بشخصه لينفروا الناس منه ويفرقوهم عنه ، وبالتالي يسهل عليهم عزله أو نفيه أو حتى قتله ، واستمر الوضع معه هكذا إلى سنة 1843م أين استطاع المحتل إلصاق تهمة المقاومة المكشوفة لأوامر الحكومة ، وقرر بعد ذلك عزله ونفيه إلى فرنسا وأعلن في الناس أن الكبايطي استقال من منصبه .

لقد أدى هذا الرجل دورا سياسيا واضحا بحيث استطاع أن يحول دون تخريب عقول الجزائريين ، وتلك صفة كبيرة لسياسة الاحتلال التي واجهها .

ج- واقع الجزائر بعد محاولة إبعاد الطبقة المثقفة عن دورها :

تمكنت الإدارة المحتلة خلال عقدين من الزمن بسط نفوذها على أكبر عدد ممكن من المدن الجزائرية الكبرى كقسنطينة والجزائر ووهران ، وعلى تلك المكاتب العربية والعلماء والشيوخ الذين لهم سلطة على السذج . أما الأئمة الوطنيون فقد وضعت أعينها عليهم وعلى المساجد التي يشغلون بها . ثم عملت على تخفيف منابع الدعم المادي الذي كثيرا ما كان يلجأ إليه الشعب الجزائري في النابثات كالأوقاف والمؤسسات الخيرية . ولما تيقنت من

أنها استطاعت أن تسكت حتى همهمة المتعلمين في هذه المؤسسات أقدمت على حرق الكتب العلمية القيمة ومنها مكتبة الأمير عبد القادر كما صرح بذلك الجنرال "آزان" حيث كتب يقول : لقد استولينا على قصر الأمير عبد القادر وأشعل الجنود النار في مكتبته التي كانت تحتوي على مئات الآلاف من المجلدات العلمية الثمينة وجعلوها أثرا بعد عين¹ . ولم تكتف الإدارة المحتلة بهذه الممارسات المستفزة للشعور الوطني ، بل دعمت ذلك بشتى الإجراءات القاسية المحاربة للدين الإسلامي وقواعده ، وركزت في ذلك على منع رحلات الحج إلى مكة والمدينة وبالتالي منع الاحتكاك الفكري والثقافي بالشرق العربي ، ثم إفساح المجال الواسع أمام الشعوذة وتمكين أصحابها من الاستحواذ على عقول الفقراء والسذج ، كما أسندت الأمر والنهي لمن يملكون معاول الهدم كالأئمة الرسميين وغيرهم ممن برع في الكيد والجوسسة ، فقد (أسندت إدارة التصرف في المساجد والمكاتب إلى أفراد بارعين في الكيد والدس ، استخدموا القسط الأوفر من الأموال في مصلحتهم الشخصية . ومن هنا أهملت أغلبية المدارس وتركت وشأنها)² . واعتمدت أيضا على فكرة جهنمية يستحيل معها فتح مكتب عربي ، وهي (عدم السماح لأي معلم مسلم أن يتولى إدارة مكتب لتعليم اللغة العربية بدون رخصة يمنحها إياها عامل الولاية - العمالة - أو قائد الفيلق العسكري . ويعد فتح مكتب بدون رخصة اعتداء على حدود القوانين الخاصة بالأهالي المسلمين)³ .

لعل من شأن تلك الممارسات المساعدة على سياسة (فرق تسد) - وبعدها سياسة (الإدماج) ثم صهر الجزائريين في المجتمع الفرنسي وسلخهم عن المجتمع العربي المسلم - أن منعت الجزائريين بشتى أنواع المكر والخداع من الحصول على أي تمثيل سياسي سواء كان ذلك في المجالس البلدية أو النيابية في البرلمان الفرنسي ، إلى جانب أن السلطات الفرنسية أبدت اهتماما بالغا بتعليم أبناء الشخصيات الأرستقراطية ، وطبقة (القياد) والاعتماد عليهم كإطارات مهمة تسد مسد المترجم في المحاكم والإدارة وغيرها . وكان اهتمامهم بذلك كبيرا . قال الجنرال كلوزيل : يجب أن نجتمع على الأقل 50 طفلا من أبناء الأعيان

¹ - مجاهد ، مسعود : كفاح الجزائر البطولي في عهد الأمير وبعد وفاته ، الطبعة الثانية ، د. ط. د. ت . ص 395 .

² - العسلي ، بسام : ابن باديس وبناء قاعدة الثورة في الجزائر . ص 50 .

³ - العسلي بسام ، المصدر نفسه ، ص 49 .

نبعث بهم بغرض تعليمهم ، والذي يتخلف عن ذلك يتعرض إلى العقوبة القانونية (إن رفض إرسال الأطفال إلى فرنسا يعتبر خروجاً عن طاعة الفرنسيين ، والذي لا يريد الامتثال إلى هذا الإجراء يجب أن يخرج من مدينة الجزائر)¹ . وقد عبر أحد المسؤولين الفرنسيين عن قيمة فتح المدارس أمام الأطفال الجزائريين قائلاً : (فتح مدرسة في منطقة آهلة بالسكان الجزائريين لا يقل شأنًا عن قيمة فرقة من الجيش لتهدة البلد)² . ويقودنا مضمون القول الأخير لهذا المسؤول إلى التنويه بصمود الجزائريين أمام تلك السياسة الجهنمية المتبعة من العسكريين ومن المستوطنين لإخراج هذا المواطن الضعيف من إسلامه وعقيدته ، وتهجيده من أرضه أو تجهيله في أصله وتاريخ بلاده وأجداده . لأن أشهر ما يدرس في مناهج تلك المدارس : أصل الجزائريين أغال ، وأبطالهم نابليون ، وتاريخهم يبدأ من سنة 1830م . وما طارق بن زياد وعقبة بن نافع إلا غزاة لأرض (الجزائر) البنت البكر للجدّة فرنسا . أما ما يتلقاه الجزائري في المدارس فشر ما يتلقاه شاب في مدرسة : لا دين ، لا شرف ، ولا أخلاق ، ولا وطنية ، قشور من العلم ضمن منهاج استعماري خبيث ، يقول ذلك المنهج : أجدادنا هم الغول أو أغال ، الرومان هذبونا ومدنونا ، أكبر رجالنا نابليون بونابرت قدسيتنا القومية جان دارك ...³ . والذي يعود إلى مناهج التعليم في فرنسا وقتئذ يجد تشابهاً عظيماً بينه وبين تلك المفاهيم التي أريد لها أن تزرع في تربة الجزائر (كانت بلادنا تسمى الغال la gaul وكان أجدادنا يسمون الغاليين تماماً مثلما كان يدرس التلميذ الفرنسي في مقاطعة نورماندي)⁴ . إذن فهي معركة مفاهيم يخوضها الجزائري لأجل الحفاظ على الهوية التي بدأت ملامح ذوبانها تلوح له في الأفق خاصة وهو يسمع صباح مساء تصريحات المسؤولين السياسيين والعسكريين القائلة بأن الجزائر ولاية من ولايات الجمهورية الفرنسية وأهلها فرنسيون بمقتضى دستور 1848م ، واللغة العربية لغة أجنبية في المدارس والصحف ، وحتى في الشوارع بل كل رسالة يريد تعنون بهذه اللغة مصيرها الإهمال والإتلاف . أما

¹ - العسلي ، بسام ، المصدر السابق . ص 49 .

² - أجرون ، روبير ، تاريخ الجزائر المعاصرة . ترجمة عيسى عصفور ، ديوان المطبوعات الجزائرية 1982م ، ص 161 .

³ - العسلي ، بسام ، ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية . ص 30-31 .

⁴ - تركي ، رابح ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية . عن نقولا زيادة صفحات مغربية ص 311 دار الطليعة بيروت - لبنان - 1956 . ص 116 .

المثقف الجزائري فيسقى المرارة من كأسين اثنين أحلاهما مر ، كما يقال : كأس الواقع المرير بقضه وقضيضه ، وكأس الآثار النفسية لما كان يقرأه أو يسمعه أو يستقرئه من سياسة المحتل والتي ترمي دائما إلى (محو الشخصية الجزائرية من الوجود عن طريق محو مقوماتها الأساسية وهي الإسلام والعروبة والوطنية الجزائرية تمهيدا لذوبان الجزائر الكامل في فرنسا وسلخها نهائيا من جسم العروبة والإسلام)¹.

ومن المعلوم أن المثقف كان يتابع باهتمام بالغ أخبار بلاده ويعلم أنها بين مطرقتين : بين مطرقة شرهة المستوطنين للأراضي الزراعية الخصبة ، ومطرقة الصليبية الحاقدة . ويدري تماما أن كراهية المستوطنين له لا تقل عن حقد الصليبي وبغضه ، وكل منهما شر ووبال عليه لا يفضلان له إلا الخذلان فضلا عن الهلاك والتلاشي (والأصل في ذلك كله أن الكثير من الكولون سكان إقليم الجزائر ضد المسلمين لا يحبون لهم إلا الضعف والتلاشي والهلاك ، ووكلائهم من الديوان العمومي يسرون حسب غرضهم وقصدتهم ... ويظنون أن المسلمين منتصبون دائما لإيقاع الإذابة لهم والضرر بهم في أموالهم أو ذواتهم ويزعمون أن الدين هو الذي يجرضهم على ذلك وخصوصا القرآن)² . أما الفرنسي فواضح من خلال ما يعتقدده حول الجزائر من أنها صدر الإسلام بل كبده . والسيطرة عليها يعني السيطرة على شمال إفريقيا : (إذن فقد صارت فرنسا في صدر الإسلام وكبده حيث فتحت أراضيها وأخضعت شعوبها لسيطرتها وقامت تجاهه مقام رؤسائه الأولين ، وهي اليوم تدير شؤونها وتجنّي ضرائبه وتجنّد شبابه لخدمة الجندية وتتخذ منهم عساكر يذودون عنها في مواطن الطعان ومواطن القتال ...)³ .

لقد كان جليا في ذهن المثقف الجزائري أن جبهات المقاومة السياسية أصبحت متعددة ومتنوعة وعليه أن يحسن الدفاع والهجوم ولا ييدي لأعدائه إلا ما يدل على وطنيته الخالصة الصادقة من جهة ، وعلى تفانيه فيها في إطار ما يسمح به الدين ويبيحه من جهة

¹ - تركي ، رابع ، المرجع السابق ، ص 106 .

² - طالب ، عمار ، ابن باديس حياته وآثاره ، جمع ودراسة ، ج 1 ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان - 1983 م . ص 25 .

³ - مجلة القبس ، شهرية ثقافية تصدرها وزارة الأوقاف ، وزارة الشؤون الدينية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، مارس 1966 ، حيدرة - الجزائر - ص 16 .

ثانية ، خاصة وأن كتاب المحتل وخطباءه قد أظهروا له منذ البداية نزعتين أساسيتين لدى تقريرهم السياسة الواجب اتباعها في الجزائر وهما : التنصير والفرنسة وكانتا تتآزران في أذهان الكثير من الفرنسيين ، لأنهم كانوا يرون أن التنصير يساعد على الفرنسة ، كما أن الفرنسة ستسهل التنصير¹. ولاشك في أن الركنين المذكورين قوام مملكة فرنسا الأم التي لا تعود لها السيادة الكاملة على ابنتها الشرعية (الجزائر) إلا بعودة اللغة الفرنسية وتعاليم الإنجيل المقدسة (إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة (مملكة فرنسا) إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية . والعمل الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة الدارجة عندهم)².

إن مأساة الجزائر في نظر أبنائها المثقفين هي الواقع الذي آلت إليه بلادهم في نظامها القضائي والتشريعي لأنهما حوربا في البداية وعطلا في النهاية . ومأساة في نظامها الاقتصادي الذي أصبح في أيدي المستوطنين . ومأساة في نظامها الديني الذي أوكل إلى بعض شيوخ الطريقة . ومأساة في نظامها الاجتماعي الذي بات من الصعب تحمله . ومأساة في نظامها التعليمي الذي أضحت الجزائر من خلاله مشتاقة إليه كاشتياق الشجر إلى قطرة الماء .

وإلى هنا أيضا تضاعفت مسؤولية الجزائريين كل حسب مستواه وموقعه خاصة بعدما فشلت ثوراته التي قام بها الأمير عبد القادر والمقراني والحداد وغيرهم . خاصة بعد أن أدركوا أن المحتل قد ركز في حربه على ميدان التعليم والثقافة . (لقد حارب الاستعمار الفرنسي المدرسة والثقافة الجزائرية ، وطارد المعلم أكثر مما حارب أي شيء آخر وهكذا منذ وطئت قدمه الأرض الجزائرية)³. لقد أدت هذه المآسي كلها إلى ردة فعل قوية من طرف ثلة من الفقهاء والعلماء المضطربة ضمائرهما من سوء الحياة الاجتماعية والثقافية ، وانتشار ظاهرة الزوايا ، وكثرة المريدين والإخوان ، واستسلام الناس لفكرة القضاء والقدر كما يفهمها الطرقيون ، وتعطيل الفكر ، وشل الطاقات . ويمكن القول بأن النهضة في

¹ - بن نعمان ، أحمد ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981 م . ص 159.

² - بن نعمان ، أحمد ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، المرجع نفسه . ص 103 .

³ - شريط ، عبد الله : المشكلة الأيديولوجية . ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1981 م . ص 30 .

المشرق ، وانتعاش الاتصال الفكري والثقافي بين المشرق والمغرب عن طريق الصحافة والجرائد والمجلات ومؤتمرات الحج واجتماعاته ونشاط الأزهر والزيتونة ، أدت كلها إلى تصميم جماعة من العلماء والفقهاء والوطنيين على ضرورة بعث نهضة جزائرية محورها وركيزتها تكوين الرجال الذين سيتم على أيديهم الاستقلال . وهكذا بدأوا بسياسة بعث التعليم وركزوا في ذلك على تعليم الأطفال إقتداء بسلوك الأمم الحية كما قال الشيخ عبد القادر المصاوي أحد دعاة الإصلاح في الجزائر لهذه الفترة (وما كثر الفساد في أمة إلا بعدم تربية الأولاد فإننا نرى الأولاد مهملين يتعلمون الفساد ... إننا نرى الأمم الحية إنما حصل لها الرقي بتربية أولادهم وتعليمهم العلوم النافعة والمعرفة المفيدة فيجب التبصر لمثل هذا وفي الغالب إن إهمال الأولاد من الأمهات الجاهلات والمتعلمات تعلمنا ناقصا)¹ .

التقى الفقهاء والعلماء في سياستهم لإصلاح وبعث النهضة الجزائرية في العصر الحديث حول التعليم فكان من خريجه الكثير من الشيوخ أمثال : عبد القادر المصاوي والشيخ مولود بن الموهوب ، والشيخ حمدان لونيسي ، والشيخ أحمد لحبياتي ، وعبد الحليم بن سماية ، ومحمد بن علي السنوسي ، والشيخ علي بن ناجي الزاهري ، وعلي بن العابد السنوسي ، والشيخ بن عيسى الجزائري ، والشيخ المكي بن عزوز ، وأبو القاسم الحفناوي ، والشيخ السعيد بن زكري ، ومصطفى بن خوجة . أما عن مواد التعليم عندهم فكان الاعتماد الكلي على الكتب القديمة الأصلية في الدين واللغة ، كرسالة التوحيد لمحمد عبده ، وأسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني . وغيرها من الكتب الدينية والفلسفية . والمتأمل في هذا المنهج يدرك أنه نفسه المنهج الذي اعتمده كل من جمال الدين ومحمد عبده في النهضة التي عملا من أجلها في العصر الحديث .

في ظل هذه الحركة التعليمية النشطة ، وتحت مسؤولية أولئك الشيوخ العلماء ، وعلى ضوء تلك التعاليم الواضحة والوطنية الصادقة ، وعلى تلك الجراحات والأحداث الدامية ، والظروف الصعبة تربى جيل آخر واستوى عوده ليواصل مسيرة مقاومة المحتل ،

¹ - طالبي ، عمار : ابن باديس حياته وآثاره . ج 1 ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان - . 1983 . ص 21 .

أمثال ابن باديس والإبراهيمي والعقي والزاهري ومحمد راسم والميلي وأبو شنب . وغيرهم كثير ممن نعتبرهم من رواد الحركة الوطنية المقاومة للاحتلال بالقلم ، وغيرهم كثير أيضا أفنى ساعات عمره في خدمة الوطن . ذلك هو الجيل الذي حمل مشعل المقاومة ضد الجهل بالدين والدنيا معا في فترة عصيبة كاد الشعب أن ييأس فيها من عودة الحياة المشرقة لبلاده . ولم تكن المدرسة المكان المناسب والوحيد الذي يسرب الشيوخ منه أفكار الوطنية ، وتعلم فيه قدسية اللغة ، والتضحية من أجل العروبة والإسلام ، بل كان النادي والمقهى والحفلات والأسواق والمساجد . وتعتبر كلها تربة خصبة لإذكاء وتجديد الشعور القومي والوطني والديني . غير أن المحتل لما شعر بأن لهذه الأماكن خطورة على وجوده ، وكشف خططه ، أصدر القوانين الصارمة لمراقبتها يوميا أو غلقها تماما .

وإذا تصفحنا أخبار المقاومة الوطنية السياسية في هذه الفترة ومع هؤلاء الشيوخ العلماء ، فسنجد السجل حافلا بالأحداث الجسام التي تدل على أن الجزائر (شعرت بعروبيتها الأصلية التي كانت كامنة كالنار في الحجر)¹ . كما تدل دلالة واضحة بأن الجماهير استوعبت الأفكار الوطنية المتسربة من المراكز التي تتردد عليها الطبقة المثقفة ، والتي تعبئ وتشحن القلوب والرؤوس بما يجب الوطن لأهله ويكره إليهم المحتل وقوانينه ، كقانون التجنيد والتجنس . ومن هنا نجد الجزائريين ينتفضون معبرين عن سخطهم ورفضهم . وقد أدى تطبيق قانون التجنيد إلى مشادات عنيفة سقط خلالها العديد من قتلى وجرحى ، واعتقل الآلاف من الشعب الجزائري . ولم يكن من وراء تلك الاحتجاجات إلا الوطنيون الصادقون أمثال محمد راسم زعيم هذه المظاهرات الداعية إلى تشجيع الجماهير الجزائرية لتقاطع الإيطاليين وتساند إخوانها الليبيين في محتهم ، وبطريقة جديدة لم يعهدها المحتل من قبل . وتمثلت هذه الطريقة ولأول مرة في تاريخ الجزائر المحتلة في المصقات على جدران المنازل والدكاكين والشوارع وفي المدن الجزائرية الكبرى (عنابة ، والجزائر ، وبجاية) .

¹ - سعد الله ، أبو القاسم : محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري الحديث . ط 2 ، دار المعارف - مصر - دت ، نقلا عن محمد البشير الإبراهيمي ، 1975م ، ص 8 .

وما من شك في أن الجزائريين بدأوا العمل الجاد من أجل التنظيم والبحث عن القائد الذي يأخذ بأيديهم إلى الاستقلال ، ولذلك نجدهم يقتحمون ميدان الصحافة بقوة ، وكان لهم ما أرادوا . فأغرقوا الساحة الوطنية بالكثير من الجرائد ، متأثرين في ذلك بالحركة الإصلاحية المشرقية التي قادها محمد رشيد رضا ومحمد عبده ، اللذين كان لهما الحضور القوي في أقوال رواد الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية ، ومن الجرائد التي أصدرت :

الحق : 1893م ، الحق : 1903م ، ذو الفقار : 1913م - 1914م ، الإحياء

1906م - 1907م ، المصباح والهلal : 1906م ، كوكب إفريقيا : 1907م

والقاسم المشترك بين هذه الجرائد وغيرها هو :

- الهجوم على فرنسا ثقافيا .
- التعاطف مع الأفكار التقدمية والنهضوية .
- رفض التغريب ومسح الهوية الوطنية .
- رفض التجنس والتجنيد .
- إيقاظ الشعور القومي الوطني .

وإلى جانب الأداء الصحفي المميز لجرائد هذه الفترة تأسست جمعيات آتت أكلها بإذن الجهود المبذولة من طرف أصحابها . كل ذلك كان في فترة أفرغ المحتل ما في كنانته من قوانين المنع والتحریم والتعنيف والتغريم والتضييق . ورغم هذه المضايقات كانت للجمعية التوفيقية 1908م ونادي صالح باي 1908م وغيرهما الحضور القوي في تنشيط الحياة الثقافية والسياسية في الساحة الوطنية الجزائرية . هكذا تابع الجزائريون بقيادة الطبقة المثقفة مقاومتهم السياسية الفردية حتى وضعت الحرب الكونية الأولى أوزارها .

المرحلة الثانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى :

نشير قبل الولوج في الحديث عن هذه المرحلة من عمر المقاومة السياسية لدى الحركة الوطنية - التي يرجع كثير من المؤرخين والدارسين بدايتها إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، لأن الأحداث غيرت مجرى تاريخ الجزائر كما غيره نوفمبر 1954م وحول حياة الشعب

تحويلا جذريا من جميع وجوهه - إلا أن إجماعا تقريبا لدى الباحثين وقع على أن المحتل الفرنسي كان مطمئنا إلى الوضع في الجزائر حتى مشارف الحرب العالمية الأولى خاصة تعامله مع ثلاثة محاور أساسية :

1- جهود اللغة العربية وتراجعها في حياة الشعب الجزائري اجتماعيا و سياسيا واقتصاديا وإداريا .

2 - تمركز المبشرين في الأماكن الحساسة ونجاح سياستهم بين الفقراء والمساكين

3 - تكون طبقة جزائرية مثقفة ثقافة فرنسية تعول عليها في رفع شعار الجزائر فرنسية غير أن المحتل لم يتفطن إلى البذرة الوطنية المغروسة في قلوب أولئك الذين قاوموا مقاومة سلبية ، قد تلقحت بالمفاهيم الصحيحة والضرورية حول هذه الأمة الجزائرية ومستقبلها والتي ظن المحتل أن أهلها دون مستوى الإنسان . إن هذه البذرة بدأت تؤتي ثمارها في بناء القاعدة الأساسية للقيام بما يجب أن يكون ضروريا في حق الوطن السليب بعد تلك المقاومة السلبية التي طال أمدها .

ومن هنا نرى الوعي الوطني للشعب عموما ولأدباء الحركة الوطنية خصوصا ، قد تزايد بشكل كبير جدا ، مما أدى إلى بروز مصطلحات سياسية جديدة كانت غائبة قبل ذلك الوقت ، إما لغطسة المحتل أو لم تكن من أولويات العاملين على الساحة السياسية والأدبية ، خاصة بعد فشل المقاومة المسلحة التي قادها الأمير عبد القادر والمقراني و الحداد . إن هذه المصطلحات تكشف بقوة عن وجود نضج سياسي رفيع وجريء لأبناء الحركة الوطنية الجزائرية ، ومن هذه المصطلحات :

المطالبة بالاستقلال - المطالبة بالحقوق - استرداد مجد الجزائر - استرجاع الذي اغتصب - طرد الضيف الثقيل ...

وتدل هذه المصطلحات على امتلاك الحركة الوطنية الجزائرية لرؤية واضحة ، ومعرفة شاملة بأساليب المحتل ، وحيله الخادعة والمدمرة . وهذا ما جعلهم قادرين على :

1 - وضع اليد على الجرح العميق والمؤلم للشعب الجزائري ، وذلك بهدف إيقاظ الوعي الوطني سواء عن طريق المواقف التي أظهروها أو الآراء والأفكار التي نشروها على صفحات الجرائد .

2 - النجاح في التعبير بصدق عن مشاعر الأسى واليأس والقنوط والتذمر المرادة للنفوس الأبية منذ زمن بعيد .

3 - السمو بأفئدة الشعب الجزائري ، ليسمح لهم بتهيئة تربة الثقة ومد جسور التعاون والتفاهم والتعاقد والتكاتف .

4 - توجيه صيحات قوية تنذر بالأخطار المدمرة أحيانا ، وتحذر من السهام المسمومة أحيانا أخرى .

ورغم الظروف القاسية المؤلمة للشعب فقد ظهرت حركات وطنية سياسية متنوعة تحارب المحتل و من نحأ نحوه ، و تمسح على القلوب المريضة فتوقد فيها المشاعر الوطنية ، وعلى العقول الجامدة فتتمدها بالقوة والحركة ، كل ذلك من أجل المطالبة بالحق المهضوم . وهاهو فرنسي يصف الجزائر في تحقيق صحفي يقول : وكأن بني جلدتي قد انقلبوا إلى وحوش ضارية . فقد دخلت الجزائر وفي رأسي كل تاريخها الماضي المجيد فلم أجد إلا شعبا مزقته السياسة الاستعمارية العاشمة . أما فنون الجزائر وعلومها التي عاشت طويلا في ربوع هذه البلاد العظيمة فقد تبخرت . لقد وجدت جهلا وظلاما في كل مكان ، ولم أجد الفلاح الجزائري الذي قضى كل عمره يفلح الأرض من أجل بلاده إنما وجدت بقايا بشرية حطمها الإقطاع الفرنسي ، ولم أجد العامل الجزائري إنما وجدت صناديق بشرية جعل السل عظامها نخرة ، وأكلت البطالة لحمها)¹.

وفي صحف هذه الحركة الإصلاحية والوطنية تجسدت أيضا تلك المصطلحات المقاومة للمحتل بشكل واضح على لسان الطبقة المثقفة . جاء في جريدة البصائر على لسان الإبراهيمي ما يكشف حقيقة المحتل الذي هضم الحقوق وهتك الأعراض وأباح الدماء

¹ - مجاهد ، مسعود : كفاح الجزائر البطولي في عهد الأمير وبعد وفاته ، الطبعة الثانية ، دط . د ت . ص 391 / 392 .

والأموال و يتم الأبناء ورمّل النساء (الاستعمار كله رجس من عمل الشيطان . يلتقي العاملون به على سجايا خبيثة ذووا غرائز شرهة ونظرات عميقة إلى وسائل الافتراس وإخضاع الفرائس وأهم تلك الوسائل قتل المعنويات وتخدير الاحساسات الروحية).¹ (ثم جاء بعده بالمعلم والطبيب والراهب ، وبعد أن أجرت لهم عملية التلقيح بمادة الاستعمار ، وهي مادة من خصائصها تعقيم الخصائص ، فلم يبق المعلم معلما علميا ، ولا الطبيب طبيا إنسانيا ، ولا الراهب راهبا أبا روحيا ، وإنما جاؤوا في ركاب الاستعمار ليخدموه ويثبتوا أركانه)² وإذا الطب الاستعماري لم يقض على المرض وإنما قضى على الصحة ... وإذا الراهب ذئب فلاة يتربص اليتيم لينصر الأبناء ، والمجاعات ليفتن الآباء ، فكأن من وصايا المسيح عنده أن لا يطعم البطن إلا إذا أخذ القلب ، وأن لا يكسو الظهر إلا بالتحريد من الدين ، ولا ينشر تعاليم المسيح إلا باستغلال أزمات الضعفاء والبائسين)³ . (... إن الاستعمار القائم على الجندي والمعلم والطبيب والراهب هيكل حيواني يمشي على أربع ، وإن الاستعمار قد قضى بواسطة هؤلاء الأربعة على عشرة ملايين من البشر ، فرمى مواهبهم بالتعطيل وعقولهم بالخمود وأذهانهم بالركود وأفكارهم بالعقم وأضاع على الإنسانية - بضياعهم - عشرة ملايين من المواهب والعقول والأذهان والأفكار ، وهي رأس مال عظيم كانت تستعين به - لولا الاستعمار - على الخير العام و المنفعة ، وتتفع به في إقامة دعائم المدنية فما أشأم الاستعمار على الإنسانية !)⁴ .

في ظل هذه الظروف المأساوية للجزائر كوطن وللجزائريين كشعب تكونت في أوساط الناس مفاهيم جديدة تحت مسميات كثيرة منها :

- كتلة النواب التي يتزعمها الأمير خالد ولها الأثر الكبير في كثير من الشخصيات الأدبية الجزائرية . وكانت جريدة "الإقدام" هي اللسان الرسمي الناطق باسمها . وقد تحولت

¹ - الإبراهيمي ، محمد البشير ، عيون البصائر . د ط ، دار المعارف ، 1963 م . ص 86 .

² - المرجع السابق ، ص 77/76 .

³ - الإبراهيمي ، محمد البشير ، عيون البصائر . المرجع نفسه . ص 77 .

⁴ - المرجع السابق ، ص 77 .

هذه الحركة فيما بعد إلى نجم شمال إفريقيا (وهي أول حزب وطني يطالب بالاستقلال التام)¹ .

- جمعية العلماء الجزائريين المسلمين وكان لها الدور الكبير في إبراز معالم القومية الجزائرية من خلال تدريس تاريخ قومي ، ولغة وثقافة عربيتين ، وهي بهذا تلتقي مع سياسة نجم شمال إفريقيا من حيث تمسكها بالقومية العربية الجزائرية . وكان محمد السعيد الزاهري أحد مؤسسي هذه الجمعية .

ولم تكن هذه الجمعية في نشاطها التربوي بتقديم النحو والصرف والبلاغة وتفسير القرآن والوعظ والإرشاد لأتباعها في المساجد وخارجها ، بل ألقت في روعهم ضرورة تبني أفكار المقاومة لسياسة المحتل الفرنسي ومن دار في فلكه كاليهود والطريقين والنواب المتآمرين على الشعب الجزائري : (وفي سنة 1932م بدأت تظهر المواقف السياسية لجمعية العلماء حيث قام قادة الجمعية بحركة نشيطة تدعو إلى مقاطعة البضائع اليهودية ومحاربة فكرة إعطاء الجنسية الجماعية للجزائريين)² .

ولعل السياسة التي انتهجتها الجمعية هي التي أدت إلى تعميق العداء بينها وبين فرنسا وإلى إظهار مكانة الإمام ابن باديس ، ومنحه الثقة الكاملة من طرف أصحابه واعتباره الشخصية الوطنية الأولى الملفتة للنظر ليكون بعدها الزعيم الوطني الجزائري المخيف للمحتل بإستراتيجية مقاومته . (وفي رأي بعض المفكرين فإن عبد الحميد ابن باديس يعتبر شخصية وطنية جزائرية من الدرجة الأولى في النصف الأول من القرن العشرين وذلك لنجاح حركة جمعية العلماء في تقوية العداء للفرنسيين)³ . ولما تأكدت سلطات المحتل من أن الجمعية نجحت في بث روح العداء في الشعب له ولليهود وسيطرت على الساحة السياسية (قررت أن تعمل من جديد بقانون 18 أكتوبر 1892م ، وتمنع جمعية العلماء من فتح أية مدرسة حرة إلا بموافقة السلطات الفرنسية في الجزائر)⁴ .

¹ - عبد الرحمان ، عواطف : الصحافة العربية في الجزائر . دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954 - 1962 ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1985م . ص 19 .

² - بوحوش ، عمار : التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى 1962 . دار الغرب الإسلامي . ص 252 .

³ - المرجع السابق ، ص ن .

⁴ - المرجع نفسه ، ص ن .

ومن هنا نقول : رغم الطابع الديني الإصلاحى لهذه الجمعية إلا إن الجانب السياسى كان بارزا فى شتى أعمالها ، واستطاعت بفضل عبقرية قائدها وجهود أتباعه أن تحدث انقلابا فى حياة الشعب الجزائرى الدينية والسياسية ، وتمكنت بفضل ذكائها المتمثل فى تحديد البرنامج السياسى منذ البداية ، أن تستقطب جمهورا عريضا من الناس عن طريق المساجد والمدارس والنوادي المتفرقة فى كامل أنحاء الوطن الجزائرى .

حزب الشعب : استطاع مصالى الحاج أن يجمع آلاف الجزائريين ، وأن يتجرأ فى المطالبة بالاستقلال التام عن فرنسا ، ويعلن إلى الرأى العام الجزائرى والفرنسى عن ميلاد حزب الشعب وعن جريدته الناطقة باسمه " الشعب " . ومن الأدباء الذين تأثروا بأفكار هذا الحزب الجماهيرى ، وكانوا من أعضائه البارزين والعاملين على إرساء قواعده محمد السعيد الزاهري . ومما قام به هذا الحزب بعد أن أرسى قواعد حركته الجديدة ونجح فى توعية الجماهير سياسيا ، فتح المدارس ، ونشط دور الصحافة ، وأقنع الشعب بضرورة افتتاح النصر ، ولكنه جوبه بسياسة القوة والحديد والنار فتشتت قيادته بين السجن والمنفى . وبعد الحرب العالمية الثانية تكررت للجزائريين - مع نفس المحتل - من جديد تجربة 1919م ، وتكررت معها المأساة وكانت درسا قاسيا للحركة الوطنية الجزائرية بجميع أطرافها ، ومن ورائها الشعب كله ، وهنا ظهر تحول جديد فى مسار نضال الشعب الجزائرى وأصبح يضم اتجاهات أسياسية هي :

- 1- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية المتولدة عن حزب الشعب المحل وقد تشيع لها الأديب محمد السعيد الزاهري بعد اختلافه مع جمعية العلماء وذهاب حزب الشعب .
- 2 - حركة جمعية العلماء المسلمين واستمر اهتمامها بإحياء الشخصية الوطنية الجزائرية ، وتأييد باقى الحركات السياسية الأخرى ضمينا .
- 3 - حركة أنصار البيان والحرية ، وسياستها المطالبة بالإصلاحات ضمن الإطار الفرنسى .

وهكذا ظلت الحركة الوطنية الجزائرية عموماً بعد الحرب الكونية الثانية متصارعة وفي (مهاترات ومشادات حزبية فيما بينها من ناحية ، ثم بينها وبين الاستعمار من ناحية أخرى) ¹. وما دام ظهور (جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها) لم يخفف من الصراع المحتدم بين مختلف القوى الوطنية ، فإن ضغط الشعب عليها وعلى قادتها - بعد ثورة الجيش في مصر واستقلال ليبيا والاتفاق على استقلال السودان وغيرها من الأحداث - أدى إلى التعجيل بثورة نوفمبر ، وكانت السبيل الأوحـد إلى نيل الاستقلال .

2 - الواقع الاجتماعي :

لم يشترك الجزائريون يوماً من شظف العيش وخشونته إلا بعدما صارت أراضيهم تحت رحمة سياسة المستوطنين ، ولم تستمر حياتهم الاجتماعية الطبيعية فطرية رغم الضرائب التي كانوا يدفعونها للأتراك إلا بعدما كان نظامهم الاجتماعي يتعد بالمواطن عن أسباب اللـهو إذ كان الجزائريون (ينكرون كل الإنكار على كل من يميل إلى البسط في الشهوات والملذات فكانت نفقاتهم قليلة جداً ، وكان ما يقبضونه أكثر بكثير مما يصرفون . وحكى لي شيخ طاعن في السن أنه كان يملك خمسة عشر فرنكاً قعدت عنده في صرته تسع سنين لم يعرف فيما ينفقها ولا أنى يصرفها . وهو صادق في هذا لأن عيشته بسيطة لم تزد على الرغيف والتمر والماء)².

جاء المحتل ووضع خطة لإفقار الشعب الجزائري ونجح في تحقيق جزء مهم منها ، وكانت تهدف في جوهرها إلى : الاستيلاء على أوقاف مكة والمدينة وأوقاف خير الدين بربروس وعلى مقاليد المساجد الكبيرة ، وكل ما له علاقة بإعانة الفقراء والمساكين والمحرومين والمحتاجين³ ، ثم السيطرة الكاملة على عيون الثروة الزراعية والصناعية والتجارية . والنتيجة كانت غنى فاحشاً في جانب المستوطنين ، وفقراً مدقعاً ، ونكبات جسام ، وجوائح ومجاعات مبيدة في حق ملاك الأرض الحقيقيين ، حتى اضطر البعض منهم إلى

¹ - سعد الله ، أبو القاسم : محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث ، ط 2 ، دار المعارف - مصر - ص 74 .

² - الزاهري محمد السعيد " الرسائل الخاصة " البرق . عدد 21 ، صفر الخير 1346هـ الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 1 .

³ - أكثر تفصيل في كتاب : سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع ، دار الغرب الإسلامي ، ج 7 ، 1985م ، من ص 235 إلى 240 .

الهجرة في بواخر الموت لكن دون الوصول إلى الهدف المنشود . ولقد أرخ الشاعر محمد العيد آل خليفة لمثل هذه الفواجع الكبرى كفاجعة باخرة (سيدي فروج) التي كان سببها البحث عن الارتزاق حتى ولو كان وراء البحار فقال :

قسى البلد الجريح وذاق ذرعا بهم فتيّموا البلد الرحيا
وقالوا إن في (باريس) عيشا يروق غضاضة و يلذ طيبا
وقالوا إنها تسلي المعنى وقالوا إنها تأوي الغريبا ...
جسوم في (فروش) مجذلات تعاني تحت الغاز الرهيبا
وأجساد ممزقة الحشايا تكاد لها النواصي أن تشيبا
حديد (فروش) يفريها شظايا وعزف فروش يكيها نحيبا¹.

وقبل أن نترك محمد العيد آل خليفة نشير إلى أنه من شعراء الحركة الوطنية الذين تألموا لظروف الجزائريين الصعبة ، وعالجوا ظاهرة البؤس والحرمان والفقر واليتم ودعا الأغنياء للتخفيف من وطأة المأساة بما يملكونه من أموال طائلة فقال:

فشا الفقر واشتد عسر المعاش وعادت سنو يوسف الغابره
تفاقم كرب الفقير الكسير أما عندكم من يد جابرة
يشق عليه الرغيف الطفيف و تعوزه الخرقه الساتره
فيا أيها الرافعون القصور إلى الجو في الأمة القاصره
ألا تذكرون حفاة عراه أصابهم الفقر بالفاقره².

ومما زاد في فقر الشعب الجزائري وبؤسه وشقائه الأزمات الاقتصادية العالمية ، التي انتهز المعمرون ظرفها لكي يقوموا بتموين السوق الأوروبية بالمواد الغذائية الجزائرية التي كان الجزائريون في أشد الحاجة إليها . ومما أذكى هذه الأزمة بعد ذلك سياسة المحتل الاجتماعية التي عقدت الأوضاع ، وشجعت الفساد والانحلال الأخلاقي ، وفتحت الحانات ويسرت الطريق إلى العريضة والفجور ، الشيء الذي أدى ببعض الشباب إلى الارتقاء في

¹ - الزاهري ، محمد الهادي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، الجزء الأول ، بالمطبعة التونسية - تونس - 1926 م . ص 14 .
² - آل خليفة ، محمد العيد ، ديوان محمد العيد ، ط 1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة - الجزائر - 1967 م . ص 250 .

أحضان المآسي الأخلاقية . وهكذا انتشرت الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة ومات الناس بعدها بالعشرات والمئات ، واستسلم الباقي للمستوطنين وتجار اليهود وأصبحوا إما عملة تحت أيديهم أو عبيدا في أعينهم ، واضمحت مكانتهم داخليا وخارجيا كما أخبر بذلك محمد السعيد الزاهري أثناء معالجته لهذا الموضوع (ثم جاءتنا هذه المدينة ، فأكثر من ضروريات الناس ، وأكثر من نفقاتهم ، وفتحت في وجوه المسلمين أبواب الحانات والمخامر ، ونصبت لهم المواخير ودور القمار ، وأباحت لهم ذلك كله إباحة حرة وجعلت تمدح وتثني على من يقع في شراكها بأنه متمدن "سيفيليزي" وبأنه حر "ليبر" ، وتزين لهم هذه الرذائل بمثل هذه الأوهام التي تلقيها في رؤوس الناس وهم جاهلون أميون لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعرفون مركزهم من الحياة ، فتساقطوا على تلك المفاصد وتهالكوا عليها حتى باعوا فيها كل ما تملكه أيديهم من عقار وماشية ...) ¹.

ويمكن أن نستشهد على حدة المأساة الاجتماعية في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي بقول محمد السعيد الزاهري : "أرى الجزائر في أنياب بؤس يعضغها مضغا ، وأراها في فقر يأكلها أكلا لما ، وأراها بعد ذلك تتخبط في جهالة عمياء وتعمها ضلال مبين ، فلا أستطيع مع ذلك صبرا ، أراها كذلك فيذوب فؤادي لها رقة وحزنا وتذهب نفسي عليها حسرات" ². وجراء هذه الظروف الاجتماعية الصعبة ، تولدت في ذهن أغلب المواطنين الجزائريين أزمة شك في مقدرة الشعب على الصمود والمقاومة ، لولا جهود الحركة الوطنية الفعالة التي أحييت فيه الروح القومية والوطنية ، وذكرته بما كان له من مجد ، ومنته بإمكانية استرجاعه إن هو تغلب على جهله وبدد مخاوفه .

ويعتبر محمد السعيد الزاهري أحد الذين استبشروا خيرا بصحوة ضمائر الشباب بعدما خدعوا في بيع أراضي آبائهم وأجدادهم ، وهاجروا إلى أوروبا ثم عادوا أدراجهم بعقيدة استرجاع هذه الأراضي مهما كانت الظروف (ولا يسعني هنا إلا أن أذكر بكل حمد وثناء هذه الهجرة التي هاجرها شبان زواوة الجزائريون إلى فرنسا وأمريكا ليسترجعوا تلك

¹ - الزاهري ، محمد السعيد " الرسائل الخاصة " البرق . عدد 21 بتاريخ 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 1 .
² - الزاهري ، محمد الهادي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، الجزء الأول ، بالمطبعة التونسية - تونس - 1926 م . ص 62 .

الأراضي الفلاحية التي خرجت من أيديهم إلى الكولون ... ذلك أنهم يعتقدون عقيدة لا تتخلخل ، أنهم لا يفلحون في هذه الحياة ولا يسعدون إلا إذا ملكوا أراضي آبائهم الأولين ، وأنهم لم يخسروا ولم يذوقوا الشقاء إلا بعدما فرطوا في تراث الأقدمين¹ . وتمنى محمد السعيد الزاهري على بني ميزاب الذين ملكوا التجارة الجزائرية قرونا وأصبحوا عملة يخدمون اليهود (أن ينهضوا نهضة تجارية عصرية نسترد بها ما كان للجزائر من المكانة الكبرى في الثروة والاقتصاد)² .

وإذا دققنا النظر قليلا وجدنا أن سبب فقر الشعب الجزائري هو احتكار المحتل للسوق الجزائرية ، وتمكين العابثين (الذين اعتادوا احتكار المواد ، إن شاءوا خفضوها وإن شاءوا رفعوها ، والأهالي من أكبر كبير إلى أصغر صغير تحت رحمة أولئك المحتكرين المجردين من كل عاطفة إنسانية)³ . ورغم أن الجزائري يعترف بأن أرضه قادرة على أن تجنبه الفاقة والحاجة ، وأن وطنه غني بزراعته ، غني بمواشيه ، غني بمحاصيله المتنوعة : من تمر وزيتون وتين وعنب ، غني بمواده الأولية من الحلفاء والأحشاب والفحم والأصواف والجلود وما فيه من المعادن الطبيعية ، ولكن الفقر المدقع عنوان أوضاعه الاجتماعية ، فبعد احتلال المستعمر الفرنسي لأراضيه لم ينتفع بعشر المعشار مما تنبته تربتها ، ولا هو يدري كيف تسلب منه خيراتها بواسطة سماسرة ، اختلسوا منه عقله وأمواله وتركوه مبهوتا حيرانا ينكت الأرض بعدد ويقبض على ناصيته تارة أخرى ، مستغرقا في الفكر في تلك الخيرات العميمة كيف خرجت من يده وتركته خاوي الوفاض⁴ .

سارت الحياة الاجتماعية بالجزائري وتطورت معه الأزمة (حسب مراحل الكفاح الوطني فاكتسب أحيانا قوة الصراع وظلت أحيانا أخرى تدور في دوامة رهيبة حول نفسها)⁵ . وأصبح المشهد الاجتماعي لا يطاق ، فلم تفلح الهجرة إلى فرنسا في الحد من شراسة نقمة الحياة الاجتماعية ، بل أضافت أزمة أخرى هي غربة الآباء . وظهرت نتائج هذه

¹ - الزاهري ، محمد السعيد ، " الرسائل الخاصة " البرق . عدد 21 ، صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 1 .

² - المرجع نفسه . ص 1 .

³ - الحافظي ، المولود بن الصديق " فوائد الاقتصاد " البرق ، عدد 8 بناريخ 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أفريل 1927 م . ص 3 .

⁴ - الحافظي ، المولود بن الصديق " فوائد الاقتصاد " المرجع السابق . ن ص .

⁵ - سعد الله ، أبو القاسم : محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث . ص 77 .

المشكلة الجديدة في تشرّد الآباء وتأرجحهم بين الحرمان والشقاء . وقد وصف " فرانس فانون " هذا المشهد المؤلم قائلا : (إن المشهد يشتمل على ملايين الصغار يمسخون الأحذية ، ويحملون مشتريات السيدات الأوروبيات ، وملايين الناس من الذين يتسولون رغيف الخبز . ملايين لا يقرأون ولا يكتبون . ملايين بصمات الأصابع على المحاضر التي تقود على السجون)¹.

سئم الشعب الجزائري الحياة الذليلة الشقية ، وأضحى لشدها لا يهاب الموت خاصة إذا كان ذلك في طلب العزة والكرامة ، ولهذا رمى أخيرا بما يملكه من قوة في الثورة التحريرية . والخلاصة هي أن الجزائريين قد يغفرون لفرنسا ابتزازها لثرواتهم الظاهرية والباطنية والتي شيدت من خلالها قصورها وجامعاتها ومصانعها ، والأکید أنهم لا يغفرون لها أبدا حربها التجهيلية المنظمة التي تركتهم بها من أفقر الشعوب ذات الحضارة القديمة في الميدان الثقافي .

3- الواقع الثقافي :

من البديهي لدى أهل النهى أن الشعوب المتعلمة لا تستعبد ولا تزول ، فمناعة الشعوب في قيمها وثقافتها وعقيدتها ، وكذلك كان حال الشعب الجزائري عبر عصوره بصموده الديني والحضاري ، من أرقى وأقوى أشكال المقاومة لديه قبل الاحتلال وبعده ، وقد مثلت النوادي والجمعيات الثقافية والدينية أداة هذا الصمود الحضاري والتمايز الثقافي عند الشعب الجزائري .

لقد حاول المحتل الفرنسي أن يجرب سياسة الاستئصال الحضاري والثقافي مع الشعب الجزائري ، ولمدة تجاوزت القرن بثلاثة قرون ، وبكل الإغراءات والوسائل ، ولما ظن أنه بلغ أهدافه ، واطمأن لموته صرح في الاحتفال المتهوي على لسان أحد ساسته الكبار (لا تظنون أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن . فقد أقام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون ومع ذلك خرجوا منه . أفلا تعلمون أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة

¹ - الزبيري ، محمد العربي ، المثقفون والثورة ، منشورات المتحف الوطني ، المطبعة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار وحدة الطباعة بالروبية الجزائر 1995م . ص 141 .

الإسلام بهذه الديار)¹ ، قوبل هذا القول بتصريح آخر من أحد قادة الحركة الإصلاحية والوطنية بـ :

شعب الجزائر مسلم و إلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له رام المحال من الطلب .

صحيح أن الجزائر عانت من غربة في لسانها ودينها وهويتها طيلة وجود المحتل الفرنسي على أراضيها ، لكنها انتصرت في النهاية بطرده ، وإعادة بناء شخصيتها العربية الإسلامية .

أدت سياسة التحويل والتشريد والتجهيل والتنصير وتنمية الروح العنصرية والطائفية، إلى إبقاء النظام القبلي وتسليط المشعوذين ونشر أضاليلهم ، وقد أدى ذلك كله إلى نجاح هذه السياسة لمدة زمنية ليست بالقصيرة . لقد أراد المحتل من وراء هذه السياسة القضاء على الدين الإسلامي والأخلاق الفاضلة وكل مقومات الشخصية الجزائرية تمهيدا لصهر الشعب في الأمة الفرنسية ، وسلخه نهائيا من جسم الأمة العربية الإسلامية ، وما يدل على صحة هذا القول إقدام هذا المحتل على تغيير أيام العطلة لدى السكان ، وغلق الحدود أمام الجرائد والمجلات القادمة من المشرق خاصة " المنار " ، والتفريق بين السكان ، واعتبار سكان القبائل مسيحيين ، وتغيير أسماء المدن والشوارع ، ووضع المراسيم والقوانين المجحفة لمنع التعليم العربي ، والإدلاء بتصريحات مؤذية للشعور القومي بهدف إحباط عزيمة الشعب الجزائري ، مثل تصريح الحاكم العام للجزائر عام 1832م الذي جاء فيه (إن أيام الإسلام قد دنت . وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكن أن نشك على أي حال بأنها ضاعت من الإسلام إلى الأبد)². أما (لافيجري ، الكردينال) فيقول : (علينا أن نجعل من الأرض

¹ - آثار إبراهيمي . المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1985م . ص 284 .

² - نقلا عن ، بن نعمان ، احمد : التعريب بين المبدأ والتطبيق . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1985م . ص 160

الجزائرية مهذا لدولة عظيمة مسيحية ، أعني بذلك فرنسا أخرى يسودها الإنجيل دينا وعقيدة ، فهذه هي آيات الله ¹.

اعتبر الدكتور عبد الملك مرتاض أن بعض الباحثين قد وقعوا في خطأ جسيم حينما اعتقدوا (بأن الشعب الجزائري كان أميا ، وإنما الاستعمار هو الذي جاءه بالثقافة والعلم)². غير أن الكثير منهم وحتى الفرنسيين (الذين عالجوا فترة الاستعمار في الجزائر يجمعون على أن الثقافة العربية كانت مزهوة نسبيا وأن معظم السكان الجزائريين لدى احتلال الجزائر عام 1830م كانوا يتقنون القراءة والكتابة والحساب . وأن عدد المدارس كان يفوق ألفي مدرسة)³. ونقل الدكتور أحمد بن نعمان عن نایت بلقاسم مولود قاسم قوله : (ونذكر من العلماء الذين قصدوا الجزائر لتلقي العلم " رومولو " الذي جاء إلى الجزائر ليقراً اللغة العربية والمنطق في بجاية وهو صاحب الكتاب " الفن الكبير في المنطق " . واستمر ازدهار تلك الجامعات حتى قرب الاحتلال الفرنسي الذي وجد أثارها حية)⁴. ونقل عن المؤرخ الفرنسي "بولاد" قوله (كانت الجزائر فيما مضى تضم معاهد علمية عظيمة الشأن في الفلسفة والأدب والعلوم والطب وقواعد اللغة والقانون الإسلامي وعلم الفلك ... كل هذه العلوم كان يقوم بتدريسها أساتذة كبار من الجزائريين ، كما كانت هناك مدارس عديدة مخصصة لتعليم القضاء الشرعي والعلمي ، وكان الملوك يختارون مستشاريهم من صفوة المتعلمين من خريجي تلك المعاهد)⁵.

إن الأمثلة كثيرة على وجود الثقافة خاصة الأولية منها ، وهي شاهدة على مكانة الجزائر الثقافية بين دول العالم قبل الاحتلال ، غير أن وحشية المحتل الفرنسي وتعطشه للنهب والسرقة والتخريب بلغ ذروته بعد فترة معدودة عقب الاحتلال مباشرة وقد تمثلت هذه الوحشية في :

- الاستيلاء على المساجد الكبيرة وتحويلها إلى أديرة وإسطبلات.

¹ - المرجع السابق . ص 160

² - مرتاض ، عبد الملك ، فنون النثر الأدبي . ديوان المطبوعات الجامعية 1985م . ص 33 .

³ - مرتاض ، عبد الملك : فنون النثر الأدبي المرجع السابق . ص 33 .

⁴ - بن نعمان ، أحمد : التعريب بين المبدأ والتطبيق . ص 164 .

⁵ - المرجع نفسه . ص 164

- الحجر على أملاك الأتراك والأوقاف الإسلامية .
- تدمير المكتبات خاصة (تلك التي كانت مخصصة للآداب الإفريقية كما كانت هذه المكتبة روعة من روائع الهندسة الجزائرية)¹.
- إلغاء المدارس العربية . وفي إحصائية أغلقت فرنسا نحو ألف مدرسة يدرس بها 150 ألف طالب أو يزيد .

- تهجير العلماء ، والإفتاء بحرمة البقاء في بلاد الحرب (الجزائر) .
وبدعوى التمدن والحضارة والثقافة أشرك المحتل جميع فئاته في شن حرب حقيقية على الجزائر (شارك فيها المعلم الفرنسي والكاتب والسياسي والإداري والضابط والمستوطن ورجل الدين والكنيسة والإدارة لتحطيم حصون اللغة الوطنية وتراثها الشعبي والديني والقضائي وتحطيم التاريخ نفسه واستبداله بتاريخ مصنوع جاهز ، حتى علماءهم لم يتورعوا عن المشاركة في هذه الحملة الصليبية)².

لقد أدى هذا التحامل على الجزائر ثقافيا إلى كارثة تمثلت في : نزوح الأدباء والعلماء ، وتشيت الأسر والعائلات ، واندثار مكتبات عظيمة . وقد أدى ذلك إلى تأخر الدراسات العربية وتردي الحالة الأدبية في البلاد . ولم يقف الجزائري إزاء ما يحدث لبلاده ثقافيا جامدا ، بل اختار المقاومة بروحه العربية الإسلامية . فألف علماءه وأدباؤه الكتب ، وعلموا الأفراد ، وأسسوا النوادي والجمعيات ، وتمكنوا من اختراق دور الصحافة ، وأقاموا مثلها بلغة الأم ، وبنوا المساجد .

ولم يقتصر هذا التحرك الحضاري في مقاومة الثقافة الدخيلة على فترة واحدة من فترات وجود المحتل ، بل اتقدت جذوتها ببداية وجوده واستمرت في النمو والعطاء حتى خروجه . ولم يخل محمد السعيد الزاهري على الشعب الجزائري بما يستطيع القيام به ، طالبا أو بعد التخرج ، بتونس أو بالجزائر ، شابا أو كهلا . وأذّن في الناس منذ البداية بقوله : (سأخدم أمتي بقلم)³ ، (فلا أدع طريقا من الطرق إلى نفع أمتي إلا سلكته ولا سبيلا

¹ - هلال ، عمار : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجزائرية - الجزائر - 1995 م . ص 74 .
² - شريط ، عبد الله : المشكلة الأيديولوجية ، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1981 . ص 52 .
³ - الزاهري ، محمد السعيد " الفاتحة " البرق عدد 1 ، بتاريخ 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927 م . ص 1 .

توفي على خير البلاد إلا اتبعتها ... أخدم أمي بالقلم وأنا أعتقد أنني أؤدي لها واجبا وطنيا وواجبا دينيا معا¹. وحارب محمد السعيد الزاهري كل من كان سببا في إيقاع بلاده بين أنياب البؤس الاستعماري الذي مضغها مضغا ، وتركها تتخبط في جهالة عمياء . ووقف أيضا في وجه المبتدعين والانتفاعيين (الذين حسبوا أن أمة الجزائر خلقها الله من بين الأمم كشاة يستدرون لبنها ثم يرسلونها تجوب القفار لتعود لهم ثانيا بلبن غزير)².

لقد شارك محمد السعيد الزاهري في الحركة الإصلاحية وتطوير الصحافة الجزائرية التي بفضلها طوى الشعب صفحة الوصاية الثقافية ، ل يتميز بين الشعوب بشخصيته العربية الإسلامية . وقد أخذت صحافة هذه الحركة الإصلاحية على عاتقها أعباء النهضة ، ونشر الثقافة ، وتصفية الدين من رواسب الانحراف الماضي ، ومقاومة الخرافات والبدع ، وبلورة تفكير الطبقة الواسعة من أفراد المجتمع .

وظهرت بين الجزائريين منذ منتصف العشرينيات من القرن العشرين حركة تأليف حيث أصدر محمد الهادي الزاهري كتابه المشهور " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " وكان بمثابة الديوان الذي ساهم في حفظ نشاط شعراء تلك الفترة ، وألف مبارك الميلي " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " ثم هذا حذوه توفيق المدني بتأليف " كتاب الجزائر " . ولم تعد ساحة الجزائر الثقافية من حركة الصحافة الوطنية الحديثة الحرة التي هزت كيان المحتل وأرعبت سياسته خاصة لما انتشرت في ربوع الوطن كله ، وأغرقت الساحة الثقافية مجموعة من الجرائد المقاومة ، كلما عطل المحتل واحدة أظهرت الحركة الإصلاحية والوطنية أخريات أصدق لهجة ، وأكثر تعبيرا عن آلام الشعب ومشكلاته وبؤسه . وصمد رواد الحركة الوطنية في وجه " ميرانط " وتحذوه ببسالة كلما أراد ضرب الحركة . حيث أصدر ابن باديس باسمه جريدة المنتقد والشهاب ، وباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدة السنة النبوية المحمدية ، والصراط السوي ، والشرعية النبوية المحمدية والبصائر . وأخرج للوجود محمد السعيد الزاهري جريدة " الجزائر " و " البرق " و " الوفاق " و " المغرب العربي

¹ الزاهري ، محمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ن .

² - البرق . " المرأة " عدد 18 ، بتاريخ 12 محرم الحرام 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م . ص 3 .

" . ولم يتخلف محمد البشير الإبراهيمي عنهما فجاء بجريدة البصائر في سلسلتها الثانية . وأغدق أبو اليقظان ساحة الجزائريين بسبع جرائد في عشر سنوات وهي على التوالي " وادي ميزاب ، وميزاب ، والمغرب ، والأمة ، والنور ، والبستان ، والنبراس " ¹ . ولم تهدأ جهود الحركة المقاومة إلا بلفظ المحتل أنفاسه من الجزائر .

بالإضافة إلى ذلك ظهرت الجمعيات الثقافية ، وكانت شكلا من أشكال المقاومة التي يخوضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ، لأنها أصبحت حصنا روحيا وفكريا للتراث الأصيل ولعل أهم هذه الجمعيات والنوادي :

- نادي الترقى : (فقد كان هذا النادي مآقطا عظيما يطفح بالنشاط الأدبي ، ويفيض بالخصب الفكري ويكتض بالعلم والعلماء ويحفل بالخطب والخطباء) ² . وكان محمد السعيد الزاهري أحد الخطباء والشعراء المهمين فيه ³ .

- مركز قسنطينة : (إننا نعتقد أن مدينة من مدن الجزائر لم تقدم إلى هذه الأمة ما قدمته قسنطينة من علم نافع للشباب وتربية عالية للناشئين فلا عجب إذا رأيتهم مندفعين ، يتبارون في التفوق ، ويتنافسون في نيل المكارم ، ويتسابقون إلى الظفر بأسمى الدرجات العلمية) ⁴ .

- مركز تلمسان : (وحسب هذا المركز المتواضع فخرا أنه خرّج الكثير من الطلبة الذين ينهضون اليوم بوظائف عربية محترمة في المجتمع الجزائري) ⁵ .

وإلى جانب كل ما تقدم وقف الشعر والنثر كلاهما مقاوما للجهل وللجمود ، فيحرك مشاعر الوطنية ويذكى نارها بين الجماهير ، وينشر روح التضامن والتآزر ، والأخوة ، والإحسان ، والمكارم الأخلاقية ، والعودة إلى الدين الصحيح ، والتوجه نحو طريق الخلاص .

¹ - زكرياء ، مفدي : تاريخ الصحافة العربية في الجزائر ، جمع وتوثيق د. أحمد حمدي ، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء ، طبع بمطبعة دار هومة - الجزائر- 2003 ص 166 .

² - مرتاض ، عبد الملك : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر- 1925 - 1954 . الطبعة الثانية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1983م . ص 40

³ - ينظر مرتاض ، عبد الملك : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر- 1925 - 1954 . ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1983م ، ص 44/43 .

⁴ - المرجع نفسه ، ص 46 .

⁵ - المرجع نفسه . ص 54 .

4 - الصحافة : أهميتها ومنافعها للمجتمع :

تحدد منافع الصحافة على حسب الهدف المرسوم لها ، ومقدرة القائمين عليها ، بتزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة ، من خلال عرض في وفكري متميز . وعلى العموم فإن منافعها كثيرة ومتعددة ، منها التي أفصح عنها الكثير من الأدباء والباحثين ، ومنهم أبو القاسم سعد الله الذي قال في الصحافة الجزائرية المواكبة للاحتلال : (ساهمت الصحافة العربية في خلق جيل جديد من الأدباء والشعراء يواكب حركة الإصلاح ويدعو إليها)¹. ولما كانت للأحزاب صحافة ناطقة باسمها فإنها لا تعدم النفع في تطوير الفكر والسياسة والأدب وهذا ما قامت به الأحزاب الوطنية في الجزائر ، فقد (كانت لبعض الأحزاب الوطنية صحافة عربية ساهمت هي الأخرى في تطوير الأدب والفكر العربي في الجزائر)². ولا نجد صحافة الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر لهذه الفترة تشذ عن قاعدة نفع الأمة بما يخدم مصلحتها في ظل الاحتلال الفرنسي ، ونعرف ذلك في كتابات رواد هذه الحركة التي جاء على صفحات جرائدها المنتشرة في ربوع الوطن وقتئذ ، ومن عناوينها المتميزة . ومن أهدافها ، ومنافعها :

- توعية الشعب الجزائري وتنقيفه وإطلاعه على أسرار السياسة الداخلية ، وربطه بالعالم الخارجي . وهذا ما صرحت به مجلة "الجزائر" لعمر راسم التي صدرت سنة 1908م - دعوة جميع الجزائريين إلى الوئام ونبد الشقاق والخصام وهذا ما آملت تحقيقه جريدة الوفاق الزاهرية سنة 1938م .

- سعي الجميع لاسترجاع مكانة اللغة العربية وتكوين جيل جديد (من الكتاب والشعراء يؤمن بضرورة تحرير الجزائر)³ .

إذا ففي هذه الفترة - فترة ما قبل الاستقلال - ظهرت الصحافة الجزائرية الإصلاحية والوطنية المكتوبة بالعربية ، (واشترك الجزائريون في الانتخابات ، وتأسست النوادي

¹ - سعد الله ، أبو القاسم : محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري المعاصر . دار المعارف بمصر . ص 81 .

² - المرجع السابق . ص 81 .

³ - عبد الرحمان ، عواطف : الصحافة العربية في الجزائر . دراسة تحليلية لصحيفة الثورة الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1985م . ص 19 .

والمدارس الحرة ، وعقدت المؤتمرات ، ووقعت بعض الأحداث التي كانت لها انعكاسات على الحياة الجزائرية ، وعلى تطورات الأوضاع السياسية خاصة منها ما تعلق بالإعداد والتعبئة لثورة نوفمبر¹ .

5 - آراء بعض رواد من كتب حول الصحافة في مجال الحركة الوطنية في الجزائر :

من الطبيعي أن يختلف الأدباء والعلماء في تعابيرهم حول مفهوم قضية ما ، وقد يعود ذلك إلى اختلاف أوطانهم وتباعد أزمتههم ... ومن الضروري أن ترى لأفكارهم حول المسألة نفسها قواسم مشتركة ، وهذا ما لمسناه من تصريحات بعض رجال الفكر والأدب والسياسة في الجزائر حول مفهوم الصحافة .

قال مفدي زكرياء (الصحافة في كل شعب ترجع لكل الأصداء المختلفة التي تتجاوب في كل ميادينها ، ومرآة صقيلة تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب بها آفاق البلاد في مختلف مراحل نموها وانبعاثها)² .

ورأى عمر راسم بـ (أن الصحف هي ترجمان الأمم ، وأنها أعظم واسطة يبلغ نفعها مصادر الخدمة العمومية ووظيفتها أكبر وظيفة في الإسلام)³ .

وأما الطيب العقبي فيرى الصحافة على أنها (مهنة شريفة ، وصناعة تعالي قدرها ، وعز شأنها عن أن يقوم بها سوقة الناس ، أو عوام الأمم وبسطاء الشعوب)⁴ . وأدلى محمد السعيد الزاهري برأيه في هذه المهنة قائلا : (وأنا أعتقد أن الصحافة مهمة شريفة جدا ، وأنه ليس كمثلهما من سبيل إلى نفع الأمة ، وأنه ليس كمثلهما أعلام الكتاب من رافع لشأن الشعوب)⁵ . وصور الباحث عبد الملك مرتاض الصحافة بقوله : (الصحافة منذ كانت

¹ - العلوي ، محمد الطيب : مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م ، الطبعة الأولى ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد . دار البعث ، قسنطينة - الجزائر - 1985م . ص 21 .

² - مفدي ، زكرياء : تاريخ الصحافة العربية في الجزائر . ص 11

³ - سيف الإسلام ، الزبير : تاريخ الصحافة في الجزائر . ج 4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1971م . ص 216

⁴ - العقبي الطيب " الصحافة ومن هم رجالها " ، البرق . عدد 2 ، 10 رمضان 1345هـ الموافق لـ 14 مارس 1927م . ص 1 .

⁵ - التحرير " الفاتحة " البرق . عدد 1 ، 3 رمضان 1345هـ الموافق لـ 7 مارس 1927م . ص 1 .

مرآة ناصعة تنعكس عليها اتجاهات الشعب السياسية ، وأحداثه اليومية ، ومذهبه في الحياة ، وآراؤه في المشاكل العالمية من استعمار وتسلط وتحرر¹.

ويراها محمد مصايف من زاوية أخرى على أنها (المنبر الذي من فوقه تعلن الجماهير الشعبية عن آمالها ، وتعبر عن وجهات نظرها بكل صراحة ووضوح ، وهي الوساطة الحقيقية بين السلطات الثورية ومخططاتهم للشعب في أسلوب واقعي كفيل يجعل هذا الأخير يتجاوب مع الأهداف العامة والخاصة للثورة ، وهي التي تتحمل مسؤولية توعية الجماهير ورفع مستواها السياسي والوطني والاجتماعي ...)².

وعبر عنها الشاعر أحمد كاتب بن الغزالي في قصيدة له بعنوان "الصحافة" :

ترقى الشعوب له غاية و حب العلى فيهم عادة
ومجموع سعي الورى آلة ولكل زمان مضى آية
(وآية هذا الزمن الصحف)

فنعم السبيل لنيل المراد وأيقظ شعب دهاه الرقاد
ومهما استقامت البلاد (لسان البلاد ونبض العباد)
(وكهف الحقوق وحرب الجنف)³

وإذا كانت عند أحمد الكاتب بن الغزالي هي آية هذا الزمن ، ولسان البلاد ونبض العباد ، فهي عند الشاعر أبي اليقظان حياة الشعوب ، ووسيلة للسعادة ، ومعرض الأعمال والدواء والمرهم ، جاء ذلك في قصيدة له تحت عنوان "الصحافة" فيقول :

إن الصحافة للشعوب حياة والشعب من غير اللسان مواة
فهي اللسان المفصح الذلق الذي بيانه تتدارك الغايات
فهي الوسيلة للسعادة والهنا وإلى الفضائل والعلا مرقاة
فبها إلى الأمم الضعيفة ترفع الرغبات من وتبلغ الأصوات
هي معرض الأعمال برهان على مقداره بل إنها المرآة

¹ - مرتاض ، عبد الملك : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر . ص 95

² - مصايف ، محمد : فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث . دراسات ووثائق . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1972 . ص 179 .

³ - الزاهري ، محمد الهادي الزاهري ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، ج 1 ، بالمطبعة التونسية - تونس - 1926 م . ص 162 .

الشعب طفل وهي والده يرى لحياته ما لا تراه رعاة
الشعب تلميذ وهي مثقف ومهذب ، إذا تخلص النيات
فهي الدواء ومرهم الأخلاق إن كانت لديها نحوها نظرات¹
وفي تقديرنا أن هذه الآراء تصب في مفهوم واحد وهو أن الصحافة منبر ، ومرآة
وأعظم واسطة ، ومهنة ، ومهمة شريفة ، وترجمان ، وترجيح للأصدا ، وقياس حرارة
المعرفة ، وحياة للشعوب ، ووالدة الأطفال ، ومثقفة الشعوب ، وراقي الشعوب . وربما لا
نجد عند غير هؤلاء آراء تخرج عن هذا المفهوم الذي تختلف ألفاظه وتتحد معانيه .

5 - صحافة المحتل :

من المعلوم أن المحتل الفرنسي بعدما وطئت أقدامه أرض الجزائر عام 1830م حرص
أشد الحرص على إصدار ولو صحيفة تكون بمثابة الناطق الرسمي لسياسته في مستعمرته
الجديدة . وكانت بالفعل أول جريدة له عام 1830م باسم " بريد الجزائر " . تعمل هذه
الجريدة على تحقيق أهداف استعمارية تم الكشف عنها من خلال الرسالة التي بعث بها قائد
الحملة العسكرية في الجزائر إلى الأمير " بولينياك " وتشتمل الجريدة على :

- جزء رسمي يحتوي على تعليمات كل يوم وتفاصيل المعارك .

- تصوير تاريخي للأماكن بالوثائق والصور .

- معلومات دقيقة عن الفوائد الزراعية والتجارية للمنطقة .

- مقالات ومنوعات عن طرائف الحياة العسكرية² .

وتوالى صحافة المحتل في الصدور لأهداف متنوعة ، منها : تدبير السياسة الاستعمارية
كما كانت تفعل جريدة " المبشر " ، والدعاية المزيفة وتظليل القراء المسلمين كما فعلت
جريدة " النصيح " .

وكما لم يكن المواطن الجزائري غافلا عما تنشره وتروج له صحافة المحتل ، كان (لا
يولي أي عناية لمثل هذه الاعلام ، إضافة إلى أنه كان لا يرتاح أساسا إلى الصحافة وينظر

¹ - الزاهري ، محمد الهادي الزاهري ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، المرجع السابق ، ص 115 / 116 .

² - عبد الرحمان ، عواطف : الصحافة العربية في الجزائر . دراسة تحليلية لصحيفة الثورة الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1985م .
ص 25 .

إليها نظرة شك وريبة¹. وموقف الجزائري هذا طبيعي جدا لأن صحافة المحتل (استعمارية خالصة لحما ودما . تعيش على ماله ، وتسير بتوجيهه . تخدم ركابه ، وتنصر مبادئه ، وتثبت أصوله ، وتنافح عن آرائه ، وتأمّر في حق الأمة الجزائرية بالمنكر ، وتنهى عن المعروف ، وتضع موازين البخس لمصالحها ، وتجسم المخاوف منها ، وتزين المبالغة في إرهابها وتعذيبها ، ولا تقنع بما يقع من الحكام من ضغط وزجر وإعنات ، بل تعدّه تقصيرا منهم في الواجب ، وتفريطا في المحافظة على السيادة الاستعمارية والحقوق الفرنسية)². ومن هذا المنطلق ، كيف يرجو الجزائري الأسير من صحافة المحتل ما يرجوه غيره من صحافة الدول المتحررة التي لا تتحرك إلا في ميادين الحق والعدل والمساواة والخير ؟.

6 - النشاط الصحفي للزاهري :

نشطت أجواء الثقافة الجزائرية ، وتحركت رواكد ها في بداية القرن العشرين على يد فئة من الأدباء الوطنيين أمثال عمر راسم ، وكان ذلك نتيجة فشل المقاومة المسلحة من جهة ، وتأثر هؤلاء بآراء وأفكار مدرسة الإمامين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني الإصلاحية . ومن هنا ظهرت حركة صحفية متميزة (كنتيجة أساسية لذيوع الأفكار الوطنية واستحالة كبت الآمال التي ولدتها الحرب في حياة الجزائريين)³.

وجدت هذه الصحافة الوطنية ترحيبا كبيرا وإقبالا منقطع النظير من طرف الشعب الجزائري ، لأنها كانت تعالج مواضيع حية ملموسة يعاني منها صباحا مساء ، كالاحتجاج ضد التجنيد الإجباري ، وفداحة الضرائب ، وكشف دسائس المنافقين والخونة ، وإبراز خطورة سياسة التجنس ، وغلق المدارس . ومن هذه الصحافة : جريدة المسلم ، والهلال ، وذو الفقار ، والشهاب ، والبرق ، والصراط ، والسنة ، والبصائر ...

ويعد محمد السعيد الزاهري واحدا من رواد هذه الحركة الصحفية الحديثة في الجزائر بل (شيخ الأدب والصحافة للجزائر المعاصرة)⁴. وقد استهل حياته في هذا الميدان بعد

¹ - حمدي ، أحمد ، الثورة الجزائرية والأعلام ، منشورات المتحف الوطني - الجزائر - 1995 م . ص 33

² - الإبراهيمي ، محمد البشير ، عيون البصائر . دار المعارف القاهرة - مصر - 1963 م . ص 401 .

³ - شرف ، عبد العزيز : المقاومة في الأدب الجزائري . منشورات وزارة الثقافة ، دمشق - سوريا - 1981 م . ص 32 .

⁴ - بن عيشة ، الطاهر " شيخ الأدب والصحافيين " . جريدة المحقق . السلسلة الأولى ، أسبوعية إخبارية مستقلة ، الجزائر . عدد 8 . من 7 إلى 13 ماي 2006 م . ص 32 .

عودته مباشرة من تونس بجريدة سماها " الجزائر " وجعل شعارها " الجزائر للجزائريين " ، وكتب في أعلى صدرها " أسست الجزائر لإعلاء الجزائريين " ¹ . وهي جريدة وطنية جريئة لم يصبر المحتل على حرارة مواضيعها فوأدها إلى الأبد بعد صدور ثلاثة أعداد منها كما قال الزاهري نفسه : (أصدرت منها أعدادا ثلاثة لم تصدر الإدارة على حرارتها وصدق وطنيتها فعطلتها وشيكا) ² . وتأتي جريدة " الجزائر " للزاهري خلفا لجريدة " الإقدام " التي أصدرها الأمير خالد سنة 1919م ، لقد صرحت بذلك جريدة " الإقدام " في أحد أعدادها تحت عنوان بشرى لقرائنا (نستطيع اليوم بكل سرور أن نبشر قراءنا الفطناء بأن صحيفتهم هذه ستطلع عليهم في العهد القريب باللسانين العربي والفرنسي باسم آخر غير اسم " الإقدام " . لقد اخترنا أن يكون " الجزائر " في حجم بقدر هذا مرتين ، ثم تأخذ بعد ذلك في النمو والكبر بحسب الظروف ، إلى أن تصبح صحيفة كبرى ، يتكفل بالقلم العربي حضرة الشيخ محمد السعيد الزاهري المتطوع بالجامع الأعظم بالزيتونة بتونس . وتكون الجريدة أيضا تحت إشرافه . أما مواضيع الجريدة فتكون مقصورة على نفع الأمة ونفع البلاد) ³ .

ولا شك في حرارة وصدق وجرأة المواضيع التي احتوتها صفحاتها خاصة وأن صاحبها متأثر بشخصية الأمير خالد ، وحمدان خوجة أشد التأثر ، الشيء الذي دفع به وهو طالب بالزيتونة إلى تنظيم بائية يودع بها الأمير خالد أيام نقله إلى الإسكندرية تحت مطلق " إلى الزعيم الجزائري " ، ومن أبياتها :

كذلك ذو الإقدام كان بشعبه إلى الفجر يطوي سبسا ثم سبسا
ألا في ذمام الله يا خير مرشد إلى حيث خيم الفخار وطنبا
لئن كنت في أفق الجزائر كوكبا فقد لحت في الإسكندرية كوكبا
لعمري لقد خلفت فينا مآثرا يعز علينا أن نضيعها هبا

¹ - عبد الملك ، مرتاض : أدب المقاومة الوطنية 1830 / 1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني . سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954م ، مطبعة دار هومة ، 2003 . ص 92 .

² - الزاهري ، محمد السعيد ، نقلا عن الزاهري ، محمد الهادي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ج 1 . ص 67 .

³ - خرفي ، صالح ، محمد السعيد الزاهري ، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر - 1986 م ، هامش ، ص 33 .

وعلمت نشئا كيف يسعى إلى العلا فأمسى على طريق المعالي مدرباً¹.

ومن الشعراء الذين نوهوا بصدور جريدة "الجزائر" الشاعر محمد اللقاني قال :

هي الجزائر حيها من عاشق كلف الفؤاد

واذكر مفاخر مجدها فالفخر في شرف البلاد

هذي الجزائر أقبلت فيها المؤمل والمراد

الزاهري محمداً من قد أفاد كما استفاد²

لقد كانت جريدة "الجزائر" ميدانا للنشر والشعر معا ، ومن شعرائها الكبار الزاهري نفسه . وقد نشر لاميته على صفحاتها تحت عنوان "الجزائر تحيي الجزائر".

وفي مجال النشر فلـ (الزاهري) أيضا قصة أحدثت ضجة كبيرة ، وسعت من دائرتها جريدة "المنتقد" وذلك بتأسيس جائزة أدبية يتنافس فيها الشعراء ، وكانت قصة "فرنسوا والرشيد" محور ذلك التنافس³.

أعلن محمد السعيد الزاهري أن السبب وراء تعطيل جريدة "الجزائر" ، كان الترجمة الفرنسية الخاطئة لبعض ما جاء على صفحاتها ، غير أن الدكتور عبد الملك مرتاض يعتبر الاطمئنان إلى تصريح محمد السعيد الزاهري سداحة إذ يقول : (ونحن نعجب من كلمة الزاهري التي كتبها في مجلة "الشهاب" بعد تسع سنوات من تعطيل جزائره ، من أن السبب حسب تقرير المخابرات الفرنسية ، أن المترجم أساء ترجمة كلمة النهضة بكلمة فرنسية معناها الثورة ، وترجم كلمة فرنسا الظاهرة المنتصرة بمعناه فرنسا الظالمة الغاصبة)⁴.

أما الجريدة الثانية في السجل الصحفي للزاهري فهي جريدة "البرق" والتي هي محور هذا البحث . أما الصحف الأخرى الثالثة والرابعة والخامسة ، فكانت باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وجمعية الطيب العقبي ، وبرئاسة الإمام عبد الحميد بن باديس . وهي السنة النبوية الحمديدية والشرعية النبوية الحمديدية والصراط السوي . وميزة كتابات محمد

¹ - الزاهري ، محمد الهادي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ص 79 .

² - المصدر نفسه ، ص 42/ 43/ 44

³ - للمزيد من المعلومات ينظر ، مرتاض لعبد الملك ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1962/1830 ، ص 96 . 97

⁴ - المرجع نفسه ، ص 98 .

السعيد الزاهري في الصحف الثلاثة من حيث الأفكار ، مواصلة الهجوم على الطريقة وكشف سلوك شيوخها . أما من حيث الأسلوب فقد طبع مقالاته الأسلوب القصصي الشيق الجميل .

* * *

خالف محمد السعيد الزاهري جمعية العلماء في مسألة الإصلاح ، وعبر عن ذلك صراحة على صفحات جريدته الجديدة المسماة بـ "الوفاق" ، واعتبر الإصلاح في نظره ليس في إعلان الحرب على الطريقة ، والاجتهاد في البحث عن عورات شيوخها ، كما كان قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، بل يكمن الإصلاح الحقيقي في الاهتمام بالتوعية السياسية ، وتقريب المسافة بين مختلف طوائف الشعب الجزائري ، بما فيها الطريقة ، وهذا ما دعاه إلى إصدار جريدة " الوفاق " بمدينة وهران .

وجريدة "الأمة" من بين الجرائد التي بشرت على صفحاتها بجريدة "الوفاق" الزاهرية ، وتمنت لها من الله التوفيق ، ومن الأمة الجزائرية الإقبال . جاء في نص كلمة الترحيب : (وفقا لما بشرنا به قراءنا الكرام عن عزم الأخ المحترم الشيخ محمد السعيد الزاهري عن إبراز جريدة عربية في عاصمة وهران باسم الوفاق ، فقد برز العدد الأول منها يوم الثلاثاء الأسبوع الماضي . طالعناها فوجدناها مطابقة لاسمها ، تدعو جميع المسلمين إلى الوفاق ، والوئام ، ونبد الشقاق والخصام . وإذا سارت على الخطة التي رسمتها لنفسها في صدرها ، فسيكون لها - إن شاء الله - شأن وأي شأن . ونظرا لاتساع حجمها ، وإشراف فذ من أفاض الكتاب بالقطر الجزائري على إدارة تحريرها ، ألا وهو صديقنا الجليل الشيخ محمد السعيد الزاهري ، فإنه لاشك ينتظرها مركز عال ، ينتظره بين أسرة الصحافة العربية الإسلامية بالجزائر ، بقدر ما تخلصه من النية وتقدم من خدمات في دائرة العروبة والإسلام ، ففرجو لها من الله مزيدا من التوفيق وسداد الخطا ، ومن الأمة العناية والإقبال)¹.

و "الوفاق" جريدة أسبوعية سياسية جامعة (تدعو إلى جمع الصفوف ، وتوحيد الجمهور على خدمة الصالح العام)¹. ولعلها جاءت لتغطي الفراغ الذي حصل بتعطيل جريدة "الشعب" .

وكما كان محمد السعيد الزاهري يختفي وراء أسماء مستعارة في جريدة "البرق" فقد استمر سلوكه هذا حتى في جريدة "الوفاق" أشار إلى هذه الظاهرة محمد البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر بقوله : (إننا لم ننس يوم كنت تنسب مقالاتك في الوفاق إلى الأستاذ بوشاقور والأستاذ بوشنوف ، والناس يعرفون من هما)². لقد استمر عطاء محمد السعيد الزاهري في ميدان الصحافة بعد جريدة "الوفاق" بجريدة أخرى تحت اسم "المغرب العربي" سنة 1947م ، وأعاد إصدارها سنة 1956م بعد خروجه من السجن ، وقيام الثورة التحريرية . وهي جريدة أسبوعية ، رئيس تحريرها محمد السعيد الزاهري ، وتحررها نخبة من الجزائريين . اختار محمد السعيد الزاهري اسم هذه الجريدة ليرد بها على عبارة "إفريقيا الشمالية" التي كانت يروج لها المحتل ، (والذي عبر لأول مرة في التاريخ بكلمة "المغرب العربي" ردا على عبارة فرنسا "إفريقيا الشمالية")³. ومن مقالات محمد السعيد الزاهري على صفحاتها :

- فرنسيون مساعدون .

- حول دستور الجزائر " نريد حق الحياة أولا " .

- تحت السياط نغني .

أما جريدة "المغرب العربي" للمرحلة الجديدة فهي أسبوعية متنوعة في مواضيعها ، سياسية في توجهها . من أشهر كتابها : الهاشمي العربي ، ومن أحسن مقالاتها " رحلة مريية لمهمة مريية " ولعل هذا الموضوع كان سببا مباشرا في اغتياله عام 1956م ، (وبعد أيام من

¹ - سيف الإسلام ، الزبير ، المرجع السابق . ج 6 . ص 118 - 119 .

² - الإبراهيمي محمد البشير : عيون البصائر . ص 640 .

³ - بن عيشة الطاهر " شيخ الأدب والصحافيين " الطاهر بن عيشة ، جريدة المحقق . عدد 8 من 7 ماي إلى 13 ماي 2006 . ص 32

نشر هذا المقال تعرض الشيخ السعيد الزاهري حين كان مارا بشارع " لالير " رفقة الهاشمي العربي لعملية اغتيال ، حيث تقدم منه أحد المسلحين فأرداه قتيلا¹ .

وقبل أن ننهي الحديث حول المسيرة الصحفية لهذا الأديب ، نذكر أن محمد السعيد الزاهري لم يخل على وطنه الجزائر بنتاجه الأدبي ، وأرائه الفكرية المقاومة للمحتل الفرنسي ، حيث كان يساهم في جرائد أخرى ، كالليالي ، وسيدي هنيي ، والإصلاح ، والشعب ، والميدان ، وعصا موسى . وهذه الأخيرة ، نصف شهرية ، تحررها نخبة من الشبان الإصلاحيين . وقد صدر العدد الأول منها سنة 1950م ، وقد حكي الكاتب الطاهر بن عيشة عن علاقته بمحمد السعيد الزاهري وجريدة عصا موسى قائلا : (لقد كان لي شخصيا شرف الأخذ عنه والتعرف على تقنيات فن وعلم الصحافة ، وذلك عندما عملت سكرتير جريدة " عصا موسى " التي كانت تصدر تحت إدارته ، وبنسبة 80 % من تحريره . وهي صحيفة وطنية تهتم بالنقد السياسي والاجتماعي . وفي هذا النقد يستعمل الزاهري الشعر الهجائي ، والقصص القصيرة المحبوكة فنيا ، ويستعمل مراسلين وهميين ليس لهم وجود محدد في المجتمع ، ولكن الأفكار التي يطرحها على ألسنة المراسلين هي أفكار مطروحة فعلا على الرأي العام الجزائري . وهذه الأفكار في الغالب تتعلق بالاستعمار وعملائه وما يفعلون من مضرّة وإساءة للمجتمع الجزائري ، وبعد صدور 11 عددا من الجريدة ، صدر قرار استعماري بمنعها وسجن الشيخ السعيد الزاهري في السجن العسكري ...)²

7 - جريدة "البرق" في آراء بعض الباحثين :

قال الدكتور عمار طالبي في معرض حديثه عن بعض جرائد الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر ودورها : (وأصدر الشيخ العقبي والشيخ أحمد العابد جريدة "صدى الصحراء" ، ثم صدرت جريدة "البرق" سنة 1937م ، وأصدر العقبي أيضا جريدة "الحق" في بسكرة سنة 1936م)³ . وقال عبد الملك مرتاض (10 - "البرق" صدرت سنة 1927م

¹ بن عيشة الطاهر المرجع السابق . ص 32 .

² - بن عيشة ، الطاهر المرجع نفسه . ص 32

³ - طالبي ، عمار : ابن باديس حياته وآثاره . ج 1 . ص 59 .

ويبدو أنها للعقي أيضا¹. وقد صدرت طبعة الكتاب الذي ورد فيه هذا القول عام 1983 م. كما علق الدكتور نفسه في هامش الصفحة نفسها بما يلي: (لم يذكر عمار طالي الذي أخذت عنه هذا اسم صاحب هذه الجريدة . وإن كان كلامه يفهم منه أنها للعقي أيضا ، لأنه كان يتحدث عنه) . لكن عبد الملك مرتاض عاد بعد عشرين سنة أي سنة 2003م وفي كتابه " أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830 - 1962 م ، رصد لصور المقاومة في النشر الفني ، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م " لينسب جريدة " البرق " إلى محمد السعيد الزاهري فيقول : (غير أن " البرق " من إصدار محمد السعيد الزاهري يقينا ، ودل على ذلك مقالة الإبراهيمي التي كان يخاطب بها الزاهري ، وكان الإبراهيمي يخاطب الزاهري في معرض الخصومة بين أديبين كبيرين فقال له : أتذكر يا شيخ ماضيك الصحافي ، وصحافتك الماضية التي تهاوت في مثل عمر الزهر ، من " الجزائر " إلى " البرق " إلى " الوفاق " وقد ماتت كلها بالهزال والتسمم ، ولو كانت مما ينفع الناس لمكثت في الأرض . والحق أن هذه الجريدة تضاربت حولها الآراء حتى كأنها كانت تصدر في المريخ ، وكان الأولون أوقعونا نحن أيضا في هذا التيه ، مع أنها بكل ببساطة أصدرها الزاهري بقسنطينة في سابع مارس سنة 1927م ...)².

وجاء على لسان مفدي زكرياء : (" البرق " صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية تصدر يوم الاثنين من كل أسبوع ، مديرها وصاحب امتيازها السيد الرحوني محمد عبد المجيد ، شعارها خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال . صدر العدد الأول منها في مارس آذار سنة 1927م - وقد حاول المدير طبعها بتونس وذلك في رسالة مؤرخة بيوم 21 ماي سنة 1927م للأستاذ زين العابدين السنوسي ، فلم يحصل الاتفاق على طبعها بتونس)³.

وبعد دراستنا لجريدة " البرق " دراسة أفقية رأينا أن نصحح خطأ ونضيف دليلا .

¹ - مرتاض ، عبد الملك : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ، 1925م - 1954م ، ط 3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ص 118 .

² - مرتاض ، عبد الملك : أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830 - 1962 م . رصد لصور المقاومة في النشر الفني ، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، ص 211 .

³ - مفدي ، زكريا : تاريخ الصحافة العربية في الجزائر . ص 180 .

أما التصحيح ، فيخص تاريخ صدور جريدة "البرق" الذي أورده عمار طالي (1937م) . فبعد الاطلاع على أعداد الجريدة كاملة ، في أرشيف ولاية قسنطينة ، تبين أن معلومات العدد الأول هي : البرق صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية فكاهية شعارها : خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال . المدير وصاحب الامتياز رحموني محمد عبد المجيد . العنوان صندوق البوسطة رقم 166 قسنطينة . وعلى أعلى الصفحة شعار " تسامحوا فيما بينكم ، فإنه لا سبيل إلى الاتحاد كالتسامح" . وتحت الشعار "الزاهري" . وكتب تحت عنوان الجريدة على الجهة اليمنى : قسنطينة يوم الاثنين 3 رمضان سنة 1345هـ . وفي الوسط تبرز يوم الاثنين من كل أسبوع . وعلى اليسار : الموافق 6 مارس سنة 1927م . أما بخصوص طبعها بتونس فقد جاءت الإشارة التالية في الصفحة الأخيرة ابتداء من العدد السابع عشر إلى آخر عدد من الجريدة : طبع بمطبعة النهضة نهج الجزيرة عدد 11 بتونس تلفون رقم 34 - 3 .

أما الإضافة فهي أن جريدة " البرق " إحدى جرائد محمد السعيد الزاهري كما أشار الدكتور عبد الملك مرتاض في كتابه الأخير . والدليل الذي نضيفه إلى ما جاء به الدكتور عبد الملك مرتاض هو أن القاريء لمقال الطيب العقبي تحت عنوان " استدرارك على جساس أو احتجاج لدى ديوان الصالحين " في جريدة "البرق" من العدد الرابع عشر ، في الصفحة الثانية يطمئن إلى أن جريدة "البرق" يقينا لمحمد السعيد الزاهري . قال الطيب العقبي وهو أحد كتاب جريدة "البرق" : (أما جساس الذي يجوس خلال الديار ويأتي لبرقه بعظيم الأخبار)¹ . ومن المعلوم أن الزاهري قد كتب في جريدة البرق بأسماء مستعارة كثيرة منها " جساس " .

والدليل الثاني من الجريدة نفسها في مقال موسوم بـ "آلآن" خاطب فيه محمد السعيد الزاهري في معرض خصومته مع الأديب أحمد توفيق المدني قائلا له : شاء الله أن تكون له (أي محمد السعيد الزاهري) يد في صحيفة "البرق" الحرة التي رحبت بها "النديم" من قبل أن

¹ - العقبي ، الطيب " استدرارك على جساس " البرق . عدد 14 بتاريخ 3 ذي الحجة 1345هـ الموافق لـ 6 جوان 1927م . ص 2 .

تعلم أن محررها هو صاحب مقالات "التفرنج الآثم" الذي كانت دائما تهجم على كرامته
بغير حق...¹

وذكر الدكتور محمد ناصر بأن محمد السعيد الزاهري (أنشأ الجريدة " البرق " لتكون
منبرا يدوي منه صوت المصلحين عاليا ، بعد أن طلبت "الشهاب" من الشباب أن يخففوا من
لهجتهم ضد الطريقة)².

والحق أن ما ذهب إليه الدكتور محمد ناصر صحيحا ، لأنك لا تطالع صفحة من
صفحات أعداد جريدة "البرق" إلا وتشعر بجدة النبرة التي عبر بها كتاب مقالاتهم في هذه
الجريدة . وأن محمد السعيد الزاهري بطلا بدون منازع في حلبة الصراع مع الطريقة
وشيوخها . وعليه فإن (سنة 1927م من أشد السنوات عنفا وحرارة على العلويين
وأنصارهم)³.

ويمكن القول بأن جريدة " البرق " كانت تقاوم على ثلاثة محاور أساسية هي :

- 1 - جبهة الطريقين .
- 2 - جبهة المعمرين .
- 3 - جبهة الشخصيات الجزائرية والفرنسية المناوئة لمصلحة الوطن الجزائري كالنواب

8 - كتاب جريدة "البرق" :

هنالك مجموعة من أبرز كتاب الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية في عشرينيات
القرن العشرين ترددت أسماؤهم على صفحات جريدة "البرق" ومنهم :
السعيد الزاهري - محمد الميلي - الطيب العقبي - الأمين العمودي - عباس -
الاحضري - زهير الزاهري - العزوزي حوحو - ابن أدهم القسنطيني - محمد العابد
الجيلالي - أبو حفص الحمادي .

¹ - التحرير ، " الآن " البرق ، عدد 13 بتاريخ 26 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 30 ماي 1927م ص 1 .
² - ناصر ، محمد ، المقالة الصحافية ، نشأتها - تطورها - أعلامها من 1903 إلى 1931 . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ص 129
³ - المرجع السابق . ص 129

9 - تأثير "البرق" في الرأي العام الجزائري :

هناك ثغرات كثيرة في سياسة المحتل نفذت الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر من خلالها إلى الساحة السياسية ، حتى أصبحت وكأن لها الشرعية القانونية في الظهور إلى الواقع . ومن مبررات ظهورها القوانين التعسفية الجائرة في حق الجزائريين وصحافتهم ، والتدخل في صياغة الشخصية الجزائرية (كقانون التجنس) ، إضافة إلى المستوى المعيشي المتدهور للجزائري الذي كان يملك حق التصرف في بلاده ، وأصبح اليوم غريبا عنها ، متروك الحقوق ، عديم الأثر في السياسة الداخلية والخارجية معا .

وجريدة "البرق" كغيرها من الجرائد التي استغلت هذه الظروف المأساوية ، والقوانين التعسفية لتعبر عن خط مقاوم لسياسة المحتل الفرنسي وأذنا به . غير مهادنة للأفكار المعروضة على الساحة السياسية والثقافية والاجتماعية . ورغم أن القائمين عليها - حسب رأي الدكتور سعد الله - على علم تام بأن تهجماتهم العنيفة ضد السياسة الاستعمارية ومعتقدات شيوخ الطريقة لا تخدم استمرارية الجريدة ، إلا أنهم فضلوا سبيل العنف والشدة والقسوة والسخرية بالمسؤولين المباشرين وغير المباشرين ، ولم يسلم منهم حتى نواب المجلس الفرنسي¹ . لذلك لا غرابة أن تعطل جريدة "البرق" كما تعطلت صحف جزائرية عربية وطنية إصلاحية أخرى .

لقد تعطلت جريدة "البرق" قبل الاحتفال بعيد ميلادها الأول لكن صداها امتد من داخل الوطن وإلى خارجه . فشبكة مراسليها غطت الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ، وتونس والمغرب الأقصى ، وحتى فرنسا . هذا بالإضافة إلى ما حملته الأخبار من استجابة الجمهور الجزائري لما كان يعرض على صفحات الجريدة ، كجمع التبرعات لفائدة شهيد الحرية مصطفى بن أحمد . إلى جانب ما حظيت به الجريدة من مكانة سامية لدى الطبقة المثقفة أمثال أحمد توفيق المدني الذي كان في خصام عنيف مع كتاب الجريدة عموما ومحمد السعيد الزاهري خصوصا قال في مذكراته : (كانت الصحافة يومئذ قد ازدهرت في أرض

¹ - ومنهم النائب في البرلمان الفرنسي ، م . مورينو .

الجزائر ونمت ، رغم ضيق القوانين وزجر الإدارة . وكانت لقسنطينة بالمنتقد أولا
وبالشهاب ثانيا وبالبرق ثالثا مكانة سامية في نهضة الصحافة العربية الحرة .¹

¹ - خيرا لدين ، محمد ، حياة كفاح (مذكرات) القسم الثاني في الجزائر 1925 م - 1954 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . نقلا عن توفيق المدني ، 1985م ، ص 126 .

1- نبذة تاريخية عن الأديب محمد السعيد الزاهري .

خط القضاء اسم محمد السعيد الزاهري في سجل الأحياء عام 1899م ، بقرية ليانة التي هي أيضا مسقط رأس (الكاتب البليغ والشاعر العبقرى)¹ ، و (الوطنى الفاضل)² ، و (الأديب المآترم)³ صاحب التحفة الأديبة الرائعة " شعراء الجزائر فى العصر المآضر " محمد المآدى السنوسى الزاهرى الذى جسد بعمله هذا أن للآزائر فى العصر المآديث شعراء فآولا .

* * *

وكما أن ليانة إحدى قرى الزاب الشرقى مهد الأديبين محمد السعيد ومحمد المآدى الزاهريين فهى قرية أآوال العلامة الطيب العقبى .

بدأ محمد السعيد الزاهرى رحلة العمر بصبا عامر بالسعادة والغبطة والنشوة والفرآ ، ليس عنده آبر عن العالم ، ولم يشعر بتكاليف الحياة ، ولم يعرف شأنًا من شؤونها . ولم يأسف محمد السعيد الزاهرى على ذلك بل عده من أنعم فترات حياته وأهنتها وأشهاها لآهله بمآترك الحياة ، وقلة إدراكه لآنها . وقد مثلها براآة لا آآصل إلا للمتصوف يفر فيها من الآقية إلى الوهم ، وبأآرى عند السكران ينآقل فيها من عالم الشهادة إلى عالم الغيب .

وفى سن السابعة وبمسقط رأسه أآآل الكآاب كأآرابه ، فآفظ القرآن وآذقه . وكانت فى هذا السن تراوده أسئلة عن آرافات (أآسب أن المسلم ما لم يعقد فؤاده على صآتها ، وأآسب أنها دينٌ منٌ لم يُدِنِ اللهَ بهِ فقد آسر الدنيا والآخرة وباء بغضب من الله)⁴ . وقد نظف محمد السعيد الزاهرى ذهنه من هذه الأسئلة الكونية بلآوئه إلى أمه التى كانت تكراهه على السآوت فى مثل هذه المسائل الآرافية ، ثم إلى آده لأمه ، وأآيرا إلى الأستاذ الشيخ على بن ناآى الزاهرى الذى آبب إليه الإيمان وزينه فى قلبه ، وكره إليه الكفر ووسوسة الشيطان التى كانت تراود ذهنه والتى أشار

¹ - الزاهرى ، محمد المآدى ، شعراء الجزائر فى العصر المآضر . ج 1 . الطبعة الأولى بالمطبعة التونسية - تونس - عام 1926 . ص 169 .
² - المراجع نفسه . ص 150 .
³ - المراجع نفسه . ص 109 .
⁴ - المراجع نفسه . ص 64 .

إليها فيما بعث به من ترجمة لحياته إلى محمد الهادي الزاهري ليثبتته في كتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" ولكنه لم يفصح عنها .

* * *

طلب محمد السعيد الزاهري العلم بتوجيه من جده الأستاذ علي بن ناجي الذي أقرأه الفرائض ، ثم درس العلوم على يد عمه الشيخ عبد الرحيم الزاهري ، ثم أخذ أشياء كثيرة على الأستاذ علي بن العابد السنوسي الزاهري والد الأديب محمد الهادي الزاهري ، الذي لم يدع سبيلا إلى العلم أو وسيلة إليه لتفهم تلميذه إلا سلكها ؛ إذ كان محمد السعيد الزاهري يقضي في القراءة عليه عامة النهار وزلفا من الليل . وقد عمل هذا الأستاذ على تصحيح الكثير من معلومات تلميذه ، و شحذ همته ، و إحياء نشاطه حتى فاق أقرانه في معظم مواطن الدرس .

وبعد عامين قضاهما في سبيل جمع المعلومات الابتدائية ، وفي جو حرية الطفولة ارتحل محمد السعيد الزاهري إلى مدينة قسنطينة حيث المساجد العامرة بالنشاط التعليمي مع النخبة التي تخرجت من جامع الزيتونة وعلى رأسهم الأستاذ عبد الحميد بن باديس ، ومكث هناك أربعة عشر شهرا شعر فيها بحياة جديدة ، لما رآه من علم عريض ، وإطلاع محيط ، ولسان عربي مبين . لكنه وجد نفسه من ناحية أخرى أمام "قوارص" ابن باديس التي كانت تحنق حريته عند إبداء رأيه . يقول في هذا الشأن (قد كان لي شغف شديد بدروس هذا الأستاذ وما كنت أقوى على ترك القراءة عليه لولا الضغط الذي كان يضغظه على حريتي في التصريح بإفهامي وقد برمت بسوء التأديب الذي كان يأخذ به تلاميذه أجمعين) . ويروي محمد السعيد في هذا المضمار أن شيخه ابن باديس طلب من تلاميذه أن يختاروا كتابا من كتب البلاغة يصلح للدراسة ، فكان اختيار السعيد الزاهري غير كتاب "الجواهر المكنون" كما كان يتمنى ابن باديس الذي اشتد غضبه وجعل يوبخ السعيد الزاهري ويعنفه ، وقد جسد الزاهري هذا المشهد بقوله :

(فو الله ما فرغت من حديثي حتى ابتدرني الشيخ يوبخني توبيخا قارصا وينهرني نغرا مؤلما كأني قد جئت شيئا فريا وقال نهيتك هذا النهي العنيف لئلا تعود إلى مثلها . أليس هذا هو الضغط على الأفكار وقتل المواهب ؟ وإني لا أزال مصرا على هذه الدعوى وإن غلبني عليها الأستاذ في ذلك الحين وما كدت أنسى هذه حتى كانت لي معه قارصة ثم قارصة ثم

قوارص تأتيني ويحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم .¹

اضطر محمد السعيد الزاهري — بعد تضيق ابن باديس على حرته - مكرها إلى الهجرة نحو تونس وجامعها الزيتونة حيث العلم النافع ، والجلس الصالح برفقة إخوانه الجزائريين . ومكث بها إلى أن نال بها شهادة التطويع . وبالقطر التونسي لازم وصاحب مدة وجوده أعلاما كثيرين ، أخذ عنهم فيضا من كلام العرب ونقده ، وصحيح الذوق وحزمه ، وتمحيص الحق وإعلائه . ومن شيوخه هناك : محمد النخلي رحمه الله ، والأستاذ الشيخ عثمان بن الخوجة وغير هذين ، ويقول في هذا الشأن فيما كتبه عن نفسه ضمن كتاب " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " لمحمد الهادي الزاهري (وكنت ألزم للشيخ التميمي من ظله في كل كتاب يدرسه من كتب الأدب ، مثل الكامل للمبرد وغيره ، ثم صاحبته حتى تخرجت عليه في الأدب العربي ، ذلك أنني ما وجدت أحدا أوسع خبرة منه بكلام العرب ، ولا أبصر منه بمواقع النقد ، ولا أصح منه ذوقا ، ولا أحزم منه في تمحيص الحق من الباطل من كل مشكلة تتزل)².

* * *

أطلق محمد السعيد الزاهري اسم (النادي الأدبي) على نادٍ - بتونس - أقامه أستاذه للناشئة من الأدباء ، وعاش بين أحضانه مسامرا ومنادما لرواده وزواره أعواما . و كان حينما يضيق ذرعا بما يسمعه أحيانا من شتائم يتهم بها بعض الأدباء التونسيين على الجزائر يلجأ إلى جريدة " النهضة " مدافعا عنها وعن شعبها . وقد مكنته هذه

¹ - الزاهري ، محمد الهادي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ج 1 . ص 66 .
² - الزاهري ، محمد الهادي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، المرجع نفسه . ص 69 .

الجريدة أيضا من أن ينشر نتاجه الشعري والنثري حتى بعد عودته إلى أرض الجزائر . ومن قصائده التي بعث بها بعد عودته إلى الجزائر قصيدة تحت عنوان " إلى النادي " ، وكما قال : (أجدد بها العهد بيني وبين إخواني وفتية صفائي من شباب تونس وفتيان الجزائر)¹ . أما النشر فقد أشار إلى مقالات شارك به في صحائف تونس كجريدة "الوزير" و" النهضة "مدافعا بها عن الأمة العربية والإسلامية ، ومن ذلك ما صرح به في جريدة "البرق" قائلا (وقد انتقدت قبل الحرب² على باي تونس في جريدة تونس وعلى صحافي تونس الذين كانوا ينشرون بارتياح وشماتة ما كان يقوله الراهب أمام الباي أيام الاحتفالات من الأدعية بإنقاذ وطنه الذي كان تحت سلطة المسلمين وكان يكلمه بالعبرانية)³ .

* * *

ترك السعيد الزاهري بصمات بيّنة في الساحة السياسية وهو لا يزال شابا طريّا، يزاول دروسه في الزيتونة، فكثيرا ما كان يتفاعل مع أحداث الأمة العربية والإسلامية عموما والجزائرية خصوصا فيعبر عنها بصدق وبشجاعة ، ومنها التي ظهرت على صفحات جريدة "الإقدام" الجزائرية ، أو "الفتح" المصرية ، أو "النهضة" التونسية . وما قصيدة "إلى الزعيم الجزائري"⁴ التي أرخت للنفي الذي تعرض له الأمير خالد إلا شاهد على نشاطه الفكري والأدبي وتفاعله مع الأحداث الوطنية الداخلية والخارجية لوطنه الصغير الجزائر ، ووطنه الكبير ساحة الأمة الإسلامية . وكان هذا النشاط قبل عودته من تونس .

عاد محمد السعيد الزاهري إلى الجزائر عام 1925م في سبيل تحرير جريدة سماها "الجزائر" ووضع شعارا لها هو "الجزائر للجزائريين" وكان ذلك في العام نفسه وبالعاصمة الجزائرية ، أصدر منها ثلاثة أعداد لم تصبر الإدارة الفرنسية (على حرارتها وصدق

¹ - الزاهري محمد الهادي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر المرجع السابق . ص 67 .

² - الحرب العالمية الأولى .

³ - الزاهري ، محمد السعيد " الصهيونية " البرق . جريدة أسبوعية اجتماعية أدبية انتقادية اقتصادية فكاية تصدر صبيحة كل يوم اثنين بقسنطينة مديرتها وصاحب الامتياز رحموني عبد الحفيظ عدد 20 ، الاثنين 24 جويلية 1927 م ص 2 .

⁴ - قال هذه القصيدة في الزعيم الأمير خالد يودعه بها أيام أبعد المحتل الفرنسي إلى الإسكندرية . والشاعر يزاول دراسته بالزيتونة . والقصيدة مثبتة في كتاب " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " ج 1 . ص 76

وطنيتها فعملتها وشيكا ، غير أن العزيمة التي أوجدت " الجزائر " لم يزدها الضغط الإداري (إلا حدة ومضاء)¹. وكان رد الجزائريين - آنذاك - قد رحبوا بها حين صدورها ، و بعثوا بتعازي حين أزهقت روحها .

علق ابن باديس على جريدة "الجزائر" في جريدة المنتقد قائلا: فوجدنا فيها مقالات بليغة في متانة تعبير ، وسمو فكرة ، ونبالة مقصد ، وثقة ببلوغ الغاية . وجدير بها إذا كان السعيد واضعها وأن يكون السعيد طابعها)².

* * *

عمل محمد السعيد الزاهري على إنشاء حزب إسلامي يلم جهود المصلحين الجزائريين ، ووضع له قانونا أساسيا وكون لجنة لبحثه وتمحيصه ، ثم عرضه على العلماء للاطلاع على فحواه ثم الموافقة عليه ، وكان ذلك مباشرة بعد أن علق المحتل صدور جريدة " الجزائر " وعبر الشيخ عمر راسم عن برنامج هذا الحزب بأنه : (برنامج محكم يمكن بسهولة تنفيذه بتدقيق ، وهو كفيل برد جميع طبقات المسلمين في الجزائر إلى القرآن الكريم وتوحيد كلمتهم عليه ، وأنه بغير هذا لا يمكن أن نجتمع أشتات هؤلاء المسلمين)³.

وفي الحقبة نفسها - وقبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - انضم محمد السعيد الزاهري إلى حزب نجم شمال إفريقيا وأصبح عضوا فعالا فيه ، وواحدا من أبرز مناضليه العاملين على إرساء قواعده . وما لبث أن أصدر جريدته الثانية بمدينة قسنطينة سماها "البرق" عام 1927م ، وجعلها منبرا يدوي منه صوت المصلحين عاليا ؛ إذ كان يكتب فيها رواد الحركة الإصلاحية وقتئذ ما عدا ابن باديس . وقد تميز الأديب محمد السعيد الزاهري عن غيره من كتاب الجريدة بركنه "قوارص" الذي هاجم من خلاله الطريقة وشيوخها وأتباعها ومريديها ، وكشف عن سوءاتهم جميعا بأسلوب بذيء فيه

¹ - الزاهري ، محمد الهادي ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر . الجزء الأول . ص 67 .

² - العربي ، الزبيري ، المثقفون الجزائريون والثورة ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ، وحدة الطباعة الروبية - الجزائر - 1995 م ، نقلا عن المنتقد ، عدد 5 ، تاريخ 1925/7/30 م . ص 60 .

³ - خرفي ، صالح ، محمد السعيد الزاهري . سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 م ص 118 .

فحش القول واتهام الأعراض ، عبر عنه محمد ناصر بقوله : (وإن جبين الحياء ليتصبب عرقا من بعض قوارصه)¹.

* * *

بعد محاولة الزاهري تجميع جهود المصلحين الجزائريين في حزب ، وإصدار جريدتين " الجزائر " و " البرق " تمكن - رغم التزامه بالكتابة في الشهاب - من جمع مقالاته التي كان ينشرها في مجلة " الفتح " المصرية في كتاب تحت عنوان " الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير " وكان ذلك عام 1347 هـ ، 1928 م ، وقد نوه بهذا الكتاب الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة " الشهاب " بقوله : (... وعرفناه في هذا الكتاب داعية إسلاميا كبيرا . وقد خاض مسألة الحجاب ، والمرأة الجزائرية ، ومسألة الإسلام والتغرب والشبيبة المتعلمة ، فأبان من الحقائق ، وأقام من الحجج ما لا يلقاه أشد الخصوم - إذا أنصف - إلا بالإكبار والتسليم . وساق ذلك كله في أسلوب من البلاغة " الشبيه بالروائي " سهل جذاب ، لا تستطيع إذا تناولت أوله أن تتركه قبل أن تأتي على آخره)². ثم أعاد طبعه للمرة الثانية بعدما نفذت الطبعة الأولى و (تُرجم أكثر من هذه الفصول إلى الفرنسية ، وتُرجم فصل واحد منها إلى لغة الملايو)³.

* * *

في عام 1344 هـ سافر الزاهري في النصف من شهر شوال إلى مدينة الأغواط بالجنوب الجزائري وأنشأ بها مدرسة " الشبيبة القرآنية " لمقاومة الجهل المفروض على أطفال الجزائر بحكم سياسة المحتل ، ولبت فيها ستة أشهر كاملة يعلم الناشئة . ويعترف الزاهري بمشقة مثل هذا العمل في ظل الاحتلال الفرنسي فيقول : واحتملت من العناء في هذا المشروع ما لا طلاقة لي به لولا حب هذا الوطن البائس . وحدث لي ما اضطرني

¹ - ناصر ، محمد ، المقالة الصحفية الجزائرية - نشأتها - تطورها - أعلامها من 1903 إلى 1931 م . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1980 م - ص 131 .

² - الزاهري ، محمد السعيد ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير . دار الكتب - الجزائر - 1983 م . ص 9 .

³ - الزاهري ، محمد السعيد ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير . المرجع نفسه . ص 8 .

إلى السفر إلى بسكرة مسقط رأسي فخلفني - لحسن الحظ - على المدرسة أخ مصلح كريم دعوته لهذه المهمة وهو الأستاذ مبارك الملي¹.

في عام 1928م كان محمد السعيد الزاهري من بين الطلاب الذين عادوا من الزيتونة ولبوا نداء ابن باديس واجتمعوا للعمل في سبيل الدين والوطن (واجتمع هؤلاء الرواد برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس في مكتبته المجاور لمسجد الأربعين شريفا بقسنطينة ... وكانت مشاعر المجتمعين تفيض حماسا وعزيمة صادقة واستعدادا للتضحية في سبيل الله والوطن)².

أصبح محمد السعيد الزاهري عضوا مؤسسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ورئيسا لبعض جرائدها - كما سنبين بعد قليل - ثم اشتغل (معلما في المدارس الحرة التي تشرف عليها جمعية العلماء ، وتنقل برسالته هذه بين أنحاء متناثرة في القطر الجزائري بين الأغواط جنوبا وتلمسان غربا والجزائر العاصمة شمالا)³.

استقر محمد السعيد الزاهري بمدينة تلمسان غير منقطع عن أخبار بقية مدن الوطن ، وتعرض بها إلى محاولة اغتيال ، وازداد نشاطه الأدبي والإصلاحي ، وكانت جريدة الصراط السوي ، والشرعية النبوية الحمديدية ، والسنة النبوية الحمديدية حاضنة لذلك ، وتميزت كتاباته بالأسلوب القصصي الشيق الجميل الجذاب ، لكن مسحة تشاؤمية كست حياته وهو يقاوم أعداء الوطن لنشرهم الجهل ومحاوله مسخهم للشخصية الوطنية الجزائرية . لقد جسدت هذه المسحة الغارقة في التشاؤم قصيدة بعث بها إلى مجلة "الشهاب" وطلب من ابن باديس أن ينشرها دون أن يمسه أيها بحذف أو تحريف . ويستجاب طلبه ، فينشر "الشهاب" هذه القصيدة تحت عنوان "ليني ما قرأت حرفا" . ومن أبياتها⁴:

من يعيش بالعلوم عمرا سعيدا أو يذق بالعلوم طعم النعيم

¹ - المرجع السابق . ص 14 .

² - خير الدين ، محمد ، مذكرات محمد خير الدين . الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 م ، ص 83 .

³ - خرفي ، صالح ، محمد السعيد الزاهري . ص 57 .

⁴ - خرفي ، صالح ، محمد السعيد الزاهري . سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ، نقلا عن الشهاب ، ج 1 المجلد 7 ، فيفري 1931م . ص 11 .

فأنا لم أزل أكابد في العلم صنو فامن الشقاء الأليم
 قد تغربت أطلب العلم من قبل ، ولاقيت فيه أقسى الهموم
 لم أجد في الشقاء من هو أشقى بحياة من عالم محروم
 بين قوم عمي البصائر صم ليس فيهم غير الجهول الأليم
 ليتني ما قرأت حرفا ولا أعرف فرقا بين (كاف) و (جيم)
 فلعلي أعيش مع الجهل أحظى بهناء خفض وعيش رخيـم
 أنا لولا التقى دعوت إلى الجهل جهارا بشعري المنظوم
 غير أن البلاد في حالة يرثي لها كل مشفق ورحيم ...

في عام 1933م أسندت إلى محمد السعيد الزاهري .معية الطيب العقبي رئاسة تحرير ثلاث جرائد هي الشريعة النبوية المحمدية ، والسنة النبوية المحمدية ، والصراط السوي على التوالي . وكما أظهر السعيد الزاهري للجزائريين من خلال أسلوبه في ميدان الأدب مقدرة كبيرة على مقارعة الفكر الخرافي للطرقية ، ونفسا طويلا في إدارة الصراع مع المحتل وعملائه ، نصب نفسه مفتيا للناس على المسائل الدينية التي تشغل بالهم¹ . وبعد ذلك أُخْتِير محاضرا للمثقفين باللغة العربية للجمعية الودادية لطلبة أفريقيا الشمالية² .

* * *

في عام 1936 م وبعد المؤتمر الإسلامي انسحب من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأسباب كان يراها موضوعية ومنها :

- الإصلاح الديني لا يكمن في إعلان الحرب على الطرقية .
- الإصلاح الحقيقي هو الذي يسعى دائما إلى تقريب المسافة بين مختلف الطوائف الشعبية التي لا تزال الرجعية الاستعمارية تنشر بين صفوفها البلبلة والتفرقة والتشاكي والخصام لتشغلها عما تبيته لها من الشر والأذى³ .

¹ - ينظر . الصراط السوي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عدد 15 . سنة 1933 . بريد الصراط 1933 . ص 6 .

² - الزاهري ، محمد السعيد ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير . ص 32 .
³ - الزبيري ، العربي ، المثقفون الجزائريون والثورة ، منشورات المنحف الوطني للمجاهد ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار الروبية - الجزائر - 1995 م . ص 66 .

اتجه محمد السعيد الزاهري بعد جهره بموقفه من توجه الجمعية ، والتصريح بأفكاره الجريئة إلى حزب الشعب ، محاولا من خلال توجهه الجديد تقريب المسافات بين مختلف اتجاهات القوى الفاعلة على الساحة السياسية ، حيث أصبح العمل بالنسبة إليه ليس محاربة الطرقية ، وقضاء الوقت الثمين في البحث عن عورات الطريقة ، والاجتهاد في اختيار الألفاظ الجارحة وإصاقها بالخصوم بل عين الحق - في رأيه - يكمن في الاهتمام بتكوين الفرد الجزائري وتوعيته سياسيا . ومن هذا المنطلق أصدر جريدة "الوفاق"¹ عام 1938 م لتجسيد أفكاره الجديدة الداعية (إلى الوفاق والوئام ونبد الشقاق والخصام)². وقد روجت لأفكار الزاهري جريدة "الأمة" حيث سمحت للزاهري بالدعاية على صفحاتها ، ومنها هذا البيان الذي نشر في العدد 157 الصادر يوم 8 مارس من عام 1938م ليحسد أفكاره الجديدة الداعية (إلى الوفاق والوئام ونبد الشقاق والخصام) ، وقد روجت لأفكار محمد السعيد الزاهري - المقاومة لسياسة فرق تسد - جريدة "الأمة" حيث سمحت له بالدعاية على صفحاتها كهذا البيان الذي نشر في العدد 157 الصادر يوم 8 مارس من عام 1938 م جاء فيه : (بين الأيام القليلة المقبلة بحول الله وقوته هنا في وهران جريدة عربية أسبوعية باسم "الوفاق" وهي كاسمها ، جريدة سياسية جامعة ، تدعو إلى جمع الصفوف وتوحيد الجمهور على خدمة الصالح العام ، وتكون خير إعلان عن نفسها ، وإنما نرجو الآن من إخواننا العاملين في الحقل العربي الإسلامي بهذه البلاد شيوخا وشبانا أن يكتبوا إلينا بآرائهم وبأخبار الحوادث والمظالم التي تقع على قومهم ، كما نرجو من جميع القراء أن يتفضلوا فيكتبوا إلينا بعناوينهم واضحة بالعربية والفرنسية معا ولهم الشكر سلفا . محمد السعيد الزاهري صاحب الوفاق .)³.

* * *

¹ - جريدة "الوفاق" أسبوعية سياسية جامعة أصدرها محمد السعيد الزاهري . بعاصمة وهران ، سنة 1938 م .
² - سيف الإسلام الزبير ، تاريخ الصحافة في الجزائر ، ج 7 ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1971 . ص 119 .
³ - سيف الإسلام الزبير ، تاريخ الصحافة الجزائرية . 119

وقعت لمحمد السعيد الزاهري مع رجال الحركة الوطنية معارك قلمية¹ وفكرية على صفحات الجرائد مثل جريدة "الليالي" و"الشعب" و"سيدي هنيي" و"الميدان" ، ولعل المقال المعبر عن شدة الخصومة بينه وبين جمعية العلماء وقتئذ كان على صفحات جريدة البصائر بقلم محمد البشير الإبراهيمي وتحت عنوان "إلى الزاهري"².

وقبل ثورة نوفمبر الكبرى سنة 1954م كان محمد السعيد الزاهري يدير جريدة "عصا موسى" بالجزائر العاصمة وهي (صحيفة وطنية تهتم بالنقد السياسي والاجتماعي وفي هذا النقد يستعمل الشعر الهجائي والقصص القصيرة المحبوكة فنيا ويستعمل مراسلين وهميين ، ليس لهم وجود محدد في المجتمع ولكن الأفكار التي يطرحها على ألسنة المراسلين هي أفكار مطروحة فعلا على الرأي العام الجزائري ، وهذه الأفكار في الغالب تتعلق بالاستعمار وعملائه وما يفعلون من مضرّة وإساءة للمجتمع الجزائري)³.

"قرر المحتل تعطيل جريدة "عصا موسى" بعد صدور أحد عشر عددا منها وإلى الأبد ، ثم الزوج بصاحبها في السجن ، غير أن محمد السعيد الزاهري استعمل نشاطا صحفيا جديدا بعد خروجه من السجن عام 1952م ؛ حيث استأنف إصدار جريدة "المغرب العربي" وكان (لا يثق في حزب البيان الاندماجي ولا في جمعية العلماء الجزائريين المسلمين التي كان هو أحد مؤسسيها)⁴.

ومع اندلاع الثورة الكبرى التحقت بها كل المجموعات السياسية الوطنية ، وتخلف عنها القليل ، ولم يكن رد فعل المحتل سوى محاولة إخمادها بقوة السلاح وكواليس المفاوضات . وفي عام 1955 م قصد فرحات عباس سويسرا وأعلن هناك أن لا حل لمسألة الجزائر إلا بالمفاوضات بين ممثلين للجزائر المحتلة والسلطات الفرنسية ، لأن الثورة عاجزة عن إخراج المحتل ، والمحتل غير قادر على إخماد الثورة التي أزداد لهيئها وكثر أنصارها في كامل التراب الجزائري . وكان محمد السعيد الزاهري من المعلقين على هذه

¹ - معلومات أكثر عن الخصومة بين الزاهري والإبراهيمي في الكتاب الذي ألفه عبد الملك مرتاض بعنوان " أدب المقاومة الوطنية ، رصد لصور المقاومة في النثر الفني . ص 379 وما يليها .

² - ينظر محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر . ص 696 .

³ - بن عيشة الطاهر " شيخ الأدب والصحافيين " . جريدة المحقق ، العدد 8 من 7 إلى 13 ماي 2006 - الجزائر - ص 32 .

⁴ - المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

الزيارة وهذا التصريح الذي نشر على صفحات جريدة "المغرب العربي" التي يصدرها ، بمقال تحت عنوان "رحلة مربية لمهمة مربية" . وبعد أيام من نشر هذا المقال الجريء تعرض الشيخ محمد السعيد الزاهري حين كان مارا بشارع (لالير) رفقة الهاشمي العربي لعملية اغتيال حيث تقدم منه أحد المسلحين فأرداه قتيلا¹ . يذكر أحمد توفيق المدني أن محمد السعيد الزاهري - إلى جانب كونه شاعرا مليا فحلا وكاتبا مقتدرا وسيدا من حمل القلم في هذه البلاد نثرا وشعرا - (كان في سلوكه وسياسته قوس قزح يتحلى كل حين بلون جديد إلى أن جاءت الثورة الكبرى وكان يصدر بالعاصمة الجزائرية صحيفة من الحكومة مالها ، وفكرها ، فحكمت عليه الثورة المطهرة بإعدامه وأردته قتيلا قرب ساحة الحكومة)² .

من آثار محمد السعيد الزاهري :

أولا : الكتب :

هذه كتب تعهدت مطبعة دار الكتب - الجزائر - بتقديمها إلى الطبع مشيرة إلى زبدة ما تحتويه من فن أدبي جميل نادر . غير أننا لم نعثر لها على أثر عدا كتاب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" الذي وجدنا فيه هذه الإشارة إلى هذه الكتب .

حاضر تلمسان : في وصف مدينة تلمسان العاصمة التاريخية . ويقع في 300 صفحة ويحتوي على وصف لمناظر مدينة تلمسان وبيان أحوالها بأسلوب شيق . ويشتمل الكتاب على عدة فصول منها " جوهرة المغرب " ، " الحياة الاجتماعية " وهو مزود بصور لمناظر من مدينة تلمسان .

بين النخيل والرمال : في وصف الواحات ومنها الأغواط ، ووادي ميزاب .

حديث خرافة : في الأدب والحياة والاجتماع .

شؤون وشجون : في مختلف المواضيع .

الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير : في مختلف المواضيع الإسلامية .

¹ - المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

² - المدني توفيق ، حياة كفاح - مذكرات - الجزء الثاني 1925 - 1954 . المؤسسة الوطنية للكتاب ، - الجزائر - 1985م ، ص 129 .

ثانيا : الجرائد :

- 1- الجزائر .
- 2- البرق .
- 3- الوفاق .
- 4- المغرب العربي .
- 5- المغرب العربي الجديد .

وإن جريدة "البرق" التي نحن بصدد دراستها ليست إلا نموذجا من آثار هذا الأديب الجزائري محمد السعيد الزاهري .

2 - جداول محتوى جريدة "البرق" لمحمد السعيد الزاهري 1927 م .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
الفتاحة	البرق	1	الاثنين 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927 م	1	يبدو أن الأسلوب الذي كتب به هذا المقال هو أسلوب محمد السعيد الزاهري ، وفي العدد الثالث عشر في المقال " الآن " اعتراف صريح بأن محرر الجريدة هو كاتب مقال "التفرنج الآثم" وخصم الجزيري صاحب جريدة "النديم" التونسية وهو "محمد السعيد الزاهري" ومحتواه عبارة عن بيان الخطة المستقبلية لجريدة "البرق" .
شهداء الاكتساب	----	"	"	2/1	ألقى الكاتب - في هذا الموضوع - الضوء على الحادثة الأليمة التي جرت للجزائريين المهاجرين إلى فرنسا على ظهر سفينة في سبيل كسب القوت .
ملكة إيران وماليتها	----	"	"	2	مقتطف من مقال يتحدث فيه كاتبه عن الدكتور "مليسيو" رجل من رجالات المال في الحكومة الأمريكية ، استطاع أن ينفذ مملكة إيران من فوضى المال التي أصابتها بعد الملك داربوس .
حادثة أليمة	----	"	"	"	حادثة وقعت لجزائري بئس في قطار ببسكرة وتكشف عن ظلم المحتل للشعب الجزائري .
أدبيات - عاصمة الجزائر العتاب الرقيق	خمار - السعيد الزاهري - أديب	"	"	"	أبيات في وصف مدينة الجزائر (العاصمة) ، والأبيات الأخيرة عتاب من امرأة هجرها زوجها متبوعة برد الزوج لها بما يناسب همومها.

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
الانتقادات	----	"	"	3	<p>مجموعة من الأخبار الموجزة متنوعة بانتقادات حول :</p> <p>1. قصيدة ألقاها محمد السعيد الزاهري في الحفل الذي أقيم ببسكرة بمناسبة تكريم محمد الهادي الزاهري على كتابه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) .</p> <p>2. انتقاد شبان جزائريين يحبون أن يناديهم الناس بالشيوخ</p> <p>3. قصيدتين نشرت الأولى بجريدة "البلاغ" وهي في رثاء أحد أتباع الطريقة العليوية ، والثانية بجريدة "النجاح" تحت عنوان : إليك يا وهران ، ومحتواه تهجم على أتباع الطريقة العليوية .</p> <p>4. انتقاد طريقة تبرع "بن تيكو" على فقراء الجزائر بقسنطينة .</p> <p>5. انتقاد كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" بسبب ضمه لاسم شاعر تونسي .</p> <p>6. انتقاد الحكومة في تصرفاتها الخاطئة مع الجزائريين التجار . بيع التجار للحوم بمناسبة قدوم شهر رمضان .</p> <p>انتقاد نواب الشعب الجزائري الذين لم يساعدوا جمعية "التمثيل العربي" بقسنطينة على تمكينهم من عرض مسرحية "الفراق القاتل" .</p> <p>7. بيع التجار للحوم بمناسبة قدوم شهر رمضان .</p> <p>8. انتقاد النواب لتخاذلهم مع جمعية لعرض مسرحيتها .</p>

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
إعلان	البرق	"	"	3	إشهار للشاعر "محمد الهادي الزاهري" وكتابه : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ..
الصحافة ومن هم رجالها ؟	الطيب العقبي - بسكرة -	2	الاثنين 10 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 14 مارس 1927 م	1	أشار الكاتب إلى وجود هذا المقال في مجلة "الشهاب" وأنه نشر في جريدة "الجزائر" لمحمد السعيد الزاهري سنة 1925م .
أنا أجيب	تأبط شرًا	"	"	2/1	كان المقال رداً على إمام الجامع سيدي رمضان بالجزائر ، الذي أسرف في مدح (حضرة المربي) شيخ الطريقة . أتبع المقال اللاذع بتوضيح من جريدة "البرق" إلى ضرورة ترك المدح المبالغ فيه .
الشعر الحي	إيليا أبو ماضي	"	"	3	يبدو من نشر قصيدة "إيليا أبي ماضي" أن إدارة جريدة "البرق" ومنهم محررها محمد السعيد الزاهري من المهتمين لما تنشره جرائد ومجلات المشرق العربي ومنهم المقتطف .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
التليفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك المكالمات على أتم الموضوع	عن المقتطف	"	"	3	ينتهي الموضوع في العدد الثالث . ويتحدث عن المكالمات الهاتفية التي دارت لأول مرة بين محرري جريدة التايمز الإنجليزية والتايمز الأمريكية . وقد أخذ المقال من جريدة "التايمز" الإنجليزية .

ملاحظة : في آخر الصفحة الثانية بالجهة اليمنى إشارة إلى سبب غياب ركن الأدبيات والانتقادات وهو ضيق الصفحات ، أما المرتقب ففي العدد الموالي .

أخطار المدنية	العمودي بسكرة	3	الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927 م	1	يكشف المقال عن حقيقة تزايد الانتحار بين صفوف النساء بتركيا ، وضرورة التفتن لحقيقة التقدم والتمدن المزعومين .
الإسلام دين طبيعي	العزوزي ححو - بسكرة -	"	"	1	نجد تتمة هذا المقال في العدد الخامس وفحواه إجابة عن مجموعة من أسئلة وصلت للكاتب ، وطلب منه الرد عليها ، وتتعلق بضرورة الاتزان بين مطالب كل من الجسد والروح .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
الصحافة ومنهم رجالها ؟	الطيب العقبي - بسكرة -	"	"	2	الجزء الثاني من المقال ويتحدث فيه عن منافع الصحافة الحقيقية .
فكر حر 1- صلاة العلويين	طلّاع الثنايا	"	"	3/2	(طلّاع الثنايا) اسم مستعار (لمحمد السعيد الزاهري) ، ولم نعثر لعنوان هذا المقال عن أثر في بقية الأعداد .
قوارص التقويم والبلاغ الجزائريان	تأبط شرا	"	"	3/2	(تأبط شرا) اسم مستعار (لمحمد السعيد الزاهري) . (التقويم والبلاغ) جريدتان جزائريتان .
عليوي بعد 11 عاما . سيدي - بقاش - جدّدها	"	"	3	أخبار وانتقادات لبعض مظاهر الحياة اليومية للمواطن الجزائري المسكين ، والكشف عن مقاومة أدباء الحركة الوطنية للطرقية وحب المظهر ، وخلق التملق .
التليفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك	عن المقتطف	"	"	3	تابع لموضوع "التلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك" المنقول عن "المقتطف" .
حوادث داخلية . كارثة الشقة	"	"	3	متابعة الحديث عن الحادثة التي وقعت للجزائري على سكة القطار ببسكرة

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
الأدبيات في وصف ذكرى المحبين . مقروحتين .	أديب	"	"	3	بيتين من الشعر في موضوع "الذكرى" . توج البيتان في "المقروحتين" بدعوة من صاحبهما الشعراء الجزائريين لتصوير حال الجزائر وتجسيد معاناة شعبها .
1- مكاشفة عليوية 2- باش عدل عليوي	تأبط شرًا	"	"	3	رد على ما توصلت إليه جريدة "البلاغ" من أن الأسماء المستعارة التي يمضي بها كتاب "البرق" مقالاتهم إنما هي أسماء لابن باديس .
التفرنج الآثم - 1 -	قلم التحرير	4	الاثنين 24 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 28 مارس 1927 م	1	المقال رد على ما نشر في جريدة (لاديباش الجيريان) ومفاد الخبر أن فتاة تونسية مسلمة زوجة رجل متجنس رقصت في حفل ، واعتبر ذلك منها تمذنا وتحضرا .
نبا عظيم	جساس	"	"		ميلاد جبهة ضد الطرقية أو حزب (ديوان الصالحين) ، وفيه مدافعون وهجوميون ، ولقد غاب عن هذه التشكيلة ابن باديس .
الصحافة ومن هم رجالها ؟ - 3 -	الطيب العقبي - بسكرة -	"	"	2	يحتوي الجزء الثالث من مقال "الصحافة ومن هم رجالها ؟" على نصائح من الطيب العقبي للصحفيين .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
موبقات العصر . - ذوو الأقدار -	قال نوح... - الجزائر -	"	"	3/2	مقال في مقاومة ظاهرة الرقص التي انتشرت في العاصمة الجزائرية ، وقد ذكر المقال أن مومسة تونسية راقصة أحييت ليالي الجزائريين في المسرح وقد حضر الطرقيون الحفل بعدد كبير .
قوارص باش عدل عليوي .	تأبط شرّا	"	"	3	كل القوارص تهجم على بعض زعماء الطريقة العليوية .
1- الشّعْر المتجنس . 2- الوالي الصالح . 3- القاضي الجلف	"	"	3	1. رد على ما كتبه "النديم" حول " البرق " وكتّابه . 2. حول إشاعة مفادها أن ميزابيا دخل الطريقة العليوية . 3. إشارة إلى قصيدة أحد القراء في هجاء قاض ، ونُشر منها بيتان فقط لشدة ما فيها من تشنيع .
تنبيهه .	البرق	"	"	3	تنبيهه القراء إلى : - تخصيص جريدة "البرق" مساحة لخدمة ما يتعلق بالتجارة في الجزائرية . - أن جريدة "البرق" لم تؤسس بغرض محاربة الطريقة . - فتح صفحات جريدة "البرق" لكل من يدافع عن الحق مهما كان حزبه .
التفرنج الآثم - 2 -	التحرير	5	الاثنين 1 شوال 1345هـ	1	هناك أشارات كثيرة من الباحثين تؤكد أن قلم التحرير في جريدة " البرق " لمحمد السعيد الزاهري ومنهم الدكتور محمد ناصر .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
			الموافق لـ 4 أفريل 1927م		
الصحافة الصادقة واجباتها نحو قرائها وواجباتهم نحوها .	مصطفى بن شعبان - تونس	"	"	2/1	محتوى المقال هو : الواجبات المتبادلة بين القراء والصحافة .
الصحافة ومن هم رجالها ؟ - 4 -	الطيب العقبي - بسكرة	"	"	2	الجزء الأخير لمقال "الصحافة ومن هم رجالها؟" يصل الطيب العقبي من خلاله إلى أن مصير الصحافة (الساقطة) إلى الزوال .
الإسلام دين طبيعي - 2 -	العزوزي أحمد - سيدي عقبة	"	"	2	يصل الكاتب من خلال الجزء الثاني لمقال "الإسلام دين طبيعي" إلى ضرورة الاتزان بين مطالب الروح والجسد .
الأدبيات الشعر الاشتراكي .	أديب	"	"	2	بيتان من الشعر حول الشعر الاشتراكي .
عيد سعيد .	البرق	"	"	2	تهنئة جريدة "البرق" لأبناء الملة الإسلامية عموما ، وقرائها خصوصا بعيد الفطر .
رفقا بفتاة يعرب وقحطان .	عبد الغني بن رابح العقبي .	"	"	3	تنويه إدارة جريدة "البرق" بالمقالة واعتبار صاحبها من الغيورين على اللغة العربية ، وتوسم الخير في كاتبها بمستقبل الأدب العربي في الجزائر
قوارص - الإسلام والعلماء .	الصاعقة .	"	"	3	منقول عن جريدة "الصاعقة" .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
خطيب الضالة المنشودة .	فاتك .	"	"	3	"فاتك" اسم مستعار لمحمد السعيد الزاهري ، و المقال انتقاد لخطيب مسجد ، وتجسيد لمستوى الخطابة في الجزائر آنذاك .
حوادث داخلية حادث الشفة		"	"	3	النهاية المأساوية للجزائري الذي دهسه القطار بمدينة بسكرة .
حادث قتل	السعيد بن رويحة سيدي خالد - أولاد جلال -	"	"	3	خبر مقتل شاب جزائري بأولاد جلال (بسكرة) .
من هو تأبط شرا ؟	شاعر سلفي	"	"	3	نعتقد أن الشاعر السلفي صاحب الأبيات هو الطيب العقبي . وتتألف القصيدة من سبعة أبيات تجيب عن سؤال طالما تداولته السنة الناس ، هو : من هو تأبط شرا ؟
البرق .	الرحموني بن عبد المجيد مدير البرق	6	الاثنين 9 شوال 1345هـ — الموافق 11 أبريل 1927م	1	نداء من مدير جريدة "البرق" إلى المرجفين في قسنطينة بسبب إقبال الأمة الجزائرية على الجريدة إقبالا كبيرا ، ويبدو أن المناوئين للإصلاحيين اتهموا ابن باديس بإصدارها فكان الرد : الرحموني هو صاحب جريدة "البرق" .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
إلى الأخوين : بيضاوي و تأبط شرًا .	سمهري .	"	"	1	بيضاوي هو مبارك الملي وتأبط شرًا هو محمد السعيد الزاهري وسمهري هو الأمين العمودي . وقد اعتبرت الموضوع رسالة لما فيه من خصائص فن الرسالة . والرسالة شهادة من سمهري بأنه لبي دعوة أصحابه و انضم إلى جماعة المصلحين ضد الخرافين و الأفاكين ، وسميت جبهتهم بـ "ديوان الصالحين" وقد ذكر ذلك في العدد الرابع
مراسلات الانتخاب البلدي	مكاتب البرق .	"	"	2	المقال مقاومة سياسية للانتخابات البلدية ، وحملة انتخابية للشيخ "عمر راسم" ، وتعريفًا بنضاله وأعماله ، وقد توج المقال بضرورة نجاح "عمر راسم" في الانتخابات بدلا من (الخشب المسندة) .
مشكلة الصين .	سياسي عربي .	"	"	2	تعريف ببلد الصين .
قوارص - قاضيان في النار	تأبط شرًا	"	"	3/2	فضح لسلوك أتباع الطريقة .
- العليوي - الباش عدل عليوي - أمجوسي هو ؟	تأبط شرًا	"	"	3	كل المضامين تتحدث عن انحراف أتباع الطريقة .
هم أججوها	سكيرج .	"	"	3	محتوى القصيدة ذم الطريقة ويكشف حدة الصراع بين جريدتي "البرق" و "البلاغ" . ولما كانت أبياتها شديدة في وقعها أحجم "البرق" عن نشرها السبب الذي دفع بصاحبها

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
					إلى إرسالها إلى "البلاغ" التي حولتها إلى ذم "البرق" مما اضطر بالقائمين على جريدة "البرق" أن ينشروها كما وصلت إليهم .
أخذها المخاض	ابن الأدهم القسنطيني .	"	"	3	المقال عبارة عن انتقاد شديد لما ينشر في جريدة "البلاغ" من سب وشتم للمصلحين كابن باديس ومحمد السعيد الزاهري وتفنيدا لما ادعته الجريدة من أن سكان مدينة قسنطينة كلهم بلاغيون .
التفرنج الآثم . - 3 -	التحرير .	7	الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أفريل 1927م	1	يصل الكاتب في الجزء الأخير من مقال "التفرنج الآثم" إلى ضرورة التصدي للغزو الثقافي الذي طال تونس وقد يصل إلى الجزائر .
إلى الأمام إلى الأمام	الطيب العقبي	"	"	2/1	غابت كتابات العقبي عن مجلة "الشهاب" وجريدة "البرق" بسبب المرض ، ولما عوفي الكاتب وعد كلا من الجريدتين بالمزيد من الكتابات المقاومة للطرقية ، ومنها هذا المقال .
تأثير الدعوة والإرشاد .	جساس	"	"	2	هذا المقال الصحفي مؤثر على نجاح جماعة المصلحين في مقاومتهم للطرقية عن طريق الانتشار الواسع لجريدة "البرق" ، وتأثيرها الإيجابي في النفوس عموما وأصحاب الطرق - خصوصا - كالتيجانية . ويدل المقال على مكانة محمد السعيد الزاهري لدى جماعة

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
					المصلحين و"جساس" اسم مستعار لمحمد السعيد الزاهري .
لبيك يا سمهري	تأبط شرّا .	"	"	3/2	وصف امرأة لعبد الحميد بن باديس ومحمد السعيد الزاهري والوصف مأخوذ من جريدة " البلاغ " .
مشكلة الصين - 2 -	سياسي عربي	"	"	3	خلاصة المقال : لا خوف على الصين لأن زعماءها وطنيون .
فوائد الاقتصاد	المولود بن الصادق الحافظي اللازهرري .	"	"	3	ذكر المقال بأن جريدة " البرق " خامس الصحف الناطقة بالعربية في الجزائر ويجب تأييدها ، وأن الصحافة في الجزائر مهنة صعبة وفي طور التجربة . والجزائر من خلال المقال طريحة الفراش تعاني من المرض الشديد ، وفي الرmq الأخير إن لم يرحمها الله . ويبدو أن إحساس الكاتب صادق ؛ إذ احتفلت فرنسا في عيدها المئوي بتشجيع جنازة الإسلام بعد المقال بثلاث سنوات .
قوارص - عدس - أيها الفلتاء المتشردون	تأبط شرّا .	"	"	3	تأثر تونسي بالطرقي العليوي الجزائري بعد ملازمته لسبع سنوات ، وقد أصبح بعد ذلك من دعاة الطريقة العليوية في تونس .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
وفد الشعراء يزور :طولقة - فرفار - البرج . -1-	محمد السعيد الزاهري .	8	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أفريل 1927م	1	يتكون وفد الشعراء المذكورين من : الطيب العقبي ، والأمين العمودي ، ومحمد العيد آل خليفة ، ومحمد السعيد الزاهري . وفي المقال : الزيارة : أسبابها وما حدث فيها ، وظروفها ، وذكر ليالي سمر الأدباء الأربعة أثناءها .
صلاح الدين .	محمد الوكيل - المغرب -	"	"	2/1	يكشف هذا المقال عن : اهتمام أهل المغرب بجريدة البرق وكذلك اهتمام الشباب بفن المسرح ومكانة فن المقامة (الحريري) عندهم . يعد المقال تشجيعا للشباب على اقتحام ميدان المسرح ، ومقاومة الكسل والخمول .
حول تبرج النساء في المقابر .	زغيب العروزي - بسكرة -	"	"	2	يتحدث المقال عن عادة خروج النساء للمقابر يوم العيد ، وعليهن من الزينة ما يفتتن به الرجال خاصة أثناء تشييع الجنائز . ويعد المقال في إطار مقاومة البدع في مدينة بسكرة
يا أعداء الشباب .	جساس	"	"	2	يكشف المقال عن اجتماع لجمعية حزب المصلحين وفيه تمت تسمية الغزوي بفاتح ، و العقبي بالأستاذ الإمام ، ونجد في المقال دعوة الطرقيين إلى التقوى والعودة إلى الرشد .
مشكلات الصين - 3 -	سياسي عربي	"	"	2	نوهت جريدة "البرق" بالمقال المنقول من مجلة "الفيحاء" . واعتبرته من أحسن المواضيع التي تحدثت عن الصين .
قوارص - بالرفاء والبنين - ضاقت بهم	"	"	3	مضمون القوارص هو سب الطرقيين . ومن خصائص أسلوبها براعة التصوير ، وتوظيف الخيال ، وقوة التأثير في

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
- أيها الكهل - غلام أمرد - كونكرانس - كلنا ذلك الرجل .					الخصم .
جنون البلاغ - تعالوا تروا الفضيحة مجسمة	ابن أدهم - قسنطينة -	"	"	3	في المقال تكذيب لجريدة "البلاغ" وما تنشره من افتراءات .
إعلان	الطيب بن عيسى تونس صاحب جريدة الوزير	"	"	3	خبر استعداد صاحب جريدة (الوزير) لإعطاء جميع الإرشادات لقاصدي بيت الله الحرام من الجزائريين . والمقال مقاومة لما يفرضه المحتل من قطيعة بين أبناء المغرب العربي الواحد .
نائب البرق .	البرق .	"	"	3	إعلام القراء باعتماد حسن القسنطيني نائبا لجمع اشتراكات جريدة " البرق " بقسنطينة .
فوائد الاقتصاد	المولود بن الصادق الحافظي الأزهري	"	"	3	وفاء " البرق " بوعدا لمعالجة مواضيع الاقتصاد كما جاء بالباتحة . والمقال في مقاومة الاحتكار ، ودعوة الجزائريين إلى ضرورة استغلال ثرواتهم ، وصرخة في وجوههم لكي ينهضوا باقتصاد الوطن وتخليصه من التبعية الأجنبية . ويأمل الكاتب في أن يرتفع صوت الجزائري ليس في الداخل فحسب بل حتى مرسيليا ولندن .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
التجارة . أسعار سوق قسنطينة في أسبوع	"	"	3	اشتملت قائمة الأسعار على القمح والشعير والحمص والقرفالة واللوبية ... وكذلك جلد البقر والماعز والزيت والعسل...
حي على الصلاح حي على الحرب والكفاح .	بيضاوي	91	الاثنين 30 شوال 1345 هـ الموافق لـ 02 ماي 1927 م	2/1	إعلان الكاتب "بيضاوي" عن الالتحاق بالجبهة ضد الطرقية ، أو بحزب المصلحين .
وفد الشعراء يزور - طولقة فرفار - البرج - 2 -	الزاهري	"	"	2	تنقل وفد الشعراء الأمين العمودي ، السعيد الزاهري ، محمد العيد آل خليفة ، والطيب العقبي بين مدن : فرفار ، والبرج ، وطولقة وسط جو مشحون بالأمل في عودة الإسلام الصحيح إلى أبناء الجزائر
ذوو الأقدار	قال نوح	"	"	3	في المقال تشهير بالأغنياء والطرقيين الذين حضروا حفلات ماجنة راقصة ، وبذروا أموالهم في تلك الليالي الحمراء ، وشحوا بها على الفقراء والمساكين .
الكفر هو الظلم	صالح	"	"	3	في المقال انتقاد للقول الذي نشر بـ "الشهاب" مفاده : الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
فرنساوي محسن والجمعية الخيرية	"	"	3	سارعت جمعية إسرائيلية لاقتناء أموال تبرع بها فرنساوي غني لصالح الفقراء عموما ، ولم تحضر الجمعية المسئولة عن الفقراء الجزائريين . ويستغرب " البرق " من تقاعس أمين هذه الجمعية الذي يكون قد حرم الفقراء من حقهم .
الرسائل الخاصة	ابي حفص الحمادي	10	الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927 م .	1	النص عبارة عن رسالة بعث بها صاحبها إلى الأديب محمد السعيد الزاهري يعترف له فيها بفضلها في الدعوة وكشف ضلال الطرقيين ، ويدعوه فيها إلى تنظيم الوقت حتى يتمكن من الاستمرار في حربه لأعداء الجزائر .
رجال البلاغ نومرو 17 - الفاسي المفلق - أصبح الجلف - شاعرا - جلالة خادم الحاضرة . - الفاسي الآخر	سمهري	"	"	2/1	تشبه هذه المواضيع قوارص السعيد الزاهري ، ومضمونها عبارة عن رد على قصيدة نشرت بجريدة "البلاغ" في ذم المصلحين ، وتعتبر أول هجوم للأمين العمودي على الطريقة .
جنون البلاغ في العدد 16 .	ابن ادهم	"	"	2	نشرت جريدة "البلاغ" مقالا منسوباً للكتاني ، محتواه ذم للمصلحين وقد تبرأ هذا الأخير – في هذا المقال - مما نسب إليه .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
- ما أنصف الدهر ضبة . - إليك يا نديم المخازي .	سمهري	"	"	2	يأتي المقال انتصارا لجريدة "البرق" و كتابه الذين سفهم الكاتب "أحمد توفيق المدني" في جريدة "النديم" التونسية
قال نوح	"	"	2	من المقال تبدو المعركة القلمية على أشدها بين جماعة المصلحين والطرفيين .
صوت الجزائر	الرايس حميدو	"	"	3/2	ينتقد المقال أعضاء مجلس البلدي الذين خاطبوا وزير الداخلية بغير حقيقة ماضي بلادهم وحاضرها ، ووجه الكاتب انتقاده الشديد من خلال واقع شبان وشابات الجزائر الذين ملئت بهم السجون واحتضنتهم الأزقة وغاصت بهم الحانة .
قوارص - يتظلمن وهن الظالمات - هي لا هو - الخلوة - احتجاج-ردة-مقام المشاهدة -أحمد ميرزا العليوي - هل فتح الله عليه - فسوق البلاغ	تأبط شرا	"	"	3	كل القوارص تدور حول التشنيع بجريدة "البلاغ" وأتباع الطريقة العليوية .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
فوائد الاقتصاد	المولود بن الصديق الحافظي الأزهرى	"	"	3	في المقال دعوة صريحة لمقاومة الاقتصاد الفرنسي وذلك بتأليف شركة جزائرية يديرها الأغنياء الوطنيون لينافسوا أوروبا بخيرات الوطن بدل النوم والغفلة وترك سماسرة المحتل يحتكرون أنفاس الجزائريين قبل أموالهم .
التجارة أسعار سوق قسنطينة في أسبوع	"	"	3	تعتبر هذه الإشارة الإعلامية - في نظرنا - مؤشرا على نضج الحركة الوطنية إعلاميا في مقاومة المحتل .
هاهي أقلامنا	محمد فاتح حوحو سيدي عقبة بسكرة	11	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م	1	أول مقالة هجومية للكاتب ضد جريدة لم يذكر اسمها ، وفي المقال أيضا تغيير اسم العزوزي إلى فاتح .
الامتياز بصالح الأعمال	عن لسان سكان الجزائر عطا الله المزغاني	"	"	1	تنويه بالأعمال الجليلة التي قدمها الحكيم "محمد بن العربي" العضو البلدي منذ أكثر من ثلاثين سنة .
إلى النديم التونسي	فاتك	"	"	2/1	سبق وأن تهجم الجزيري صاحب جريدة "النديم" التونسية على السعيد الزاهري لنشره مقال التفرنج الآثم فكان الرد في هذا المقال .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
الجامع	مكاتب البرق	"	"	2	من بين الدعاية الإعلامية لجريدة "البرق" ما يقوم به السعيد الزاهري من اختلاق لأسماء المراسلين في كل مكان كـ(مكاتب البرق) ، وفي المقال محاربة للأخلاق التي تفشت داخل المساجد في أوروبا .
الحرية	محمد كباش - بسكرة -	"	"	2	يأتي نشر ترجمة هذه القصيدة إلى العربية تشجيعا من جريدة "البرق" للأدباء الناشئة . والقصيدة رومانسية للشاعر الفرنسي (أندري نيني) مضمونها محاورة بين الراعي ومالك الغنم .
حول تبرج النساء بالمقابر	زغيب العروسي	"	"	2	يظهر محتوى هذا المقال استجابة المجلس البلدي ببسكرة لما يطالب به كتاب جريدة "البرق" في محاربة البدع .
موقف الافرنسيين من الطرق	محمد جبار- فاس-	"	"	3/2	يندد المقال بموقف العلماء الجزائريين الصامتين عن الحق .
قوارص - ضبة الجزيري - ظلموه - نديم المخازي - القاضي الجلف	تأبط شرا	"	"	3	قوارص هذا العدد عن جريدة (النديم) وصاحبها .
	المولود بن الصديق	"	"		يعد المقال صرخة في وجه الجزائريين المزارعين وأهل التجارة من أجل إقامة اقتصاد وطني ينافس الاقتصاد الفرنسي

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
فوائد الاقتصاد - 4 -	الحافظي. الأزهري حضرة العلامة صاحب التوقيع			3	
تحية تونسية	محمود بورقيبة تلميذ بالكلية الزيتونية	"	"	3	قصيدة من 30 بيتا في مدح ثلاثة شعراء وثلاث جرائد ، طالبت جريدة "البرق" بحذف جريدة "النجاح" من القائمة لأنها تعتبر متملقة للاحتلال . أما الشعراء فهم "تأبط شرا" و"بيضاوي" و "سمهري" ، والجرائد هي "البرق" و"الشهاب" و"النجاح" .
إلى أعداء البرق	مدير البرق	"	"	3	تهديد واضح من مدير جريدة "البرق" للذين يقفون في طريق الجريدة ويبدو أن أثر الجريدة أصبح قويا على أعدائها .
(وما تفعلوا من خير فلن تكفروا) قرآن كريم	أبو حفص الحمادي	12	الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 23 ماي 1927 م	1	يعتبر هذا الموضوع تأريخا لحوادث 8 ماي 1927م الدامية خاصة على الجزائريين . وفي هذا اليوم أدى سقوط طائرة مروحية في استعراض بحسين داي إلى هلاك طاقمها المكون من ثلاثة جنود فرنسيين ، وكذلك أدى اصطدام سيارة برصيف المسجد إلى قتل صبي جزائري ، واحترق بحري عربي بسبب طلقات المدافع يوم عيد جان دارك .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
					اعتبر المقال البحري العربي شهيدا ولكنه لم يلق اهتماما من المسؤولين على غرار الطيارين ، وفتحت جريدة (البرق) صندوق التبرع ، ووعدت بكتابة أسماء المتبرعين مقاومة للتمييز العنصري الذي يمارسه الاحتلال
من هو الجاني ؟	الأستاذ الأديب الكبير الطبيب العقبي	"	"	1	يكشف الكاتب في مقال عن أن الشعب الجزائري هو المسئول الأول لما يحدث له من تخلف وسيطرة للمحتل وانتشار للبدع . غير أن إدارة "البرق" علقت على ذلك واعتبرت الاستعمار هو المسئول الأول .
إكرام في محله	خادم الوطن	"	"	2	في مقال وصف للحفل الذي كرم فيه الأستاذ مبارك الميلي بقسنطينة وذلك يوم 10 ماي 1927م وقد حضر الحفل العلماء والتجار والأدباء ... وألقى السعيد الزاهري فيه خطبة .
أحمد سكيرج	تأبط شرا	"	"	2	يصف المقال جرأة محمد السعيد الزاهري أمام رجالات الطريقة الذين زعموا أنهم قادرون على غلق جريدة "البرق" .
قوارص ... الديك الأبجر - أين - اللس الأبجر - أنصر أخاك	"	"	3	حكايات عن رجال الطريقة العليوية .
الشعر السلفي لحي الله أهل الغنى .	شاعر السلفيين	"	"	3	46 بيتا في ذم الطريقة وأتباعها .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
	وكاتبهم العلامة الأستاذ الشيخ الطيب العقبي حفظه الله				
مباهلة ..	سمهري	"	"	3	أدعية بالويل والثبور على أحد زعماء الطرقية .
آلآن ؟	التحرير	13	الاثنين 26 ذي القعدة 1345 هـ — الموافق لـ 30 ماي 1927 م	1	مقال هجومي ضد "أحمد توفيق المدني" ، ونستخلص منه مايلي : - صاحب المقال هو محمد السعيد الزاهري . - تعرض الزاهري لانتقاد صاحب جريدة "النديم" منذ سنوات ، وسبب إحجام الزاهري عن الرد عدم امتلاكه للصحافة . - قدم السعيد الزاهري قبل سنين طلبا لأحمد توفيق المدني حتى يمنع "الجزيري" من الإساءة إليه في جريدة "النديم" . - انتصار "أحمد توفيق المدني" لجريدة النديم وصاحبها . ويعود الخلاف بين صاحب النديم وصاحب جريدة "البرق" إلى الفترة التي كان فيها الزاهري بالزيتونة ، وتبقى أسباب ذلك مجهولة .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
كلمة إلى السيد أحمد توفيق المدني .	واصل	"	"	2	في المقال القصير ذكر محمد السعيد الزاهري الكاتب "أحمد توفيق المدني" بما تعرض له من إساءة جريئة "النديم" ، وأن "أحمد توفيق المدني" جزائري الأصل ، تونسي الإقامة ، دستوري الحزب . ومن الحكمة أن يقف المدني منصفاً في الخصومة لا أن ينحاز إلى ابن خالته . وقد توج السعيد الزاهري مقاله بتوجيه أسئلة يأمل من الكاتب "أحمد توفيق المدني" أن يجيب عنها .
من إدارة البرق	إدارة البرق	"	"	2	اعتذار جريدة "البرق" لمن بعثوا بمواضيعهم حول خصومة محمد السعيد الزاهري مع جريدة "النديم" ومنهم الكاتب سمهري .
بيان للناس	"	"	2	يعد المقال محاولة لتفسير الآية (وجادلهم بالتي هي أحسن) ، ونرى من هذا المقال بداية احتجاج بعض الجزائريين على أسلوب التجريح الذي يتبعه كتاب جريدة "البرق" ضد خصومهم من أتباع الطريقة العليوية ، وهذا ما دفع بصاحب المقال - ونظنه محمد السعيد الزاهري - إلى توضيح رأيه في ذلك ، وقد وصل في مقاله إلى ضرورة الرد بالمثل وهذا هو معنى : (بالتي هي أحسن) .
الحكومة ومنكرات الزوايا	"	"	2	مقال في الإشادة ببعض رجال فرنسا الذين وقفوا ضد ضلالات الطريقة مثل : الكومنادو "بيرديرو" ببسكرة ، و"مالصو" بقسنطينة .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
لقد هزلت حتى بدا من هزالها .. كلاها وحتى سامها كل مفلس .	عبد ربه محمد الشريف الزهار إمام مسجد جدة الأشراف	"	"	3/2	مقال هجومي على ما نشرته جريدة "البلاغ" لإيقاع الفتنة بين "الزاوي" و"ابن باديس" وعلماء الإصلاح .
الرسائل الخاصة	أبو حفص الحمادي	"	"	3	هذه الرسالة دليل على اهتمام الصحافة العربية في الجزائر ومنها جريدة "البرق" بالرسائل التي كان علماء الإصلاح وأدباء الحركة الوطنية يتداولونها . وفي الرسالة : - دعوة خاصة إلى محمد السعيد الزاهري لكي يرد بلبين على أحمد توفيق المدني . - دعوة إلى العلماء المصلحين في الجزائر إلى رجم الجريدة الجديدة التي تنتصر للمحتل كما رجم العرب قديما الخائن "أبو رغال" .
حذار من الجلوس ... في بعض المقاهي الفرنسية	حسن	"	"	3	في المقال : حكاية ضباط من ضبط المحتل سب العرب والدين الإسلامي ، وقد تصدى له عضو عربي من أعضاء المحكمة . وفيه أيضا خبر تأسيس الجزائريين لـ (جمعية النادي العربي التبسي) ، ويدعو المقال في الختام الجزائريين في كل المناطق أن يؤسسوا الجمعيات والنوادي .
تنبيه إلى باعة	"	"	3	في الخبر دعوة من القائمين على جريدة "البرق" إلى الناس

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
البرق					حتى يكفوا عن الكيد لجريدة "وادي ميزاب" وذلك على أثر مقالات وردت
تلبية نداء البرق .. في سبيل شهيد عيد الوطنية	البرق	14	الاثنين 3 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 6 جوان 1927م	1	تعتبر هذه الأسماء وفاء للعهد الذي ألزمت جريدة "البرق" به نفسها ، وهي أسماء المواطنين الذين تبرعوا بأموالهم لشهيد عيد الوطنية مصطفى بن محمد المقتول بنيران المدفع بسكيكدة . ومن المتبرعين "محمد الهادي الزاهري" صاحب كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" .
استدراك على جساس أو احتجاج على (ديوان الصالحين)	الطيب العقبي	"	"	2	في المقال :- رفض للطيب العقبي لأن يكون الكاتب حوحو معه في جبهة محاربة الطريقة وذلك لتباين أفكارهما . - احتجاج على تسمية الطيب العقبي بالإمام . - إشارة قوية على أن محمد السعيد الزاهري كون حزبا سماه "ديوان الصالحين" .
اليوم أكتب	ابن الخطيب الجزائر	"	"	2 / 3	في المقال دعوتان : أولاها إلى أصحاب البدع بوجوب ترك الضلالات ، وثانيها إلى المصلحين بضرورة العدول عن سب الموتى
عالمية الغرباء الأزهرية	عن جريدة الشورى	"	"	3	في المقال دعوة إلى الأزهر بأن يعيد النظر في الشهادات التي يمنحها لطلبته .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
إلى شاعر الشيوخ	حسان بن ثابت	"	"	3	55 بيتا في مدح الشباب الجزائري الناهض .
سيدي عقبة إعلان شرعي	"	"	3	يأتي هذا الإعلان في إطار دعوة الناس إلى عدم التعامل مع الإخوة الثلاث : محمد الأمين و بركات وحسين وذلك بسبب سلوكياتهم .
خدام الغير	عتيد	15	الاثنين 19 ذي الحجة 1345هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م	1	يكشف هذا المقال القصير عن مقاومة أدباء الحركة الوطنية لسياسة التمييز العنصري التي يتعامل بها المحتل في الجزائر وتتمثل هذه العنصرية في جمع التبرعات لصالح الطيارين الفرنسيين ونسيان الجزائري مصطفى بن محمد . كما يظهر المقال التكافل الاجتماعي للشعب الجزائري في المحن والأزمات .
أين تذهب أموالنا ؟	الراصد الجزائر في 4 جوان 1927م	"	"	1	مقال سياسي يحتوي على : التعريف بالجمعية اليهودية (كيرد هايسود) ، و إظهار نشاط المحامي اليهودي (ناطان لابين) المفوض من طرف الجمعية المذكورة ووقد تمثل هذا النشاط في جمع الأموال لصالح إعانة معمرى أرض الميعاد . -
اتحاد نواب المجلس البلدي ببسكرة	عبابسة الأخضري	"	"	2/1	في المقال : - إبراز نفسية المعمر الشرهة لأراضي الجزائريين . - تجسيد شقاوة بعض الجزائريين على موائد القمار . - حقيقة سياسة المجالس البلدية .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
					- دعوة الكاتب النواب إلى تحمل مسؤوليتهم ، وإلى تأسيس حزب سياسي إلى جانب حزب (المعمرين) . ويرى الكاتب هذا العمل دليل التقدم واستحقاق الحياة أمام (المعمرين) .
ملوك الطوائف	عامري	"	"	2	في المقال : - أحقية الجزائري في أرضه أمام شراة المعمر الذي يزداد غنى بإفكار الشعب الجزائري وإذلاله . - أسباب بيع الجزائريين لأراضيهم الخصبة . وينتهي المقال بتعليق يبين فيه (البرق) أعمال المعمر "رذال" التخريبية ، واستغلاله لعرق جبين الجزائريين
ماهي حالة القبائل ؟	محي الدين - قسنطينة -	"	"	2	في هذا المقال تظهر مقاومة أدباء الحركة الوطنية لحركة التبشير في الجزائر وذلك من خلال : - التركيز على أسباب اهتمام الفرنسيين بمنطقة القبائل ومنهم "لافيجري" . - التنويه بمجهود الكاتب السيد "كامل بن سراج" في جريدة "التقدم" في هذا المجال . - دعوة الكاتب للجزائريين إلى مقاطعة الآباء البيض ، وتأسيس الجمعيات لإعانة الفقراء والمساكين ، واقتفاء أثر جمعية تأسست بمدينة جيجل لهذا الغرض . وختم المقال بعبارة لنابليون (كل أمة ليست لها دين فإنها كالمركب في لجم البحر بدون بوصلة) .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
في آذان الملاحدة الطرقيين فقط .	الصاعقة - بريد المغرب - فاس -	"	"	2	يظهر المقال شدة مقاومة الكاتب للطرقيين وشيوخهم ، والذين وصفهم بالخرافيين والملاحدة .
بريد الصحراء أضمرؤا خلاف ما أظهروا ففضحهم الله.	زهير الزاهري - ليانة - بسكرة -	"	"	3	يأتي المقال في مجال الرد على اتهامات الجرائد للعلماء المصلحين ومنهم الطيب العقبي ، وابن باديس .
قوارص - كلمة هازئة - في سبيل الدفاع - الوطنية الصادقة - شيعة الضلال - تنبيه - الكذب	تأبط شرًا	"	"	3	كل هذه القوارص في الحط من قيمة العلويين .
من الإدارة	"	"	3	يطلب محمد السعيد الزاهري في هذا الإعلان من الناس أن يكتبوه إلى عنوان جريدة "البرق" وذلك بمناسبة زيارته لمدينة قسنطينة .
سيدي عقبة إعلان شرعي	"	"	3	هذا الإعلان هو نفسه المثبت في العدد الرابع عشر .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
صحافتنا في خطر	البرق	16	الاثنين 26 ذي الحجة 1345 هـ لـ 27 جوان 1927م	1	هذا المقال عبارة عن رد جريدة :البرق" على "م رينو" النائب في البرلمان الفرنسي الذي طالب في جلسة للبرلمان بفرنسا بإصدار قانون يقضي بتعطيل الصحافة العربية في الجزائر . ويبدو أن المقال لمحمد السعيد الزاهري .
اكتتاب الجزائر - شهيد الوطنية البحري مصطفى بن محمد	البرق	"	"	1	ذكر لأسماء المتبرعين بالمال لفائدة الشهيد مصطفى بن محمد .
رأي حر - الجريدة اليومية	رقيب - الجزائر -	"	"	2/1	في المقال إظهار خطر اتفاق ممولي الجزائريين مع الحزب الاشتراكي في إصدار جريدة يومية تدعو الناس إلى الاشتراكية . وفي المقال ترحيب بالجريدة نفسها إذا كانت تخدم الوطن ، وامتناع من دعوتها إلى الاشتراكية .
النفوس المتمردة	أبو العزم	"	"	2	في المقال تجسيد لمعاناة المصلحين في المغرب الأقصى .
إليك يا قسنطينة	محمد بن يحيى الصقلي	"	"	3	يحتوي المقال على قصيدة شعرية في وصف مدينة قسنطينة .
الجزء الأول من تاريخ الجزائر القديم	مبارك الميلي	"	"	3	هذا تقديم لكتاب "تاريخ الجزائر الحديث" وعرض

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
والحديث					لمحتواه .
رجال البلاغ نومرو 23 المجوس الأبر	سمهري	"	"	3	في هذه الحكايات ذم للقائمين على جريدة "البلاغ" وافتراءاتهم .
إلى السادة المشتركون والباعة	"	"	3	هذا إعلان من إدارة جريدة "البرق" إلى المشتركين بأداء ما عليهم من مستحقات .
قوارص - فرنك بفرنك					تتعرض القارصة إلى أمانى أحد أبناء الزوايا في أن يعطيه المصلون المال. ليصبح غنيا .
- صاحب شعراء الجزائر - سيدي عقبة - إعلان - إصلاح غلط	"	"	3	إعلام القراء بانتقال "محمد الهادي الزاهري" صاحب كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" إلى مدينة قسنطينة قادما إليها من مدينة بسكرة .
إلى القراء	محمد الرحموني مدير البرق	17	الاثنين 5 محرم 1346هـ الموافق لـ 4 جويلية 1927	1	اعتذار "البرق" للقراء عن تأخر العدد السادس عشر وإشارة إلى حدوث خيانة كانت سببا في ذلك ، ووعد بتفصيل ذلك في الأعداد القادمة ، وتؤكد الإدارة أن جريدة "البرق" ستطبع بمطبعة النهضة بتونس ابتداء من هذا العدد 17 .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
تلبية نداء البرق قائمة المتبرعين بعين فكرون	"	"	1	تلبية الجزائريين لنداء جريدة "البرق" بإعانة عائلة الشهيد مصطفى بن محمد .
النيابة والشعور - بريد الجزائر-	غريب	"	"	1	المقال عبارة عن تحليل لصراع (المعمري) مع الحكومة الفرنسية حينما مالت هذه الأخيرة إلى إعطاء بعض الحقوق للجزائريين ، والمقال يندد بتقاعس النواب الجزائريين أمام غطرسة المعمرين ، وإسناد الحكومة
					الوظائف لليهود ، وعرقلة التعليم العربي . ويبدو أن المقال لمحمد السعيد الزاهري .
ذوو الأقدار	المسيح	"	"	1	في المقال أخبار عن أعيان العاصمة الذين يبذرون أموالهم في الحانات والقمار ، وفي تكريم المغنيين والمغنيات ، وإشارات لبؤس الجزائريين وشقائهم .
رأي حر عن الجريدة اليومية	رقيب	"	"	2/1	يبرز المقال ما يلي : إصدار الحزب الاشتراكي لجريدة يومية وإسناد قسم السياسة الجزائرية فيها إلى رجل متفرنج جاهل بقواعد الكتابة . يظهر من خلال المقال أن الحزب الاشتراكي يعتمد على شرار المسلمين والإسرائيليين في تمويل الجريدة الجديدة التي أصدرها . وفي المقال أيضا تنبيه الجزائريين إلى خطر هذه الجريدة .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
سدراتة استعمار فوق الأرض وتحتها .	جماعة من الأهالي - سدراتة -	"	"	2	هذا المقال يوضح أن تراب أرضية المقبرة تتعرض للنهب في مدينة "سدراته" لغرض أشغال الطريق ، وأن أشلاء الموتى تتناثر أمام الجرافة الفرنسية ما هو إلا صورة من ظلم الاحتلال للسكان .
أضمرؤا خلاف ما أظهروا ففضحهم الله - 2 -	زهير الزاهري أحد تلاميذ الطيب العقبي	"	"	2	يبرز المقال جملة من المفاهيم منها : تناقض آراء العلويين - الإقرار بأن زعيم المصلحين هو ابن باديس - إقرار العلويين بأن الله حل في شيخهم . وقد أتبع المقال بتنويه لعائلة الزاهري الكبيرة وباتهام العلويين بتبني أفكار القاديانية .
رجال البلاغ نومرو 24 - الوغد الفرد - الربّي اسكيرج - اليقاش البليدي - الفاسي المفلق .	سمهري	"	"	3/2	هذه أحاديث قصصية تشبه قوارص محمد السعيد الزاهري ، ومضمونها عبارة عن تهجم الكاتب على أتباع الطريقة العلوية .
الكلاب على البقر - رواية مضطربة	سمهري	"	"	3	في الرواية ذكر لأسماء العلويين وكتاب جريدة "البلاغ" وفضح نفاقهم وخبثهم وتحايلهم على الناس .
جريدة الإصلاح	البرق	"	"	3	خبر إصدار الطيب العقبي لجريدة سماها "الإصلاح" .
يقولون وأقول	الطيب العقبي	"	"		مقال كان ينشره صاحبه بجريدة "الشهاب" ، وقد توقف

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
				3	بسبب أن "الشهاب" (أحدثت في دينها ما ليس منه) . وقد تمنت جريدة "البرق" أن يستمر نشره لأن "الشهاب" قد (جنح إلى الإنابة. والمتاب.) ومضمون المقال : رد الطيب العقبي على أقوال الطرقيين .
تقويم الأخلاق	البرق	"	"	3	كان هذا إعلان عن تأليف الشيخ محمد العابد الجليلي لكتاب " تقويم الأخلاق " ومواضيعه تدور حول جغرافية الجزائر ، والميقات ، وتراجم رجال الوطن ، مع عرض لصورهم وهم : عمر راسم ، والدكتور بن العربي ، والشيخ بن جلول مولاي ، وعلي محمد كباش ، والفرقد . ومن مواضيع هذا الأخير : الأدب الجزائري قديما وحديثا ، جراب الحكمة ، الأخلاق والآداب الإسلامية .
العربية والنواب	محمد السعيد الزاهري	18	الاثنين 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927م	1	مقال سياسي جريء في حق نواب الأمة الجزائرية ، ويرى الكاتب من خلاله أن هؤلاء النواب يشغلون ربع المقاعد ، ويجهلون اللغة العربية كجهلهم بأحوال الأمة ، ومنهم من يجهل اللغة العربية والفرنسية وأحوال الأمة معا . ولذلك يدعو الجزائريين إلى الإحجام عن الانتخابات في المستقبل حتى لا تكون النتائج عليهم . وفي المقال محاربة لمسألة التجنس ، وإقرار بأن الجزائر فقيرة من الرجال الأكفاء

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
				1	في المقال أسباب إحجام جريدة "البرق" عن الرد على أقوال "أحم توفيق المدني" الجارحة لشعور الجزائريين وذلك حينما اعتبر نهضتهم فتنة . وفي المقال أيضا دعوة من الكاتب إلى "أحمد توفيق المدني" للتخلي عن الروح الضيقة .
الدكتور بن التهامي	البرق	"	"	1	هذا المقال رد على ما نشر في جريدة "التقدم" ، وفيه اتهام للنائب ابن التهامي ب : - العمل على إعادة قانون الأندجينا . - محاربة الوطنيين الأحرار . - أنه كان السبب في سجن عمر راسم . ومن وراء نفي الأمير خالد . وفي رأينا أن المقال لمحمد السعيد الزاهري
بريد الجزائر 3 جويلية 1927 م	مكاتب البرق	"	"	2	اعتبرنا هذا الموضوع رسالة لاحتوائه على خصائص هذا الفن ، وينتقد فيها صاحبها بعض مواقف النائب "ابن التهامي" الذي تحامل على "عمر راسم" في جريدة "التقدم" ، ويكشف عن استماتة هذا النائب في الدفاع عن قانون التجنس والعمل على إدخال عمر راسم إلى السجن ونفي الأمير خالد. ويبدو أن المقال لمحمد السعيد الزاهري
لا يسأل عما يفعل	مكاتب البرق السياسي	"	"	2	جاء هذا المقال للرد على ما يكتبه النائب "ابن التهامي" من انتقادات للشيخ عمر راسم . ويبدو أن المقال لمحمد السعيد الزاهري .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
	الخاص				
تكريم شوقي بالجزائر .	حسن وارزقي	"	"	2	أقطار الأمة العربية . هناك إشارة إلى قصيدة أعدها السعيد الزاهري ليلقيها في هذا الاحتفال وقد ثبت الكاتب ثلاثة أبيات منها وأشار إلى أنها (تتدفق إحساسا وشعورا وتصور لك صورة الجزائر اليوم كما هي تصويرا صادقا مؤلما .
رسالة مفتوحة إلى الراهب الكبير المعلم "فريدمان" رئيس الطائفة اليهودية في شمال أفريقيا	ابن الجزائر	"	"	3/2	في هذه الرسالة حقائق تاريخية منها : أن تجار اليهود أصبحت لهم سطوة على الجزائريين حتى بلغ بهم الحد إلى احتقارهم وإذلالهم وتكليفهم بالأعمال الشاقة . كما أن المقال يحتوي على تحذير شديد من الكاتب إلى الراهب رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي وذلك بهدف التدخل لدى اليهود حتى يعاملوا الجزائريين معاملة أبناء الوطن وحتى لا يؤدي ذلك إلى تعصب الجزائريين ومقاطعة اقتصاد اليهود . والملاحظة هي أن الرسالة للسعيد الزاهري وكتبت لتنتشر في جريدة "الجزائر" سنة 1925م ولكنها لم تر النور بسبب التعطيل الذي لحقها

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
الرسائل الخاصة	جساس	"	"	3	يبدو من الرسالة أن أدباء الحركة الوطنية كانوا يعالجون قضايا وطنهم حتى في رسائلهم الشخصية . وفي الرسالة إشارة إلى أن محمد السعيد الزاهري كان يطبع جريدته "الجزائر" بمطبعة أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العلوية وأن العلاقة بينهما كانت حميمة .
أولاد جلال مع الشيخ عبد الحميد شيخ الزاوية	ابن الحاج	"	"	3	يأتي هذا المقال للكشف عن حيل شيخ زاوية في جمع الأموال .
المرءاة	"	"	3	يكشف المقال شراسة المعركة القلمية بين جماعة المصلحين من جهة ، وكتاب الطريقة العلوية من جهة أخرى .
الأستاذ الزاهري	البرق	19	الاثنين 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927	1	حياة محمد السعيد الزاهري في سطور .
الزاهري بالأغواط	جماعة أولياء التلاميذ الأغواط	"	"	1	المقال حافل بأحداث محمد السعيد الزاهري أثناء وجوده بالأغواط معلما في المدرسة التي أنشأها وفتح أبوابها أمام الأطفال .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
ابن زاوية متحيل وقائد خوون	خبير	"	"	2/1	يكشف هذا المقال عن تحايل أبناء الزوايا ومساندة (القايد) لهم .
لا علم عنده	ابن أدهم القسنطيني	"	"	2	جاء المقال ليصور انهزام زعيم العلويين أمام الإصلاحيين .
هل انتخب الرئيس ؟	يعلى الشهابي - طانجة -	"	"	2	في المقال انتقاد للكتاب جريدة "البلاغ" .
إلى المشتركين الكرام	"	"	2	دعوة المشتركين لدفع المستحقات المالية لجريدة "البرق" .
من القرارة	الطرابلسي	"	"	2	يدعو صاحب المقال الأمة إلى التخلص من الإسرائيليات ، والهجوم على من ينشر الخرافات والبدع .
المرعاة - الوباء العلوي - البرق اللامع	الطولقي	"	"	3/2	يذكر المقال نشاط الآباء البيض بمنطقة القبائل ، ويربط بين المسيحية والعلوية في الأهداف المنشودة .
مقدمة تاريخ الإسلام	"	"	3	إشهار لكتاب " مقدمة تاريخ الإسلام " باللغة الفرنسية للعلامة الفيلسوف الكبير " عبد الرحمان بن الحفاف" .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
					الجزائري ، وعرض لمضمونه المتمثل في رد الشبهات حول الإسلام بالحجج الدامغة .
قوارص - زيارة جديدة الغوث - خصام عنيف - غرق - صالح بن سعيد	"	"	3	كل القوارص في ذم العليويين ، وكشف علاقتهم بالمحتل .
سياحة	سائح	"	"	3	يطلع هذا المقال كل الناس على أحوال المصلحين في فرفار وطولقة والبرج ، ويذكر لهم تعدي بعض الناس على حرمات المساجد ، وينتهي المقال إلى (وهل أضاع الإسلام إلا موظف ظالم وصوفي طامع وفقه جامد ؟)
- شؤون - ابن باديس - كوميسار جائر - الاحتلال	محرر البرق	20	الاثنين 26 محرم 1346هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927م	1	تؤكد هذه العناوين الثلاثة بؤس الشعب الجزائري بسبب لامبالاة نوابهم ، وظلم مسئوليتهم ، وحيل أئمة بعض المساجد .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
مظاهر العدل في خفايا الإدارة	محمد العابد الجيلالي	"	"	1	في المقال القصير جزاء جزائري تظلم لدى الإدارة فرنسية . وفيه أيضا تجسيد لضيق صدور الجزائريين من مظالم المحتل في كل ساعة وكل مكان . مع تعليق لجريدة "البرق" على الحادثة التي تضمنها المقال
الحلول ...					يذكر المقال أن الكثير من الطرقيين حضروا حفلة ساهرة أقامتها مغنية راقصة ، وقد زعموا أنهم رأوا الله مجسدا في جمال المغنية .
الصهيونية	مكاتب البرق السياسي . - الراصد - الجزائر	"	"	2	نستشف من المقال أن محمد السعيد الزاهري متشيع لأفكار عمر راسم ، وأن توقعاته في مسألة فلسطين قد تحققت . ومن ناحية أخرى تتجلى سعة إطلاعه واهتمامه بقضايا الأمة العربية والإسلامية .
إلى التقدم	مكاتب البرق السياسي الخاص - الجزائر -	"	"	2	ابرز ما في هذا المقال هو : حقيقة النائب ابن التهامي المتعصب لإعادة العمل بقانون التجنس والعسكرية .
سيدي عقبة	عبد الله	"	"	2	في الخبر : تأثر المحصول الزراعي في بلدية سيدي عقبة بالجفاف .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
الزقم والجور والاضطهاد	السلمي سالم	"	"	2	"الزقم" شيخ البلدة المتسلط على رقاب الجزائريين . وقد تمنى الكاتب أن تضع السلطة الفرنسية حدا لهذا الشيخ الذي أثقل كاهل الناس بالغرامات والضرب والشتم .
ها قد جئت	مصطفى بن شعبان	"	"	3/2	مقال يشيد بجريدة "البرق" الحاملة للواء الهجوم على الطريقة ، وينتقد تراجع "عمر بن قدور" عن خطته في التصدي للطريقة .
الشعر الفحل في الرد على عصابة الباطل والجهل	عبابسة الأخضرى	"	"	3	قصيدة طويلة مكونة من 57 بيتا تهجو أتباع الطريقة العلوية وجرائدهم ، وتشيد بالمصلحين وجرائدهم .
نصر من الله وفتح قريب	"	"	3	في المقال تهجم على الطرفين ، وإشادة ببيضاوي ، والطيب العقبي ، وتأبط شرا
الرسائل الخاصة	جساس	21	الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927م	1	في الرسالة حقائق كثيرة منها : - أسباب شقاوة الجزائريين في العصر الحاضر . - صورة الفلاحة والصناعة والتجارة الجزائرية في ظل الاحتلال . - دعوة الكاتب للعمل على استرداد مكانة الجزائر الاقتصادية .
من الحراش	الحراشيون	"	"	2	يكشف المقال عن تهديد النائب "ابن التهامي" بمحاكمة محمد السعيد الزاهري وتوقيف أو تعطيل جريدة "البرق" .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
من البرج - طولقة -	سائح	"	"	2	يوجه الكاتب إصبع الاتهام إلى المدعو "الطيب بن زغاد" في توسيع بستانه على حساب مساحة المسجد ، ويشيد بما فعله حاكم طولقة الذي منع الناس من فعل بدعة في عيد النحر .
المعركة الاقتصادية	السيبوسي	"	"		ينسب المقال فقر الجزائريين إلى سياسة المحتل الاقتصادية ، ويحذر من انفجار اجتماعي وشيك .
العالم الباطني ؟ - قسنطينة -		"	"		في المقال سخريّة من أحد أئمة أتباع الطريقة العليوية لطلبه منصب الإفتاء بقالمة ولم يحصل عليه .
الجمعية الخيرية الإسلامية الجزائرية بتونس	مسلم	"	"	2	التعريف بأعمال الجمعية الإسلامية الخيرية الجزائرية بتونس
ما هكذا يا فتى ؟	ابن أدهم	"	"	2	في المقال دعوتان ، أولاهما إلى حسن استعمال الفنون من مسرح وموسيقى لبعث النهضة الجزائرية ، وثانيهما للعزوف عن تقديس الأماكن التي لا تنفع ولا تضر.
سخافة العليويين	محمد التهامي الوافي	"	"	3	اعتبرنا الموضوع رسالة لاحتوائه على خصائص هذا الفن وفيها تعريف بأعمال الجمعية الإسلامية الخيرية الجزائرية بتونس .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
قوارص - إمام عليوي - العليوي الخاسر - العليوي والعلمي - وقاحة - صدقت... - عوق	"	"	3	هذه القوارص مؤذية وموجهة إلى زعماء الطريقة .
الخرافات والتعصب الأعمى - محاولة اغتيال صحفي أهلي - جناية منوم تدجيل وشعوذة	ن . ل	22	الاثنين 10 صفر الخير 1346هـ الموافق لـ 8 أوت 1927م	1	مقال مترجم عن جريدة (لاديباش) يسرد رواية محاولة اغتيال ابن باديس وأسباب المؤامرة ، ومن يقف وراءها .
طلبات	محمد الشيخ ابلول	"	"	2/1	يبين الخبر أن لجريدة "البرق" مقرونية بفرنسا .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
إليكم يا معشر الشباب	عبد الغني بن رابح العقبي	"	"	2	في المقال دعوتان ، أولاهما موجهة إلى الآباء تطلب منهم تربية أبنائهم لأنهم جيل المستقبل وعماد الأمة ، وثانيهما موجهة إلى الأبناء تحثهم على استغلال الوقت من أجل الجزائر .
طنين الذباب	زاجر	"	"	2	في المقال تهجم على حاكم بسكرة (زورقال) وأتباعه الذين يعينونه على الفساد وظلم الجزائريين . ويبدو أن المقال للسعيد الزاهري .
فرنسا في الجزائر	من جريدة الشورى علي عبد الرزاق	"	"	2	المقال للكاتب "علي عبد الرزاق" المصري يدعي فيه بأن الجزائر أحسن قطعة فرنسية ، ويتهم فيها الجزائريين بالوحشية ، لذلك يخشى أن يقول عنهم "كانوا يحكمون الجزائر" . ويفند "البرق" ما جاء في المقال ويصفه بأنه كذب وافتراء ، ويعد بالرد عليه بمقال عن السياحة في الجزائر .
حديث اليوم	حيدر	"	"	3/2	يبدو أن المقال لمحمد السعيد الزاهري لشدة لهجته ، وبذاءة قوله ، وأسلوبه الساخر من أعمال الطرقيين والعلويين .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
قوارص - الشيخ والكلاب - رحمة الله - في الإدارة - الهجاء الحلو - قضية - خبر	"	"	3	أخبار عن الطرقيين والعلويين والتشهير بأعمالهم المخزية .
نصر من الله وفتح قريب	أخوه ... السموأل	"	"	3	تطرق الكاتب في مقاله إلى علاقة الطرقيين بالمسيحيين في الجزائر .
الانتفاعيون	عبد الله - طولقة -				في المقال تأكيد لما أخبرت به جريدة "البرق" عن حاكم بسكرة (روزفال) .
الألمان والإنجليز رجعيون	لعطوفة أمير البيان شكيب أرسلان	23	الاثنين 17 صفر الخير 1346هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م	1	يكشف المقال عن أن ثقافة الألمان والإنجليز قائمة على أساس الدين المسيحي ، والكلام موجه إلى ملاحدة أنقرة وأذئابهم في مصر وسوريا والعراق ، وكل الذين يرون الخروج عن الأصل والانسلاخ عن التقاليد تقدم ومدنية
نقد وتحليل . أردنا ناديا وأرادوا مخمرة .	مشرح		"	1	يدور الحديث في المقال عن ضرورة وجود نواد يؤمها الجزائريون لأنها تؤدي إلى التقليل من الآفات الاجتماعية .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
لا من هؤلاء ولا من هؤلاء .	مسلم غيور	"	"	2	في المقال تصريح باسم الشخص الذي كان وراء وجود نادي الترقى وهو السيد "بن التركي المحفوظ" ، وتصريح آخر بأسماء المصلحين الذين نددوا ببيع الخمر في هذا النادي .
القومية في الأدب والتاريخ	محمد صبري	"	"	2	يتعرض المقال إلى حقيقة القومية ودورها في التصدي للمستعمرين .
قوارص - إفلاس - عزم - على الطائر الميمون - بولحية - جناية اللحية - بلا لحية - يوما ويوما	تأبط شرا	"	"	2	قارصة إفلاس في غاية السخرية والتهكم من أتباع الطريقة العليوية .
رأيت بعيني	محمد السعيد الزاهري	"	"	2	في المقال دحض لمزاعم النائب ابن التهامي الذي ادعى بأنه ساهم في بناء المستشفى ، وأن المرض فيه من أطفال الجزائريين والفرنسيين على حد سواء .
بنات الصدور	خليل غريب	"	"	2	قصيدة شعرية .
ابن السعود	"	"	2	خبر محاولة اغتيال "ابن السعود" بأرض الحجاز واعتقال المتهمين .
إلى الضال المضل	ج . ح	"	"	2	في المقال لإظهار حاجة الجزائر الماسة إلى المصلحين .

عنوان الموضوع	الكاتب	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظات
بشرى بفاجعة	نائبكم المرتد عن دينكم - قسطنطينة	"	"	2	خبر الحجر على جريدة "البلاغ" العليوية من الدخول إلى المغرب .
تركيا الاقتصادية والمالية .	محمد عبد الله عنان	"	"	3/2	يرصد المقال حالة تركيا الاقتصادية والمالية .
تصريحات المفوض الفرنسي في سوريا	مراسل السياسة الخاص - جريدة النهضة -	"	"	3	يبدو أن المقال لمحمد السعيد الزاهري وقد نشر على صفحات جريدة "النهضة" ، وفيه إشادة بالمواقف الثابتة للوطنيين إزاء السياسة الفرنسية في عهد الحاكم (غورو) .
الدّهر كفيل بتنبيه النّيام (إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء)	رمضان حمود - غيليزان - 29 جويلية 1927م	"	"	3	(18) ثمانية عشر بيتا ينعي فيها الشاعر الأمة التي لا تريد النهوض رغم صيحات علمائها .

أ- الأشكال والقوالب الكتابية لجريدة "البرق":

بعد عرض المحتوى العام لجريدة "البرق" الأسبوعية ، لـ محمد السعيد الزاهري الصادرة عام 1927م ، بمدينة قسنطينة ، بدءاً من العدد الأول المؤرخ يوم الاثنين 3 رمضان 1345هـ الموافق لـ 7 مارس 1927م ، وانتهاء بآخر عدد منها ليوم الاثنين 1 صفر الخير 1346هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م ، يمكن الوصول إلى معرفة أنماط الكتابة السائدة على صفحاتها ، وهذا يبين لنا مدى اهتمام الكتاب وأدباء الحركة الوطنية الجزائرية بقوالب الكتابة الأدبية وغير الأدبية لفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى .

وقد وجدنا هذه الأشكال مختلفة ومتفاوتة الحضور في جريدة "البرق" كما هي مبينة في الجداول السابقة إجمالاً ، وهذه بعض تفاصيل ذلك :

يجدر بنا قبل عرض الأنماط والأشكال التي أشرت إليها قبل قليل في الجداول أن نعرف ببعض المصطلحات الخاصة في هذا الشأن :

الأنماط : نمط تنميطة لفلان الشيء وعلى الشيء : دله عليه ، أنمط عليه . أنمط له العطاء : أقله . النمط : جماعة من الناس أمرهم واحد . جمع أنماط ونمط ، والنسبة أنماطيّ ، ونمطيّ . الطريقة والمذهب والنوع من الشيء . يقال : هذا من نمط هذا ... ما عنده نمط من العلم أي نوع منه . الأنمط : الطريقة .¹

والمقصود بالأنماط في بحثنا لا يخرج عن هذا التعريف ، إذ نقصد به الأشكال والقوالب الكتابية الصحفية والأدبية التي تحمل المضمون الصحفي أو الفني المقدم للقراء . وتختلف هذه (الأنماط) وتلك القوالب الصحفية إلى الخبر والمقال والتحقيق والتقارير والحديث الصحفي أما القوالب والأنماط الأدبية فهي القصيدة والحكاية والقصة وغيرها .

التحرير الصحفي : يقول ابن منظور عن معنى تحرير الكتابة بأنها : إقامة حروفها وإصلاح السقط² . ولأن مجال بحثنا لا يسمح بعرض آراء الباحثين الكثيرة في معنى التحرير الصحفي فإننا نورد ما قاله الدكتور شعيب الغباشي ، من أن التحرير الصحفي

¹ - المنجد في اللغة والأعلام ، ط 31 ، دار المشرق بيروت - لبنان - 1991 م ، ص 839 .

² - ابن منظور ، لسان العرب ، دار لسان العرب ، لبنان ، 1970 م ، ص 831 .

هو : العملية التي يتم من خلالها عرض الأحداث والقضايا والموضوعات المتنوعة ، وتقديمها للقراء عبر الصحيفة ، وذلك من خلال استخدام الأشكال والأنماط التحريرية المختلفة¹ .

إن القالب الأكثر تناسبا من غيره لمثل جريدة "البرق" هو القالب الصحفي - وفي ظننا - لأن الجريدة نشطت في بيئة استعمارية ، وكانت جريدة رأي مقاوم للاحتلال الفرنسي وأتباعه ، ومن جهة أخرى فهي أسبوعية وبحاجة ماسة إلى الحديث الخبيري ، والمقال النقدي ، والأدبي ، والسياسي ، والاجتماعي ، والديني ، إذ أن المقال الصحفي يعطي للصحيفة الأسبوعية أو الشهرية الفرصة للتعبير عن رؤيتها الخاصة للأحداث ، وذلك من خلال شرحها وتفسيرها لهذه الأحداث من منطلق تلك الرؤية ، والتعليق عليها بما يكشف عن أبعادها ودلالاتها المختلفة² . وتبلغ عدد موضوعات القوالب والأشكال التي تضمنتها جميع أعداد جريدة "البرق" ستة ومائتين موضوع (206) ، وذلك بمعدل تسعة مواضيع لكل عدد .

وإذا قصدنا بالمقال الصحفي - غير الخبيري - تلك الفكرة التي يقتنصها الصحفي من خلال معاشته الكاملة للأنباء والآراء والقضايا والاتجاهات والمواقف والمشكلات المؤثرة على القراءة وفي حركة المجتمع ، يقوم بعرضها وشرحها وتأييدها أو معارضتها ، في لغة واضحة ، وأسلوب يعكس شخصيته وفكره ، وتنشر في الوقت المناسب ، وفي حجم يتلاءم مع نوعيتها وأهميتها ونتائجها المستهدفة³ . أو هو الوسيلة التي تعبر بشكل مباشر عن سياسة الصحيفة وعن آراء بعض كتّابها في الأحداث اليومية الجارية ، وفي القضايا التي تشغل الرأي العام والدولي ، فيأتي المقال في مقدمة الأشكال والأنماط المشكلة لمادة جريدة "البرق" . فقد وصل إلى ثمانية ومائة موضوع (108) ، بمعدل أربع مقالات (04) - تقريبا - لكل عدد . وإذا تساءلنا عن مكانة محمد السعيد الزاهري في

¹ - الغباشي، شعيب ، صحافة الإخوان المسلمين دراسة في الأصول والفنون ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة - مصر - 2004 م ، ص 11 .

² - الغباشي ، شعيب ، صحافة الإخوان المسلمين دراسة في الأصول والفنون ، نقلا عن سلامة عبده ، التحرير الصحفي في المجالات الإسلامية المتخصصة خلال العقود الثامن والتاسع من القرن العشرين ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام جامعة القاهرة - مصر - ص 62 .

³ - محمود ، أدهم ، الأسس الفنية للتحرير الصحفي العام ، الطبعة الأولى الناشر المؤلف ، 1984 م . ص 180 .

الكتابة ضمن هذه الصحيفة ، فإننا نجد له أربعين موضوعا ما بين المقال الصحفي والتحليلي والنقدي والأدبي . وهذا يكشف عن المجهود الكتابي الفكري والأدبي والصحفي لهذا الأديب في محاولة إنجاح المسار الصحفي في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى .

وإذا كان المقصود بالخبر الصحفي هو : تلك المعلومات الدقيقة والصادقة التي تصف وتشرح (واقعة) جرت لأول مرة ، وتهم فئة من الفئات ، أو جماعة من الجماعات، أو أنه (تقرير) عن حدث لم يكن معروفا عند الناس من قبل ، جمع بدقة من مصادر موثوق بصحتها على أن يتناول كتابته محررون متخصصون في العمل الصحفي¹ . فإن جريدة "البرق" قد أولت لهذا النوع من الكتابة اهتماما كبيرا بحيث نجدها قد تضمنت أربعة وعشرين (24) خبرا متنوعا ، وهذا إذا استثنينا الإعلانات الإشهارية سواء التي تتعلق بقدوم العلماء إلى مدينة قسنطينة ، مثل قدوم الشاعر محمد الهادي الزاهري من مدينة بسكرة إلى مدينة قسنطينة ، أو ما تعلق بإصدارات الكتب والجرائد مثل دعوة جمهور القراء إلى اقتناء كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" مثلا .

وبخصوص فن الرسائل فقد احتوت جريدة "البرق" أيضا على عشر (10) رسائل منها ما كانت بين العلماء ، ورأى البعض منهم ضرورة نشرها على صفحات الجرائد لفوائدها مثل رسالة محمد السعيد الزاهري إلى أبي حفص الحمادي ، ومنها ما كانت الجريدة عبارة عن مساحة تبادل من خلالها الكتاب أفكارهم مثل رسالة إلى الأخوين بيضاوي وتأبط شرا .

أما فن السيرة فهو الآخر كان حاضرا ، حيث أبدى من خلاله أدباء الحركة الوطنية وكتابها مقاومتهم للأفكار الهدامة التي روجتها بعض الطرق مثل الطريقة العليوية . وقد بلغ عدد هذه السير ستة (06) رسائل في مواضيع مختلفة .

¹ - الغياشي شعيب ، صحافة الإخوان المسلمين دراسة في الأصول والفنون ، نقلا عن كرم شبلي ، الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية ، ص 115 .

و الشعر من الأشكال الأدبية الأخرى التي احتلت مكانة في جريدة "البرق" .
فالقصيدة العربية حاضرة هي الأخرى ، وجلها من إمضاء الشعراء الجزائريين . ومجموع
ما نشر في هذه الجريدة أحد عشر (11) قصيدة كلها عمودية . وهذا جدول لتوضيح
المحتويات ونسبها :

مجموع الأشكال والأنماط	206	
المقال الصحفي	108	52.24%
النقدي	22	10.7%
السياسي	28	13.6%
الديني	15	7.3%
الاقتصادي	05	2.4%
الاجتماعي	11	5.3%
القصائد	11	5.3%
السير	06	2.9%
الرسائل	10	4.9%
كتابات محمد السعيد الزاهري	40	19.4%

نماذج من الأشكال الكتابية في جريدة "البرق" :

1- المقال الافتتاحي :

ما لاحظناه على كتابات جريدة "البرق" هو أنها تضمنت مقالا افتتاحيا واحدا ،
في العدد الأول فقط . ويعتبر "المقال الافتتاحي" أحد أنواع المقال الصحفي الذي يعبر عن
سياسة الجريدة ورؤيتها للأحداث ، والذي يعتمد على الشرح والتفسير والإيضاح ،
والمؤيد بالحجج والبراهين والإحصاءات والبيانات للوصول في نهاية الأمر إلى إقناع

القارئ وكسب تأييده¹. إن المقال بصفة عامة كما عرفه بعض النقاد هو (قطعة نثرية محدودة الطول والموضوع ، يكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق ، وشرطه الأول أن يكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب)². لكننا سنجد المقال الافتتاحي الوحيد في الجريدة والموسوم بـ "الفتاحة" يختلف بعض الشيء في كونه لم يوقع باسم كاتبه لأنه يعبر عن رأي الجريدة لا رأي صاحبه ، فقد رسم هذا المقال المنهج العام لسياسة الجريدة . وفي ظننا أن المقال لمحمد السعيد الزاهري ، ونحن في هذا الظن نؤيد ما أشار إليه محمد ناصر في كتابه (المقالة الصحفية -نشأتها وتطورها وأعلامها ، من 1903م إلى 1931م .

جاء المقال بعنوان "الفتاحة"³ تيمناً باسم سورة من سور القرآن الكريم هي سورة الفاتحة ، والعنوان يشير إلى تأثير محمد السعيد الزاهري خريج الزيتونة بأسلوب القرآن والتراث الإسلامي عموماً .

وبعد البسلة حدد الكاتب موقفه من أمته قائلاً : (باسم الله أستعين على خدمة هذا الشعب بما أنا أهله ، وبما أوتيت من موهبة ونبوغ ، فلا أدع طريقاً من الطرق إلى نفع أمي إلا سلكته ولا وسيلة توفي على خير البلاد إلا اتبعتها)⁴. ثم تطرق في فقرة أخرى إلى مهنة الصحافة فوضح اعتقاده فيها ، وحجم انتفاع الأمم من أقلام كتابها ، فقال : (سأخدم أمي وأنا أعتقد أن الصحافة مهنة شريفة ، وأنه ليس كمثلهما من سبيل إلى نفع الأمة ، وأنه ليس كمثلهما أقلام الكتاب من رافع لشأن الشعوب ، ولم يكن زعيم من الزعماء بقادر على أن يغني عن أمته شيئاً إذا لم يكن في نصرته قلم مبین)⁵.

ويرى الزاهري بعد ذلك في مقاله هذا أن الصحافة ليست من اختراع المدنية الحديثة ، لأنها أمر طبيعي لكل أمة من الأمم ، وصفة نفسانية لكل شعب . ويكمن الفرق بين صحافة القديم وصحافة الحديث في الاسم فقط ، فالشعر قديماً هو الصحافة

¹ - الغباشي شعيب ، صحافة الإخوان المسلمين دراسة في الأصول والفنون ، نقلاً عن ، إبراهيم إمام ، دراسات في الفن الصحفي ، مكتبة الأنجلومصرية الطبعة الأولى ، القاهرة - مصر - ص 64 .

² - نجم ، محمد يوسف ، فن المقال ، ط 4 ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت - لبنان - د ت . ص 95 .

³ - التحرير " الفتاحة " البرق ، العدد 1 ، بتاريخ 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927م ، ص 1 .

⁴ - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

⁵ - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

حديثا وما الصحفيون اليوم إلا شعراء في القديم . وأيد الكاتب رأيه بقوله : "لقد كانت العرب تسمي الشعراء ألسنة القبائل ، كما نسمي نحن الصحفيين ألسنة الأمم ، سواء بسواء ، وإذا كان هناك فرق بين الشعراء والصحافة اليوم ، فليس هناك من فرق بين شعر الجاهلية وبين الصحافة"¹ ثم دلل على هذا الرأي بقوله : "مليء شعر الجاهلية بأيام العرب وأخبار الحروب والفخر والدفاع وما إلى ذلك من موضوعات الصحف في هذا اليوم ، وللصحافة في الدين مكانة معتبرة فلقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة شعراء ينافحون عنه وما هم إلا كبريات صحف هذا العصر"².

بعد أن بين الزاهري موقفه من مهنة الصحافة ، حدد رأيه من تعدد وجهات النظر واختلافها لدى الكتاب من حيث حاجة الأمة الجزائرية إلى أنواعها الدينية والسياسية ، وكان هذا الرأي هو : "وأنا لا أرى وجهها من وجوه الصحافة أحق بالتقديم من سواه ، فكما أننا محتاجون إلى الصحف السياسية ، محتاجون إلى الصحف الدينية وغير ذلك"³.

كانت خاتمة المقال تلخيصا لنقاط الخطة المستقبلية لجريدة "البرق" وهي :

- الاهتمام بالتجارة وأسعار السوق .
- الاعتناء بالحوادث الأليمة للجزائريين .
- انتقاد بعض الشخصيات البارزة انتقادا عفيفا لا يقصد منه غير التهذيب .
- الاعتناء بالأدب العربي .

2- نموذج من الخبر الصحفي :

إن الأحداث الأليمة التي ذهب ضحيتها المواطن الجزائري في ظل المحتل الفرنسي وأيام الكاتب محمد السعيد الزاهري كثيرة ، منها هذا الخبر الذي نقله الكاتب (محمد بن العابد الجيلالي) من محطة القطار بمدينة قسنطينة ، وأرسل به إلى جريدة "البرق" ، العدد 20 العشرين ، تحت عنوان "مظاهر العدل في خفايا الإدارة" . بدأ الكاتب خبره بذكر تاريخ الحادثة ومكانها ، والشخصية التي تعرضت لظلم أحد المعمرين . فكان اليوم

¹ - المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

² - المرجع السابق ، ص ن .

³ - م ن ، ص ن .

الثالث عشر من شهر جويلية ، والمكان هو محطة القطار أين يتواجد الحمالون ، أما المعتدى عليه فمواطن جزائري اسمه أحمد الأخضر حارس بفندق بن شريف ، كان ينتظر دوره ، والمعتدي هو أحد ملوك المعمرين . وتمثلت حادثة الاعتداء في الصورة التي أوردتها الكاتب حين : (.... إذ دخل أحد ملوك المعمرين من عملة (لافي) الطحان ، فدفع ذلك الحمال عن موقفه وتقدم إليه بدون اكتراث . إلا أن ذلك الأهلي العاصي الثائر قد أساء الأدب مع سيده ومالك رقبته بقوله : إني سابقك - بلسانه فقط - فلم يتوقف ذلك الملك العادل أن عقد جمعه ونزل عليه بضربة كادت تذهب بعينه اليسرى لولا أن الله سلم)¹. ويواصل الكاتب خبره باستشارة الحاضرين على المعتدى عليه بأن يشتكي إلى الإدارة ليأخذ حقه من الظالم ، ويذهب هذا الأخير إلى مقر الإدارة التي لم تعره أي اهتمام ، ولم تسمع لمظلمته بل تركته واقفا لساعات طويلة . قال الكاتب : (وفي الأخير أدرك غلطه وخرج يتعثر في أذيال خييته مهضوم الحق منهك الجسم)². وبعد أن بين الكاتب الوضعية المزرية للجزائري في ظل إدارة المحتل الفرنسي ختم مقاله بتساؤل استنكاري وجهه إلى القارئ قائلا : (أجبن - بحياتك - أيها القارئ الكريم عن ما هي الوسيلة التي ينبغي لنا اتخاذها وأخذ حقوقنا ؟)³ .

ومثل هذه الحوادث كثيرة يتعرض لها الجزائري - كما قال الكاتب نفسه - في كل مكان وكل زمان وكل ساعة بل كل دقيقة بل في كل ثانية .

هذا نموذج من الخبر الصحفي الذي كان كتاب الحركة الوطنية يحرصون على نشره بغية معالجة الأحداث الأليمة التي تثقل كاهل المواطن الجزائري كل يوم .

* * *

وبما أن الخبر الصحفي يتضمن كل ما له علاقة بما ينتظره القارئ من جديد سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي ، فقد اهتمت جريدة "البرق" أيضا بكل جديد يصدر

¹ - الجيلالي ، محمد بن العابد " مظاهر العدل في خفايا الإدارة " ، البرق ، عدد 20 بتاريخ 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927 م ،

ص 1 .

² - م ن ، ص ن .

³ - م ن ، ص ن .

من كتب أو مجلات . وكما كان الإعلان عن ميلاد رصيفة جديدة هي جريدة "المعيار" - مثلا- قامت إدارة "البرق" بالإشهار لكتاب "ديوان شعراء الجزائر في العصر الحاضر" للكاتب محمد الهادي الزاهري وكان ذلك كالتالي ، في العدد 1 ص 3 :

إعلان

(ديوان شعراء الجزائر في العصر الحاضر) .

(ألفه صاحب العزيمة المشعلة والعبقرية الفذة ، النابغة السيد محمد الهادي السنوسي الزاهري ، الشاب الجزائري . وهو ديوان يترجم حقيقة عن النهضة الأدبية بالجزائر وما وصلت إليه من الرقي في هذه المدة . يضم هذا الديوان بين (دفتيه رسول فتیان الجزائر) وكتبهم الخاصة وتراجهم وأشياء من أشعارهم بما تعلم أن بالجزائر شعراء فحلأ وكتبه متقدمين . طبع في ورق صقيل بحروف جميلة . يطلب من المكاتب التونسية أو من المكتبة العربية ببسكرة ومن إدارة البرق) .

ومن الخبر يمكن الإشارة إلى الأسلوب الذي كانت الجرائد تتعامل به مع مثل هذه الأخبار الثقافية المهمة .

3 - الأشكال الأدبية المترجمة : من المواضيع المهمة التي تضمنتها جريدة "البرق"

ترجمة قصيدة شعرية رومانسية للشاعر الفرنسي (أندري نينيه) ، تشير بوضوح إلى اهتمام أدباء الجزائر في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى بالآداب الأجنبية وتتبع أخبارها ومحاولة ربط الناس بكل ما هو جديد ، ليسا يروا تطور الحركة الأدبية العالمية .

نقل القصيدة إلى العربية شاب جزائري - آنذاك - اسمه "محمد كباش" ، وقد نوهت إدارة جريدة "البرق" بجهده ، واعتبرته أول من بدأ يخدم الجزائر بهذا الوجه ، وتمنت على شباب الجزائر الاقتداء به لنقل إلى لغتهم ما يرونه في الفرنسية مفيدا¹ .

كانت القصيدة تحت عنوان "الحرية"² وهي عبارة محادثة بين راعي الغنم ومالكها . وقد بدأها الشاعر بإضفاء مسحة رومانسية على الراعي وهو يرعى الغنم وحده في

¹ - محمد كباش " الحرية " البرق ، عدد 11 ، بتاريخ 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م ، ص 2 .
² - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

البراري القاحلة ، والتلال الوعرة ، دون أن يستولي عليه الخوف ، أو يتطرق إلى قلبه الملل ، قائلاً :

- أيها الراعي ، من أنت ؟ وما يزعجك ؟ وأيّ حزن هدل على عينيك هذا الشعر الأشعث ؟ .

- متى تتخلص من هذه الأرض القاحلة وهذه التلال الوعرة التي لم نر فيها سواك ، ولا يمكن لأي إنسان أن يدنو منها دون أن يستولي عليه الروع وينال منه التعب .
وبلفتة فنية حاول الراعي أن يعبر عن عشقه للحرية وهيامها بمعانيها انطلاقاً من الحرية التي يتمتع بها مخاطبه ، رد عليه قائلاً :

- ليس عندي شك أنه تروكك جدا ، وتعجبك المروج الخضراء والأحراش الجميلة إنك لقادر ... باق هنا في هذا الموضع المخيف تحت هذا الكهف جالسا على الصخر ، انتظر مضي النهار .

حاول مالك الغنم أن يدخل السلوى على قلب الراعي وأن يبعد عنه الكآبة والتشاؤم وذلك عن طريق معاني دينية مؤثرة ، وأخرى نفسية مقنعة فقال له :

- لكن (سيريس¹) لعنت هذه الأرض الصلبة الخشنة التي يشقها هذا النهر الأسود لسواد صخوره ، ولماؤه الكدر العفن ... فليس فيها من شجر ولا ظلة تأوي إليه الطيور ... هل لك أن تلهو بهذا المزمار ... ستجد فيها (الأنغام) من اللذة ما لم تجده في الهواتف من الطير ، ولا نغم البلابل .

رأى الراعي أن الصراحة راحة له ، فانفجرت نفسيته بمعاني الوله والهيام بالحرية التي لا يجدها في الناي ونغماته الشجية ، ولا في شهوات الدنيا كلها .

- ماذا أصنع بزمجرتك ؟ وماذا تجدي علي عطيتك هذه ؟ فأصوات الليل التي أسمعها في ظلمة الليل تملأني حزنا وحسرة أحب إليّ وأشهى من النغمات المطربة اللذيذة ... إني أفرّ من شهواتكم كلّها ، فلا أحب أن أرى الأزهار وقد توجهها الندى ... إني عبد ، لا تملك يدي حرية نفسي .

¹ - آلهة النباتات عند اليونان .

وفي خاتمة القصيدة يصل الشاعر إلى حكمة إنسانية وقانون رباني هو (أن الرق لو قرّ لا يحتمل ، وكل امرئ يجب أن يعيش حرا طليقا لا يتصرف في ذاته أحد غير ضميره . وينبغي لكل إنسان أن يحذر كل الحذر من أن يستخدم ، أو يصبح ألعوبة قانون باغ ، أو يعيش لمآرب أخرى) .

وفي النهاية توجت القصيدة بهذا النداء الذي يصور مدى تعطش الإنسان في هذه الدنيا إلى الحرية .

- احفظني أيتها الحرية أبد الدهر ، وأخرى الليالي ، احفظني أيتها الحرية العزيزة .
يا أم الفضيلة . يا أم الوطن .

وكما بيدي لنا هذا النص المترجم من ناحية تأثر أدباء الجزائر - لهذه الفترة - بالمذهب الرومانسي الغارق في الذاتية والسائد في أوروبا ، فإنه يدل على أن فترة ما بين الحربين العالميتين قد عرفت أدباء جزائريين لم تكن بينهم وبين الآداب الأجنبية قطيعة . أما من حيث الأسلوب فألفاظ القصيدة وعباراتها تعتبر وثيقة تاريخية دالة على جنوح واضح - لبعض أدباء الجزائر في هذه الفترة - إلى السهولة والبساطة في التعبير والابتعاد عن الغرابة .

* * *

تكلمنا قبل قليل عن الأشكال والقوالب الأدبية وغير الأدبية لمحتوى جريدة "البرق" ، وتعرضنا إلى تعريفات بعض مصطلحاتها ، ثم إلى نسبها ، وكذلك توقفنا عند بعض النماذج منها كالخبر الصحفي ، والمقال الافتتاحي . وبما أن جريدة البرق قد تنوعت كتابات كتابها كان لابد من أن نقف عند بعض الأشكال الأدبية الأخرى التي رأينا وجودها في الجريدة قد أدى دورا متميزا في مقاومة المحتل وأتباعه بعد نهاية الحرب العالمية الأولى . وهذه الأشكال الأدبية هي : القصيدة ، والسيرة ، والرسالة .

ب - القصيدة والرسالة والسيرة في جريدة "البرق":

ليس من أهداف جريدة "البرق" مقاومة الطرقية فحسب كما أشار إلى ذلك الباحثون حينما تعرضوا لمسألة التصدي للفئات التي استخدمها المحتل في تشويه العقيدة الإسلامية وإفراغها من محتواها الحضاري بهدف استمراره في استنزاف ثروات الجزائر ، بل جاء ذلك ضمن نقاط الخطة المرسومة لجريدة "البرق" من أجل الاهتمام بقضايا المجتمع في مناحي مختلفة ، سواء أكانت ناتجة عن الظلم الاستعماري أم عن الأمراض الفكرية والثقافية التي نتجت أيضا عن الوجود الاستعماري ، ومن هذه الأمراض (الطرقية) بما أنها انحراف فكري وتشويه عقدي ، ثم إن الصحافة تفهم بالأدب ، من حيث أن معظم الصحفيين من الأدباء . وكان ذلك واضحا من خلال الأنواع الأدبية التي سمحت الظروف الصعبة بإيرادها ، سواء كانت أنواعا نثرية ، أم أغراضا شعرية ، بغض النظر عن الموضوعات والأغراض .

ويهمنا في هذا المبحث التطرق للقصائد المثبتة في جميع الأعداد ، الموحية إلى مدى اهتمام الجزائريين ، وبخاصة المثقفين وأصحاب الرأي من صحفيين وغيرهم ... من حيث أن هذه الفئات تعمل على تنوير المجتمع من خلال ما ينشر في الصحافة ، بما يعمل على أو يدفع إلى استعادة مجد الأمة الجزائرية .

وفي أعداد جريدة "البرق" الثلاثة والعشرين ، رأينا اثنتي عشرة قصيدة ، منها سبع لشعراء جزائريين ، واثنتان مأخوذتان من جريدتي "الزهراء" و"المقتطف" ، وقصيدة من المغرب والأخرى من تونس ، ویتیمة رومانسية مترجمة من اللغة الفرنسية تنم عن طاقة الشباب الجزائري الناهض في ميدان الأدب قبل الحرب العالمية الثانية .

أما عن أطول قصيدة فكانت للشاعر (عباسة الاخضري) بخمس وخمسين بيتا ، في العدد العشرين¹ ، تحت عنوان : "الشعر الفحل في الرد على عصبة الباطل والجهل" . والثانية للشاعر حسان بن ثابت من المغرب نشرت بالعدد نفسه تحت عنوان "إلى شاعر

¹ - الأخضري ، عباسة " الشعر الفحل في الرد على عصبة الباطل والجهل " البرق ، عدد 20 ، بتاريخ 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927 م ص 3 .

الشيوخ " . وأما أقلها عددا فهي لشاعر سلفي بسبعة أبيات تحت عنوان " من هو تأبط شرا " . والبقية فهي كالتالي :

- قصيدة للطيب العقبي بست وأربعين بيتا .
- قصيدة لإيليا ابو ماضي باثنين وأربعين بيتا .
- قصيدة لمحمود بورقية من تونس بثلاثين بيتا .
- قصيدة لسكيرج باثنين وعشرين بيتا .
- قصيدة للشاعر رمضان حمود بثمانية عشر بيتا .
- قصيدة لمحمد يحيى الصقلي الحسني بثلاثة عشر بيتا .
- قصيدة لأحمد بن عليوة بعشرة أبيات .

فإذا نظرنا إلى القصائد من حيث الأغراض فإننا نجد لها منوعة ، تعالج المسائل التي لها صلة وطيدة بالواقع المعيش للمواطن الجزائري آنذاك ، وأهمها تلك المتعلقة بالطريقة ورجالها ، وجريدتهم المسماة بـ "البلاغ" ، وكذلك العلماء المصلحين وجرائدهم كـ "الشهاب" و "البرق" الصادرتين وقتئذ .

وإذا كان الكاتب زهير الزاهري قد تصيد قصيدة أحمد بن عليوة - شيخ الطريقة العلوية ومؤسسها - فضمنها مقالة " أضمروا خلاف ما أظهروا ففضحهم الله " لينفذ من خلاله إلى فضح هذه الفئة الضالة وما تعتقده من كفر بواح ، وإلحاد صريح ، فإن جريدة "البرق" كشفت - من خلال القصيدة المترجمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية - عن اهتمام الشباب الجزائري الناهض بالآداب الأجنبية ، ومتابعة لما يكتب في جرائد العالم ، من خلال ما ينشر في الجرائد الفرنسية على الرغم من محاربة المحتل لهم .

* * *

ولم تنس جريدة "البرق" ما يريح القارئ الأديب من عناء القضايا السياسية والاجتماعية والمعالجة المشبوهة للجانب الديني .. من خلال نشرها للمقالات الطوال المعالجة لهذه القضايا ، بل عمدت إلى إيجاد ركن يعمل على طرد العناء ، فكان تحت

عنوان (الأدبيات) ، ويحتوي على أبيات متنوعة مضمونها ، لكن هذا الركن لم يقو على الاستمرار ، فقد ظهر في ثلاثة أعداد فقط هي : العدد الأول وكان في الصفحة الأولى ، والعدد الثالث وكان في الصفحة الثالثة ، والعدد الخامس وكان في الصفحة الثالثة . وجاءت أدبيات العدد الأول بعنوانين الأول (عاصمة الجزائر) ، والثاني (العتاب الرقيق) . أما الأبيات التي جاءت في وصف العاصمة فهي للشاعر خمّار ووالشاعر الطيب العقبي والشاعر محمد السعيد الزاهري ، وهي على التوالي :

خمّار : قسما بالصبا وحسن الجزائر أن نسيانها لإحدى الكبائر

العقبي : حيثما تلفت تجد قمرا يز هو ، وشمسا بديعة الإشراق

وجميلا تلا جميلا ومعشو قا غدا في جماعة العشاق

وهكذا كلها الجزائر فانظر فانتات ، وفاتن في الزقاق

السعيد الزاهري :

ويلاه من هذه الجزائر إنها مرعى الأطباء ومسباح الأقمار

في كل فج يلتقيناك بين حاسرة محياها وذات عجار

إن لم تقع بشراك مريم لم تكن يوما لتنجو من حبائل ماري

أما الأبيات التي وردت في العتاب الرقيق ، فلشاعر رمز لاسمه بأديب حين عقد - في أبياته - عقد من خلالها محاورة عتاب بين امرأة وزوجها الذي هجرها . فقال على لسان المرأة ثم على لسان الرجل :

المرأة : وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضا أرمى وأنت سليم

فلو كان قول يكلم الجلد قد بدا بجلدي من قول الوشاة كلوم

الرجل : وصلتك لما كان ودك خالصا وعفتك لما صرت نوبا مقسما

ولا يلبث القول الجديد بناؤه إذا كثر الورد أن تهدم¹

وأما أدبيات العدد الثالث فبتوقيع (أديب) أيضا ، حين صرح هذا الأديب أنه لم يقرأ قط شعرا في وصف ذكرى المحبين كهذين البيتين :

خطرات ذكرى تستثير مودتي فأحس منها في الفؤاد ديبا

لا عضو لي إلا فيه صبا به فكأن أعضائي خلفهن قلوبا

ولم ير الشاعر - أيضا - أدمى من هاتين المقروحتين :

ولي كبد مقروحة من يبعني بها كبد ليست بذات قروح

أباها علي الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح .

ثم يعلق " أديب " بما يثير حفيظة شعراء الجزائر حاثا إياهم على التصوير بقوة لمأساة الأمة الجزائرية¹ .

ولم يأب أديب في ركن أدبيات العدد الخامس إلا أن يحلي الصفحة الثانية بيتين في الشعر الاشتراكي على لسان أعراي قائلا :

إذا كنت ربا للقلوص فلا يكن رفيقك يمشي حولها غير راكب

أنخها فاردفه فإن حملتكم - فذاك ، وإن كان العقاب فعاقب

ولا بد أن نشير هنا إلى أن بعض المقالات تحتوي على مقطوعات شعرية رصع الكتاب بها مواضيعهم على عادة الأدباء القدامى ، مما يدل على تأثر أدباء الحركة الوطنية الجزائرية في العقد الثالث من القرن العشرين - وإن بدت منهم محاولات لتخليص الأدب مما علق به - بعض هذه الأبيات التي تضمنتها المقالات لشعراء من مختلف العصور الأدبية، أما البعض الآخر فلا أصحاب المقالات أنفسهم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في العدد الثامن من قول محمد السعيد الزاهري في صديقه العمودي - وكلاهما من الشعراء - الذي أصابه النعاس من وعك ألم به في ليلة سمر جمعتهما في رحلة صحراوية بالشاعرين محمد العيد آل خليفة والطيب العقبي :

أما محمد العيد فقال يهجو هذه الليلة :

دعوا الأمين وما يلقاه من وعك فليس يرغب في لهو ولا ضحك

¹ - جريدة البرق ، العدد 3 ، بتاريخ 17 رمضان 1345 هـ ، الموافق لـ 21 مارس 1927 م ، ص 3 .

وإن شعركم هذا لكثرتة صار يشبه نثر ... المالكي¹ .
وكانت مباراتهم الشعرية في ليلتهم تلك تدور حول ذم العادات والتقاليد الفاسدة
فلما قال الزاهري يذم عادة ذبح بعض أهالي الصحراء علي عين :
لا تنبع العين في الزيبان جارية إلا إذا ذبحوا للعين عتروسا
رد عليه محمد العيد آل خليفة قائلا :

ماذا جنى وهو بهم غير مقترف ذنبا ، فحكمتوا في حلقة الموسى²
ونذكر أن محمد السعيد لزاهري أبياتا ثلاثة مأخوذة من قصيدة كتبها بمناسبة تكريم
أدباء الجزائر لأمير الشعراء أحمد شوقي في حفلة منعت سلطات الاحتلال إقامتها ،
بسبب موقف شوقي من الاستعمار في قصيدته نكبة دمشق . ومن باب الذكر فإن
فرنسا تعتبر شوقي عدوها السياسي الخطير . وإن كنا لا نعرف من القصيدة إلا هذه
الآيات الثلاثة ومن المدعوين للحفلة إلا الزاهري ، فإننا نستشف من الآيات ومن
المناسبة مدى تعلق وارتباط شعراء الحركة الوطنية بالجزائر السليمة ، وهذه الآيات هي :
إذا كان عشق في المها وهيام فلي في بلادي دون غرام
فلم يبق عن حب الجزائر لهوى ال حسان بقلبي موضع ومقام
أحب بلادي : أرضها وسمائها وأعشق فيها الليل وهو ظلام³ .
ومن بين ما بثه محمد السعيد الزاهري من أبيات في جريدة "البرق" ساخرا بأحد
زعماء الطريقة ومن كتاب البلاغ الرئيسيين وبخاصة من ذلك الكاتب الذي يدعى
(سكيرج) :

سكيرج يا سكير تهجو شبيبة بشعر كجلاء الكلب حين يفور
سكيرج أمسك عن حوارك برهة فما أنت إلا في الحقيقة ثور⁴ .

* * *

¹ - جريدة البرق ، العدد 8 ، بتاريخ 23 شوال 1345 هـ ، الموافق لـ 25 أبريل 1927 م ، ص 1 .
² - المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
³ - وازقي حسن . " تكريم شوقي بالجزائر " . البرق . عدد 18 بتاريخ الاثنين 12 محرم الحرام 1346 هـ ، المؤلف لـ 11 جويلية 1927 م .
ص 2 .
⁴ - تأبط شرا " سكيرج " ، البرق . عدد 12 . بتاريخ الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ ، المؤلف لـ 23 ماي ، 1927 م . ص 2 .

من الفنون التي أولاها العرب والمسلمون اهتماما كبيرا منذ قيام الدولة الإسلامية وتوسعها شرقا وغربا ، واحتفوا بها احتفاء كبيرا ، فن كتابة السير والتراجم حيث أصبح الأكثر - عالميا - ترتيبا للأعلام ، وتحقيقا للأنساب ، وذكر المصادر الأخبار . أقدمها زمانا وأشهرها ذكر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الملك بن هشام . ثم تابع الفن مسيرته ليشمل تراجم مشاهير الأعيان والوجهاء من الرجال والنساء ، كالشعراء والفقهاء والمفسرين والمحدثين والقضاة والنحاة والفلاسفة والأطباء ... فكان كتاب (طبقات فحول الشعراء) للجمحي ، ثم كتاب (الأغاني) للأصفهاني ، و كتاب (يتيمة الدهر) للثعالبي . وغيرها كثير في القديم والحديث . وهي لا تجري في ترتيب الأعلام على نهج واحد ، فكل مؤلف يختار الطريقة التي يجدها أوفى بالغرض وأسهل في التناول ، وقد جرى أكثرهم على ترتيب الأعلام حسب حروف الهجاء . وفي القرن العشرين حمل أدباء هذا الفن على عاتقهم مسؤولية التطوير ، حتى لا يصبح مجرد جمع للأخبار ، واستقصاء للمعارف ، في غير تبويب ، ولا تحليل ، و لا تركيب ، بل ل يتميز بقواعده وضوابطه ، معروضا في حلة أنيقة ، وتحليل وفق ما توصلت إليه العلوم الحديثة من أجل تسليط الضوء على الجوانب الخفية من حياة المترجم له . كل ذلك وجدناه في مؤلفات أدباء العصر الحديث أمثال أحمد أمين في كتابه (حياتي) ، وطه حسين في مؤلفه على (هامش السيرة) ...

لم يكن هذا الفن غريبا على كتابات كتاب أو أدباء الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر في العقد الثالث من القرن العشرين ؛ فقد احتوت منشوراتهم على الكثير من موضوعاته ، نشرت على صفحات جرائد تلك الفترة من جريدة "المنتقد" إلى "الشهاب" مروراً بجريدة "البرق"¹ . والحق أن كتاب هذه الجرائد لم يولوا الخصائص المميزة لهذا الفن (السيرة) اهتماما كبيرا بسبب الظروف الصعبة والأليمة التي كان يمر بها الوطن الجزائري المحتل ، وهذا ما جعلهم يركزون على الأهداف المتوخاة لحركتهم التحريرية في صراعها

¹ - احتوت جريدة "البرق" على ستة مواضيع نعتقد أنها سيرة ، ومنها " الأستاذ الزاهري " العدد 19 ، بتاريخ 19 محرم الحرام 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927 م ، ص 1 .

مع المحتل (إذ المعركة مع المحتل تحتم عليهم لضمان النصر ذكاء حادا ، وبصيرة نفاذة ، وأساليب علمية متنوعة ، وقدرة على ضبط المراحل ، وإعداد ما يناسبها من مختلف الوسائل)¹. ولما حدد أدباء الحركة الوطنية أهدافهم بدقة واختاروا مناهجهم بعناية حسب تقصيصهم ميدان المقاومة ضد المحتل بجميع أبعاده ، صرفوا عن أذهانهم مسألة الالتزام بمميزات وخصائص الفنون الأدبية ، معتبرين الأهم لديهم تقوية ما وهن من أسس الأمة الجزائرية ، وتصحيح العقيدة ، والمفاهيم وتوحيد سبل المقاومة ، وتوجيه الطاقات توجيهها سليما . فخذ مثلا ما دأب عليه ابن باديس في جريدة "الشهاب" من تثبيت لتراجم أعلام الأمة العربية والإسلامية للعصر القديم والحديث من مفكرين وعلماء وأدباء ، كأبي ذر ، وعبادة بن الصامت ، وشوقي ورمضان حمود ، ومحمد رشيد رضا ... معتبرا حياتهم مثلا يحتذى ، وموتهم مصابا قوميا مؤثرا ، بل ترك فراقهم فراغا عظيما في صفوف العاملين للنهوض الأدبي ، والرقي الفكري بالمجتمع العربي والإسلامي عموما .

ولم يكن غرض ابن باديس في كتاباته لتراجم مشاهير الأمة العربية والإسلامية التفتن في الخصائص الأدبية الحديثة المعروفة لمثل هذه الكتابات ، ولا كان في اعتباره ضرورة الالتزام بها كاملا بحيث لا يجوز الخروج عنها أو التعدي عليها معتبرا أن (ما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر فيه سيرة من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله فأخذ الأصول الثابتة من الماضي وأصلح شأنه في الحال ومد يده لبناء المستقبل . يتناول من زمنه وأمم عصره لبنائه معرضا عما لا حاجة له به أو ما يناسب شكل بنائه الذي وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته)².

ولم يكن محمد السعيد الزاهري بعيدا عن هذا اللون المهم في الأدب العربي القديم فقد أظهر من خلاله مقاومة عنيفة للطريقين . كما وجدنا له في "البرق" - أيضا - آثارا أدبية مختلفة تنفي من خلالها ما تردد من أن الجزائر لا تملك إرثا أدبيا متنوعا مقاوما

¹ - شيبان ، عبد الرحمان ، آثار عبد الحميد بن باديس ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية 1984 ، ص 12 .
² آثار عبد الحميد بن باديس ، عن الشهاب ، ج 3 ، مجلد 12 ، ط1 ، ربيع الأول 1335 هـ ، جوان 1936 ، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة - الجزائر - 1984م ، ص 9 .

للمحتل وأعدائه خلال فترة الاحتلال . ونعتقد أن ما كتب في تلك الحقبة لم يكن إلا عن وعي وفكر مقاومين لما أرادته المحتل من نسخ للأصول ومسح للعقول خاصة مسألة التجنس .

لقد كتب محمد السعيد الزاهري عن الشيخ "عمر راسم" الذي سجنه المحتل وبالغ في ذلك ظلما وعدوانا ، وعدّه أحد رجال الإصلاح في الجزائر ، وأحد المبرزين في فن الرسم والتصوير¹. كما كتب عن الدكتور "محمد أبو شنب" وضرب بمضمون فن السير والتراجم كل من يريد الانسلاخ عن ماضيه (سلام عليك يابن أبي شنب لقد طببت حيا وميتا ، وكنت بعلمك وشرقيتك حجة الشرق على هؤلاء الذين لا يبتغون العلم والحياة إلا عن طريق التفرنج والاندماج وقدمت على ربك مؤمنا عالما)² .

أما بخصوص فن السيرة من خلال أعداد "البرق" فقليل نسبيا إذا ما قورن بغيره من الأنواع الأدبية مثل المقالة والرسالة ، فقد بلغ ما نشر منه ستة مواضيع . وكان محمد السعيد الزاهري أسبق كتاب "البرق" بموضوعه المقسم على العديدين الثامن والتاسع تحت عنوان : (وفد الشعراء يزور طولقة وفرفار والبرج) . أظهر فيه الزاهري استعداد رواد الحركة الإصلاحية الشابة لمقاومة التقاليد والعادات الشائعة ، التي تجتهد الطرقية في نشرها بين صفوف الجزائريين وهو الأمر الذي أشار إليه محمد السعيد الزاهري في تلك الزيارة التي قام بها مع وفد من الشعراء الجزائريين إلى بعض مدن الصحراء الجزائرية ، والتي وظف أعضاء هذا الوفد أحداث هذه الرحلة في ضرب معتقدات الطرقية السياسية والدينية الخاطئة ، التي تخدم المحتل وتعينه على إفراغ الدين من محتواه الحضاري والجهادي .

أما بقية المواضيع فأربعة ، منها اثنان حول سيرة محمد السعيد الزاهري كتعريف عام بهذا العلم . ونشر الموضوع -إثر شائعات حول شخص الزاهري³- باسم جماعة من أولياء تلاميذ المدرسة التي فتح محمد السعيد أبوابها أمام أطفال مدينة الأغواط بقصد محاربة الجهل الذي فرضه المحتل على أبناء الجزائر آنذاك .

¹ - خرفي ، صالح ، محمد السعيد الزاهري ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986م ، ص 113 .

² - المصدر السابق ، ص 142 .

³ - جماعة من أولياء التلاميذ " الزاهري بالأغواط " البرق ، عدد 19 ، تاريخ 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927 م .

* * *

ومما سبق يتبين لنا أن الزاهري استطاع من خلال كتاباته أن ينوع في مجال الكتابة حول المقاومة ، وأن يواكب التطور الذي شهده فن السيرة في العصر الحديث ، وأن يسايره شكلا ومضمونا ومن الخصائص التي برزت لنا ما يلي :

1- أورد الزاهري أحداث رحلته مع وفد الشعراء إلى طولقة وفرفار والبرج وفق تسلسل زمني مناسب لهذا النوع من الكتابة ، حيث تتبع من خلاله أخبار الصباح والمساء كما وقعت .

2- اعتمد على التحليل النفسي - ولو كان بسيطا - لتفسير مواقف شيخ الطريقة الذي التقى وفد الشعراء به وهو في طريقه إلى فرفار ، حيث تعرف محمد السعيد الزاهري والوفد المرافق له - من صفحات وجه الطرقي - على شدة الحقد الذي يكنه الطرقيون للشباب الناهض في الجزائر .

3- ربط الزاهري تصرفات شيخ الطريقة بمحيطه الاجتماعي والسياسي والديني وحاول أن يطرق قانون التأثير والتأثر في المجتمع .

4- إن اعتماد الزاهري في عرض سيرته على النمط القصصي الذي يعتمد على السرد والذي يتخلله في بعض الأحيان الحوار الموجز وتوظيفه لبعض المقطوعات الشعرية ، لدليل على مسايرة هذا الفن في الجزائر للتطور الذي شهدته الأنواع الأدبية في العصر الحديث .

5 - تقيد الزاهري في كتاباته للسير بالموضوعية ، وغلب فيها العقل على العاطفة ، وتقيد من خلالها بالحقيقة ، وابتعد عن هوى النفس والإطراب في مدح الأشخاص الذين يحبهم كالطيب العقبي ، والتقصير في حق غيرهم كأحمد بن عليوة شيخ الطريقة العليوية وهذا العنصر قد يجعل الموضوع مؤثرا ومقنعا .

لعل هذه النقاط التي ميزت كتابات الزاهري في هذا المجال هي خصائص فن السيرة في العصر الحديث ، وبما تبوأ كتابات سير طه حسين والملازمي وغيرهما من مشاهير كتاب العرب في العصر الحديث مكانة عالية في الكتابة النثرية للعصر الحديث .

* * *

وبالإضافة إلى أنواع الكتابة في جريدة "البرق" من المقالة والشعر والسيرة والترجمة نجد كتابة الرسالة أيضا ، ولا خلاف فإن الرسالة وسيلة من وسائل التبليغ وهي قسمان : إدارية وإخوانية ، ولا تهتم الدراسات الأدبية إلا بالفنية منها ، وتأنق فيها أصحابها واتخذوها موضوعا للعناية الفنية سواء أكانت عامة أم خاصة .

ولم يكن هذا الفن بالغريب على أدباء تفرسوا في أرضهم على فنون مقاومة المحتل وكذلك مقاومة أذنبه من العملاء والجمعيات والطرق المنتشرة في الجزائر وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى . وقد عرضت جريدة "البرق" نماذج حية كافية للبرهنة على مساهمة هذا النوع من الكتابة (الرسالة) في تنوير الشعب الجزائري بالأفكار القومية والوطنية اعتبارا من أن الرسائل بين المفكرين والعلماء والمصلحين لا تشغل إلا بما ينفع البلاد والعباد ، ولهذا كان من الواجب على أصحابها من هذه الطبقة المثقفة نشرها على صفحات الجرائد الوطنية - اليومية والأسبوعية - وذلك من أجل تنوير الرأي العام بما يحدث في أرجاء البلاد كما ذهب إلى ذلك (أبو حفص الحمادي) بقوله : (بل رسائلهم الخاصة لا تخوض إلا فيما ينفع البلاد والعباد ، فهي مقالات ضافية تتدفق بالفوائد العامة . وليس السداد إن يحرم الناس من الإطلاع عليها بل الواجب في نظري أن تنشر على الجرائد السيارة كما تنشر المقالة العمومية)¹ .

أما محمد السعيد الزاهري فقد اعتبر الرسائل الخاصة التي يتناصح من خلالها أبناء الوطن الواحد شعورا حيا ، ووطنية حقيقية ، جاء ذلك في تعليق له على رسالة نشرها الكاتب (أبو حفص الحمادي) في العدد العاشر من جريدة "البرق"² حينما وجه نظره

¹ - جساس " الرسائل الخاصة " البرق ، عدد 10 ، بتاريخ الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927 م ، ص 1 .
² - المرجع نفسه ، المصدر نفسه ، ص ن .

رواد الحركة الإصلاحية إلى خطر التبشير في بلاد القبائل ، وعد ذلك أكثر من الطريقة فسادا ، فقال : (هكذا فلتكن الرسائل بين أبناء الجزائر وهكذا فليتناصح الكتاب وهذا هو الشعور الحي وهذه هي الوطنية)¹.

لقد كان فن الرسائل في جريدة " البرق " يخدم أركان الإصلاح في الجزائر - مثلما خدمها كل نوع من الأنواع الأدبية - ويبحث في قضايا الوطن وانشغالات الناس ، ويمكن للأفكار القومية ، وينتصر للوطنية ، ويكشف الوجه الحقيقي للطريقة ؛ كما جاء في رسالة سمهري (الأمين العمودي) إلى الأخوين بيضاوي وتأبط شرا (مبارك الملي و الزاهري) التي جمعت بها جريدة "البرق" صدر العدد السادس² منها . وجه سمهري (الأمين العمودي) من خلالها أنظار المصلحين إلى ضرورة منازلة كتائب الشرك والنفاق والتي عبر عنها بـ (الأفلام الفاجرة) . قال : (ولا بأس أن أنبهكما إلى أمر - لا أظنكما تجهلانه - وهو الأولى والأحق بقراعنا ، هم المنتصرون للخرافيين المؤيدون لعقائدهم الخبيثة ، المشجعون الجريئون لهم على التمادي في ضلالهم وهواهم بما أسميه الأفلام الفاجرة ، دحر كتيبة بل كتائب من جيش الشرك والنفاق هذا رأيي فما رأيكما)³.

وأينما سارت المقاومة صحبتها مواضيع فن الرسالة ، فمن ميدان انتقاد الشخصيات النيابية الصورية التي لا تنفع الأمة ، بل تضرها سياسيا واجتماعيا وثقافيا ، وتزيد من عمر شقاوة الجزائري وآلامه ، إلى ميدان مقاومة ظلم اليهود للشعب الجزائري، حيث كتب السعيد الزاهري رسالة شديدة اللهجة ووجهها إلى الراهب الكبير، رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي ، ووجه أصابع الاتهام فيها إلى هذه الطائفة ، واعتبرها سببا من أسباب مآسي الجزائريين في ظل الاحتلال الفرنسي .

¹ - المرجع السابق ، ص ن .

² - سمهري " إلى الأخوين : بيضاوي وتأبط شرا ، البرق عدد 6 ، بتاريخ الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 أبريل 1927م ، ص 1 .

³ - سمهري " إلى الأخوين : بيضاوي وتأبط شرا " المرجع نفسه ، ص ن .

كان فن الرسالة — أيضا — حاضرا في مقاومة الانتخابات الصورية مشيدا بمواقف العلماء المصلحين وذلك بالدعوة إلى ضرورة التفاف الأمة حول رموز الإصلاح في الجزائر أمثال "عمر راسم" ومساندتهم ليفوزوا أثناء الانتخابات وليكونوا بلسما لجراحاتهم الكثيرة والمتعددة .

لقد كانت عشر رسائل في سبعة أعداد — كلها لإذكاء إحساس الوطنية والقومية ومشاعرهما لدى الجزائريين بصورة عامة ، ولدى الشباب الناهض خاصة — مؤشرا دالا على حضور هذا النوع من الكتابة وإسهامه — إلى جانب أنواع الكتابة الأخرى - في المقاومة من أجل إحياء الأمة الجزائرية واستعادة دورها الحضاري على أراضيها المستقلة . وهكذا يمكن القول بأن فن الرسالة — كغيره من الفنون الأدبية — أدى دورا أساسيا في مقارعة الباطل والضلال ، وشهد ميدانه على صفحات جريدة "البرق" نشاطا في سبيل نشر أفكار الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى .

1- المقاومة السياسية :

سأحاول التطرق إلى هذا الموضوع من خلال فحص بعض القضايا المترابطة في محتوياتها ، وذلك من خلال التحليل والكشف عن المقاومة السياسية للأديب محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة "البرق" الصادرة بالجزائر سنة 1927 م . وأهم هذه القضايا هي :

- 1 - مسألة الانتخابات النيابية .
- 2 - التنبيه للخطر الصهيوني .
- 3 - الفلاحة والتجارة والصناعة .
- 4 - انتقاد الشخصيات .

* * *

أ - الانتخابات النيابية :

بات الجزائريون على دراية تامة بنفسية المحتل الفرنسي ، وخططه المبيتة نحو أرضهم وعقيدتهم ، خاصة بعدما خاضوا الحرب العالمية الأولى في صفوف الجيش الفرنسي لا للانتصار على أعدائهم ، وإنما أملا في تحقيق الوعود الكاذبة لحكومات المحتل المتعاقبة .

لم تهدأ مقاومة الشعب الجزائري للمحتل منذ 1830م ، فمن المقاومة المسلحة المتمثلة في جهاد الأمير عبد القادر والمقراني إلى الثورة التحريرية الكبرى ، مروراً بمقاومة القوانين التعسفية الصادرة في شتى القضايا والسياسية والثقافية والاجتماعية ، وكلها صادرة عن قيادات عسكرية ومدنية على حد سواء . إن هذه القوانين التعسفية الموحدة في أهدافها والقاسية في تطبيقها هي التي زادت من اشتداد ساعد المقاومة لدى رواد الحركة الوطنية سواء عن طريق إصدار الجرائد كمجلة "الشهاب" وجريدة "الإقدام" أو بتكوين الأحزاب والجمعيات منذ العقد الأول من القرن العشرين . ومن الجرائد المقاومة للقوانين الظالمة جريدة "الجزائر"¹ التي أصدرها عمر راسم عام 1908م ، وقد رحب بها

¹ - جريدة أصدرها عمر راسم بعاصمة الجزائر ، لم يصدر منها إلا عددان فقط لانعدام المطابع العربية بالجزائر ، صدر العدد الأول منها يوم 27 أكتوبر 1908 م ، كان إقبال الشعب الجزائري عظيماً لأنها كانت تعالج مواضيع لها صلة بواقع المأساوي للمواطن ومنها : التجنيد الإجباري ، الضرائب الفادحة .

الجزائريون لأنها (كانت تعالج مواضيع حية كالاحتجاج ضد التجنيد الإجباري وفداحة الضرائب)¹. وجريدة "الهلال" وقد صدرت عام 1910م، وكان الهدف من وجودها على الساحة الثقافية والسياسية في هذا الظرف هو الهجوم بشدة على السياسة الحكومة الفرنسية إزاء الشعب الجزائري ، وكانت (تطالب في هجمة عنيفة بإلغاء قوانين الأندجينا الاستثنائية الجائرة المتسلطة على السكان المسلمين خاصة)².

لقد عالج رواد الحركة الوطنية على صفحات جرائدهم الكثير من المسائل الشائكة التي لها آثار سلبية على الشعب الجزائري ووطنه ، وقد أدى ذلك - في كثير من الأحيان إلى تعطيل هذه الجرائد وحبس أصحابها ، والتنكيل بالقائمين عليها .

ومن هذه المسائل "الانتخابات" الظالمة التي أوجد لها المحتل من القوانين ما يجعلها في صالحه ، كقانون البلديات كامل الصلاحية أو المختلطة والتي يتربع المحتلون والمستوطنون فيها على مفاصل الإدارة . وهكذا يحرم الجزائريون من انتخاب نواب لهم انتخابا حرا كاملا .

ولأهمية مثل هذه السياسة في الجزائر آنذاك استخدم أدباء الحركة الوطنية طوال الحكم الاستعماري أقلامهم وهاجموا المحتل من خلالها وعن طريق جرائدهم ومنهم محمد البشير الإبراهيمي الذي اعتبر قوانين الانتخاب (عصب الحياة)³. لقد وظف المحتل الفرنسي سياسة الانتخابات بدقة ، وأحكم خيوطها بقوة ، وأضاف إليها قوانين أخرى تصب في خانة إذلال المواطن الجزائري كما يقول الإبراهيمي : (تقع أول نظرة منك على احتقار مفضوح بشواهدده وهو وجود صندوقين لأمتين لم تقعد بأولاهما قتلها ، ولم تغن عن أخراهما كثرهما ، ولا معنى لذلك إلا وجود طائفتين سيدة ومسودة . ثم انظر إلى التفاصيل في الكم والكيف والإجراءات وتحكم الإدارات في الإيرادات ، تجد تصدق ما قلناه كالشمس ليس دونها حجاب)⁴. وكان الأمير "خالد" قد اقترح ميدان

¹ - زكرياء ، مفدي : تاريخ الصحافة العربية في الجزائر ، جمع وتحقيق ذ. أحمد حمدي مطبعة دار هومه - الجزائر - 2003 . ص 54 .

² - زكرياء ، مفدي : تاريخ الصحافة العربية في الجزائر ، المصدر نفسه ، ص ن .

³ - الإبراهيمي ، محمد البشير : عيون البصائر ، دار المعارف - مصر - 1963م . ص 395 .

⁴ - المصدر نفسه . ص ن .

الانتخابات وقاوم من خلاله سياسة المحتل ، ونجح في انتخابات 1920م (على الرغم من معارضة الإدارة الفرنسية وقد تم انتخاب الأمير "خالد" على التابع نائبا ماليا ، ثم مستشارا عاما ، وتم انتخابه بأكثرية ساحقة ضد مرشحي الإدارة الفرنسية)¹ . واستطاع الأمير "خالد" بعدها تدعيم إخوانه وأصدقائه في الحزب من الجزائريين المقاومين لقانون التجنس ليصلوا معه إلى المجالس النيابية التي اعتبروها منبرا للدفاع عن مكانة الجزائري في وطنه (فأمكن ضمان النجاح لأربعة منهم وهم : محمد بن رحال والدكتور موسى وابن عمورة وقائد حمود)² . تمثل هذا النشاط كانت مقاومة القوانين التعسفية وبمثلته أيضا جوبه النواب الصوريون ، وأشار إلى تحاذلهم بالبنان ليفهم الشعب أدوارهم التي أوكلها لهم المحتل .

وهذه بعض آراء أدباء الحركة الوطنية في الانتخابات الجزائرية لفترة ما بين الحربين شاهدة على الحقيقة المرة لمثل هذه السياسة الجائرة في حق الجزائريين . قال محمد البشير الإبراهيمي : والحقيقة هي أنه ليس في الجزائر نيابة ولا نواب ، ولا منتخبون ولا انتخاب ، وأن حالتها في هذا الباب بعد مائة وعشرين سنة من استعمار فرنسا أم الدساتير وأم الشعوب النيابية في العالم انتهت من حيث بدأ الباش آغا عبد الله قائد الدراويش شرق الأردن)³ . أما بخصوص النواب فيقرر محمد البشير الإبراهيمي بأنهم (نواب نازلة عليها (الأمة) لا يعرفونها إلا في أيام الانتخابات ، أو لا يعرفونها قط لأن الحكومة عرفت بهم ، فإذا حلت الكوارث بالأمة أو فعلت الحكومة الأفاعيل بالأمة سكتوا كأن الأمر لا يعينهم ، ولأن الحكومة ما وضعتهم حيث هم إلا ليسكتوا)⁴ . ويصف الشاعر الزهاوي انتخابات البلدية لعام 1925م :

وإذا اعتلت السياسة يوما مرض الشعب ثم عز الشفاء
رب قانون أهله وضعوه كدواء فازداد منه الداء .⁵

¹ - العسلي ، بسام : الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الإسلام ، الطبعة الثانية ، دار النفائس بيروت - لبنان - ص 118 .

² - العسلي ، بسام : الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الإسلام . المرجع نفسه . ص ن .

³ - الإبراهيمي ، محمد البشير : عيون البصائر . ص 400 .

⁴ - المرجع نفسه . ص ن .

⁵ - الزهاوي " هو الانتخاب " جريدة النجاح ، الثلاثاء ، ربيع الثاني 1334 هـ أكتوبر 20 / 1925م ، السنة السادسة العدد 24 . ص 1 .

أما محمد الهادي الزاهري فيعتبر يوم الانتخاب بالنسبة للجزائريين يوم أهوال ويوما من أيام الحروب ، أبطاله الصعاليك بأموالهم ، ومن ثمة فلا توجد مصلحة الشعب ولا الوطن ولا الدين ، لأن المنطق في ذلك العمل على تحقيق المصالح الشخصية :

ما كان أكبره من يوم أهوال يوم به ركبت حال على حال

يوم به قامت الحرب العوان على ساق لها بين صعلوك وذوي مال .¹

وإلى جانب ذلك حذر الشاعر محمد السعيد الزاهري كثيرا من الانتخابات والمجالس النيابية التي ضحك المحتل من خلالها على الشعب الجزائري زمنا طويلا ، وتتبع أعمال النواب الساكتين عن الحقوق المهضومة ، ثم كشف الغطاء عن أعمالهم الفاسدة ، ووضع الشعب في الصورة الحقيقية لهؤلاء العملاء الذين أطالوا عمر المحتل ، وقد وصل به الأمر إلى الدعوة الصريحة لمقاطعة الانتخابات مادامت الجزائر هي الخاسر الوحيد ، وأن شعبها هو الذي يعاني ويتحمل نتائج ذلك ؛ قال يصف مصائب التمثيل النيابي :

ألا لا أراي بعد اليوم ناخبا فلست أرى النواب إلا نوابا

إذا انتخب الأحجار شعب لمجلس فلا بد يوما أن يذوق المصائب² .

حينما أتحت الفرصة لمحمد السعيد الزاهري بإصدار جريدة "البرق" لم يتخلف عن معالجة مشكلة الانتخابات في الجزائر . ففي الأعداد الخامس عشر³ والثامن عشر⁴ والواحد والعشرين⁵ ساهم هذا الأديب - كغيره من أدباء الحركة الوطنية - في تنوير الرأي العام الجزائري لما يحاك للشعب في كواليس النواب والمجالس النيابية . ويعد محمد السعيد الزاهري - في نظري - من الأوائل الذين غاصوا في جنبات مسألة الانتخابات شرحا وانتقادا ، ومن أكثرهم جرأة في كشف مساوئ النواب وذلك بالكتابة عن معظم التصرفات التي صدرت منهم . ففي العدد الخامس عشر يعنون مقالا بـ (خدام

¹ - الزاهري ، محمد الهادي : شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، الجزء الأول الطبعة الأولى ، مطبعة تونس - تونس - 1926 . ص 94 .
² - ناصر ، محمد : المقالة الصحفية ، نشأتها - تطورها - أعلامها من 1903 إلى 1931 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - عن جريدة الإصلاح عدد 6 1929/10/24 م ص 269 .
³ - صدر بتاريخ الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927 م .
⁴ - صدر بتاريخ الاثنين 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م .
⁵ - صدر بتاريخ الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927 م .

الغير) ويرى من خلاله أن أساس مصيبة الجزائر يكمن في نواب جزائريين كرسوا جهودهم في جلسات النيابة لأجل خدمة أبناء المحتل ، مثل النائب عن الجزائريين "شكيكين" الذي جد في طلب الأموال لفائدة أسرة الطيارين اللذين قتلوا في تحطم طائرة في حفل استعراضي بحسين داي ، في حين تقاعس جمعية الدكتور بن التهامي - الذي جمع هو الآخر الأموال من أجل الغرض نفسه - في العمل على مساعدة أسرة الشهيد الجزائري الذي قتل في اليوم نفسه الذي قتل فيه الطياران الفرنسيان بطلقة مدفع أثناء الاحتفال بعيد الوطنية . وقد وصل محمد السعيد الزاهري في نهاية المقال إلى أن النواب (هم في الحقيقة خدام الغير ومحبو أنفسهم . أولئك هم الضالون)¹

أما في مقاله الموسوم بـ (العربية والنواب) فقد بسط السعيد الزاهري رأيه في مسألة النائب الجزائري وحقيقة دوره في محاولة سلخ الشعب من هويته العربية والإسلامية بكل جرأة . ورأى وبأسلوب عنيف قاس أنه من الضروري التصدي لمثل هؤلاء النواب ، وذلك عن طريق مقاطعة الانتخابات (والحق أن الزاهري كان عنيفا قاسيا جريء القلم واقعيه يبتذي في أسلوبه إلى حد الإسفاف ، وهو لا يتورع عن نيل خصومه من كل ثغرة ولو ساقه ذلك إلى المجون وفحش القول واتهام الأعراض)². والواقع هو ما أشار إليه محمد ناصر ، فقد اتهم محمد السعيد الزاهري النواب بالجهل والانتهازية ، وأنهم غير أكفاء ، وليس فيهم كفاءة ولا أهلية للكراسي التي يستوون عليها ليكونوا لسان الأمة ويكونوا صوت الجزائر . ذلك بان أكثرهم - وهم ربع النواب - جاهلون لا يعون ما يدور حولهم من الأحاديث ، ولا يفقهون حتى مواضيع المسائل التي تطرح أمامهم للبحث والمناقشة ، فكثير منهم يرفعون أيديهم حين الاقتراع على شيء ، مصادقة على ما لا يعرفون ، فيضرون من حيث يريدون أن ينفعوا وهم يشعرون³ . ولم تكن جرأة محمد السعيد الزاهري منطلقة من فراغ أو بغير حق ، أو حقا عليهم بل كان منطقه في ذلك الصدع بالحقيقة المطابقة للواقع . لذلك - وحتى لا يتهم

¹ - عتيد "خدام الغير" البرق ، عدد 6 بتاريخ 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 أبريل 1927 م ، ص 1 .

² - نصر ، محمد : المقالة الصحفية ، نشأتها - تطورها - أعلامها من 1903 إلى 1931 م . ص 131 .

³ - الزاهري ، محمد السعيد "العربية والنواب" البرق ، عدد 18 - الاثنين 12 محرم 1346 هـ ، الموافق لـ 11 جويلية 1927 م . ص 1 .

بالافتراء والكذب - يترجم للقراء أحداثا مصدرها الحياة اليومية للنائب الجزائري . فقد روى قصة نائب جزائري وافق على الاقتطاع من مرتبه جهلا منه وذلك برفع يده في إحدى الجلسات ، ثم أشار إلى أن النواب يستوون جميعهم في هذه الصفة فقال : ولم يكن هذا النائب وحده في حيوانيته ، فإن أمثاله من الأعضاء الأهالي كثيرون¹ .

وحتى يكون محمد السعيد الزاهري منصفاً في حق نواب الشعب الجزائري ، استثنى فئة قليلة منهم وصفهم بالذكاء والمهارة ، وأصحاب شهادات عالية ، ولكنهم أصحاب ألسنة فرنسية ، وجاهلة بأحوال أمتهم التي يدعون النيابة عنها ، ومثل هؤلاء عنده يصبون المصائب على رأس الجزائري لأنهم سرعان ما يقعون في الخطأ فيداوونها (الأمة) بغير دوائها ، لأنهم لا يعرفون مرضها ، ولا يبرأ داء يداوى بدواء لم يخلق له² . وبإشارة خفية يوجه محمد السعيد الزاهري نظر القارئ إلى هدف المحتل من وراء السماح للنواب الجزائريين للجلوس في مجالسه والحديث معه حول مشكلات الشعب الجزائري ، وفي الوقت نفسه لم ينس هجومه على النواب الذين يصادقون على ما لا يحبه الشعب الجزائري ويرضاه ، (وليس هناك في النواب أشد حمقا ممن يطلب للجزائر أن تخلع جنسيتها ، وأن ، تتفرنج كرها)³ . لقد تناول السعيد الزاهري النواب تناولا ساخرا يفيض بالكراهية على مواقفهم الانهزامية المخزية في نظره ، ودعا المواطن الجزائري إلى أن يتقصى في النواب نقاط الضعف ثم يقول لهم بصراحة بأنكم لستم أهلا لثقة الشعب ، بل يدعو السعيد الزاهري الناس جميعا إلى تحديد نظرهم في الذي ينتخبونه مرة أخرى .

بعدما أيقن محمد السعيد الزاهري بأن النواب يعملون على إعادة العمل بالقوانين التي لا يرضاها الشعب مثل قانون التجنس بالجنسية الفرنسية ، وقانون التجنيد الإجباري تحداهم على أن ينالوا من هذه الأمة الجزائرية التي تصارع المحتل قائلا : (جاهل مسكين من يطلب من أمتنا أن تخرج من إسلامها ولحومها ودمائها وعظامها وأمخاخها ، ولن يكون ذلك بحال من الأحوال أبد الدهر وأخرى الليالي . فليرح الجادون في هذا الأمر

¹ - الزاهري ، محمد السعيد " العربية والنواب " البرق ، عدد 18 ، المرجع السابق . ن ص .

² - المرجع نفسه . ص ن .

³ - المرجع نفسه ، ص ن .

أنفسهم ولا يتعبوا في طلب ما لا يرجعون منه بغير الخيبة والإخفاق ، ولا يرجع على الأمة إلا بالخسران المبين¹ . قبل أن ينتهي محمد السعيد الزاهري من مقالته "العريبة والنواب" يلخص للناس رأيه في هؤلاء النواب فينعتهم بالجهل التام سواء باللغة العربية لغة الأمة الجزائرية أو بظروفها المأساوية . أما اللوم كل اللوم فلا يوجهه السعيد الزاهري إلى النواب الجاهل أنفسهم ، بل إلى أولئك الذين أوصلوهم إلى كراسي النيابة ليمثلوهم ويتحدثوا باسمهم .

إن ختام المقال الذي أدلى فيه محمد السعيد الزاهري برأيه الواضح في المطالبة بحقوق الجزائري المهضوم وحريتها السلبية كان في دعوة جريئة وصريحة هي : مقاطعة مهزلة الانتخابات مادامت لا تنفع بل تضر ، ولا تصب نتائجها إلا في كنانة المحتل المغتصب . فيعبر عن موقفه تجاه مهزلة الانتخابات والنواب بـ (إننا فقراء من الرجال أهل المقدرة واللياقة للنيابة عنا ... إنني أرى أن نقطع أملنا من هذه النيابة الموجودة الآن وأن نعرض عنها بكل ما لنا فيها من طمع ورجاء . إنه يجب علينا أن نمسك أصواتنا يوم الانتخابات فلا ننتخب أحدا من الناس ما دامت هذه هي الحال ، لئلا تكون على الجزائر حجة بعد هذه النيابة الكاذبة)² . ولقد أشار محمد السعيد الزاهري في مكان آخر إلى المعنى نفسه الذي ختم به مقاله "العريبة والنواب" حيث تهجم على نواب مدينة مستغانم الذين زارهم الوالي ولم يتجرأوا حتى على إخباره بالمشكلات الحقيقية التي يتخبط فيها المواطنون بقوله : لم تولوا النيابة إذا كان دأبهم السكوت ؟ ... لا والله إذا نريد إبطال الانتخاب كله ، لأنه مفسدة لنا ، وحجة علينا ، وسلم يصعد عليه المترفون الأذلون³ .

وبهذا عبر محمد السعيد الزاهري عن رفضه الجاد للطريقة التي يدير بها المحتل سياسة الانتخابات الظالمة في حق الشعب الجزائري ، وعن سكوت النواب المخزي غير المبرر والداعي إلى الرضى والقبول بالقوانين الجائرة التي تسنها حكومات المحتل المتعاقبة من حين لآخر .

¹ - الزاهري ، محمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ن .

² - المرجع نفسه ، ص ن .

³ - مكاتب البرق " إلى التقدم " البرق ، عدد 20 ، 26 محرم الحرام 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927 م . ص 2 .

ب - التنبيه للخطر الصهيوني :

أوجز محمد السعيد الزاهري في فاتحة جريدة "البرق" (الخطة) في مقاومة المحتل الفرنسي وأعوانه من شيوخ الطرقية وشخصيات عميلة ، وصرح في إحدى نقاطها أنه يجتهد في أن تكون الجريدة صوتا للأمة ، . ومن المسائل التي تعبر عن موقف الجزائريين إزاء ما يجري من أحداث عالمية : خطر الصهيونية ، الداهم على الأمة الإسلامية . هذا الخطر الذي اعتبره محمد السعيد الزاهري رزءا جللا ليس على فلسطين وحدها بل على سائر البلاد الإسلامية . لقد أدلى السعيد الزاهري بدلوه في قضية الصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى وحذر من وعد بلفور ، وبذلك يكون أول شخصية جزائرية في تاريخ الحركة الوطنية بعد الشيخ راسم تنبه إلى أطماع اليهود في العالمين العربي والإسلامي ، ولم يسبقه (في هذه المسألة غير الشيخ راسم)¹.

انتقد محمد السعيد الزاهري عبر جرائد تونس - يوم أن كان طالبا بالزيتونة - كل الذين لم يجرؤوا ساكنا إزاء تصريحات اليهود المناهضة للمسلمين ، ومنهم باي تونس . وقد أشار إلى ذلك في مقال الصهيونية بقوله : (وقد انتقدت قبل الحرب على باي تونس ، وعلى صحافي تونس الذين نشروا بارتياح وشماتة ما كان يقول الراهب أمام الباي أيام الاحتفالات من الأدعية بإنقاذ وطنه الذي كان تحت سيطرة المسلمين وكان لا يكلمه إلا بالعبرانية)². وكما تدل العبارة السابقة على رجاحة عقل الزاهري المبكرة ، وإدراكه المتقدم لأهمية المسائل الكبيرة والمصيرية للأمتين العربية والإسلامية ، فهي تدل أيضا على توجسه من المستقبل القريب والبعيد للقضية الفلسطينية . في ظل ضعف الشعوب العربية وولاء القيادات والنخب للمحتل الأوروبي .

¹ - الرائد " الصهيونية " البرق ، عدد 20 - الاثنين 26 محرم 1346 هـ الموافق لت 24 جويلية 1927 م . ص 2/1 .
² - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

ونظرا لتأثر محمد السعيد الزاهري بمواقف عمر راسم فقد أورد في مقدمة المقال فقرة طويلة اقتبسها مما كتبه عمر راسم في جريدة "ذو الفقار" نقلا عن "المنار" مع تعليق على موقف القائمين عليها ، حول مسألة الصراع المحتدم بين الأمة الإسلامية واليهود . ويدل هذا التعليق على نضج مواقف الحركة الوطنية الجزائرية أوائل القرن العشرين . ويعتبر النقل الحرفي للفقرة على الأمانة العلمية من ناحية وعلى التطابق التام بين وجهات نظر النخبة الوطنية الجزائرية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها في قضية صراع الأمة الإسلامية مع اليهود . وما استشهاد محمد السعيد الزاهري في مقاله " الصهيونية "لسنة 1927م بتعليق عمر راسم حول نظرة المنار سنة 1914م إلا دليل على ما ذهبنا إليه .

جاء في المنار (يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين : إما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونية على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن ...)¹ . وجاء رد "ذو الفقار" سريعا وقبل الإشارة إلى الأمر الثاني بقوله : هذا خطأ فاحش من صاحب "المنار" لأنه يريد أن يرضي الدخلاء بتنازل أهل البلاد إليهم ، حتى يعترفوا لهم بالمساواة² . ويستمر عمر راسم في تعليقه بعد عرضه للأمر الثاني برأي منه سياسي حصيف صريح وذلك لخطورة عاقبة الأمة العربية لما دعت إليه "المنار" من تسامح وتصالح ، وإمكانية الاتفاق على الجمع بين مصالح العرب والصهاينة في أرض فلسطين) إن اتفاق زعماء العرب أبناء الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل ، لأنه اعتراف بزعماء اليهود ، ورضى بمشاركة هؤلاء الأجانب في بلاد اشترها آبائهم بدمائهم الطاهرة ، فلا يحق لغير العرب وهم أبناء إبراهيم الأصفياء الأزكياء الموعودون بتلك البقعة المطهرة ، أن يملك تلك الأرض ، ولا لغير راية الإسلام أن تحق عليها ما دام في عروق العرب دم ، وفي أجسام المسلمين روح مسلمة ، وليعلموا أن أنساق الدولة العثمانية ، وانفصال (بلغاريا) و(صربيا) و(طرابلس) وتنازعها الداخلي ، كل ذلك مقدمة لاستقلال (فلسطين) ، ونتيجة أعمال اليهود بواسطة أوروبا ، وهم من جهة

¹ - الرائد " الصهيونية " المرجع السابق ، ص ن .

² - المرجع نفسه . ص ن .

ودسائسهم من جهة أخرى . وإن استمر الحال على ما هو عليه بقيت دولة الخلافة تحت سلطة "كارسو" وهو الذي خلع عبد الحميد . ورئيس حزب الاتحاد يهودي صهيوني وجاويد . و"حقي" بائع طرابلس لأخيه "لوزاتي" ، فلا شك أن تقع الدولة في مخالب اليهود يوما ما ، ولا يكفيها حينئذ لنجاتها لا الست مدرعات التي أوصت عليها ولا العشرون . فيجب عليها الانتباه ، وعلى أبناء العرب العمل ¹ . لئن كان هذا موقف عمر راسم الصريح والمستغرب لرأي "المنار" المعبرة عن رأي المشرقين ، فإن محمد السعيد الزاهري أضاف إليه - بعد أكثر من عقد كامل من الزمن - نقاطا أخرى نجملها فيما يلي :

- كل ما أشار إليه عمر راسم وحذر منه قبل الحرب العالمية الأولى ، أصبح من المسائل الوقتية ، من تظاهر اليهود بمبادئهم صراحة وعلى مرأى ومسمع من الشعوب العربية والإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة الإسلامية سنة 1924 م .
- النشاطات المكثفة لليهود عبر تنظيم وعقد الاجتماعات في أوروبا وخاصة فرنسا ومستعمراتها ومنها الجزائر . وتهدف هذه اللقاءات إلى :
- مساندة الحركة الصهيونية ماديا ومعنويا .
- الجرأة في دعوة أبناء إسرائيل إلى الإعانة المالية تحقيقا للمشروع المقدس لليهود ، وإظهار راية سليمان .
- إظهار معنويات اليهود العالمية في إمكانية إقامة الوطن الموعود في أرض فلسطين رغم الهلال والصليب .
- إبراز نظرة اليهود للعرب ، بأنهم أمة متكاسلة لا تحب العمل . أما اليهود فأمة نشيطة تستولي بنشاطها الفعال على الأرض المقدسة في زمن ليس بالبعيد .
- والجميل في هذا المقال "الصهيونية" هو ما يعبر عن سعة إطلاع السعيد الزاهري وتواصل نشاطه من أجل تنوير الرأي العام الجزائري بحقيقة الصراع الدائر في أرض

¹ - المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

الإسراء والمعراج . لقد وعد محمد السعيد الزاهري قراء الجريدة بأنه سينقل للناس على صفحات "البرق" بعض فصول كتاب مترجم إلى اللغة الفرنسية عثر عليه ، ليكشف بعض قرارات الجمعية السرية الصهيونية المنعقدة في بال بسويسرا سنة 1887م . غير أن السلطات الفرنسية وكعادتها خنقت أنفاس جريدة "البرق" وحالت دون نشر هذه الوثائق الهامة .

* * *

تعرض محمد السعيد الزاهري - أيضا- في مقال آخر تحت عنوان "أين تذهب أموالنا" إلى نشاط اليهود في أرض الجزائر وبإشراف المحتل الفرنسي ، ويتمثل هذا النشاط في اجتماع اليهود بـ (مركز العساكر والبحرية) دعا إليه المحامي اليهودي (ناطان لايرن) .

عرف محمد السعيد الزاهري في مقدمة المقال بجمعية "كسيران هايسود" بأنها الخزانة المعتمدة من تبرعات اليهود المستمرة لتجديد بناء معهد سليمان ، وتأسيس مملكة اليهود ، وعلى الأقل لإعانة مستعمري أرض الميعاد¹ . ثم انتقل إلى ذكر أشهر الجمعيات اليهودية ذيوعا وهي: الاتحاد الإسرائيلي التي أسسها "كريميو" المشهور بمحاولاته المتكررة والجادة في تنشيط وإحياء قانون التجنس المعروف بآثاره السلبية على الجزائريين .

وجه محمد السعيد الزاهري نداء قويا لضمير الشعب الجزائري ليخبره بمجيء المحامي اليهودي "ناطان لايرن" إلى أرض الجزائر ، مفوضا من لدن جمعية (كسيران هايسون) . جاء ليدعو بحجارة إخوانه الإسرائيليين في سبيل إعانة إخوانهم بالمال في أرض الميعاد ، وكان نداء محمد السعيد الزاهري بأسلوب الإنكار على تخاذل الجزائريين أمام تحركات اليهود في أرض الجزائر فقال : فليتدبر إخواننا وزعمائونا ، وليتأملوا في نشاط اليهود ووطنيتهم² . وبعد النداء ذكرهم فيه بكيفية اختطاف اليهود لأرض فلسطين من بين أيدي العرب جميعا رغم ما عرف عن اليهود من تفرق وتشتت في العالم ، وبعدما (

¹ - الراصد " أين تذهب أموالنا " البرق ، عدد 15 ، بتاريخ 5 محرم الحرام 1345هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م . ص 1 .

² - المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأؤوا بغضب من الله¹ ولسنين طويلة . واستمر المقال يذكر الشعب الجزائري بأحقية العرب في أرض فلسطين وبكون اليهود من الظالمين المعتدين على ممتلكات ومقدسات الأمة الإسلامية ، جاعلا استعمار اليهود لفلسطين لا يختلف أبدا عن بقية الاستعمار الأوروبي الجاثم على صدر الأمة العربية والإسلامية . وانتهى المقال إلى خلاصة فاصلة وجريئة ، تكشف تأثر رواد الحركة الوطنية بالأحداث التي تمر بها الأمة الإسلامية ومنها فلسطين قال : (لا نرضى أن تكون الأموال التي اختلسوها منا ومن غيرنا بالربا وبالوجوه المعلومه أساسا لبناء ملكهم ، ونفوذ سياستهم على إخواننا المسلمين أهالي فلسطين الحقيقيين)². لعل هذه العبارة تدعو إلى ثورة على اليهود في الجزائر آنذاك ، سلاحها المقاطعة الاقتصادية كما أشار إلى ذلك في غير هذا الموضوع ، وبالضبط في رسالة بعث بها إلى رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي قائلا له : مع أنكم تعلمون أنه لو اعتصب المسلمون عليكم وقطعوا معاملتكم لرجعتم كلكم إلى الحالة التي تستحقونها والتي تليق بكم لأنكم أسأتم لمن أحسن إليكم ومن كان سببا في غناكم وتحريركم)³.

وكما لم يتوان محمد السعيد الزاهري في إغلاظ القول إلى كل من يسعى في أرض الجزائر لتغليب اليهود على المسلمين في فلسطين بدعم مادي أو معنوي ، فإنه لم يخل على الجزائريين ببعض أسماء الذين جاهروا لهم بالسوء ومن هذه الأسماء : لبيرن ، هانري ، شارل أبو الخير ، الشبيب بن هيمون كاتب الشبيبة الاشتراكية . وكذلك لم يخف رأيه المبطن بشيء من التهديد والوعيد قائلا : فلسطين في أرض عربية إسلامية ، وإن أموالنا وأتعبنا وأرواحنا التي أزهدت في الحروب الأخيرة لا تذهب وراء سعي المرابين)⁴.

وفي رسالة بعث بها محمد السعيد الزاهري إلى رئيس الطائفة اليهودية استطاع أن يكشف فيها بصدق عن الحالة المزرية التي عاشها الشعب الجزائري تحت الاحتلال في

¹ - سورة البقرة آية 61 .

² - الراصد " أين تذهب أموالنا " البرق ، عدد 15 - الاثنين 5 محرم الحرام 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927 م . ص 1 .

³ - ابن الجزائر " رسالة مفتوحة إلى المعلم فريدمان رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي ، البرق ، عدد 18 ، 12 محرم الحرام 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م . ص 3/2 .

⁴ - الراصد " أين تذهب أموالنا " البرق ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

عشرينيات القرن العشرين . ونشر محمد السعيد الزاهري الرسالة في جريدة "الجزائر" عام 1925م ، ثم أعاد نشرها في جريدة "البرق" في العدد الخامس عشر . واختيار السعيد الزاهري لشخصية الراهب (فريدمان) قد يدلنا على أن الحركة الوطنية وقتئذ في مستوى التحدي وتحمل المسؤولية . كما يدل أيضا على أن الجزائر على موعد مع نهضة حقيقية ، يحمل مشعلها رواد تسلحوا بالعلم والعمل معا .

احتوت الرسالة التي بعث بها محمد السعيد الزاهري إلى الراهب (فريدمان) على ثلاث فقرات تخللها مضمون تاريخي ، وتحليل واقعي بتركيز كبير ، وبعد في النظر ، رغم أنها لم تكن بالطويلة ولا بالموجزة . بدأ الفقرة الأولى فيها بنداء غرضه التحدي ، وختمها بتحذير ملؤه الاعتزاز والكبرياء ، وما كان بين النداء والتحدي فمضمون تاريخي ذكر فيه الزاهري الراهب بالزمن الغابر لليهود في ظل الأمم العيسوية ، وحالهم السعيد في كنف الأمة الجزائرية حاضرا ، وكيف تنكر اليهود للجزائريين فاستعبدوا أهلها وسخروا منهم جميعا . أما الفقرة الثانية فكانت عبارة عن تحليل واقعي لأسباب رفاهية هؤلاء اليهود في الجزائر وتعاسة الجزائريين في أرضهم . أما الفقرة الأخيرة فرأى فيها الزاهري أن أرواح الجزائريين عزيزة لم تمت رغم قهر اليهود وظلمهم ، منبها في الوقت نفسه ومحذرا الطائفة اليهودية من التدخل في شؤون الجزائريين السياسية والاقتصادية ، وواضعا لهم شروط التعايش السلمي الذي يكفل الحقوق ، ويحفظ الواجبات بين اليهود الدخلاء والجزائريين أصحاب الأرض . وقد لمح محمد السعيد في ختام الرسالة إلى اللجوء إلى خيار المقاطعة الاقتصادية للسلع اليهودية وذلك من أجل ضرب المكانة الاقتصادية فيقول : مع أنكم تعلمون أنه لو اعتصب المسلمون عليكم ، وقطعوا معاملتكم رجعت كلكم إلى الحالة التي تستحقونها والتي تليق بكم لأنكم أسأتم لمن أحسن ليكم ، ومن كان سببا في غناكم وتحريركم¹ . أما عن الشروط التي ذكرها السعيد الزاهري للعيش بسلام ، فأملها عليه حال الجزائريين المزري ؛ إذ وصل بهم الأمر إلى مستوى معيشة

¹ - ابن الجزائر " رسالة مفتوحة إلى المعلم فريدمان رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي ، البرق ، عدد 18 ، ص 3/2 .

البهائم في نظر اليهود . ومحمل شروط التعايش السلمي بين اليهود والجزائريين فملخصها كما يلي :

- ألا يتدخل اليهود في شؤون الجزائريين السياسية والاقتصادية .
- أن يرفعوا الأذى عن الجزائريين ، وأن يعطوا الشعب حقه .
- ألا يتعصب اليهود ضد الجزائريين .

وختم السعيد الزاهري هذه الرسالة بدعوة وتذكير هما : فلا تتعصبوا ولا تتكاتفوا ، وإلا فالتعصب يجلب التعصب ، ولا تنسوا أن الأغلبية لنا ، ونحن أحق بالسيادة فيها منكم ، فانتبه أيها الراهب ونبه إخوانك لعلهم يرجعون ، والسلام على من اتبع الهدى¹

* **

ج - الفلاحة والتجارة والصناعة :

لا شك أن الرسالة التي عثرنا عليها في جريدة "البرق" في العدد الواحد والعشرين² والتي بعث بها محمد السعيد الزاهري إلى صديقه أبي حفص الحمادي نفيسة من وجوه مختلفة أهمها : - رصد الحالة المزرية التي آلت إليها الجزائر أرضا وشعبا بعد قرن من الاحتلال .

- المقارنة القيمة بين ماضي الجزائر الحر وحاضرها التعيس تحت وطأة المحتل .
- رصد صور التجارة والصناعة والفلاحة التي اهتم بها الجزائري وحافظ عليها طوال قرون .

- رد أسباب انهيار البنية التحتية للجزائريين في ظل الاحتلال إلى التفريط في التجارة والصناعة والفلاحة .

- أمل محمد السعيد الزاهري - وهو أحد أبناء الحركة الوطنية - في عودة الصورة المشرقة للجزائر بسبب عودة المفاهيم الصحيحة إلى الناس عموما ، وإلى التجار وملاك الأرض خصوصا .

¹ - ابن الجزائر ، " رسالة إلى الراهب الكبير " المصدر السابق . الصفحة نفسها .

² - بتاريخ الاثنين 3 صفر 1346هـ الموافق لـ 1 أوت 1927م . ص 1 .

إن أول مقاومة نستشفها من الرسالة¹ شعور محمد السعيد الزاهري بالحزن والحسرة التي خنقت أنفاسه وهو يهنئ صديقه بالعيد الجديد ، آملاً ألا يعود هذا العيد على بني وطنه مرة أخرى ووجوههم كالحلة شاحبة ، عليها غبرة ترهقها قفرة² . وجوه سلب منها المحتل ابتسامتها وإشراقها الطبيعي في مثل هذه المواسم الدينية التي أمروا فيها أن يأخذوا زينتهم ، وأن يملأوا الأرض فرحاً³ . هنا محمد السعيد الزاهري صديقه بالعيد وهو يتمنى للجزائريين الخير (أهنيكم بهذا العيد وأرجو أن لا يعود على أبناء الجزائر مرة أخرى إلا وهم أيقاظ غير رقود ، وأحياء غير أموات يشعرون بما هجم عليهم من البؤس الأليم والفقر المدقع والجهالة العمياء)⁴ . فمشاركة السعيد الزاهري لبني قومه تكشف لنا شدة اهتمام رواد الحركة الإصلاحية والوطنية بالواقع المعيش ، وتأثرهم بالأحداث اليومية للمواطن . لقد وضع محمد السعيد الزاهري القارئ من بداية الرسالة في صورة الواقع المر ليشهد بتدهور الأوضاع الاجتماعية ، فيصور حالته وحالة الخطيب على المنبر الذي أضحى في نظره نائحة تبكي وتستبكي الناس السامعين فتكاد تسبقني الدموع وتبتدرني العبرات لولا أنني أتوب إلى رشدي ، وأعلم إنني في يوم عيد⁵ ، لكنه يرسل زفرات الأمل في عودة هذا الشعب المضطهد إلى حالته الطبيعية فيملاً قلبه فرحاً كما أمره دينه وأوحت إليه عاداته وتقاليده . وبارقة أمل السعيد الزاهري في ذلك شعور الناس - عموماً - وإحساسهم بما آلت إليه أحوال بلادهم من شقاء وبؤس ، وذلك بداية الطريق إلى التملل ضد الظلم والاضطهاد (ولست أشك أن هؤلاء الناس بدأوا يحسون بما صارت إليه الجزائر من الحالة الشقية وعادوا يشعرون بما أشرفوا عليه من الموت الأحمر ، فهم لا يريدون أن يفرحوا فرحاً كاذباً ، وأن يسعدوا سعادة موهومة)⁶ . وحتى يقوم السعيد الزاهري بدوره في إنقاذ همم الجزائريين وشحن نفوسهم راح يزيح الغبار عن

¹ - تنتظر تلك الرسالة في الملحق الذي ذيلنا به هذا البحث .

² - سورة عبس ، الآية 40 / 41 .

³ - جساس " الرسائل الخاصة " البرق ، عدد 21 ، بتاريخ 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 1 .

⁴ - جساس " الرسائل الخاصة " . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

⁵ - جساس " الرسائل الخاصة " . المرجع السابق . الصفحة نفسها .

⁶ - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الأسباب الحقيقية التي كانت وراء تلك السعادة الموهومة والفرح الكاذب ، فيرجع أسباب الشقاوة إلى مدنية الغرب التي سلبت من الجزائريين مفاتيح العيش وسائر وجوه الحياة حتى لم تترك في يده تجارة ولا فلاحا ولا صناعة لكي يعيش بعد ذلك على فتات موائدها . والأسباب في نظر السعيد الزاهري هي :

- سيطرة الحكومات الفرنسية المتعاقبة على الأحباس العامة واستلاؤها عليها بدعوى أنها ستنفق ريعها على المساجد وأنها ستتكفل بإعطاء مرتبات المدرسين وأهل الفتيا إلى غير ذلك من مصالح الدين ثم أنعمت على (الكولون) بتلك الأراضي الواسعة¹ .

- انبهار الجزائريين بمظاهر مدنية الغرب الخادعة وانغماسهم في ملذاتها وشهواتها والتي أكثرت من ضرورات حياة الناس ، وأكثرت من نفقاتهم ، وفتحت في وجوه المسلمين أبواب الحانات والمخامر ، ونصبت لهم المخامر ودور القمار ، وأباحت لهم ذلك كله إباحة حرة وجعلت تمدح وتثني على من يقع في شراكها بأنه متمدن ... وتزين له هذه الرذائل بمثل هذه الأوهام² .

- تأثير فتوى المرابطين والدراويش على العقول ، وسيطرتها على عواطف الناس الدينية ، وتكريس عقيدة دار الكفر ودار الإسلام . حيث أفق كثير من مشايخ الزوايا بكفر من تخلف عن الهجرة من هذه البلاد ، ورضي بأن يبقى تحت سلطة الكافرين ، فزهد بعض الجزائريين في بلادهم ، وزهدوا فيما يملكون فيها من أرض ... فباعوا أملاكهم بثمن بخس ، وخرجوا من ديارهم ، وأمواهم بغير حق ، وتركوا بجهلهم الأجانب يمرحون في بلاد عرضها السماوات والأرض³ .

ومما لا شك فيه أن الوعاء الثقافي لمحمد السعيد الزاهري مكنه من بسط هذا الموضوع الشائك ، فوضع النقاط الأساسية على الحروف بدقة ، وكما بين الأسباب والمسببات في انهيار الصناعة والتجارة ، فقد حاول أن يعالج قضية الفلاح أيضا . وكما جاءت الرسالة مفصلة في أسباب سيطرة المستوطنين على الأراضي الخصبة للجزائريين ،

¹ - المرجع السابق . الصفحة نفسها .

² - المرجع نفسه ، ص ن .

³ - المرجع نفسه ، ص ن .

فقد ردت تدهور التجارة الجزائرية وصناعتها في ظل الاحتلال إلى أن بني ميزاب ملكوا التجارة أمدا طويلا ولكنهم فقدوها بسبب منافسة اليهود لهم وإتقانهم لفنونه . أما الصناعة فهي الأخرى اضمحلت وتلاشت أمام مثيلتها الأجنبية ، كصناعة "البرنوس" التي تراجعت أمام "الملف" ، وكذلك صناعة الأحذية والملابس التي لم يبق لها أثر في السوق الجزائرية . ومصدر تشاؤم السعيد الزاهري يكمن في إقبال الأهالي (الجزائريين) على مصنوعات الدول الأجنبية ، وزهد أصحاب الصناعة الأهلية (الجزائرية) فيما يصنعون¹ . لكنه من ناحية أخرى متفائل ومستبشر بالنهضة التجارية التي نهضها القبائل في هذه تلك الأيام نحو استرجاع التجارة إلى اليد الأهلية الجزائرية² ، ومتمن لبني ميزاب أن ينهضوا نهضة عصرية نسترد بها ما كان للجزائر من المكانة في الثروة والاقتصاد³ .

* * *

د - انتقاد الشخصيات السياسية :

قبل أن تطوي ملف المقاومة السياسية نشير إلى موضوع آخر قاوم من خلاله محمد السعيد الزاهري أذنان المحتل ، وهو انتقاد الشخصيات الكبيرة ذات الوزن الثقيل في سياسة المحتل الفرنسي أمثال الدكتور ابن التهامي صاحب الجهود الجبارة في إعادة قانون الأندجينا ، وقانون الصحافة والمعروف بحركته ضد الوطنيين الجزائريين الأحرار مثل عمر راسم والأمير خالد . وسأكتفي هنا بعرض شخصية الدكتور ابن التهامي لتأثيرها السلي على الحركة الإصلاحية والوطنية والمتمثل في السعي إلى تعطيل الصحافة الجزائرية المكتوبة بالعربية ، والعمل على الزج بالقائمين عليها في السجون أو النفي .

تسمي بعض الجرائد العربية الجزائرية مثل "الشهاب" و"البرق" الدكتور ابن التهامي "تامي" . وهو نائب عربي متجنس يقطن الجزائر العاصمة ويدير جريدة "التقدم" ، ويشبه مركزه في مجالس النيابية في الجزائر مركز النائب الفرنسي "مورينو" في البرلمان الفرنسي ، ويعد من أشد المدافعين عن قانون التجنيد الإجباري ، وقانون التجنس ، وهو

¹ - المرجع السابق ، ص ن .

² - المرجع نفسه ، ص ن .

³ - المرجع نفسه ، ص ن .

محل انتقاد الصحافة العربية والأجنبية على حد سواء وذلك لمواقفه المعادية للجزائريين . فقد كتبت عنه (صحف فرنسوية كبرى كجريدة "بارلمنطير" ... سلسلة مقالات تحت عنوان خيانة الدكتور بن التهامي . وكجريدة "لابريس لير" وجريدة "المنبر الأهلي" التي تعنون مقالاتها عليه هكذا إيطرامي بودوارة)¹ . أما جماعة ابن التهامي فكان يطلق عليها اسم بني وي وي oui oui لأنهم كانوا يرددون بكلمة نعم نعم على كل ما تأمر به الإدارة الفرنسية² . ولم يتوان محمد السعيد الزاهري في إلصاق أقبح الصفات بالنائب ابن التهامي سواء الخلقية أو الخلقية ليتعرف الجزائريون على أعماله الخفية المعادية للجزائر وشعبها ، ومدعما ما يقدمه من أقوال واتهامات بشواهد وأدلة قاطعة تثبت جدارة محمد السعيد الزاهري وذكاءه الذي يدير به صراعه مع رموز كبيرة كانت تعتمد عليها الإدارة الفرنسية في إنجاح سياساتها . لقد أحصى محمد السعيد الزاهري على النائب ابن التهامي تحركاته وأقواله وحتى ادعاءاته داخل المجالس النيابية وخارجها ، وقص على العامة من الناس أخباره مثل (أراد ابن تومي أن يبين لنا طلب الثلاثمائة فرنك إعانة لبعض الأهالي الفقراء أو لجمعية الشبيبة الجزائرية أو لمشروع أهلي آخر ، وأراد تبرئة نفسه مما نسبته إليه "البرق" من أنه سعى إلى مصلحة غير الأهالي ، فقال : طلبت الثلاثمائة فرنك لا لدار العميان غير الأهالي كما قال "البرق" ، ولكن طلبتها إعانة للمرضى المصابين بالسل وهم غير أهالي وإن زعم الدكتور إنهم بين أوروبيين وأهالي)³ . ما أكثر تصريحات ابن التهامي التي تتبعها محمد السعيد الزاهري وكشف عن تناقضها مع الواقع المعيش للشعب الجزائري كمسألة المقبرة التي ادعى النائب ابن التهامي مشاركته في إنجازها ، وادعاؤه أيضا في سعيه الكاذب لإعانة عائلة مصطفى بن محمد شهيد الحرية ، ومسألة إنجاز مستشفى لأطفال الجزائر المرضى . وبهذه التعرية لادعاءات ابن التهامي يكون محمد السعيد الزاهري قد قاوم خصومه وأعداء وطنه .

¹ - الرحوني ، محمد عبد المجيد " جريدة البرق والدكتور ابن التهامي " الشهاب ، السنة الثالثة ، العدد 124 ، 7 جمادى الثانية 1346 هـ الموافق لـ 1 ديسمبر 1927 م . ص 15 .

² - قدارة ، شايب غزواني : الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945 م رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث - المعاصر - 1991 ن جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية . ص 175 .

³ - لبرق " الدكتور بن التهامي " البرق ، عدد 18 ، 12 محرم الحرام 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م ، ص 1 .

وهكذا تعرف الشعب الجزائري من خلال مقالات محمد السعيد الزاهري في جريدة "البرق" أن النائب ابن التهامي وراء عدة مصائب حلت بالجزائر وشعبها ، وأنه (عمل بكل ما يقدر على بقاء راسم بالسجن لأنه كان عدوه الأزرق في مسألة التجنيد)¹.

كشف محمد السعيد الزاهري عن أسماء الكثير من رجالات المقاومة الوطنية تعرضت للسب والشتيم على صفحات بعض الجرائد خاصة "التقدم" من طرف النائب الدكتور ابن التهامي ومنهم : المرحوم محمد بن صيام و قهيمته : رئيس بني وي وي . الأمير خالد و قهيمته : المتآمر كأنه ليس بحفيد الأمير عبد القادر . عمر بن قدور و قهيمته : راشي بخيل . عمر راسم و قهيمته : قديم وبائت . ابن العربي و قهيمته : المعنوه . السيد مصطفى الشرشالي و قهيمته : المتأخر . الحاج عمار و قهيمته : الجاهل . القائد حمو و قهيمته : المتطفل . وغير هؤلاء كثير أشارت إليهم جريدة "البرق" في عددها الواحد والعشرين دون أن تذكر أسماءهم مما يدل على أن رواد الحركة كانوا في مواجهة دائمة لأعداء الجزائر .

* * *

2 - مقاومة الزاهري للغزو الثقافي :

خص محمد السعيد الزاهري جريدة "البرق" بمقال مطول تحت عنوان "التفرنج الآثم" نشره في ثلاثة أعداد هي : الرابع² والخامس³ والسابع⁴ ، وصدر به الصفحات الأولى من تلك الأعداد ، ويعالج المقال : خطر تقليد المرأة المسلمة لعادات الغرب وتقاليده . ويأتي المقال كرد فعل لما نشرته جريدة "لاديباش ألبيريان" ولما كانت تنشره وتروج له جرائد المحتل المكتوبة بالفرنسية آنذاك .

ترجم محمد السعيد الزاهري المقال عن الجريدة "لاديباش ألبيريان" وعلق على محتواه ، ورأى أن الفكرة التي يروج لها المحتل جاءت على لسان راقصة تونسية تدعي

¹ - المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

² - بتاريخ 24 رمضان 1345 هـ ، الموافق لـ 28 مارس 1927 م . ص 1 .

³ - بتاريخ 1 شوال 1345 هـ ، الموافق لـ 4 أبريل 1927 م . ص 1 .

⁴ - بتاريخ 16 شوال 1345 هـ ، الموافق لـ 18 أبريل 1927 م . ص 1 .

الإسلام عقيدة وسلوكا ، وتزعم أنها تنتسب إلى أشرف العائلات العربية والإسلامية بتونس ، وأنها زوجة مسلم متجنس يشغل رئيس جمعية المسلمين المتفرنسين . ومضمون الفكرة هو دعوة صريحة للمرأة المسلمة إلى التجنس ، والعزوف عن الزواج بالشباب العربي المسلم ، من أجل التمتع بالحياة الحقيقية في ظل التبرج والرقص والاختلاط بالرجال في شوارع المدن ودور المسرح ليلا ونهارا .

لقد كانت معالجة محمد السعيد الزاهري للمسألة من جذورها ، فقد ذكر الأسباب التي دفعت بالمرأة التونسية المسلمة إلى اعتناق مثل هذه الأفكار الهدامة ، ثم الدعوة إليها جهرة . والقضية في نظر محمد السعيد الزاهري لا تعدو أن تكون خروجا عن عادات الأمة العربية الإسلامية ، وانسلاخا عن تقاليد العريقة . ويعود مصدر جرأة المرأة التونسية في دعوة بنات المسلمين - في نظر محمد السعيد الزاهري - إلى الإقتداء بها إلى (ثمرة تعلم بنات المسلمات العرييات لغة غير لغة القرآن وغير لغة العرب)¹. ولا شك من أن ذلك أدى إلى تربية خُلُقِيَّة مخالفة لعادات الإسلام وأخلاقه (فترين تربية عربية ليس بينها وبين التربية الإسلامية من وشيجة نسب ، وتخلقن بأخلاق وتعودن بعادات لا تتفق مع أخلاقنا وعاداتنا بحال من الأحوال)².

كشف محمد السعيد الزاهري عن السبب الذي كان وراء المشكلة . وانطلاقا من النتائج الخطيرة المترتبة عن ذلك رأى بأن يحتاط لوطنه حتى لا يقع فيما وقعت فيه تونس نتيجة انتشار المدارس الفرنسية ، فراح ينبه إلى الخطر ويحذر من نتائجه .

واستطاع محمد السعيد الزاهري الكشف عن خطر وجود المدارس الفرنسية في الوطن العربي ، ومحاولاتها المتكررة لحو الشخصية الإسلامية ، والقومية العربية للشعب الجزائري . لقد خاطب من خلال مقاله "التفرنج الآثم" العقول الجزائرية بهدف التصدي لمثل هذا الداء الخطير قبل أن يستفحل شره بين النساء الجزائريات ، وفي عقر دارهن ، خاصة وأن بعض أبناء الجزائر من بات يطلب من الحكومة أن تحدث مدارس فرنسية

¹ - الزاهري ، محمد السعيد " التفرنج الآثم " ، البرق ، عدد 4 . بتاريخ 24 رمضان 1345 هـ ، الموافق لـ 28 مارس 1927 م . ص 1.

² - الزاهري ، محمد السعيد " التفرنج الآثم " ، البرق ، عدد 5 . بتاريخ 1 شوال 1345 هـ ، الموافق لـ 18 أبريل 1927 م . ص 1 .

للبنات المسلمات حتى لا ييقن جزائريات مسلمات¹. ويصل محمد السعيد الزاهري في النهاية إلى التنبيه والتحذير مما سيترب عن تخاذل وتماطل الشعبين التونسي والجزائري في التصدي لهذا الغزو الثقافي الخطير (فإن لم يتدارك أبناء تونس عوائدهم المقدسة ، ولم يحذر أبناء الجزائر من هذا الخطر الهاجم على ما يملكونه من شخصية تميزهم ، فإنهم يكونون هم العاملين على هدم شخصيتهم . وويل لهم مما عملت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)².

3- المقاومة الثقافية :

كان لزاما علينا ونحن نستقرئ أحداث الطرقية وآثارها السلبية والايجابية على المجتمع الجزائري ، وتصدي رواد الحركة الإصلاحية ضمن الحركة الوطنية في العصر الحديث لها ، أن نفرق بين تلك الطرق التي اتخذها المحتل حليفا ونصيرا له ، أو صيرها وسيلة لتكبيد إرادة الشعب الجزائري حتى لا يطالب بحقوقه المشروعة خاصة السياسية منها ، وبين التي عملت منذ زمن بعيد على بناء الشخصية الوطنية الجزائرية والمحافظة على هويته ، وأذكت فيه روح العزة والشهامة لتستمر حياته في ظل العروبة والإسلام . ومن هذه الطرق : الشاذلية والقادرية والتيجانية والسوسية³ . وكلها تحولت في زمن شدائد أوطانها من إطعام الفقراء والمساكين إلى تعليم الجيل وتخريج الأبطال الذين يذودون عن الأوطان ويضحون من أجلها أمثال الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري .

* * *

أ - الزوايا في الجزائر :

الزوايا في الجزائر - عموما - كثيرة خاصة بعد الاحتلال الفرنسي . وتعتمد أساسا في تنظيمها الديني على تعليم الناس القرآن الكريم والحديث الشريف ، وفي تنظيمها الاجتماعي على إطعام الفقراء والمساكين ، وفي تنظيمها السياسي على بث روح

¹ - الزاهري ، محمد السعيد " التفرنج الأثم " المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

² - المرجع السابق ، ص ن .

³ - أكثر تفصيل . لوثرروب ، ستودارد الأمريكي ، حاضر العالم الإسلامي ، نقله إلى العربية عجاج نويهض بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير شكيب أرسلان ، المجلد الثاني . مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر 1352 هـ ، ص من 395 إلى 407 .

الكراهية للمحتل بين أفراد المجتمع . وباعتراف المحتل نفسه فقد أصبحت هذه الزوايا تقاوم وجوده ، (إن مشايخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقراءة نصوصا من القرآن معادية لنا مما يحطم فيهم وبسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا، وتعتبر التأثيرات الدينية من ألد أعدائنا والتي يجب أن نخشاها ونخطط لها سياستنا)¹. وهذه فقرة من أفضل الفقرات التي انتقتها في هذا الباب الدكتور الفرنسية "تورين إيفون" من نصوص كتبها ضابط فرنسي ، وتدل على أن المحتل قد صعب عليه التعرف على المصدر الذي يمد الجزائريين بالقوة المعنوية والمادية في تنظيم المقاومة وإدارتها بشكل ناجح في أغلب الأحيان . وكانت الزوايا تشكل للمحتل هاجسا كبيرا ، لذلك كان التجسس مستمرا عليها ليلا ونهارا ، وإنفاق المال الوفير على معرفة ما يجري بداخلها لا يتوقف ، وهذا ما دعا "ماك هون" سنة 1851م إلى القول : (يجب على الإنسان أن يقضي حياته كلها في الزاوية حتى يعرف ما يجري فيها وما يقال فيها)².

يعترف المحتل إذا بأن لهذه الزوايا في الجزائر - رغم كثرتها وما فيها من تشعبات فكرية - غايات مشتركة ، وأنها ليست بمعزل في أعمالها عن العالم بل كانت دائما شديدة الصلة بمثيلاهما في الأقطار العربية والإسلامية ، وأنها تبذل جهودا كبيرة في سبيل الحفاظ على خطها الديني لأجل تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة ، والتي تتمثل في بناء إمبراطورية إسلامية وطرد المحتل (لقد كان بفرع المدية مذهب الدرقاوة ، الذين كانوا معادين لنا كل العداء لأن غايتهم سياسية ، بوجه خاص أرادوا أن يشيدوا من جديد صرح إمبراطورية إسلامية ويطردونا)³.

ومن وجهة نظر المحتل فإن الجرائد والمجلات الوافدة من خارج الجزائر مع وفود الحجاج هي التي تعمل بشكل أساسي على التعصب الديني ونشر الخرافة في الجزائر ،

¹ - تورين إيفون ، " الأشكال الرئيسية للمقاومة في الجزائر إبان القرن التاسع عشر : شهادة الوثائق الفرنسية وظواهر ضعفها " محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي ، المجلد الأول ، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، 13 جمادى الثانية الى 1 رجب 1392 هـ الموافق لـ 24 يوليو إلى 10 أغسطس 1972 م - الجزائر - ص 255 .
² - تورين إيفون ، المرجع السابق . ص 254 .
³ - المرجع السابق ، ص 254 .

(وإن الأسباب الأساسية التي كانت تساعد على إبقاء السكان الأهليين (الجزائريين) على حالة من الخرافة والتعصب الديني المعاديين لنا إلى على درجة من الوجهة السياسية هي المذاهب المنتشرة سريا من طرف النحل الدينية ، والمبادئ التي تلقن وتدرس للشبيبة في الزوايا ، والكتابات التي كان الحجاج ينقلونها من بعيد ...)¹ .

ولوجود الاتصالات بين الجزائريين وغيرهم من الشعوب العربية والإسلامية كشعوب مصر وتونس والمغرب الأقصى حرر "ميرانت" منشورا وقدمه إلى الوالي العام "شارل ليوطو" ليوقعه ثم يرسله إلى ولاية الأقاليم الثلاثة : الجزائر وقسنطينة ووهران طالبا منهم إجراء تحقيق دقيق وعاجل عن مدى انتشار الكتاب العربي بين المواطنين الجزائريين ، ومراقبة الاتصال الفكري بين أجزاء العالم العربي والإسلامي وقد ختم المنشور بـ (هذا وإني أعلق أهمية بالغة على الاطلاع على نتائج هذا التحقيق في أقرب وقت)² .

ومما سبق نصل إلى أن أغلب زوايا الجزائر بعد الاحتلال كانت يدا على المحتل وذلك عن طريق خلق ثقافة معادية له . تلك بعض الجوانب الإيجابية للطرق والزوايا الصوفية ، أما الجوانب السلبية فتتمثل في أن هناك نوعا آخر من الزوايا التي وجد فيه المحتل ضالته المنشودة ، واعتمد عليها في ضرب أركان المفاهيم الصحيحة للدين الإسلامي الخفيف في الجزائر ، وزعزعة ثقة الفرد الجزائري بربه وتمتينها بالمحتل ، ناهيك عن الاحتياال على الشعب لسلب ماله وجاهه وسلطانه .

ومنذ أن وطئت أقدام المحتل الفرنسي أرض الجزائر عام 1830 م وهو يجرب سلاح الطريقة العميلة له في التشويش على العلماء المصلحين الواقفين في وجه أطماعه سدا منيعا حتى لا يصل إلى تحقيق أهدافه الكبرى .

ومواقف رواد الحركة الوطنية الجزائرية في العصر الحديث صريحة وبينة المعالم ، تمثلت في التصدي بقوة لكل الأفكار التخريبية التي كانت تنشرها جرائد الطريقة " كجريدة " البلاغ " للطريقة العلوية . ومن أولئك المقاومين الذين كانت لهم صراعات

¹ - المرجع السابق، ص 254 .

² - شريط عبد الله ، أفكار جامعة . المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1988 م . ص 148 .

مريرة مع الكثير من مشاهيرها الطرقية العميلة للمحتل وأعلامها محمد البشير الإبراهيمي الكاشف بقوة في جريدة " البصائر " مكائد المحتل وأذنا به . وقد وصفهم في إحدى مقالاته بالآلات والأدوات في يد المحتل ، وأكد أن المجتمع الجزائري لم يكن من فكرهم إلا الخذلان (كانت الطرقية في تاريخ الاستعمار طلائع جنوده ، وأعمدة لبنوده ، وشباكا لصيده ، وحبائل لكيده وأنها كانت وما تزال في المواقف الوطنية والأزمات القومية داعية هزيمة ، ووسيلة تخذيل . وأن من المخجل أن نسمي أفرادها أناسيّ تعقل وتعي وتشعر ، وإنما هي آلات وأدوات تسخير وتسيير)¹.

وللآثار السلبية المترتبة عن أفكار الطرقية في واقع الإنسان الجزائري في ظل الاحتلال ، رأى رواد الحركة الإصلاحية والوطنية إدراج ملفها ضمن أولويات القضايا التي يجب أن يجتهدوا في محاربتها والحد من فعاليتها ، خاصة الطريقة العليوية التي أعلنت الحرب صراحة على العلماء الوطنيين وخطهم الإسلامي الأصيل . ومن الآثار السلبية للطريقة العليوية العمل على نشر المفاهيم الدينية الخاطئة في أوساط الناس كمسألة الخلوة والغوث والوعدة ، والزيارة ، وأن مسألة العودة إلى القرآن والسنة شقاوة وخسارة في رأي هذه الطريقة².

واستطاع المحتل بواسطة الطريقة العليوية تحقيق مكاسب عظيمة ، منها التمكين للجهل بالدين الصحيح ، والجمود الفكري للشباب ، وعزوف ملاك الأراضي عن فلاحتها وبيعها إلى المستوطنين بثمن بخس ، وهجرة الكثير من العلماء إلى المشرق ، واستسلام الناس عموما لفكرة " الاستعمار قضاء وقدر " ، وانتشار البدع . وهو الواقع الذي صورته عمار طالبي في المقدمة التي كتبها لكتابه " ابن باديس حياته وآثاره " حينما تحدث عن رد فعل الحركة الوطنية على سيطرة الطرق الصوفية على المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر والعشرين (فساد في الجزائر الظلام ، وخيم الجمود واستسلم الناس

¹ - الإبراهيمي ، محمد البشير ، عيون البصائر ، دار المعارف بالقاهرة - مصر - 1963م . ص 429 .

² - الزاهري ، محمد السعيد " وفد الشعراء يزور طولقة ، فرفار ، البرج ، البرق عدد 8 ، بتاريخ الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أبريل 1927 م .

للقدر وأصبحوا إذا سئل أحدهم عن حاله أجاب : "نأكل القوت ونستنى الموت" وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وشل جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى¹. ولم تكن هذه الطرق الصوفية العميلة للمحتل في عملها محصورة في الزوايا والخلوات بل اتخذت عموم المقاهي والنوادي والأسواق ميادين أخرى لنشر أفكارها وبث معتقداتها . وكانت تعتمد في ذلك أساسا على مريديها وأتباعها في الأرياف والمدن (كان لهذه الطرق الصوفية الرئيسية نواد في الأسواق يأوي إليها الأشياع فيشربون الشاي ويذكرون الله على طريقتهم ، ويتلقون بعض المبادئ الصوفية المشبوهة بالجهل والقصور)².

ويعود - في رأينا - سبب نجاح هذه الطرق الصوفية في إخضاع المجتمع الجزائري لسيطرتها زمنا طويلا بعد خمود الثورات المسلحة إلى تأييد المحتل لها ووقوفه إلى جانبها . ذلك أنه لم يسجل التاريخ أن الطرق الصوفية تعرضت لما تعرضت له الحركة الوطنية من غلق للجرائد ، وتغريم للمعلمين ، وتشريد للأتباع ، وسجن للعلماء ، مع أن المدن الجزائرية وقراها وشوارعها وكذا أسواقها قد ضجت بالأتباع والمريدين . يقول محمد البشير الإبراهيمي في هذا الشأن : (وقد حلت المصائب بهذه الأمة وهؤلاء القوم غارقون في نومهم ، وامتألت السجون والمعتقلات بالرجال وهم مطمئنون ، وجاعت الأمة وما منهم إلا الطاعم الكاسي ، وإن الصحف لمنشرة بما أخذوا من المؤن باسم الزوايا ، وبما باعوا منها في السوق السوداء ، وما كانوا يأخذون تلك المقادير الوافرة إلا على حساب الأمة فلهم الويل : أهى زوايا أم متاجر)³. وهذا ما دعا ابن باديس بتشبيه الطريقة العميلة في القرن العشرين بتلك التي كانت في القرن الثالث عشر ، ويحذر الشعب الجزائري منها ، مبينا في جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن شيوخ الطريقة من المبتدعة . ومن مقالاته في جريدة " السنة النبوية الحمدية " ما يلي تحت عنوان "إنكار العلماء المتقدمين على المدعين المبتدعين" مسجلا بذلك موقف العلماء

¹ - طالبي ، عمار ، ابن باديس حياته وآثاره ، الجزء الأول ، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان - 1983 م . ص 18 .

² - مرتاض ، عبد الملك ، فنون النثر الجزائري . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1983 . ص 39 .

³ - الإبراهيمي ، محمد البشير ، عيون البصائر . ص 432 .

المصلحين الجزائريين في العصر الحديث من كل ما يصدر عن هذه الطرق الضالة المضللة للشعب الجزائري . وعلى لسان الشيخ مصطفى العروسي بين ابن باديس حقيقة شيوخ الطريقة الذين يجب التصدي لهم بحزم (إنني بذلا للنصيحة أحذرك من متابعة مشايخ هذا الوقت ممن لا يثمر الاجتماع بهم خلاف المقت . إذ هم قطاع طريق الله على عباده ، وأعداء الأولياء الداعين إلى سبيل رشاده حيث لا همة لهم إلا العرض الفاني ، ولا سعي لهم سوى تجريد القاصي والداني . أزاحهم الله من جميع البلاد وأراح منهم الدواب والعباد)¹. وهكذا أصبح موقف رواد الحركة الإصلاحية من الطريقة وشيوخها واضحا ، وعلى لسان زعيمهم ، خاصة لما أدركوا حجم الفائدة التي يجنيها المحتل على جميع الأصعدة ؛ إذ يستغل المعتقدات الفاسدة في توجيه الرأي العام لصالحه كما حدث قبل الحرب العالمية الثانية حينما حاول تأليب موقف الجزائريين ضد الألمان² مستغلا المؤتمر الذي دعت إليه زوايا الجزائر انطلاقا من مفهوم الآية (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)³. وغير هذه المحاولة في ليّ ذراع الحركة الوطنية واستغلال الظروف المناسبة كثيرة ، ومنها أيضا محاولة الاستيلاء الفاشلة على قيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد ثلاث سنوات من تأسيسها . ولولا تفتن العلماء للمكيده ، والصمود بقوة في وجه هؤلاء الشيوخ لتمكن المحتل عن طريقهم من توجيه الجمعية إلى غير الوجهة التي لم تنشأ من أجلها .

ب - مقاومة الشعراء للطرقية :

اعتبر شعراء المقاومة الجزائرية الطرقية العميلة ظاهرة سلبية خطيرة ألقت بظلالها على المجتمع الجزائري زمنا ليس بالقليل ، فجمدت عقله ، وشلّت حركته ، وأفشت بين أفراد الجهل والضلال ، وأخضعت سلطته للمحتل الفرنسي .

ويتفق هؤلاء الشعراء على أن الجهل والضلال والاحتلال على الناس باسم الدين من السمات البارزة في حركات وسكنات شيوخ الطرقية ، الذين استولوا على عقول

¹ - ابن باديس عبد الحميد " إنكار الشيخ مصطفى العروسي من أهل القرن الثالث عشر " . السنة النبوية المحمدية . عدد 4 . ص 7

² - بن شين ، طارق " عن دور الزوايا في المقاومة " البصائر ، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من 5 إلى 12 جوان 2006 عدد

291 ، ص 7 .

³ - سورة النساء ، آية 59

السذج من الناس ، حتى صارت أغلبية الناس ينفذون الأوامر دون وعي منهم حتى وإن أوقعهم ذلك في الشرك وارتكاب الجرائم . يقول الشيخ الطاهر بن عبد السلام في ذم الطريقة وشيوخها :

لهم طرق شتى بها قد شرعوا وهم عن طريق الشرع عمي البصيرة
لهم من شياطين الأنام عصابة تقودهم للنار من غير مريّة
وأما جناب الشيخ فليعترف ولا يلبس لأجل العيش أمر الديانة
لأجل اكتساب الرزق غير وجهه فذي شيمة الفساق أهل البطالة¹
ويعترف الشاعر بتحاييل شيوخ الطريقة على السذج في جمع الأموال الطائلة باسم الدين ، وإنفاقها في الفساد الخلقي كالزنا ، أو في النفع الشخصي كشراء الأراضي وتوسيع التجارة ...

ترى غرر الأموال تجي إليهم فتصرف في مثل الزنا والسبيّة
وفي ملك دور أو شراء مزارع ممدة الأطراف ذات خصوبة²
ويلفت الشاعر انتباه الناس إلى أن ذم شيوخ الطريقة ليس حسدا من عند نفسه على ما أوتوا من نعمة المال والجاه والسلطان ، وإنما نصحا وإرشادا لهم ليسلكوا الطريق القويم وينفقوا هذه الأموال في خير ونفع الأمة كبناء المدارس وتعليم الناس .

ولست بهذا العدّ أحسدهم على متاع قليل غبّه شر حسرة
ولا أن قصدي أن أكون كشيخهم لأني بحمد الله صاحب ثروة
ولكن ما أهواه إرشادهم إلى طريق الرشاد و السبيل النيرة
وأن يصرفوا ذا المال في طريق الهدى وفيما يعم نفعه خير أمة
وفي البرّ والتقوى وتأسيس معهد جليل لنشر العلم في كل بلدة .³
ولم تحف على الشعراء ألعيب شيوخ الطريقة مع النساء ، فقد صوروهم وهم يقتحمون عليهن خلواتهن ، وكشفوا للناس ما حجب عنهم فيها من منكرات وشرور .

¹ - طمار ، محمد ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، رغبة - الجزائر - 1981م . ص 364 .

² - طمار ، محمد ، المرجع نفسه . ص ن .

³ - المرجع السابق ، ص ن .

فيقول الشاعر مصورا النسوة وهنّ يدخلن على شيخ الطريقة في خلوته ، وقد تعطّرن
وتحمّلن ولبسن أفخر ما عندهنّ من أجل الزيارة :

ويأتيه من كل الغانيات يزرنه بأفخر ملبوس و أحسن زينه
بوجه جميل مشرق ذي تورّد وطرف كحيل ذي فتور وفتنه
وقدّ كغصن البان يبدي تمايلا كسا من لباس العصر أجمل حلّة¹
إلى آخر ما وصف من حسن وجمال وابتسامة وتطيب ورشاقة وخصر ... وكل
ذلك يظفر به الشيخ ويتمتع باسم "الزيارة" .

ولا يتورّع الشاعر في التعرض إلى عرض شيخ الطريقة واصفا إياه بالكلب فيقول :
فيظفر ذاك الكلب في وسط داره بسالبة الأنياب ذات الرشاقة²
والشاعر المقاوم لمثل هذه التصرفات يدرك أن الناس في غفلة تامة عما يجري
لأزواجهم في جو الخلوة التي أعدها الشيخ إعدادا محكما لاصطياد فريسته .

يبيت بين هذي وهـذـه وكل إليه ذات سمع وطاعة
ويصطاد ربما من دون ما عنا ولا بذل مال أو لحوق معرفة
ولا خوف واش أو رقيب وإنما يزدن له مالا وكل كرامة³
ومن هنا يتعجب الشاعر الواعي لدوره في المجتمع من أمر المرأة المستسلمة لغير
زوجها ، ومن حراس المجتمع كيف غفلوا عن مثل هذه الجرائم ، ومن الزوج صاحب
البصيرة العمياء فيقول :

فيا عجبا للريم كيف تأست قد كان ريم الإنس صاحب نفرة
ويا عجبا للضيي يآلف صائدا ويأتيه طوعا مظهر كل زينة
ويا عجبا للحرس كيف تغافلوا ويا عجبا للزوج أعمى البصيرة⁴ .

¹ - المرجع نفسه . ص 364 .

² - المرجع نفسه . ص ن .

³ - المرجع نفسه . ص ن .

⁴ - المرجع السابق . ص ن .

لم يسلم شيوخ الطريقة من قلم الطيب العقبي المعروف بالسلفي المنكر على المبتدعين في الدين . فقد وضع يده في يد زعماء الإصلاح مباشرة بعد عودته من المدينة المنورة ، ورفع صوته معهم منذ البداية منكرًا على أهل البدع والضلالات مفاهيمهم المنحرفة ، وجرد قلمه معهم ناشرا مقالاته وقصائده يفضح فيها السلوك المنحرف دون مهادنة . ومما قاله في هذا المجال قصيدة نشرها في جريدة "البرق" تحت عنوان "لحى الله أهل الغي" تناول فيها مقاومته للطرقية وأتباعها ، مبديا ما يرتكبه شيوخها من أعمال إجرامية في حق الشعب الجزائري باسم الدين ، مجادلا لهم بما يقطع الشك في الشرك الذي وقعوا فيه ، آملا أن ينتصر في المواجهة التي فتحتها معهم ، والمعركة التي أقامها ضدهم .

ذكر الطيب العقبي في قصيدته البالغة في عدد أبياتها ستة وأربعين بيتا ، أنه قام في الناس داعيا إلى الدين الحق بعدما وجد ضلالات أهل الطرق تنتشر بين أفراد المجتمع الجزائري دون أن يتصدى لها إلا القليل ، في حين وجد من أهل البدع مقاومة لأفكاره ودعوته . فما كان منه إلا أن فضحهم بقوله :

عذيري من قوم لحق تنكروا وباطلهم مازال في القطر ينتشر
فلما دعوت الله ربّي وحده إذا جمعهم يولّي النكير وينكر
لحى الله أهل البغي ما قام مرشد يذكرهم بالله إلّا تكبّروا
إذا أنا ذكرت العباد برّبهم أراهم عن التذكير صدوا وزمجروا¹
لقد وصف الشاعر هذه الفئة من الناس بشر البريّة ، وأئمة الكفر ، وشياطين الإنس ، ورؤوس الضلال ، والفراعنة والمبتدعين في الدين ، والمشركين والمتجبرين والزناة والكذّابين والمزوّرين ، إن مصيرهم - لا محالة - معروف يوم القيامة :

سيلقون ربّ الناس غضبان ساخطا وجمعهم في النار يصلى و يصهر
أئمة كفر مذ قديم بأرضنا ومثلهم من بالهداية يكفر

¹ - العقبي الطيب ، البرق ، 23 ماي 1927 م ، عدد 12 ، بتاريخ 19 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 23 ماي 1927 م . ص 3 .

كم فعلوا الفحشاء سرا و جهرة وعنهم قبيح القول يروى ويؤثر
كم فرقوا الإسلام بين اجتماعه ولكنهم في غيهم تجمهروا
وقد أحدثوا في الدين أكبر بدعة بطرقهم أيا تمشي وتبصر.¹

إلى آخر ما ذكره من سلوك يوجب المقاومة والتصدي ، والحيلولة دونه ، وهذا يفرض على العلماء الاستعداد الكامل لحرب هذه الطائفة المبتدعة والانتصار عليها .

لم يتوقف شعراء الحركة الإصلاحية والوطنية في مقاومة الطريقة العميلة عن طريق وصف شيوخها بأئمة الكفر والضلال وأهل الشرك ، كما ورد في قصيدة الطيب العقبي السالفة فحسب ، بل تعدى ذلك إلى أوصاف أخرى جارحة ومؤذية للشعور ، كتشبيه هؤلاء الشيوخ بالحيوانات والطيور ووصفهم بنعوت مشينة . وقد شارك الشاعر عابسة الأخضرى الشاعر الطيب العقبي في التهجم على أبرز شيوخ الطريقة فهجاهم ونعتهم بأقبح الصفات ، ثم افتخر بشيوخ الإصلاح كعبد الحميد بن باديس وبصحفهم كمجلة "الشهاب" . وسأكتفي هنا بإيراد بعض الصفات التي تضمنتها قصائد شعراء الحركة الوطنية في شيوخ الطريقة . وردت في قصيدة له تم نشرها في جريدة "البرق" في الصفحة الأخيرة من العدد العشرين² . والقصيدة تحت عنوان "الشعر الفحل في الرد على عصبة الباطل" وجاء مضمونها في تحقير شيوخ الطريقة العليوية ، وتصغيرهم في أعين الناس ، والتقليل من شأنهم وذلك بوصفهم بـ : الجلف والديك الأشقر ، والديك الضعيف ، والأصلع ، والحرباء ، والبهائم ، والحمير و....

* * *

ج - الطريقة العليوية :

اعتبرت الحركة الوطنية الحديثة الطريقة العميلة للمحتل من أكبر الأسباب الرئيسية التي أدت بالوطن الجزائري إلى التخبط في الجهالة العمياء ، والضلال المبين ، والبؤس الأليم . وقد أجمع أقطاب هذه الحركة من علماء ومصلحين وأدباء على أن مردّ الجمود

¹ - العقبي الطيب ، المرجع السابق ، ص ن .

² - عابسة ، الأخضرى " الشعر الفحل في عصابة الباطل " البرق ، عدد 20 بتاريخ للاثنين 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927 م ، ص 3 .

والغفلة ، والقعود عن الصالحات ، والمسارة في المهلكات - بطريق مباشر أو غير مباشر - إلى الطرقية . وقد ربطوا بينها وبين الاستعمار الحديث في كل ما أصاب العباد والبلاد ، وسوَّوا بينهما في كثير من الأحيان . ومنهم من وصفها قائلاً - لما انجر عنها من الآثار سلبية خطيرة على المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي - : (لعمري إن الطرقية في صميم حقيقتها احتكار لاستغلال المواهب والقوى ، واستعمار بمعناه العصري الواسع واستعباد بأفصح صورهِ ومظاهره)¹.

والطرقية التي ثار المصلحون والعلماء في الجزائر ضدها ، وشنوا عليها الحرب ، وبالغوا في نقدها ، واتهموها صراحة بأنها جزء لا يتجزأ من الطرق الصوفية التي كانت (السبب المباشر والأقوى في كثير مما حل بالعالم الإسلامي من الأرزاء والنكبات ، وكثيراً ما كانت مفتاحاً لاستعمار ممالكه)². ومن هذه الطرق في الجزائر طريقة تسمى الطريقة العليوية نسبة إلى شيخها أحمد بن عليوة .

وقد جاءت العليوية بمفاهيم دينية وسياسية غريبة عن المجتمع الجزائري ، وأجهدت نفسها في نشر أفكارها المثبطة للجزائريين ، مستعملة في ذلك النوادي والأسواق والزوايا والجرائد ، كل ذلك بمباركة المحتل وعونه المادي ، ومن أجل الحيلولة دون التمكين لأفكار العلماء المصلحين . وهذا ما دفع بمحمد السعيد الزاهري إلى الرد بقوة على مقال الطيب العقبي الذي نشر في جريدة "البرق" تحت عنوان " من الجاني " أوعز فيه سبب ما حل بالجزائر من فضائع وجرائم إلى المواطن لا إلى المستعمر ، فما كان من الزاهري إلا أن رد عليه بقوله : (الحكومة هي المسؤولة لأنها هي التي أعانت أرباب الزوايا على ما هم فيه من ضلالة وعماية ، فما من أحد يطلب منها أن تأذن له في زاوية لنشر الخرافات إلا استجابت له بكل سرعة ، وأذنت له ، وربما أعانت بالمال ، وربما منحتهُ وساماً ، وربما كان ذلك وسام العلم ، وربما كان ذهبياً جزاء ما قتل من العقول وأمات من الفكر والشعور)³.

¹ - الإبراهيمي محمد البشير ، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . المطبعة الجزائرية - قسنطينة - 1935م . ص 34 .

² - المرجع نفسه ، ص 36 .

³ - العقبي الطيب . هامش " من هو الجاني ؟ " البرق . عدد 12 بتاريخ 19 ذي القعدة 1345هـ الموافق لـ 23 ماي 1927م . ص 1 .

أما أحمد بن عليوة الذي أدخل على الطريقة رسوما جديدة فقد كَيّف هذه الطريقة بعناية لكي تخدم مصلحته الشخصية ومنها (التربية الخلوية لمعرفة الله في ثلاثة أيام فقط ولا غير ، تتبعها أشهر وأعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ من سقي الشجر ، ورعي البقر ، وحصاد الزرع ، وبناء الدور مع الاعتراف باسم الفقير والاقتصار على أكل الشعير . ولئن سألتهم لم نزلتم مدة الخلوة إلى ثلاثة أيام ؟ ليقولن فعلنا ذلك مراعاة لروح العصر الذي يتطلب السرعة في كل شيء)¹ . وشخصية أحمد بن عليوة هي الشخصية الأكثر استهدافا في جريدة "البرق" عموما وفي ركن قوارص خصوصا . وصاحب هذا الركن هو الأديب محمد السعيد الزاهري .

ونشير هنا إلى أن محمد السعيد الزاهري أمضى "قوارصه" كلها باسم مستعار هو "تأبط شرا" ، رغم أنه كان ينوع في هذه الأسماء الكثيرة . وأن هذا الركن كان في الصفحة الثالثة من جريدة "البرق" . ونرى أن محمد السعيد الزاهري إنما وضع هذا الركن في الصفحة الأخيرة بغرض أن يأخذ القاريء من ساحة الأفكار والجد إلى ميدان الاستراحة ، حيث ساحة الاستهزاء بشيوخ الطريقة والسخرية من أتباعهم ومريديهم . والحق أن محمد السعيد الزاهري ملأ ركن قوارصه بألوان السباب وصور الخزي والعار ، وساق فيها كلمات بذينة فاحشة ، وأوحى بإشارات ورموز إلى ما يجسد سلوك الطريقين المخل بالأخلاق والحياء الإنساني . وقد تدفع هذه الإيحاءات أحيانا بالقاريء إلى أن يستحي من نفسه حين قراءتها . أضف إلى ذلك أنها كافية لإثارة كوامن الضحك عند القاريء إلى حد القهقهة ، وكافية - أيضا - لإذكاء الكراهية والاشتمزاز مما يقوم به شيوخ وأئمة الطريقة العميلة للمحتل وهو الهدف الذي من أجله كتبت . وقد عبر محمد ناصر عن هذا المعنى فأجاد قائلا : (والحق أن الزاهري كان عنيفا قاسيا جريء القلم واقعيه ، يبتذي في أسلوبه أحيانا إلى حد الإسفاف ، وهو لا يتورع عن

¹ - الإبراهيمي محمد البشير ، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المطبعة الجزائرية - قسنطينة - 1935 م ، ص 31 .

نيل خصومه من كل ثغرة ولو ساقه ذلك إلى المجون وفحش القول واتهام الأعراض .
وإن جبين الحياء ليتصب عرقاً من بعض قوارصه الماجنة)¹ .

ولم يقصد محمد السعيد الزاهري من ركن "قوارصه" أن يدخل في مناقشة شيوخ الطريقة وجدالهم بالتي هي أحسن ، أو فتح باب الحوار معهم ، أو بغرض الدراسة والتحليل ، وإنما كان قصده واضحاً وهو إثارة الغضب في نفوس هؤلاء الشيوخ والأتباع ، وتحطيم قدسيّتهم في أعين الناس ، والدوس على الهيبة التي منحهم إياها المحتل ، وكأن الأديب محمد السعيد الزاهري يقول للمحتل : هاهو سلاحكم يصدأ ويلى أمام ضربات المقاومة الإصلاحية والوطنية . ويعتبر محمد ناصر ما كتبه محمد السعيد الزاهري من مقالات في الطريقة إنما هو من باب الاستهزاء والهجاء لا غير (والذي يبدو لنا أن أكثر مقالات الزاهري عن الطريقة كان يراد من ورائها الهجاء والاستهزاء بالخصم أكثر مما كان يقصد منها المناقشة والبحث الرزين)² .

وقد استطاع محمد السعيد الزاهري من خلال ركنه قوارص أن يثير حفيظة خصومه وأن يصيبهم في مقتل ، الشيء الذي دفع بهم إلى محاولة اغتياله بمدينة وهران³ .
ويبدو أن الطريقة المقدسة رسومها لدى عامة الناس من الجزائريين ، أصبحت وشيوخها محل سخرية واستهزاء بعد هجوم جريدة "البرق" عليها وكشف سوءاتها وتعييرها بأقبح النعوت . خاصة من خلال ركن قوارص الذي عمل على تحقير المشايخ وتبع عوراتهم في الزوايا والمحاكم والشوارع والنواحي وحتى في خلواتهم المقدسة ، واستطاع إلى حد بعيد أن يحطم تلك الهالة القدسية المحيطة بهم ، وأن يعزل الجزائريين عن شرور مفاهيمهم الدينية الخاطئة ، وأن يشكك في كثير من المعتقدات والرسوم التي يعتقدونها كصلاة الفاتحة التي تعدل قراءة واحدة منها ستة آلاف ختمة من القرآن ،

¹ - محمد ناصر ، المقالة الصحفية . نشأتها - تطورها - أعلامها من 1903 إلى 1931 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ص 131 .

² - ناصر محمد ، المرجع نفسه . ص 130

³ - كتبت عن هذه الحادثة جرائد كثيرة منها جريدة الشريعة النبوية المحمدية تحت عنوان اعتداء فضيع على الشيخ الزاهري ، العدد 3 و 4 بتاريخ 31 / 7 / 1933 و 7 / 8 / 1933 . ص 6 / 5 .

وحق الشيخ قبل الزوجة والأولاد والآباء والأجداد ، وحق الشيخ في المال قبل حق الفقير والمسكين وما إلى ذلك .

ويجب أن نشير إلى أن سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف (1927م) من أشد السنوات عنفا ومرارة على العليويين وأنصارهم)¹. وأن محمد السعيد الزاهري هو بطل حلبة الصراع بلا منازع في مقاومة الطريقة العليوية .

د - علاقة محمد السعيد الزاهري بأحمد بن عليوة ومحاربته لطريقته :

تعود علاقة محمد السعيد الزاهري بشيخ الطريقة العليوية المدعو الحاج بن أحمد العليوي إلى مهنة الصحافة التي اقتحم محمد السعيد الزاهري ميدانها بعد عودته من تونس وأسس أول جريدة له سماها "الجزائر"² ، وتكفل أحمد بن عليوة بطبع الأعداد الثلاثة لهذه الجريدة بمطبعته . ويمكننا تحديد منزلة محمد السعيد الزاهري التي حظي بها بين رجال الفكر والأدب والصحافة وحتى بين ألد خصومه مثل أحمد بن عليوة من خلال جريدة "البرق" ، إذ أنها ذكرت نص رسالة مدح وثناء وتقدير واعتراف ، بعث بها أحمد بن عليوة إلى محمد السعيد الزاهري يستعطفه ويستميل قلبه إلى طريقته بقوله :
(... نابغة اليوم أخي العزيز الأستاذ سيدي السعيد الزاهري كريم الأخلاق . صانك الله من كل سوء لنشر الفضيلة ... أما بعد فأرجوكم أن تكاتبونا ، فإني يسرني كثيرا ما يكتبه قلمكم من الجمل العذبة ... أكثر الله من أمثالكم يا زاهري فأنتم خلفاء الرسل وورثة الأنبياء ...) ³. وقال أيضا : (الزاهري رجل شاب أتاه الله سحر البيان ، له قدرة بتصاريف الكلام وفنون القول يستطيع ما لا يستطيعه غيره)⁴.

* * *

عرف محمد السعيد الزاهري في مقاومته لمن كان السبب في ذهاب ضياء عزة وطنه وشرفه ، من محتل بغيض وعميل وضيع ، بالجرأة في الرد ، والواقعية في الطرح ، والعاطفة

¹ - ناصر محمد ، المقالة الصحفية . ص 129 .
² - جريدة لمحمد السعيد الزاهري ، أصدرها بعد عودته من تونس عام 1925 م ، وعطلها المحتل الفرنسي بعد صدور ثلاثة أعداد منها .
³ - بن عليوة أحمد . " الرسائل الخاصة " ، البرق . عدد 18 . بتاريخ 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927م ص 3 .
⁴ - المرجع نفسه ، ص ن .

الحارة ، والوطنية الصادقة ، والحرية في الفكر . وهذا ما فهمناه ابتداء مما كتبه في مقدمة ترجمة حياته التي ثبتها محمد الهادي الزاهري في كتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" ، مروراً بما كانت تنشره له مجلة "الشهاب" ، وانتهاء بما اشتهر به على صفحات "البرق" خاصة في ركنه "قوارص" .

وعرف الجزائريون محمد السعيد الزاهري مقاوماً بقلمه - على أغلب صفحات جرائد الوطن - لكل من عمل على إذلال الشعب الجزائري واضطهاده . وتعرفت الحركة الإصلاحية والوطنية على صدق مشاعر هذا الأديب نحو وطنه من خلال أحاسيسه المرهفة المجسدة في قصائد كثيرة مثل قصيدة "إلى الزعيم الجزائري بالإسكندرية" و "الجزائر تحيي الجزائر" ، و "يا ليتني لم أقرأ حرفاً" .

وكما عرفت الحركة الإصلاحية والوطنية محمد السعيد الزاهري شاعراً قديراً ، عرفته أيضاً مخلصاً للنشر الجزائري مما علق به منذ عصر الانحطاط . وبالشعر والنثر خاض الزاهري مقاومة عنيفة ضد المحتل الفرنسي والطريقة العميلة للاستعمار . وكما كتب محاولة قصصية التي اعتبرها عبد الملك مرتاض (الأولى في تاريخ الجزائر)¹ ، ونشرها عام خمسة وعشرين وتسعمائة وألف (1925) م على صفحات جريدة "الجزائر" ، كتب أيضاً في فن الحكاية والنادرة بأسلوب سهل جذاب بعيد عن الصنعة والتكلف ، وكان القصد من هذه الكتابات والنوادر السخرية من الطريقة وأتباعها والاستخفاف بهم . ومن خلال إطلاعنا على ركن قوارص في جريدة "البرق" بدا لنا أن الأديب محمد السعيد الزاهري أحياناً فن الحكاية والنادرة الذي كان مزدهراً في عهد الجاحظ وبديع الزمان الهمذاني ، وأن ثمة شبهة كبيرة تقاطعت عناصره بين الجاحظ ومحمد السعيد الزاهري .

وبما أن الدكتور عبد الملك مرتاض توصل في دراسة له حول حكايات الجاحظ أنها (لا تعد عناصر قصصية هامة . واستناداً إلى ما توصلنا إليه بعد تحليلنا يجب أن نقرر أن كتاب البخلاء للجاحظ كان من الدعامات الأولى للفن القصصي سواء كان قصصاً

¹ - مرتاض عبد الملك ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 م رصد صور المقاومة في النثر الفني ، سلسلة منشورات للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر ، مطبعة دار هومة 2003 م . ص 91 .

بالمعنى الدقيق أم قصصا في صورة مقامات وأخبار)¹. كما توصل إلى أن الأحاديث الجاحظية ما هي إلا فن الأقصوصة بتعبير العصر الحديث (ومن الواضح أن الجاحظ كان يقصد بالأحاديث إلى ما نقصد به نحن اليوم حين نطلق لفظ الأقصوصة)². واستنادا لما سبق من أحكام الدكتور عبد الملك مرتاض يمكن أن نبي قولاً آخر يقضي بأسبقية الأديب محمد السعيد الزاهري إلى بذر فن الأقصوصة في الأدب الجزائري الحديث من خلال حكاياته عن شيوخ الطريقة وأتباعهم في ركنه الموسوم بـ "قوارص". وقد تكرر هذا الركن ثلاثة عشر مرة ، وكل مرة يطلع محمد السعيد الزاهري القاريء على ما خفي من سلوك الطرقي المعادي للشعب الجزائري ، والذي يؤدي إلى إطالة عمر المحتل على أرض الجزائر .

وإذا كان محمد السعيد الزاهري من خلال محاولته القصصية "فرانسوا والرشيد" و (هي القصة الوحيدة التي نصادفها تتناول موضوعا سياسيا يقاوم الاستعمار في الجزائر ويفضح نفاقه وعدته)³، فإن ركنه "قوارص" بحكاياته قد أدى الغرض نفسه . غير أنه موجه بالانتقاد إلى شيوخ الطريقة باعتبارهم عملاء للمحتل ؛ أفسدوا على الأمة فطرتها (وأमतوا ما غرسه الإسلام من فضيلة ، وفككوا كل ما أحكم بينها من روابط أخوة ، وراضوها على الذل والمهانة والخضوع ، وسدوا عليها من نوافذ النور فاستقامت لهم على ذلك)⁴. وللإشارة فإن محمد السعيد الزاهري أحد أبرز أعضاء جبهة انبثقت عن اجتماع عقده العلماء المصلحون عام 1927م . أشار إليه محمد السعيد الزاهري في العدد الرابع من جريدة "البرق" تحت عنوان "نبأ عظيم" وكان الهدف من ذلك تكوين جبهة للهجوم على الأوباش الجامدين ويقصد بذلك الطرقيين (ومن فصول هذا النظام ما يوجب أن يكون في حملة الأعلام المصلحين من يقومون بالهجوم على الشرك والخرافات ، وأن يكون فيهم من يدافعون ويحفظون خط الرجعة ، وفيهم من يبقون للمراقبة

¹ - مرتاض ، عبد الملك ، القصة في الأدب القديم ، دار ومكتبة الشركة الوطنية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر- الجزائر - ص 150

² - مرتاض ، عبد الملك ، المرجع نفسه ، ص 150 .

³ - مرتاض ، عبد الملك ، المرجع نفسه ، ص 91 .

⁴ - الإبراهيمي ، محمد البشير ، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . ص 33 .

والاحتياط . وقد تعين لخطّة الهجوم كاتبان كبيران : الزعيم السلفي المرشد الصريح الأستاذ الكبير الشيخ الطيب العقبي ، والشاب المفكر والكاتب الجريء السيد العزوزي حوحو لأن هذين الكاتبين لم يتما حركة هجومهما التي بدأها في العام الماضي بسبب جريدة الشهاب التي أوقفت ذلك . وتعين لخطّة الدفاع وحفظ خط الرجعة ثلاثة ليس فيهم إلا كاتب مبین بیضاوي وسمهري وتأبط شرّاً . وتعين للاحتياط والمراقبة على المهاجمين وعلى المدافعين ثلاثة كتاب كبار الأستاذ العمودي ، والأستاذ الزاهري ، والأستاذ الملي ، وسيأخذ زعيم المصلحين الأستاذ باديس راحته في هذه المرة ¹ .

وللإشارة أيضاً فإن السعيد الزاهري لم يقصر هجومه على شيوخ الطريقة على فن الحكاية والنادرة ، بل استمر يوجعهم بوخزات قلمه من خلال فن المقالة القصصية على صفحات جريدة : السنة النبوية المحمدية والشرعية النبوية المحمدية والصراط السويّ وهذا بعد أن عطل المحتل جريدة "البرق" . ويبدو أن أحسن مقال نال فيه الزاهري من الطريقة مقال " قال الراوي " و " إني أرى في المنام " .

* * *

هـ - الجانب الفني في المقاومة الثقافية ودورها :

صور محمد السعيد الزاهري خصومه من شيوخ الطريقة وأتباعها في قوارصه بأسلوب شيق على أنهم عناوين للأخلاق الفاسدة من : لصوص ومحتالين ونصابين وجواسيس وأغبياء ... ففي قارصته الموسومة بـ " عدس ... أيها الفلتاء المشردون " تعرض محمد السعيد الزاهري إلى التعريف بـ العليوي شيخ الطريقة وأتباعه ، وذكر بأنه وجميع أتباعه من حثالة القوم ، اتحدوا مع ابن عليوة لمحاربة العلماء المصلحين ، ومنهم ابن باديس ومحمد السعيد الزاهري والطيب العقبي . والطريقة العليوية حسب رأي محمد السعيد الزاهري ملجأ آوى إليه هؤلاء المشردون أصحاب الأخلاق القبيحة بعدما لفظهم المجتمع . وقبل أن يعرف محمد السعيد الزاهري هؤلاء واحدا واحدا ، أشار إلى جريدة "البلاغ" ومحتواها التي هي اللسان المعرب عن المخازي العليوية إعرابا فصيحاً ، كما قال .

¹ - جساس ، " نبأ عظيم " ، البرق ، عدد 4 ، بتاريخ 24 رمضان 1345هـ ، الموافق لـ 28 مارس 1927م . ص 2 .

ومحتوى العدد الذي أشار عليه من جريدة "البلاغ" مليء بأنواع السب والشتيم الموجه للعلماء المصلحين ورجال النهضة الحديثة . وبعد هذا العرض الموجز بدأ محمد السعيد الزاهري في تصوير شيوخ الطريقة العليوية وكأنهم أوباش وذباب وكلاب ، وأن تهديداتهم ووعدهم طنين ونباح . أما جريدتهم "البلاغ" فقد صورها في أبشع صورة حيث قال إذا نظرت إليها خلت نفسك تبصر رأسا أقرعا يسيل دما وقيحا أو إست العليوي المريض بالبواسير المنتفخ لشدة تقدم الداء به .

أما عن التعريفات التي ذكرها محمد السعيد الزاهري بأعلام الطريقة فهي كالتالي :

- العليوي : متشرد أحاط نفسه بجماعة من السوقة الفلتاء المتشردين ، ثم قد اغتر بهم رغم قتلهم ، ثم أعلن فيهم أنه زعيمهم ، وجعل مهمتهم الوحيدة هي محاربة العلماء المصلحين والشباب الناهض .

- المزايي : رجل أُخرج من بلدته لأنه ارتكب رذيلة قوم لوط .

- القبائلي : تاجر فاشل . لما ضاقت به الأرض واشتد به الجوع لم يجد أمامه إلا صاحبتة التي تطعمه من أموال فاحشة الزنا .

- التلمساني : رجل يبيت مع المومسات ليلا ويزعم أنه ولي من أولياء الله الصالحين نهارا.

- التونسي : غلام أمرد تعلم أباطيل الطريقة العليوية سبع سنين ، وزعم بعد ذلك أنه اطلع على الأسرار الخفية في الخلوة العليوية ، وأصبح شعاره " لا مروءة ولا همّة ولا أخلاق ولا أي شيء آخر ينبغي للإنسان أن يشغل به نفسه غير الفرنك والخلوة . ويختم محمد السعيد الزاهري قارصته بعد أن كال لخصومه الصفات القبيحة بـ (هؤلاء أهل الخصوصية في الطريقة العليوية وهم أطهر فقرائها . وهؤلاء هم الذين يشاغب بهم العليوي حزب الله المؤمنين . وهم الذين يتأله عليهم العليوي فيخطبهم بقوله :

يا من تدري فيني أسأل عني الربوبية

أما البشر فلا يعرفني أحوالي عنو غيبه¹

إذا فمجموع ما يتصف به قادة الطريقة أخلاق ممقوتة ومرفوضة . ومادامت أوصافهم التشرد والغرور والزنا والتجارة الفاشلة والردائل الكبيرة . فكيف بأوصاف العامة منهم ؟

ولا يتورع محمد السعيد الزاهري من أن ينال من زعيمهم في عرضه وشرفه . ففي القارصة الموسومة بـ "خصام عنيف" يقوم بتصوير نهاية شيخ الزاوية نهاية مأساوية كان السبب فيها هو كتابته الحروز وادعاؤه القدرة على تحديد جنس الولد في بطن أمه ، ومعرفة طول حياته وسعادته وشقائه مقابل أموال طائلة . لكن الشيخ لا يحالفه الحظ فتأتي النتائج عكسية تماما ، فيتعرض للضرب والمحكمة أمام القاضي الذي أمر بمعاقبته وبإعادة الأموال إلى صاحبها .

وهكذا سائر القوارص تبدأ بعرض الحكاية وتنتهي بخاتمة مأساوية ينال فيها الطرقي عقابا ماديا أو معنويا أو هما معا .

* * *

و - صدى الثقافة التراثية في كتابات محمد السعيد الزاهري :

ربما تأتي هذه القوارص تماشيا مع الوعي الوطني الذي حصل لأدباء الحركة الإصلاحية والوطنية في العقد الثاني من القرن العشرين ، والذي أصبح لا مفر منه في هذه المرحلة ، وقد تمثل هذا الوعي في ضرورة الابتعاد عن الخوض في مسائل لا تخدم المقاومة ضد المحتل مثل الاهتمام بغرض "الغزل" و"الهجاء" اللذين أشار إليهما محمد الهادي الزاهري في كتابه " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " .

إن الأسباب التي جعلت محمد السعيد الزاهري يميل إلى انتقاد الطرقيين عملاء المحتل بأسلوب الفكاهة والسخرية واللجوء إلى الألفاظ البذيئة هي تعرض المفاهيم الإسلامية - التي حافظت على الهوية الجزائرية قرونا - إلى تشويه شديد من طرف شيوخ الزوايا .

¹ - تأبط شرا . " قوارص " . البرق . عدد 7 ، بتاريخ الاثنين 16 شوال 1345هـ ، الموافق لـ 18 أفريل 1927م ، ص 3 .

وفي رأينا أن هناك عاملين اثنين وفّرنا لمحمد السعيد الزاهري موضوع ركن القوارص ومادته . فأما العامل الأول فهو معرفته الجيدة والدقيقة بأخبار شيوخ الزوايا وأتباعهم . وأما الثاني فيتمثل في سمو فنه الثري الذي رحبت به صفحات الجرائد المصرية والتونسية والجزائرية على حد سواء . لذلك نراه يستعمل وسيلة "القوارص" في مقاومة ثقافة دخيلة على المجتمع الجزائري . إننا ونحن نتحدث عن كتابات الزاهري تبادرت إلى أذهاننا بعض الملامح من التراث الأدبي القديم ، وبخاصة ما كان من أثر في أذهاننا من كتابات الجاحظ ، سواء أكان ذلك في القاموس اللغوي الموظف من قبل الزاهري والذي يذكرنا بقاموس الجاحظ من بعض الزوايا ، أم كان في الموضوع المطروق المتوجه بالخصوص إلى نماذج بشرية ؛ فالنماذج البشرية عند الجاحظ هي نماذج (الشعوبية) أما النماذج مركز الاهتمام في كتابات الزاهري هي (شيوخ الطريقة) وأتباعهم ، ومن هنا فإن وجه الشبه بين الأدبيين هو (لغوي أولا) ثم في تصوير الشخصيات موضوع النص المكتوب

* * *

وقبل الخوض في إيجاد القواسم المشتركة بين الجاحظ ومحمد السعيد الزاهري يجدر بنا التعريف بالحكاية أولا . فالحكاية اصطلاحا هي (لفظ عام يدل على الحكاية السرية التي لم تنشر بعد أو على حدث تاريخي خاص يمكن أن يلقي ضوءا على خفايا الأمور أو على نفسية البشر ، كما يدل على أي سرد منسوب إلى راو)¹ . وعليه فإن "القوارص" تعتبر من فن الحكاية ، حتى وإن لم تحقق كل الخصائص المميزة لها في العصر الحديث . أما إذا عقدنا مقارنة سريعة بين الأدبيين الجاحظ وحكاياته عن البخل والبخلاء ، وبين محمد السعيد الزاهري وقوارصه عن شيوخ الطريقة وأتباعها ، فإننا سنجد بينهما نقاطا متشابهة .

* * *

¹ - وهبة مجدي والمهندس كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب . دائرة المعاجم . مكتبة لبنان 1979 م . ص 85 .

فإذا كانت الطبقة البرجوازية التي عرفها عصر الجاحظ المؤذية للناس مادة لفن الحكاية عند الجاحظ ، فإن الطرقية وشيوخها هي الميدان المفضل لدى محمد السعيد الزاهري للنش عن كل العيوب الأخلاقية التي يتصف بها هؤلاء في المجتمع الجزائري الحديث . إلا أن سخرية محمد السعيد الزاهري بالطرقيين في ركنه "قوارص" لم تكن تسلية ومسامرة أو القصد منها إحياء فن الحكاية بقواعده وخصائصه الفنية ، بل الهدف هو مقاومة المنهج التغريبي والتشويهي للشخصية الجزائرية في ظل الاحتلال .

وإذا كان الجاحظ أحد أبرز الحاقدين على الشعوبية وروادها في العصر العباسي فإن محمد السعيد الزاهري أشد حقدًا وعداء لفئة الطرقية وشيوخها . قال الجاحظ : أعلم أنك لم تر قط قوما أشقى من هؤلاء الشعوبية ، وأعداء على دينه ولا أشد استهلاكًا لعرضه ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة¹ . وقال محمد السعيد الزاهري ما يشبه مضمون كلام الجاحظ لكنه في أتباع الطريقة العليوية : (وليس أخبث في الدنيا وأفجر من أولئك الذين لم تحمل بهم أمهاتهم إلا من خفايا الزوايا ومنعطفات الطرق)² . و يشبه محمد السعيد الزاهري الجاحظ في توظيف الشخصيات الرئيسية في الحكاية ، فبينما يستعمل الجاحظ عبارة : قال شيخ من البخلاء ... يجعل محمد السعيد الزاهري هذه الشخصية محورا للحديث ونسج أحداث الحكاية ، ويصور من سلوكها الواقع تصويرا دقيقا ينتهي بهدف ينفر من خلاله القاريء ، أو يترك في نفسه شعور التبرم والتذمر اتجاه السلوك المشين لشيوخ الطرقية . وكذلك يفعل محمد السعيد الزاهري دائما في قوارصه مع شيخ الطرقية الذي هو بطل الحكاية .

وبتصوير كاريكاتوري وأسلوب ساخر وألفاظ بذئية يصبح شيخ الطريقة البطل في الانتهازية والسرقة والاحتيال ، والموضع الذي يشار إليه بالبنان على أنه بؤرة للفساد الأخلاقي . وإذا أردنا أن نشير بسرعة إلى تشابه آخر بين الأدبيين من حيث استعمال الألفاظ ، فإن كلا من حكايات " الجاحظ " وقوارص " الزاهري " تحتوي على عدة

¹ - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 3 ، ط 3 تحقيق عبد السلام محمد هارون دار التأليف بالمالية ، مكتبة سمير ، مصر ، 1969 . ص 29-30 .

² - جساس ، " يا أعداء الشباب " . البرق . عدد 8 ، بتاريخ 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أبريل 1927 م ، ص 2 .

أوصاف تكاد تكون واحدة . فقد استعمل الجاحظ : ابن الخبيثة ، وروث البهائم ، وبعر الشاة . واستعمل محمد السعيد الزاهري : التيوس ، و يروث من فمه ، دما وقيحا ، والمتشرد ...

* * *

إذا ثمة تشابه واضح بين معالجة " الجاحظ " لظاهرة البخل والبخلاء "ومعالجة محمد السعيد الزاهري لظاهرة فساد شيوخ الطريقة وتصديهم للشباب الناهض والعلماء والمصلحين . ونشير إلى أن ثمة شبه آخر بين " محمد السعيد الزاهري " و " بديع الزمان الهمذاني " في تصوير أساليب الحيل المستعملة للحصول على لقمة العيش . وفي الأخير يمكن أن نلخص شخصية محمد السعيد الزاهري من خلال قوارصه فيما يلي:

- دقة الملاحظة لسلوك أفراد المجتمع .
- قدرة شديدة على تصوير نزعات النفس الإنسانية .
- لغة غزيرة .
- طاقة تعبيرية كبيرة .
- سعة الاطلاع على الثقافة الإسلامية .
- إلمام بالثقافة الإنسانية .
- روح ساخرة مرحة .
- جرأة على خصومه .

* * *

4 - مقاومة محمد السعيد الزاهري لبعض الجرائد :

أ - جريدة " التقدم " :

لم يتوان الأديب محمد السعيد الزاهري في انتقاد الجرائد المشبوهة التي كانت أداة في يد المحتل مثل جريدة "البلاغ" لسان حال الطريقة العليوية ، وجريدة "التقدم" لسان حال إتحاد الجمهوريين المسلمين الجزائريين ، رغم معرفته بمكانة القائمين على إدارتها في

السياسة العامة للمحتل . وهذا دليل على قوة مقاومة محمد السعيد الزاهري - كغيره من رواد الحركة الإصلاحية والوطنية - لكل من يريد ضرب ثوابت الأمة الجزائرية ووطنية علمائها . ولم يكن محمد السعيد الزاهري يعط أي اهتمام لتهديدات خصومه ، والعقبات التي قد تعترض سبيله في سبيل الكشف الحقيقي عن وجه الذي يدير مثل سياسة هذه الجرائد .

ولا شك في أن محمد السعيد الزاهري أراد انتقاد الخط السياسي الذي تنتهجه جريدة "البلاغ والتقدم" مستعملا في ذلك الموضوعية من ناحية ، والذكاء من ناحية أخرى في معالجة شتى القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية ، الشيء الذي مكنه من الانتصار على خصومه من النواب والطرقين ، خاصة في المحاكم التي أجبر على دخولها عدة مرات .

ولم يكن مصدر انتقاد محمد السعيد الزاهري للجرائد العميلة غير الواقع ، لذلك كان يجتهد في توظيف الحقائق التي يكتب عنها أو يشير إليها في مقالاته لكي لا يترك ثغورا لخصومه تمكنهم من إسكات صوته أو الانتصار عليه . وهذا ما أشار إليه في قوله: (ومع أن الدكتور (ابن التهامي) قد رمانا في "تقدمه" بما لا يستطيع إثباته لو حاكمنا ، ولن نزال نتمنى لو صحت قضية الدكتور ضدنا . وإذن لوقفنا أمام المحكمة ولأثبتنا بالآيات البيّنات كل ما نسبناه إلى الدكتور¹ وكل ما أخذناه به ، لأننا على يقين تام من صحة ما نشرناه بـ "البرق" عن الدكتور . وليس فيما نشرناه بـ "البرق" عنه شيء من القذف الشخصي ولا من مس الأعراض)² . ويقول في آخر المقال محاورا ومعاتبا أحاه له : (هذا هو القانون يا حضرة الأخ السيد مصطفى بن شعبان ، وهل تظن يا أخي أننا قوم بله نكتب كتابة ندخل بها تحت طائلة القانون ؟ كلا وربك)³ .

¹ - يقصد النائب ابن التهامي .

² - الزاهري ، محمد السعيد . " هل حوكم البرق " . الشهاب . عدد 122 ، السنة الثانية ، 18 نوفمبر 1927م . ص 8 .

³ - المرجع نفسه . ص 8 .

وإذا تمعنا قليلا في الصراع الدائر بين محمد السعيد الزاهري وجريدة "التقدم" نجد محتواه وطنيا محضا . لأن محمد السعيد الزاهري ينتقد بعنف سلوك النواب المتقاعسين ، ومن وراء ذلك مصلحة الجزائر .

ومن القضايا الأساسية التي أثارها الأديب محمد السعيد الزاهري وانتقدها على جريدة "التقدم" مسألة الانتخابات غير التزيهة لنواب الأمة ، ودفاعها عن التجنس وقانون العسكرية والأندجينا¹ والصحافة ، وهذا ما جعل جريدة "البرق" منبرا من المنابر المقاومة لسياسة المحتل التغريبية .

لا نستغرب -إذا- حينما نجد محمد السعيد الزاهري يشن هجوما عنيفا على صاحب جريدة التقدم "ابن التهامي" ، وينسب إليه أعمالا تعد خيانة للوطن وأحراره مثل سياسة التآمر ضد كل ما هو وطني ، والسعي فيما سوى عروبة الجزائر وإسلامها ، وبذل كل ما في المستطاع لإرغام الجزائريين على التجند في البحرية الفرنسية . ولم يكتف محمد السعيد الزاهري بالتلميح إلى ذلك بل صرح مرارا وبأن عدة "ابن التهامي" في محاربة المصلحين هي : الوشاية والنميمة لدى المحتل بغرض الزج بعمر راسم في السجن ، ونفي الأمير خالد (لم يكن الدكتور ابن التهامي ليخرج عن عادته في تكالبه على الشيخ عمر راسم ، بل عقر قبله جميع رجال الأعمال واحد واحدا مثل الدكتور بن العربي ، والقائد حمو ، والحاج عمار . وليس أحد حارب "الأمير خالد" مثل ما حارب "ابن التهامي" حتى نفاه وقطع أثره فيما يزعم ، وظن أنه أصبح بمكان الأمير خالد ، وأن جريدته "التقدم" أصبحت في صدق الدفاع مثل جريدة "الإقدام"² .

* * *

ب - جريدة "البلاغ" ومقاومة محمد السعيد الزاهري لمضامينها :

جريدة "البلاغ" صحيفة جزائرية باللغة العربية ، ولسان حال الطرق الصوفية³ . أسندت إدارتها إلى السيد حمدوني محي الدين ، ثم انتقلت إلى إدارة السيد عمروش

¹ - قانون زجري خاص بالجزائريين وضعه المستعمر الفرنسي .

² - الزاهري ، محمد السعيد " الدكتور ابن التهامي " . البرق عدد 18 بتاريخ ، بتاريخ 12 محرم 1346 هـ ، الموافق لـ 11 جويلية 1927 م ص1

³ - ينظر عبد الرحمن عواطف ، الصحافة العربية في الجزائر ، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1985 م . ص37 .

الأخضر . تأسست بمستغانم سنة 1926 م . وقد ذكر مفدي زكرياء بأن صدورها استمر إلى سنة (1956) م¹ تحت إدارة السيد عمروش الأخضر في حين جعلت عواطف عبد الرحمان نهاية صدورها سنة (1939م)² . وهي جريدة أسبوعية تصدر كل يوم جمعة . دينية وعلمية وإرشادية وإخبارية . يحررها نخبة من الجزائريين ، وشعارها الآية التالية : (فإن أسلموا فقد اهتدوا فإن تولوا فإنما عليك البلاغ)³ .

في جريدة "البرق" إشارات كثيرة تدل على أن جريدة "البلاغ" هي لسان حال الطريقة العليوية على غير ما ذهب إلى عواطف عبد الرحمن من أنها لسان كل الطرق الصوفية في الجزائر . ونحن نعلم أن الجزائر زحرت في تاريخها قبل الاستقلال بالطرق الصوفية ومنها التيجانية والقادرية . فجريدة "البلاغ" ناطقة باسم الطريقة العليوية التي يرأسها الحاج أحمد بن مصطفى بن عليوة الكائنة بمستغانم بالغرب الجزائري ، وقد استمال المحتل طريقته حتى أصبحت يده التي يبطش بها وعينه التي يترصد بها العلماء الوطنيين ، أما شيخها فله (صلات وثيقة بالكنيسة الكاثوليكية ، وهي التي مهدت له الطرق لإنشاء زوايا عليوية بإيطاليا وفرنسا وألمانيا وحتى أمريكا)⁴ . هذه هي الطريقة التي كان لمحمد السعيد الزاهري وابن باديس معها ذلك الصراع الذي كاد يفضي إلى قتلها ؛ إذ استأجرت هذه الطريقة رجلين للاعتداء على ابن باديس في قسنطينة ومحمد السعيد الزاهري في وهران . والحادثتان معروضتان على صفحات الجرائد التي نددت بالاعتداء الفضيع على رموز الحركة الإصلاحية والوطنية وقتئذ . والشاهد على حادثة " ابن باديس " قصيدة " محمد العيد " التي نشرتها مجلة "الشهاب" والتي جاء فيها :

حمتك يد المولى وكنت بها أولى فيا لك من شيخ حمتك يد المولى
و أخطأك الموت الزؤام يقوده إليك امرؤ أملى له الغي ما أملى
فيا لوضع النفس كيف تطاولت به نفسه حتى أسرّ لك القتل

¹ - ينظر . زكرياء ، مفدي ، الصحافة العربية في الجزائر ، مطبعة دار هومة ، 2003 م . ص 157 .

² - ينظر عبد الرحمن ، عواطف ، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية . ص 37 .

³ - آية 20 ، سورة آل عمران .

⁴ - زكرياء ، مفدي ، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر . ص 155 .

ونالك في جنح الدّجى بهراوة فأدماك بل أدمى الكرامة الفضلى
وأهوى إلى فصل بكف أثيمة تعود أن ينضى بها ذلك النصلا
وكادت يد الجاني العليوي تعتلي يد الشيخ لولا أدركها لولا¹.

أما الطيب العقبي فقد خلّد حادثة الاعتداء على محمد السعيد الزاهري في جريدة "الشريعة النبوية المحمدية". بمقال طويل جاء فيه (وقد كنا نحسب أن مثل هذا الاعتداء ينتهي بعد حادثة ذلك العليوي الجاني على الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس واقتصاص يد العدالة منه ، كما صيره عبرة لغيره وعبرة للمعتدين ، فإذا به يتجدد مرة ثانية . فقد جاءتنا أنباء اليوم بفاجعة جديدة وجناية فظيعة تضاف إلى جنایات رجال الطرق السابقة ، حيث اعتدى بعض الطريقين على الأستاذ الزاهري في هذه الأيام بمدينة وهران ، العضو الإداري بجمعية العلماء المسلمين وصاحب الكتابات الكثيرة ضد الضالين المضلين)².

* * *

يذكر محمد البشير الإبراهيمي في مقال له حول آثار الطرق السيئة على المسلمين ، أن الطرق الصوفية في العالم الإسلامي هي التي أذلت العلماء واستعبدتهم وأغرقت العامة بتحقيقهم حيث سادت العالم الإسلامي وتحكمت في دينه ودنياه ، وتدخلت في حياته وسياسته ، حتى تحكمت في طباعه . ومن بين الطرق التي لها الأثر السيئ في الجزائر الطريقة العليوية التي أدخل شيوخها ومنهم أحمد بن عليوة (تنقيحات على الطريقة ورسومها أملاها عليهم الشياطين . وكان من تنقيحاتهم المضحكة تحديد مراحل التربية الخلوية لمعرفة الله بثلاثة أيام فقط لا غير ، تتبعها أشهر وأعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ ، من سقي الشجر ورعي البقر وحصاد الزرع وبناء الدور ، مع الاعتراف باسم الفقير والاقتصار على أكل الشعير)³. وكان لهذه الطريقة العليوية التي أصبح لها أتباع وحجاج وزوايا ونوادي في الجزائر وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وأمريكا ، جريدة تنطق باسمها تدعى

¹ - آل خليفة ، محمد العيد ، ديوان محمد العيد . ط 1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة - الجزائر - 1967م ، ص 122 .

² - العقبي الطيب " نحن و الطريقون أو حادثة الاعتداء على الزاهري " . الشريعة النبوية المحمدية . عدد 6 . ص 4 .

³ - الإبراهيمي ، محمد البشير ، سجل مؤتمر العلماء الجزائريين المسلمين . ص 31 .

"البلاغ". وعلى رأس مهامها التصدي لأفكار الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر المقاومة للمحتل وسياسته التجهيلية . لقد شنت جريدة "البلاغ" حربا شعواء على رموز الحركة الإصلاحية بدعوى أنهم أنكروا "الوسيلة" و "الزيارة" وتهجموا على أولياء الله الصالحين ، ويستشهدون في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم (من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب)¹ . ومن دون شك فإن رجال الحركة الإصلاحية ومنهم محمد السعيد الزاهري كانوا يدركون أن انهزام الطرفين في المعركة القلمية انهزام تام لجهاز السياسة الاستعمارية ، وانحياز لهيمنتها على النفوس الجزائرية ، ولذلك تصدوا بالبرهان والدليل لكل ما تطرحه الطريقة العليوية من أفكار مناهضة للدين واللغة والوطن ، وهذا ما لمسناه في جريدة "البرق" ، وكأنها أسست لهذا الغرض فقط .

وإذا تأملنا جل ما كتبه محمد السعيد الزاهري نستنتج أنها كتابات رد الفعل لما يطرحه الفكر العليوي وقتئذ ، من تشويش على المصلحين وجرائدهم ، وتحريض المسؤولين عليهم . وقد جاءت في هذا الشأن دعوة صريحة من القائمين على "البلاغ" إلى المتحكمين في السياسة الفرنسية في الجزائر بضرورة الوقوف أمام الحركة الإصلاحية والوطنية (نحن نلفت أنظار أولي الأمر إلى ما يقوم به العلماء هؤلاء من الفتنة والتشويش ، أن تهم العدالة بإبقائهم عند حدهم ، وحماية رجال الدين الحقيقيين الذين تعهدت دولتنا العزيزة بحمايتهم)².

ويختلف أسلوب محمد السعيد الزاهري في انتقاد جريدة "البلاغ" العليوية عن غيره من أساليب كتاب الحركة الإصلاحية والوطنية سواء الذين كتبوا في جريدة "البرق" أو مجلة "الشهاب" ، أو غيرهما . ويكمن هذا التميز في استعمال محمد السعيد الزاهري لأسلوب السخرية والتهكم والتعريض والتصوير المشين للطرفين ، والإغلاظ لهم في القول ، وهذا ما جاء في مقالاته وفي قوارصه . ولم تأت هذه الأوصاف في ركن "القوارص" وفي المقالات فحسب بل تعدى ذلك إلى فن السيرة . وسنعرض هنا نموذجا

¹ - انفرد بروايته الإمام البخاري في كتاب الرقائق ، رقم الحديث 6021 .

² - زكرياء ، مفدي ، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر . ص 159 .

من سخريته بجريدة "البلاغ" والخط من قيمتها بطريقة تصويرية قصصية مشوقة تكشف عن مكانة الزاهري الأدبية . يقول في قارصة له تحت عنوان "بالرفاء والبنين" : (عَلَقْتُ جريدة البلاغ العليوية من "البرق" الفحل ، وأخذها المخاض في هذه الأيام . وعلم الناس كل ذلك فجعلوا يرسلون إلينا رسائل التهاني الكثيرة ولكنها جاءت رسالة تقول : هل تزوج البرق جريدة البلاغ حقاً ؟ وهل وطئها وطئاً حلالاً ؟ حتى تضع له ولداً شرعياً في هذا العصر أم كان ذلك من البرق سفاحاً كسفاح الجاهلية الأولى ؟ أم اتخذها خلية كما يفعل المتمدنون اليوم في هذا العصر ؟ على أية حال فإننا نهنئ البرق بهذه الزوجة الصالحة .. وندعو له بالرفاء والبنين . ونحن نقول لهذا السائل : إن البرق أغار على قوم البلاغ فأوغل فيهم قتلاً ونهباً وسباً فيما سُبِي ، فهي ملك يمينه وأم ولده)¹ . ومن نماذجه التي قاوم بها جريدة البلاغ وبأسلوب تهكمي آخر يجبر القارئ على كراهية جريدة "البلاغ" وما ينشر فيها من شعر ونثر لا يخرجان عن سب وشتم المصلحين : (لقد فسقت جريدة البلاغ العليوية فيما تقول عن أنصار الله الصالحين وأولياء الله المؤمنين ، وفجرت فيما يتوعد به رجال الدين ورجال النهضة من طين الذباب ونباح الكلاب ونيب التيوس . وليس ذلك منها بغريب فهي اللسان المعرب عن المخازي العليوية إعراباً فصيحاً وهي التي يبين لنا فيها في كل عدد من أعدادها ما للعلويين الأوباش من الجهل الأعمى ومن الكفر الفاحش)² . ثم بأسلوبه المعتاد الكشاف لعب العليويين يرسم محمد السعيد الزاهري جريدة البلاغ بخياله الواسع رسماً كاريكاتورياً مضحكاً ، والغرض منه استفزاز الخصم والنكاية به والخط من قدره ، يقول : (إنك لا تبصر نسخة من نسخ وريقة العليويين إلا وتحسب نفسك أبصرت رأساً أقرعاً يسيل دماً وقيحاً ، أو تحسب نفسك تنظر بعينيك إست المقالة العليوي ، وقد انتفخ من البواسير حتى تفقأ بالרטوبات والصدید ، وتحيلت أنك ترى ابن أمه يدخل فيه يده لينقيه من الدود ويصفيه من العفونات)³ .

¹ - تأبط شراً . " بالرفاء والبنين " ، البرق ، عدد 8 ، بتاريخ 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أبريل 1927 م . ص 3 .

² - تأبط شراً " فسوق البلاغ " . تأبط شراً . البرق . عدد 10 . بتاريخ 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927 م ، ص 3 .

³ - تأبط شراً " عدس ... أيها الفلتاء المتشردون " . البرق ، عدد 7 بتاريخ 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أبريل 1927 م ، ص 3 .

مثل هذا الأسلوب هو الذي كان مطلوباً - في نظر محمد السعيد الزاهري - في تلك الأثناء ، مع أولئك الذين جردوا أقلامهم لسب العلماء والمصلحين وشتمهم . لقد وجدنا في جريدة البرق من عاب على محمد السعيد الزاهري هذا الأسلوب الساخر في الرد على الخصوم ، فكان رده واضحاً : (وهذه هي الطريقة التي توفقنا إليها أخيراً في كسر شوكة هؤلاء المعتدين . هذه الطريقة التي هي أحسن على قتل العقارب والحشرات التي تعترضنا في طريق الرقي والنهوض)¹.

ونخلص إلى القول بأن محمد السعيد الزاهري قاوم بقلمه المواقف السلبية لجريدة "البلاغ" إزاء ما يحدث للشعب الجزائري من مآسي وآلام . أما جريدة "النجاح" فحوّلها - في جريدة البرق - إشارات فقط ، حيث ذكرت عرضاً دون أن تتعرض إلى الانتقاد الجارح مثلما تعرضت له جريدتنا "البلاغ" والتقدم .

¹ - " بيان للناس " البرق ، عدد 13 ، بتاريخ 26 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 20 ماي 1927 ، ص 2 .

1- كتابات محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة "البرق".

من الغريب أن لا نجد في أعداد جريدة "البرق" الثلاثة والعشرين قصيدة واحدة للأديب محمد السعيد الزاهري ، شاعر الجزائر الملي الكبير - كما كانت تسميه مجلة الشهاب - رغم مكانته الشعرية في الجزائر في العصر الحديث ؛ إذ يعد محمد السعيد الزاهري أحد أكبر فحول الشعراء الجزائريين في العصر الحديث ، والشخصية الثالثة التي أثبتتها محمد الهادي الزاهري في كتابه " شعراء الجزائر في العصر الحديث ، وفتح صاحب "الشهاب" لها صفحاته وسماه شاعر الجزائر الكبير .

* * *

غير أننا ونحن نقوم بدراسة جريدة "البرق" دراسة أفقية لم نعثر له إلا على مقطوعة في العدد الأول ضمن ركن استمر ظهوره عبر ثلاثة أعداد فقط (الأول والثالث والخامس) يسمى بـ الأديبات . وتحتوي مقطوعته على أربعة أبيات نشرت سابقا في جريدة النجاح ، وتحدث عن عشقه لجمال مدينة الجزائر وحسنها .
ولعل سبب غياب أشعار محمد السعيد الزاهري في جريدة البرق يعود - في رأيينا - إلى اهتمام كبير أولاه لركن آخر سماه "قوارص" ، أو لأن الأسلوب الأنسب في مقاومة الطرقية في هذه الفترة هو النثر وليس الشعر .

وهناك إشارة من الكاتب "حسن وارزقي" في مقاله "تكريم شوقي" تدل على أن الشاعر محمد السعيد الزاهري كتب قصيدة رائعة تتدفق إحساسا وشعورا وتصويرا دقيقا ومؤملا للحالة التي تحياها الجزائر في ظل الاحتلال ، ليلقيها في الحفل الذي أراد أدباء الجزائر أن يكرموا من خلاله الشاعر المصري أحمد شوقي . وقد ذكر الكاتب من القصيدة ثلاثة أبيات هي :

إذا كان عشق في المها وهيام	فلي في بلادي دوئن غرام
فلم يبق عن حب الجزائر لهوى ال	حسان بقلبي موضع ومقام
أحب بلادي ، أرضها وسمائها	وأعشق فيها الليل وهو ظلام ¹

¹ - حسن ، وارزقي " تكريم شوقي في الجزائر " جريدة البرق ، عدد 18 ، 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م . ص 2 .

* * *

ولمحمد السعيد الزاهري قصائد مبثوثة هنا وهناك على صفحات الجرائد الجزائرية ومنها التي كان أحد أبرز شعرائها مثل مجلة الشهاب وجريدة الإقدام¹. وقد تضمن كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" لصاحبه محمد الهادي الزاهري، تسع قصائد وثلاث مقطوعات مشحونة بعواطف الوطنية الصادقة على ضياع مجد الآباء والأجداد في الجزائر، وهي في الحقيقة دعوات صارخة لاسترجاعه.

وفي الحقيقة لا ندري هل احتوت جريدة "الوزير" التونسية والنهضة المصرية على شعر الأديب محمد السعيد الزاهري كما احتضنت نثره؟ وهكذا يبقى شعر الزاهري في انتظار من يقوم بجمعه في ديوان كما هو الحال مع غيره من شعراء الجزائر في العصر الحديث، وقد تتاح لنا الفرصة بهذا العمل مستقبلا.

ولهذا فكتابات محمد السعيد الزاهري في جريدة "البرق" نثرية وليست شعرية، وهي متعددة المضامين والأنواع، من سياسية إلى اجتماعية إلى ثقافية إلى نقدية. ومن رسالة إلى حكاية إلى سيرة، ممضاة في أغلبها بأسماء مستعارة كجساس و"واصل" و"تأبط شرا" و"طلّاع الثّنايا" اضطره إلى ذلك الدفاع عن شرف المصلحين من العلماء كما يقول في الجريدة نفسها²، وذلك خلافا لخصومه وخصوم الأمة الجزائرية الذين ينشرون على صفحات الجرائد التابعة لهم ما يחדش المروءة ويجرح الشعور من سب وشتم بلا حياء (ذلك أنك لا تقرأ مقالا من مقالاتهم إلا وتجد صاحبه لا يستحي، ولا يحتشم أن يضع إمضاءه الصريح تحت ذلك المقال البذيء الفاحش. على خلاف جماعة الشباب، فالكتاب منهم يربأ بنفسه، ويعف أن يضع إمضاءه الصريح على مقال فيه إقذاع اضطره إلى كتابته الدفاع عن أعراض المؤمنين وعن شرف المصلحين)³. ويقول

¹ - كتب السعيد الزاهري شعرا هجانيا تضمنته جريدة عصا موسى، أشار إلى ذلك الكاتب الطاهر بن عيشة في مقال تحت عنوان "شيخ الأدب والصحفيين" المنشور في جريدة المحقق، العدد 8، من 7 إلى 13 ماي 2006. ص 32.

² - "بيان للناس" البرق، عدد 13 26 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 30 ماي 1927 م. ص 2.

³ - "بيان للناس" البرق العدد نفسه، ص ن.

عنه (بيضاوي) في الجريدة نفسها : (ذلك الذي اختار الإمضاء لا لكونه - فيما أحسب - على شر ، بل لأنه عرف طرق الشر ليقمع الشر بالشر)¹ .

وإذا أردنا أن نحصي كتابات محمد السعيد الزاهري في جريدة "البرق" فإننا نجدها واحدا وأربعين عنوانا ، تتنوع بين المقال ، والسيرة ، والرسالة ، والحكاية وكلها أنواع أدبية ثرية . وعليه يكون للكاتب معدل الزاهري مقالين في كل عدد - تقريبا - وهذا دليلٌ كثرة الجهود التي كان يبذلها في مقاومة الأفكار الهدامة للشوابة الوطنية . مع أن الزاهري يعد من أكبر كتاب مجلة الشهاب في الوقت المتزامن مع جريدة البرق .

وجل كتابات محمد السعيد الزاهري في جريدة "البرق" في المقال ، وقد اعتبر الدكتور محمد مصايف نشره لهذه الفترة (بداية طيبة للنشر الجزائري الحديث)² . وإذا أردنا توضحا آخر فإننا نقول : إن الطابع الغالب على مقالات الزاهري هو طابع النقد السياسي والاجتماعي ، ولم يكن هدفها تحقيق المظاهر الفنية لهذه الكتابات بقدر ما كان السعي من خلالها معالجة القضايا الحيوية التي كانت تشغل بال الشعب الجزائري في هذه الفترة كقضية حرية الصحافة والانتماء العربي والإسلامي ، وإبراز الهوية الوطنية الجزائرية بالإضافة إلى التعبير عن الحياة اليومية للفرد الجزائري خاصة إذا علمنا أن رواد الحركة الوطنية كانوا يدركون حجم الصراع مع المحتل وأذنا به الذين كانوا يستعدون للاحتفال بعيد المئوي لاحتلال الجزائر .

كما خاض محمد السعيد الزاهري في فني السيرة الذاتية والحكاية ، بصب مضامينها جميعا في خدمة المقاومة وما تتعرض له الجزائر في معتقدها وتقاليدها . مسجلا من خلال فن السيرة ورحلاته التي قام بها مع بعض الشعراء إلى بعض مدن الصحراء الجزائرية ، ومشيرا من خلال ذلك إلى أهمية السيرة في خدمة الوطن ، ومقاومة الخرافات والبدع والدجل . وهو دليل أكبر على أن رواد الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر لهذه الفترة كانوا يجاربون الجمود الفكري . أما فن الرسالة فقد اتخذ وسيلة اتصال فكري

¹ - بيضاوي "حي على الفلاح حي على الحرب أو الكفاح" البرق ، عدد 9 . 30 شوال 1345 هـ الموافق لـ 2 ماي 1927 م . ص 1 .
² - مصايف ، محمد ، النشر الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1973 م . ص 114 .

وثقافي ؛ كرسالته التي بعث بها إلى صديقه "أبي حفص الحمادي" معالجا من خلالها قضية من أكبر قضايا المجتمع الجزائري في ظل وجود الاحتلال وهي مسألة بيع الجزائريين لأراضيهم ، والهجرة إلى المشرق تأثرا بأقوال الطريقين الداعية إلى وجوب الفرار بالدين من دار الحرب إلى دار السلام ، وخطورة كل ذلك على الوطن سياسيا ؛ نجد على وجه الخصوص في مقاله المعنون بـ "الرسائل الخاصة"¹.

2 - لغة التعبير الأدبي عند محمد السعيد الزاهري في جريدة "البرق":

من المعلوم أن منابر محمد السعيد الزاهري متعددة ، وأن صاحبها عبر عن آرائه في مواضع مختلفة ابتداء من فترة حداثة سنه ، وأن امتداد عمره قد حفل بالأحداث الوطنية والعالمية ، سجلها في أكثر من جريدة . لقد كتب في جريدة "الوزير" التونسية وجريدة "الفتح والمقتطف" المصريتين وجريدة "الرسالة" السورية . وتعددت وتنوعت هذه المواضيع على صفحات الجرائد الوطنية الجزائرية — أيضا- ابتداء من جريدة "الإقدام" و"الإصلاح" ومجلة "الشهاب" مروراً بجرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ساهم في إصدارها مثل "السنة" و"الصراط" ، ووصولاً إلى جريدة "عصا موسى" و"الليالي" و"سيدي هنيئ". ومن خلال هذه جميعاً جسّدت مشاعر الزاهري ومواقفه الإسلامية والوطنية والإنسانية عبر مسار زمني ليس بالقصير ، يمتد من فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وينتهي بمقتله في منتصف ثورة نوفمبر الكبرى .

* * *

ومن المعلوم أيضاً أن الزاهري من الشخصيات الأدبية الكبيرة التي لا يزال نتاجها الأدبي والفكري المبعثوث في الجرائد العديدة لم ير النور بعد . وعلى ما تقدم يكون من الخطأ أن نستقر على حكم واحد بخصوص أسلوب السعيد الزاهري لسبب بسيط يتمثل في تطور مستوى أدبه الممتد لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن . وفي الوقت نفسه يمكن أن نقر بمكانته الأدبية التي اعترف بها كبار الأدباء والنقاد من رواد الحركة الأدبية داخل الوطن وخارجه . وعلى سبيل المثال نأخذ رأيين اثنين ، الأول لأمير البيان شكيب

¹ - جسابس "الرسائل الخاصة" البرق ، عدد 21 ، بتاريخ الاثنين 3 صفر 1346 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927م ص 1 .

أرسلان ، والثاني محمد البشير الإبراهيمي في زمنين مختلفين بدون أن نعلق عليهما لوضوحهما :

صرح الأديب شكيب أرسلان حين أعجب بفصول نشرها محمد السعيد الزاهري في جريدة الفتح بـ (أن أركان الأدب العربي في الجزائر اليوم هم أربعة هم : الزاهري وباديس والعقبي والميلي)¹. أما محمد البشير الإبراهيمي فقال أثناء معركته القلمية مع السعيد الزاهري أواخر الأربعينيات : (أما الحقيقة فهي أنكما شريكان في جريمة السب والكذب وقلب الحقائق . منك (أي الزاهري) الألفاظ لمكانتك في الكتابة ، ومنهم (الذين تحالف الزاهري معهم ضد جمعية العلماء) المعاني لمزلتهم في الأمية والتعجرف)².

* * *

هذه مقدمة ربما يكون وجودها هنا ضروري في دراسة أسلوب محمد السعيد الزاهري حتى وإن كانت ستقتصر على كتاباته الموجودة على صفحات جريدة "البرق" مع الإشارة إلى ما كتبه بعد خروجه من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . ويمكن الوصول بعد الاطلاع على كتابات الزاهري من رسالة وحكاية ومقالة في جريدة "البرق" إلى نوعين من التعبير الفني .

إن القارئ لبعض المقالات القصيرة مثل الموسوم بـ "رأيت بعيني" يشعر بأن السعيد الزاهري لم يكن لديه متسع من الوقت ليهتم بموضوعه ، فيقوم بتصحيحه ومراجعته قبل أن يدفع به إلى الطبع ، وعليه فسمه أسلوبه في مثل هذه المواضيع السهولة والبساطة والبعد عن الغموض ، وسنفصل ذلك في حينه .

وكما يجد الدارس نفسه - لبعض أدب السعيد الزاهري مثل مقال "التفرنج الآثم" والرسالة الموجهة إلى أبي حفص الحمادي - أمام أديب ضليع ، حار العاطفة ، صادق التعبير ، جاد في الطرح ، واقعي في المعالجة ، جريء في انتقاد المشكلات ، فسيشعر -

¹ - من مقدمة كتاب ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، ط2 ، دار الكتب - الجزائر - 1983 م . ص 7 .
² - الإبراهيمي ، محمد البشير ، عيون البصائر ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة - مصر - 1963 م . ص 640 .

أيضا - بأنه أمام أسلوب مشدود إلى القديم بحال فلاذية . وسنفصل ذلك في حينه - أيضا- .

3- خصائص التعبير الأدبي في كتابات الزاهري في جريدة "البرق": **أ - الألفاظ والجمل والصورة البيانية:**

يبدو محمد السعيد الزاهري في أسلوبه البسيط السهل البعيد عن الغموض ، إنه لا يلهث وراء جمال اللفظ وزخرفته التي طبعت كتابات أدباء عصره ، بقدر ما يؤثر الترسل والتعبير عن الأفكار والمشاعر بطلاقة ، خاصة تلك التي له فيها علاقة مع بسطاء الثقافة من الناس . لقد وظف مثلا في مقاله "إلى التقدم" ألفاظا جد مفهومة ، متداولة ، قريبة من التي يستعملها الإنسان العادي في محادثته ومناقشته لغيره بمناسبة أو غيرها ، مثل الأسماء التالية : المدير ، الضخم ، وحدك ، أحقق ، مصالح الأمة ، السكوت ، الانتخاب كله ... ومثل الأفعال التالية : ركبت ، قرأ ، يزعم ، حكمنا ، استقبلتني ، يدخل ، وليد، سألتها ...

* * *

أما الجمل فلا بد أن تكون كما أرادها بهذه الألفاظ ؛ سهلة ميسرة للفهم بسيطة تفهم بمجرد قراءتها مثل : (ركبت عربة أوتوبيل (طاكسي) يوم 7 ماي الجاري إلى مستشفى الأطفال المصابين بالسل ... استقبلتني ناظرة المستشفى بكل بشاشة وأطلعتني على دخائل المستشفى ...) ¹ فهي كما نرى ألفاظا وجملا لا تشكل حرجا للمطالع الجزائري ، ولا تقف أمامه عائقا في الوصول إلى المعنى المراد ، ولا تضطره إلى البحث عنها في القاموس أو لدى الأصدقاء ، ودون شك فهي أقرب إلى اللغة العادية منها إلى لغة الأدب ، ولولا ملاءمتها للمعنى ، وتأثيرها في القاريء ، وتقريبها للهدف لما ارتقى المقال إلى مرتبة النشر الفني . وإذا دققنا أكثر في مقال "إلى التقدم" وجدناه يحتوي على كثير من الأفعال الماضية والمضارعة المناسبة لمعركة محمد السعيد الزاهري مع النائب "ابن التهامي" صاحب جريدة "التقدم" ؛ حيث أراد أن يبين كذب ادعاءات الخصم من ناحية

¹ - الزاهري ، محمد السعيد " رأيت بعيني " البرق ، عدد 23 ، بتاريخ 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927 م ، ص2 .

، ويبرهن له على صدق قوله هو من ناحية أخرى وذلك بمعاينة الوقائع كما هو ، بعيدا عن اللف والدوران . فانظر إلى أفعال الجمل الآتية : (لأننا انتقدنا عليك بما انتقد به غيرنا ، لم نخصصك وحدك إنما ذكرنا ما سطرته الصحافة الفرنسية عن جلسة المجلس البلدي ، ولم نخترع ، ولم نخلق ولو حرفا من تلقاء أنفسنا ، من دون أن نتنصر لأحد ، ولا آذينا آخر . أخطأتم كلكم ، أو جنيتم نحو من وكلكم أمره فحكمنا عليكم ...) ¹ وقد يكون القصد من حشد هذه الأفعال الرد بما يوافق الواقع ، ويكذب افتراءات جريدة " التقدم " ، وتقديم ذلك لعامة الناس ، وليس للطبقة المثقفة . وبهذا يكون السعيد الزاهري قد نجح في إيصال فكرته إلى البسطاء من الناس فضلا عن خاصتهم .

* * *

وإذا عدنا مرة أخرى إلى مقاله " رأيت بعيني " فسنتقف على الملاحظة نفسها من استعمال للألفاظ السهلة المعبرة البعيدة عن الغموض والتكلف ، والموجهة عموما إلى الطبقة العريضة من الناس .

لا بد - قبل مغادرة الحديث عن الألفاظ - أن نعرّج على ذكر استعمال الزاهري لكثير من الألفاظ العامية المناسبة المفهومة المتداولة على ألسنة الكثير من الناس ، وهي كلمات إما عربية أو فرنسية - ظلها الكثير من الجزائريين أنها من العربية - أو أصبحت بحكم الاحتكاك مع الفرنسيين مفردات من القاموس اللغوي العامي الجزائري في العصر الحديث . وهذه أمثلة على ذلك :

وردت في مقال "الدكتور ابن التهامي" كلمة " إرش " في قوله : (طلب منه ابن التهامي لدى المحكمة إرش عرضه ...) ومعنى هذه المفردة " قرش " اسم عملة عربية أراد الزاهري أن يحط - من خلال ما تحمله من رمز - قيمة النائب ابن التهامي بسخريته المعهودة فيه ، ويتهمه بالرشوة لكي لا يصل حكم القضاء إلى تعطيل جريدة "البرق" .

¹ - " الدكتور ابن التهامي " البرق عدد 18 ، بتاريخ 12 محرم الحرام 1346هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927م . ص 1 .

ونجد في مقال "التفرنج الآثم" كلمة "ناخذ" و "ماناخذش" وهي مفردات عامية شائعة على لسان أفراد الشعب الجزائري ، والأصل في المفردتين : "آخذ" ، "لا آخذ" من الفعل "أخذ يأخذ" .

وهكذا في قوارصه التي كانت حقلا رحبا لمثل هذه المفردات العامية ككلمة "الخدمة" التي وضعها الزاهري بين قوسين واستعملها للتأثير على القارئ الذي يتابع معه مشاهد مخزية لأتباع العليويين داخل الوطن وخارجه ؛ ذلك أنهم يسألون الناس الأموال في الشوارع أعطوهم أو منعوهم ، حتى لدى العمال الجزائريين بفرنسا ، قال : فقد صمموا على أن يذهبوا إلى مرسيليا ، ثم إلى جدة ليمروا في طريقهم على العملة (الخدمة) الأهالي بفرنسا يوم فتح جامع باريس ، وغرضه الطواف على العملة هناك لجمع الزيارات . والكلمة مأخوذة من الفعل "خدم يخدم فهو خادم" .

أما في قارصته "ضبة الجزيري" فقد وظف كلمات عامية كثيرة مثل "بوشاشية" ، وتعني "العمامة" . و كلمة "البوخة" ومعناها نوع من أنواع الخمر. وكلمة "كيسان" ومعناها "كؤوس" جمع "كأس" ، وظفها في قارصة "باش عدل عليوي" وكذلك كلمة "صينية" وتعني صحن كبير توضع عليه الفناجين ، وكلمة "الشاهي" وهي نوع من الشراب . قال الزاهري : (... وكان من أمره أنه سأل رجلا أن يتفضل عليه بصينية من الشاهي (الاتاي) ...¹

* * *

ومفردات اللغة الفرنسية هي الأخرى كثيرة ومنتشرة في مقالات محمد السعيد الزاهري وقوارصه . جاء في مقال "إلى التقدم"² : (هذا هو القريب من الحق لأن جل القيائل لم يرضوا أن ينتخبوه لما يعلمونه من ماضيه في مسألة العسكرية والأنديجينا) وتشير المفردة إلى قانون indigène الذي اكتوى بمواده كل الشعب الجزائري . ويوظف

¹ - تأبط شرا . " الباش عدل عليوي " . البرق . عدد 4 . بتاريخ الاثنين 24 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 28 مارس 1927م . ص 3 .
² - مكاتب البرق " إلى التقدم " البرق ، عدد 20 بتاريخ 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927م ، ص 2 .

الزاهري في مقاله "خدام الغير"¹ و"الدكتور بن التهامي"² مفردات فرنسية "تياتر" و"دوماج أنتيري" ومعنى الأولى المسرح ، والثانية آسف الفوائد .

والقوارص أيضا مزرعة للمفردات الفرنسية ، وقد عنون بعض قوارصه بألفاظ فرنسية مثل قارصة "كونكيرونس" وتعني باللغة العربية "المنافسة" . و تحتوي قارصة "ضبة الجزيري" لفظة "البكيك" ومعناها بالعربية "الإبر" . وفي قارصة "باش عدل عليوي" جاءت لفظة "لاتاي" لتدل على نوع من المشروب . وفي قارصة "احتجاج" وظف لفظة "كوميسارية" ومعناها دار الشرطة . وفي قارصة "زيارة جديدة" لفظة "كادوات" ومعناها الهدايا . هذا جزء مما استخدمه السعيد الزاهري من الألفاظ إما مفردة عربية عامية أو مفردة فرنسية أراد من خلالها التزول بمستوى لغته إلى الإنسان العادي ، رغبة منه في تعميم الفائدة التي هي عموما مقاومة المحتل وأذنا به من طرقيين ، ونواب المصالح ، وشخصيات معادية للوطن .

أما بخصوص الحمل الموظفة في كتابات السعيد الزاهري على صفحات جريدة "البرق" فهي طويلة . والطول من سمات النشر الحديث ، اضطر الزاهري للجوء إليها إحساسا منه بضرورة التوضيح والتفصيل للمعنى المطلوب إيصاله للقاريء . فانظر الجملتين التاليتين : (قرأنا بمزید الدهشة ما صدر في آخر عدد من تقدم ابن التهامي في شبه رسالة ، زعم المدير الضخم أنها أتنه من أحد قرائه ضد زميله السيد التزمالي الذي كان يدافع عنه بالأمس ويتهمة اليوم كونه شيوعيا وبرقيا ، ويتهم البرق بكونه شيوعيا)³ . و (وقد سألتها عن سبب ذلك فقالت بكل أسف أقول لك : إن قانون هذا المستشفى لا يبيح للأطفال المسلمين أن يدخلوا هذا المستشفى المخصوص لغير المسلمين)⁴ .

¹ - عتيد:خدام الغير" البرق ، عدد 15 بتاريخ 19 ذي الحجة الموافق لـ 20 جوان 1927م ، ص 1 .

² - البرق : الدكتور بن التهامي : البرق ، عدد 18 بتاريخ 12 محرم الحرام 1346هـ الموافق لـ 1927م ، ص 2/1 .

³ - مكاتب البرق . " إلى التقدم " . البرق . عدد 20 بتاريخ 26 محرم الحرام 1346هـ ، الموافق لـ 24 جويلية 1927م ص 2 .

⁴ - الزاهري ، محمد السعيد . " رأيت بعيني " ، البرق . عدد 23 بتاريخ 1 صفر الخير 1346هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م . ص 2 .

بدون شك فإن هذا الإطناب في المعنى ، والتكرار في اللفظ من شأنه أن يختصر المسافات أمام القاريء ، ثم يقف بالتفصيل على زوايا المسألة المعالجة ، وبالتالي سيشعر القاريء أنه مجبور على قبول الخبر المقدم إليه .

وانظر في مقال " خدام الغير "¹ كيف يستعمل الزاهري الجملة الطويلة والبسيطة الخالية من المفردات الصعبة الغريبة على بسيط الثقافة من المواطنين ، والتي يمكن أن تكون عائقا أمام القاريء في فهم المعنى ، يقول الزاهري : (أما مصطفى بن محمد الذي قتلته طلبة مدفع (عيد جان دارك) ، فقد أهمل ونسي حتى من النواب الأهالي الذين هم في الحقيقة خدام الغير ومحبو أنفسهم . أولئك هم الضالون . تنبهوا)² .

وما دامت الجمل بسيطة وألفاظها متداولة معروفة فإننا لا نجد محمد السعيد الزاهري يلجأ فيها إلى الخيال لتقريب المعنى من أجل التأثير في القاريء ، ربما بدعوى التزول بمستوى اللغة في مثل هذه المقالات إلى جمهور القراء ، وبذلك تصل آراؤه إلى أكبر عدد ممكن من الناس ، ومع هذا فبعض المحازات اللغوية المتمثلة في الاستعارة التبعية قد رصعت قليلا من مقالاته ذات الأسلوب المباشر و(تكون الاستعارة تبعية إذا كان اللفظ الذي جرت فيه مشتقا أو فعلا)³ . ومثل هذا في مقال " إلى التقدم " الذي جاء فيه (لا والله ، إذا نريد إبطال الانتخاب كله ، لأنه مفسدة لنا ، وحجة علينا ، وسلم يصعد عليه المترفون والأردلون)⁴ . لقد قرب الزاهري - للمواطن البسيط - في العبارة (سلم يصعد عليه المترفون ...) حقيقة الانتخابات الجزائرية ؛ إذ أن الانتخابات تشبه السلم الذي يصعد عليه فذكر المشبه والمشبه به وحذف كلا من أداة التشبيه ووجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ . وتلك صورة محسوسة تفتح مخيلة القاريء على مشهد الصعود إلى المبتغى عبر السلم الملموس .

¹ - عتيق: خدام الغير " البرق ، عدد 15 بتاريخ 19 ذي الحجة الموافق لـ 20 جوان 1927م ، ص 1 .

² - عتيق . " خدام الغير " المرجع نفسه ، ص ن .

³ - الجارم علي و أمين مصطفى، البلاغة الواضحة، دار المعارف بمصر ، 1965م . ص 48 .

⁴ - مكاتب البرق . " إلى التقدم . " البرق ، عدد 20 بتاريخ 26 محرم الحرام 1346هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927م . ص 2 .

وجاء في مقال " أين تذهب أموالنا ؟ " قوله : (... حيث ألقى خطابا يحرض فيه الهمة اليهودية ، لتأييد دين آبائهم وأجدادهم بالفعل) . والشاهد هنا هو " يحرض فيه الهمة " حيث شبه الهمة بـ "شعب" تستثار فيه النخوة ، وحذف المشبه به (الشعب) وجاء بقرينة لفظية (يحرض) مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، على سبيل الاستعارة المكنية . والهدف من ذلك توضيح الصورة وتجسيدها .

* * *

ولمحمد السعيد لزاهري ثقافة عربية أصيلة واسعة ، وأخرى غربية اكتسبها عن طرق معرفته للغة الفرنسية من جهة كما أقر بذلك د. محمد مصايف (إن حمودا والزاهري مثلا كانا يحسنان اللغة الفرنسية)¹ . ومن جهة أخرى احتكاكه الكثير بالشخصيات الغربية ومحاورته لهم دفاعا عن الإسلام . ومن الشخصيات التي استطاع الزاهري إقناعها بعدم التعرض للإسلام بالأذى - بعد مناظرة على صفحات الجرائد - الكاتب الفرنسي (أندري سيرفي) . ومن الشخصيات التي اجتمع بها وتباحث معها في شتى مواضيع الحضارة : العالم الفرنسي (جاك ساي)² ، والصحفي الأديب والشاعر الأسباني الذي أشار إليه ولم يذكر اسمه³ .

اتحدت الثقافتان العربية والفرنسية لدى محمد السعيد الزاهري فكونتا مزيجا قلّ نظيره عند أدباء الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية . وقد ظهر هذا الخليط في جزالة الأسلوب ، وتنوع المعاني ، والقدرة على التعبير الجميل ، وإيراد الأدلة البالغة ، وبعد النظر .

نجد الأسلوب النثري الفني في كتابات محمد السعيد الزاهري بوفرة في غير كتابات جريدة "البرق" ، كمقالاته التي جمعت في كتاب تحت عنوان " الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير " أو التي تم نشرها في جريدة "السنة النبوية المحمدية" و"الشرعية النبوية المحمدية" و"الصراط السوي" ، وهذا لا يعني أن جريدة "البرق" خالية من النثر الفني .

¹ - مصايف ، محمد ، النثر الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1972 م ، ص 114

² - الزاهري ، محمد السعيد ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، دار الكتب - الجزائر - ص 67 .

³ - الزاهري ، محمد السعيد ، المرجع نفسه . ص ن .

سنركز في دراستنا هذه لأسلوب النثر الفني عند الزاهري على ما وجدناه في جريدة "البرق" من مثل مقال "التفرنج الآثم" و"القوارص" و"رسالته إلى أبي حفص الحمادي".

حينما أراد السعيد الزاهري التعبير عن استيائه من انسلاخ المرأة المسلمة عن الدين والعادات ، وما وجدته في نفسه من مرارة ذلك استعمل ألفاظا عربية أصيلة ، جميلة في مبناها ، موحية في معناها ، قوية في وقعها على القلوب ، متشعبة بحرقة وأسى ، قال :
بدأنا ندوق مرارة التفرنج ... /نحس به داء عياء قد تغلغل ... /دب هذا الداء الويل ...
ولما أراد الكشف الحقيقي عن مكانة المرأة المسلمة في مجتمعها الأول قبل الاحتلال ، جاء بما يناسب المشهد الرومانسي المشوق ، مثل قوله : بيضة خدر ... /لا يزال خباؤها ...
/ولو رأها الشمس ما طلعت بعد رؤيتها ... /عُدن ملكا مشاعا ... /وملمسا مشتركا ...
/... والمرأة في خدرها كالوردة في غصنها وأكامها ... /فالخدر ، والملمس ، والأكام ألفاظ أدبية قديمة جميلة فصيحة موحية ، كونت مع بقية الألفاظ أسلوبا سهلا بسيطا ، وجوًّا حالما .

يمثل هذا النثر الفني والأسلوب الجذاب عالج الزاهري ظاهرة "التفرنج الآثم" ، وهو أسلوب (سهل جذاب لا تستطيع إذا تناولت أوله أن تتركه قبل أن تأتي على آخره)¹ .
وفي رسالته إلى الراهب الكبير ممثل اليهود في الشمال الإفريقي نجد مفرداتها في غاية البساطة والإيجاء والتعبير والعذوبة واللين . جاءت — هذه الكلمات — في مقدمة الرسالة لتوضح الموقف ، وتستميل قلب الراهب حتى يعترف بإحسان المسلمين للطائفة الإسرائيلية يوم أن كان المسيحيون يذيقونها أشد العذاب ، والمفردات هي: صدرا رحبا ، وحنانا ، ومروءة وراحة ، وسلاما ، فهي كما نرى تبعث على الاطمئنان والأمان والتعايش السلمي والركون إلى من يتصف بمثل هذه الصفات .

وكما كانت مفردات الرسالة مجسدة للمستوى الحضاري لأمة الجزائر يوم أن كانت قوية قادرة ، كانت من ناحية أخرى كأنها ريشة رسام ترسم صورة الإسرائيليين

¹ - الزاهري محمد السعيد ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، دار الكتب ، ط2 ، ص 9 .

المعتدين على من أحسن إليهم في يوم ما (... والآن لما فنيينا واضمحلت آثار عزنا وشرفنا ، وصرنا خدمة لكم ، ولعبة أهوائكم ، وآلات لمصالحكم ، (وإسواء)¹ أغراضكم جعل شبانكم المتبخترون والمتعنتون نشأنا وشيوخنا وفقراءنا - كلنا فقير وأنتم أغنياء - سخرية ومضحكة ...)². لكن الزاهري بعد هذه المقدمة كشف عن غضبه واستيائه لما يجده في نفسه بمفردات قوية ، حادة ، قاسية ، زاجرة ، بعيدة عن الليونة والعطف والرحمة ، مناسبة للموقف وكأن المخاطب للراهب قد تغير (فليعلم كل واحد منكم أن أرواحنا لم تزل طاهرة وعقولنا ثابتة . ولم نغفل عن أدنى شيء سعيتم به في إذايتنا ... ننصحكم لترفعوا عنا هذا الأذى ... فانتبه أيها الراهب ونَّبَّه إخوانك لعلهم يرجعون)³.

* * *

كتب الزاهري جل "قوارصه" المؤلفة للطريقة بالمستوى نفسه من الألفاظ ؛ حدة وقسوة وعنفا كما أنها احتوت على كلمات بذئية ، فاحشة وماجنة ، وقد أشار إليها د. محمد ناصر بقوله : (فإن الزاهري لا يتورع عن استعمال الألفاظ الماجنة والعبارات المسفّة)⁴. وأضاف (والحق أن الزاهري كان عنيفا قاسيا جريء القلم واقعيه . يبتذي في أسلوبه أحيانا إلى حد الإسفاف ، وهو لا يتورع عن نيل خصومه من كل ثغرة ولو ساقه ذلك إلى المجون وفحش القول واتهام الأعراض . وإن جبين الحياء ليتصبب عرقا من بعض قوارصه)⁵. وهذه أمثلة على ألفاظه البذئية الموظفة في ركن "القوارص" :

قارصة " البلاغ والتقويم الجزائريان " ⁶:

القيء الممجوج - فضلة الإنسان - الحمار التونسي .

قارصة " جددها " ⁷ :

¹ - هكذا في الأصل

² - ابن الجزائر . " رسالة إلى الراهب الكبير " . البرق . عدد 18 . 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م . ص 2/1 .

³ - ابن الجزائر ، المرجع السابق . ن ص .

⁴ - ناصر محمد ، المقالة الصحفية . نشأتها - تطورها - أعلامها - من 1903 إلى 1931 . ص 196

⁵ - ناصر محمد ، المقالة الصحفية ، المرجع نفسه ، ص 131 .

⁶ - تأبط شرا . " البلاغ والتقويم الجزائريان " . عدد 3 . 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927 م . ص 2 .

⁷ - تأبط شرا . " جددها " . البرق ، عدد 7 ، بتاريخ 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أفريل 1927 م . ص 3 .

القوادة الصم ، البكم ، العمى .

قارصة عدس أيها الفلتاء المتشردون " ¹ :

رأس أقرع - يسيل دما وقيحا - إست - البواسير حتى تفقأت بالרטوبات
والصديد - لينقيه من الدود ويصفيه من العفونات - لقيط متشرد - بغال بني عداس .
وكما نرى فإن هذه المفردات جميعها توحى بشدة إلى الإنقاص من قيمة الطرقيين،
والسخرية منهم ومن سلوكيات أتباعهم المعيقة لتقدم الجزائريين والنهوض ببلادهم .
أما مفردات الرسالة التي بعث بها إلى صديقه "أبي حفص الحمادب" فمنتقاة بتدبر
لكي تحمل بصدق آلام الزاهري الدفينة . وبالرغم من أن الكثير منها فصيح قدسم ، إلا أن
ذلك لم يكن حائلا دون وضوح الفكرة التي أراد طرحها . وقد حشد فيها الزاهري
الكثير من المفردات والعبارات الموحية بمعاني المعاناة التي نزلت بساحة الجزائري في ظل
الاحتلال وسيطرة المستوطنين على الأراضي الزراعية ؛ من اقتصاد منهار ، وفلاحة بيد
الكولون ، وصناعة وطنية قطعت دابرها الصناعة الأجنبية . ومثل هذه المفردات المعبرة
عن المعاناة : أرجو ألا يعود ... /أيقاظا غير رقود... /أحياء غير أموات ... /بؤس أليم
... /فقر مدقع ... /جهالة عمياء ... /ليست وجوههم ضاحكة ولا مستبشرة ... /بملا
صدورهم حزنا ... /نائحة ... /الحالة الشقية ... إنها كلمات توحى بتشائم الزاهري
وإحباطه وبكائه المرير لحال الوطن .

وفي الوقت نفسه استطاع الزاهري أن يجد في هذا الجو الذي يبعث على الحزن
والقنوط كلمات تدعو إلى التفاؤل والأمل وانفراج الأزمة وذهاب الغمة من صدور
الجزائريين ؛ ذلك حينما شعر بإمكانية استرداد بني ميزاب لمكانة تجارتهم ، واسترجاع
شباب القبائل لأراضي آبائهم وأجدادهم . وعلى سبيل المثال قوله : افتكوا سائر ما كان
يملك آباؤهم ... بذلوا أموالا كثيرة ... عقيدة لا تتخلخل ... لا يسعدون إلا إذا ملكوا
أراضي آبائهم ... مستبشر بالنهضة التجارية المباركة ... استرجاع ... نتمنى إن

¹ - تأبط شرا . " عدس ... أيها الفلتاء المتشردون " المرجع السابق . ص ن .

ينهضوا نهضة تجارية عصرية ... المكانة الكبرى . رغم كون المفردات أدبية إلا أن القاريء لا يتعب في فهمها لسلاستها وبعدها عن الغموض وقربها من قاموسه اللغوي .

* * *

أما بخصوص الجمل في النثر الفني للزاهري فنجدها ذات أسلوب رصين ، تتمتع بالطول والإطناب الذي لا غنى للنثر الحديث عنه . وإلى جانب ذلك فهي سهلة بعيدة عن المبهم والمستغلق ، تتخللها الصور البيانية المقوية للمعنى والموضحة له ، وتلك الصور كثيرة ومتنوعة في بعض المقالات ومنعدمة في بعضها ، وإليك بيان ذلك :

ضم مقال " التفرنج الآثم "¹ الكثير من الصور البيانية ومنها التشبيه في قوله : فلم يعدن يرتضين أن يكن في خدورهن كالمملكات في قصورهن .

فوسوس لهن التفرنج كما وسوس الشيطان لآدم .

والمرأة في خدرها كالوردة في غصنها وأكمامها .

وجمال هذه التشبيهات المفصلة يأتي من شعورنا ببراعة الزاهري وحذقه في عقد المشابهة بين الحالات التي ما كان لها أن تخطر ببالنا من مثل وسوسة التفرنج ووسوسة الشيطان . أو المرأة في الخدر والوردة في الأكمام .

وكذلك احتوت "القوارص" على تشبيهات كثيرة منها :

التشبيه التمثيلي في قارصة " غرق " : فإذا هو مغفغف اللحية ، قد تهدل شعر شاربه على فمه كما يتهدل على الماء حشيش الساقية .

وفي قارصته " الباش عدل عليوي " :

- يعتدي عليه مثل الاعتداء على باديس .

- وظن نفسه يخرج من ذنوبه وخطاياهم كيوم ولدته أمه .

ولم يكن فن الرسالة عند الزاهري خاليا من مثل هذه الصور البيانية التي جاءت في

المقال ، ففي رسالته إلى صديقه أبي حفص الحمادي ما يلي :

¹ - التحرير : التفرنج الآثم : البرق ، عدد 4 ، بتاريخ 24 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 28 مارس 1927 م .

- فأحسبه نائحة ييكى . فقد شبه الإمام الذي يخطب على الناس بالنائحة لعله يصل إلى شغاف قلب صديقه أبى حفص الحمادي .
- إن الناس هنا خرجوا لهذا العيد وكأنهم غير الناس في الأعياد الماضية . ولا شك أن صورة الجزائريين الأحرار في أعيادهم بغير صورتهم وهم تحت الاحتلال .
- وكل التشبيهات التي مر ذكرها ملائمة للمشاهد والمواقف التي أراد الزاهري أن يركز عليها ، كموقفه من المرأة المسلمة الماكثة في بيتها ، أو تصويره للطرفي الذي أهمل نظافة جسده حتى أصبح منظره يدعو إلى الضحك والاشمئزاز .

* * *

وإذا كان التشبيه أحد عوامل توضيح المعنى لدى الزاهري فإن المجاز اللغوي حاضر بقوة خاصة في كتاباته ذات الأسلوب القصصي الشيق ، وقد ساهمت في تجلية الصورة وتقوية معانيها ، ومنها :

الاستعارة التي هي (ضرب من التشبيه ، ونمط من التمثيل ، والتشبيه قياس ، والقياس يجري فيما تعيه القلوب ، وتدركه العقول ، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان ، لا الأسماع ولا الأذهان)¹ . وإذا تمعنا في ما أورده الزاهري من هذا النوع من البيان أدركنا أنه قصد بمعانيه ملامسة شغاف القلوب ووعي العقول . فاستعاراته التبعية المدرجة في مقال " التفرنج الآثم " لها كبير الأثر في نفس الإنسان الوطني الغيور على عرضه وشرفه . فانظر مثلا المقولة التالية : " بدأنا نذوق مرارة التفرنج " . فقد جسد الزاهري مشهد التفرنج الذي أصيبت به التونسيون ، بما يمكن أن ينفر القارىء من عاقبة هذا الداء ، فمثله بشراب الحنظل فحذف المشبه به وأوعز إليه بما يدل عليه (نذوق) . والغرض من هذا التشبيه ملامسة القلب لخطورة داء التفرنج . أما قوله في المقال نفسه : " دخل داء التفرنج على البيض العقيلات في خدورهن " فقد جسد فيه الداء وشبهه برجل غريب يدخل خدر نساء أجنبيات عنه بدون إذن . والصورة غنية بالمعاني التي يريدها الزاهري

¹ - الجرجاني ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، شرح وتعليق خفاجي محمد عبد المنعم و شرف عبد العزيز . دار الجبل - بيروت 1991م . ص 36 .

أن تستقر في قلوب وعقول المسلمين من الجزائريين والتونسيين . والشيء نفسه يقال في الجملة التالية " ... لسلب كل ما تملكه يدها من حشمة وحياء " .

أما في قارصة " ضبة الجزيري فقد جاء الزاهري باستعارات تبرز دناءة خصمه ومخازيه ؛ إذ شبه الهمَّ الذي أهلك خصمه بحيوان متوحش نهش لحمه فاستعار الفعل "أكل" كقرينة لفظية دالة عل المحذوف وهو الحيوان المتوحش ، قال : أحرقه الجوع وأكله الهم . وكذلك في قوله : سُدَّت مسالك العيش في وجهه .

وفي قارصة " باش عدل عليوي " يقول " فلم يصبر إلها يغسل عن نفسه مآثمه وخطاياها " . والشاهد هنا " يغسل مآثمه " . فقد شبه المآثم وهي معنوية غير محسوسة بالثياب مثلا وهي مادية ملموسة واستغنى عن ذكر المشبه به (الثياب) ودل عليه بالفعل " غسل " على سبيل الاستعارة المكنية .

وفي " الرسالة التي بعث بها إلى صديقه أبي حفص الحمادي فهي أيضا رغم قَلَّتْها إلا أنها كافية لإبراز نفسيّة الزاهري المتضعضة أمام نكد العيش وتحت وطأة المحتل . وهي من الاستعارات الجميلة المرصعة للرسالة ، ومنها :

- يملأن صدورهن حزنا وحسرة ...
- يعقد ألسنتهم حتى عن الكلام ...
- تزين لهم الرذائل ...
- قتلتها الصناعة الأجنبية ...

* * *

أما الكناية ف هي كثيرة أيضا و منها في مقال " التفرنج الآثم " ، منها قوله :

- محرومات من استنشاق الهواء الطلق .
- لا يعرفن فيه تعباً ولا شقاء .
- قواعد في بيوتهن .

- التي تحذر من خطرة النسيم أن تمر بها ، ومن البدر المنير أن يلوح عليها خجلا وحياء

والسرّ في هذه الكنايات - عن الصفة والموصوف - هو الكشف عن الحقيقة مصحوبة بدليلها وبرهانها . ويدل هذا المظهر من مظاهر البلاغة - أيضا - على لطف في طبع الزاهري وصفاء في قريحته لأن الكناية (غاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته)¹

لقد تضمنت القوارص أيضا هذا النوع من الصور البيانية ، حيث جاء في قارصة "خصام عنيف" قول الزاهري :

- ولم يرزق غير جنين لا يزال في بطن أمه . وهي كناية عن معاناة الإنسان في الإنجاب ، أو هي كناية عن السخرية بالشيخ الطرقي .

- فركب رأسه وهام على وجهه . وهي كناية عن خيبة الأمل .

- فكاد يخرق الأرض بقدميه . كناية عن شدة الغيظ .

أما الكنايات في رسالة محمد السعيد الزاهري "إلى أبي حفص الحمادي" فهذهها تقريب المعني وتوضيحه كما جاء في قوله :

- وليس وجوههم ضاحكة ولا مستبشرة .

- فتركوا بجهلهم الأجانب يرحون في بلاد عرضها السماوات والأرض .

* * *

ب - المحسنات اللفظية :

1- السجع :

تميز أسلوب محمد السعيد الزاهري في أغلب كتاباته بتحرره من الزخرفة اللفظية التي أثقلت كاهل الفنون الأدبية في عصر الضعف . ورغم ذلك فقد وردت بعض الألوان البديعية العفوية التي تدل على أن أدباء الحركة الوطنية لا يشغلهم شاغل عن مقاومتهم

¹ - الجارم ، علي و أمين مصطفى ، البلاغة الواضحة ، دار المعارف بمصر 1964م. ص 131.

للمحتل حتى ولو كانت مرتبطة بخصائص الفن الذي يكتبون فيه . ونذكر مما جاء في مقاله " التفرنج الآثم " من طباق وسجع .

ورد الطباق في قوله : أين المرأة المتبرجة التي تظل في الشوارع غادية رائحة مع الغادين والرائحين . والشاهد هنا بين كلمة :

غادية ، رائحة ، وكلمة : الغادين ، الرائحين ، وكلمة : الساقطة ، العفيفة

أما السجع فقد تضمنته الجملتان التاليتان من المقال نفسه :

- أن يكن في خدورهن ، كالمليكات في قصورهن .

- يهتكن سترهن ، وأن يبدن زينتتهن ، وأن لا يضربن بخمرهن ، على جيوبهن .

وجاء السجع في رسالته إلى "أبي حفص الحمادي" في لفظي : ما يقبضون ، وما يصرفون .

وكما ورد المحسن البديعي في المقال والرسالة فقد وجد أيضا في قارصتي " خصام عفيف " و " ضبة الجزيري " في قوله على التوالي :

- نفخة من نفخاته ، وأن يختص بشيء من بركاته .

- فطار فرحا وكاد يخرق الأرض بقدميه مرحا .

ويكاد ينعدم " الجناس " في كتابات محمد السعيد الزاهري ، مما يدل على أن أدباء الحركة الإصلاحية والوطنية لهذه الفترة قد اهتموا بطرح الأفكار وتحليلها ، ومناقشتها ، وإقناع الجمهور بأرائهم ومواقفهم الإسلامية والوطنية ، وبالتالي فلم يتركوا المجال واسعا إلا لما يخدم القضية الأساس ، ويحرك مشاعر الشعب حتى يرفض المحتل مهما ألقى المغريات في طريقه .

2 - المقابلة :

احتوت رسالة الزاهري إلى صديقه أبي حفص على مقابلتين الهدف منهما تقريب صورة مأساة الشعب إلى الأذهان ، ومقارنتها برفاهية المحتل في الجزائر ، والصورتان هما :

- أنعمت على الكولون بتلك الأراضي ، وحرمت منها الأهالي المسلمين .

- ترك هذه البلاد للمحتلين ، والفرار من الظلم والجور إلى بلاد الشرق التي لا ظلم فيها ولا جور .

ونخلص إلى القول في أسلوب الزاهري بعد هذه الإطلالة على أغلب كتاباته المنشورة في جريدة "البرق" إلى ما يلي :

1- وجود أسلوبين مختلفين : أسلوب سهل بسيط نزل به صاحبه إلى مستوى جميع الناس . وأسلوب أنيق رصين مشدود بحبال فولاذية إلى القديم ، ارتفع به صاحبه إلى مستوى أدباء الأمة العربية الإسلامية .

2- وظف الزاهري في الأسلوب الأول ما يناسبه من بيان وبديع وما يلائم القراء من بساطة للأفكار وزهد في العرض . ووظف في الثاني كل ما يرتفع به الأدب ويجعله جوهرة في جبين فنون النثر العربي الجزائري الحديث خاصة ، والعربي والإسلامي عامة .

* * *

ونلاحظ على البديع الذي جاء به محمد السعيد الزاهري في كتاباته على صفحات جريدة "البرق" أنه ليس إغراقا ولا تعقيدا في الكلام ولا بُعدا بالصورة ، ولكنه لا يعدو بعض الحلي اللفظية كالسجع والمقابلة ، وهذا يدل على قدرة الكاتب على تشقيق الألفاظ واستحضار ما يقابلها أو يطابقها أو يشبهها حروفا وحجما ويناقضها معنى ومفهوما .

4- أهم وسائل التعبير الفني الأدبي عند الزاهري :

بعد هذه الإطلالة السريعة التي تعرفنا من خلالها على مجهودات الأديب محمد السعيد الزاهري المتمثلة في نشره المعالج لمعاناة الشعب الجزائري السياسية والاجتماعية من خلال أربعة أنواع أساسية هي : السيرة والحكاية والرسالة والمقال . وبعد إشارتنا إلى خلو جريدة "البرق" من قصائد محمد السعيد الزاهري فإنه يجدر بنا أن نعرض على تحديد السمات الفنية لهذه الفنون ، وبتحديد ذلك تكتمل الصورة لدينا حول المستوى الذي كان عليه النثر الجزائري لفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى باعتبار أن محمد السعيد الزاهري أحد أدباء الطبقة المشهورة وقتئذ ، وأحد الأدباء الذين ساهموا في تخليص النثر

الجزائري مما علق به في فترة الانحطاط لكي يواكب الأحداث الوطنية ويخدم الأمة الجزائرية بما هي في حاجة ماسة إليه أثناء مسيرتها النهضة .

1- الاقتباس :

يعد الاقتباس وسيلة مهمة من وسائل التعبير الفني العربي منذ القدم ، و(الاقتباس : تضمين النثر أو الشعر من القرآن أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما ، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلا)¹ .

ولمعرفة مدى توظيف محمد السعيد الزاهري لهذا النوع من المعاني في كتاباته التي تضمنتها جريدة "البرق" وجب علينا أن نقف عند بعض نماذج كل نوع من أنواع كتاباته .

فالمتمعن قليلا في مقالات محمد السعيد الزاهري يكشف بذور التجديد في النثر الجزائري الحديث ، ويظهر ذلك من خلال بروز شخصية الأديب ، ووضوح موقفه الذي يدعو إليه ، وهذا ما أكدته الدكتور محمد مصايف ، وعلى أساسه ميز أدب محمد السعيد الزاهري ورمضان حمود عن أدب غيرهما في فترة ما بين الحربين العالميتين ، واعتبر ذلك بداية لنثر جزائري جديد (... ومع ذلك كانت هذه الكتابات وبخاصة كتابات حمود رمضان والسعيد الزاهري بداية طيبة للنثر الجزائري الحديث ، ويعود الفضل في امتياز هذه الكتابات عن غيرها إلى أن أصحابها أخذوا يتصلون بالأدب الغربي بطريق مباشر أو غير مباشر)² .

* * *

أكثر مقالات السعيد الزاهري احتواء لظاهرة الاقتباس مقال " التفرنج الآثم"³ الذي فجر نشره على صفحات جريدة "البرق" معركة قلمية جديرة بالدراسة بين الأديب "محمد السعيد الزاهري" والكاتب "أحمد توفيق المدني" . وقد اتكأ السعيد الزاهري في مقاله لإيضاح فكرته وتقريبها إلى القاريء والتأثير عليه ليقف إلى صفه على

¹ - الجارم ، علي وأمين مصطفى ، البلاغة الواضحة ، دار المعارف بمصر 1964م . ص 270 .
² - مصايف ، محمد ، النثر الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1973 م . ص 114 .
³ - التحرير " التفرنج الآثم " البرق ، عدد 4 ، بتاريخ 24 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 28 مارس 1927م ، ص 1 .

الاقتباس وكان الاقتباس من القرآن الكريم هو أول مفاتيح هذا النوع من وسائل التعبير الفني ، ثم الاقتباس من الأحاديث النبوية ، ومن الترتل الشعبي كالأغاني وغيرها ...

* * *

أ- من القرآن الكريم :

إن الشواهد على اقتباس محمد السعيد الزاهري من القرآن الكريم كثيرة خاصة في مقال "التفرنج الآثم" ، وسنستخرجها منه ابتداء من المقدمة إلى الخاتمة على الترتيب . ذكر محمد السعيد الزاهري مكانة المرأة العربية المميزة في ظل الإسلام من حيث العيش الرغيد ، والنعيم الخالص ، ثم تطرق بعد ذلك إلى ما حل بها من عيش مهين بسبب التفرنج الآثم فقال معبرا عن هذه الصورة المخزية : فوسوس لهن التفرنج كما وسوس الشيطان لآدم . وتشير جملة محمد السعيد الزاهري إلى الآية الكريمة التي احتوت على جزء من قصة سيدنا آدم وتعرضه لوسوسة الشيطان في الجنة ثم هبوطه منها . والشاهد هنا هو (فوسوس لهما الشيطان ليدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)¹ . كان اقتباس الزاهري من الآية دون الإشارة إلى أن كلامه قد احتوى على معنى الآية ، أو وضعها بين هلالين ، والغرض من هذا التضمين هو أن يستعير الكاتب من قوة الآية قوة الصورة التي يريد بها ، وأن يكشف في مهارة إحكام الصلة بين كلامه وكلام الله تعالى . ويسمى مثل هذا الاقتباس عند نقاد العصر الحديث بـ "التناص" ونمط علاقته حضور مشترك بين نصين أو عدد من النصوص بطريقة استحضارية وهي في أغلب الأحيان الحضور الفعلي لنص في نص آخر² .

أما الشاهد الثاني ففي القول الذي يوحى بالسخرية والاستهزاء بتلك المرأة التونسية العربية المسلمة التي تدعو أختها إلى الانسلاخ من العادات والتقاليد زعما منها أن ذلك عين التقدم والتحضر وغيره تخلف في السير ومشقة في العيش . قال محمد السعيد

¹ - سورة الأعراف ، الآية 20 .

² - يحيى ، الشيخ مالخ " التناص والتلاص في النقد الحديث " مجلة الآداب ، مجلة علمية متخصصة تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة منتوري - الجزائر - عدد 7 ، السنة 1425 هـ 2004 م . ص 82 .

الزاهري في هذا المجال : ونحن المسلمات محرومات من استنشاق الهواء الطلق ، قواعد في بيوتهن . وهذه إشارة صريحة إلى الآية (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم)¹.

وجاء الشاهد الثالث حينما قارن محمد السعيد الزاهري بين المرأة المتبرجة اللاهية الراقصة ، والمرأة الملتزمة القاصرة الطرف ، الحيّة التي لا تبرح خدرها إلا للضرورة خوفاً من أن هدر كرامتها بين الناس ، واحتراما لعادات وتقاليدها المجتمع ، وحفاظا على سلامته من الفساد الذي قد تتسبب فيه بسلوكها المنحرف . لقد كان اقتباس الزاهري الآية حرفياً غير أنه لم يشر إلى أن ذلك آية من القرآن . والآية التي اقتبس منها مفرداته تصف نعيم المؤمن في الجنة ، ومنه "حور العين" ذلك الخلق النوراني الذي أعده الله جزاء لمن صدق به ثم أطاعه . فقول الزاهري : (القاصرات الطرف) مأخوذ من قوله تعالى : (وعندهم قاصرات الطرف كأنهن ببض مكنون)². وتوحي إشارة السعيد الزاهري إلى الآية إلى التضخيم والتوسع في المعنى كما يقول النقاد .

أما الشاهد الرابع فيشير به الزاهري إلى الآية (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو بنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال الذين لم يظهرُوا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون)³ . ولم يكن المعنى الذي أراده الزاهري مطابقاً لمحتوى الآية السابقة ، بل كان مخالفاً تماماً ليجسد به الفكر الذي تنطلق منه تلك المرأة الراقصة في دعوتها بنات جلدتها في الخروج على ما فرضه الآباء والأجداد من عادات وتقاليدها وشرعه الخالق لعباده . وبطريقة ذكية تمثلت في التلاعب بالمفردات استطاع الزاهري أن يثير في نفسية

¹ - سورة النور ، الآية 60 .

² - سورة الصافات ، الآية 48 .

³ - سورة النور ، الآية 31 .

القاريء شعور الرفض لما تدعو إليه تلك المرأة فقال : (وأنا تـمـنـى لـهـن أن يهـتـكـن سـتـرهن ، وأن يـيـدين زـيـنـتهـن ، وأن لا يـضـربـن بـخـمـرهـن عـلى جـيـوبهـن) . ومن جهة أخرى أراد الزاهري أن يقاوم التوجه الذي يراد له أن يسود في المجتمعات العربية الإسلامية . وفي هذا الشاهد تبدو براعة الزاهري لتوظيفه لهذا النمط من "التناص" الذي يدعى القلب أو العكس . فبطريقة ذكية وروح ساحرة أوحى إلى ما يعد محرما عند الله من مخالفة للأوامر والنواهي .

والشاهد الخامس في قوله : (الخسران المبين) وهي جملة أشار بها إلى الآية (فاعبدوا ما شئتم من دونه ، قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران الكبير)¹ . وقد أراد الزاهري أن ينبه إلى سوء الخاتمة المنتظرة جراء التعدي الجريء على أحكام الله والعادات والتقاليد وتراث الآباء والأجداد .

أما الشاهد السادس فيشير به الزاهري إلى الآية التي سبق ذكرها من سورة النور الآية 31 . يحتال الزاهري على عقل القاريء بذكاء ليضعه في عكس الصورة التي أرادها الله في الآية لفظا ، أما المعنى فيتفق معه . فيقول : (ثم تبدي زينتها لغير بعـلها) .

أما السابع والثامن فيشيران على التوالي إلى الآيتين (يا بني إنما إن تك حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير)² و(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون)³ . وقول السعيد الزاهري يظهر فيه الاقتباس الحرفي دون الإشارة إلى أنه من القرآن الكريم ، قال : (مثقال حبة من خردل) . و(ويل لهم مما عملت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) . ويبدو أن الغرض من توظيف مفردات القرآن كان للتوضيح أكثر لا غير .

ونشير هنا قبل أن نتعرض للاقتباس في غير هذا المقال على أن المقال هو الأكثر احتواء على الشواهد القرآنية دون غيره . ويعود السبب - في رأينا - إلى توظيف محمد

¹ - سورة الزمر ، الآية 15 .

² - سورة لقمان الآية 16 .

³ - سورة البقرة ، الآية 79 .

السعيد الزاهري للأسلوب المباشر في بقية المقالات الأخرى انطلاقاً من نوعية المسألة المعالجة ، مثل مقال "الدكتور بن التهامي" الذي ينعدم فيه الشاهد القرآني لولا وجود الآية (إن تبدو الصدقات فنعماً هي)¹ وقد وضعها الزاهري بين قوسين ليشير باستخفاف وسخرية إلى مزاعم خصمه النائب "ابن التهامي" التي يتبجح بها أمام السذج من الجزائريين لينال المكانة العالية بينهم .

يبدو من الاستعراض السابق أن الاقتباس من القرآن الكريم سمة بارزة في كتابات الزاهري سواء المنشورة على صفحات جريدة "البرق" أو التي احتضنتها جريدة "السنة النبوية المحمدية" أو "الصراط السوي" أو "الشرعية النبوية المحمدية" بعد ذلك . وهذا يدل بقوة على تشبع محمد السعيد الزاهري بمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وانتمائه الطبيعي إلى المدرسة التقليدية ، وانتصاره الواضح لعيون الأدب العربي القديم ، ومساندة لحملة رايته في العصر الحديث ، وإلى ذلك أشار محمد ناصر بقوله : (كان الزاهري يستمد كثيراً من الحقائق عن الإسلام فيما يقرأه من فصول كان ينشرها صادق الرافعي ومحب الدين الخطيب)².

لا غرابة في اتجاه محمد السعيد الزاهري إلى القديم خاصة إذا عرفنا أنه من المعجبين بأدب المشاركة ، والذين يذكروهم دائماً في كتاباته خاصة الأديب صادق الرافعي (وكل أديب كبير في مصر له أنصار وأشباع في بلاد المغرب ، فللأديب الإمام صادق الرافعي أيضاً أنصار ومعجبون وهو أكثر الأدباء المصريين تلامذة في هذه البلاد)³.

وتشير كثرة الاستشهاد بالقرآن إلى أحد مصادر ثقافة محمد السعيد الزاهري الإسلامية الإصلاحية ، وعشقه للأدب العربي في ظل الإسلام (ومن أراد أن يفصل بين الأدب العربي ودين الإسلام ، فإنه لا يجد الأدب إلا جثة هامدة لا روح فيها ولا حياة ، ومن يعلم من الأدباء أن القرآن الكريم هو معجزة الفصاحة وسحر البيان ، وأن منطق

¹ - سورة البقرة ، الآية 271 .

² - ناصر ، محمد ، المقالة الصحفية - نشأتها - تطورها - أعلامها من 1903م على 1931م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ص 196 .

³ - خرفي ، صالح ، محمد السعيد الزاهري ، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 م . ص 150 .

النبي صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى للحكمة وفصل الخطاب ، وأن فحول الشعراء المتقدمين وأئمة الأدب العربي في القديم إنما هم مسلمون متدينون ، وأن الروح الإسلامي متجل واضح في آدابهم التي تركوها لنا وما فيها من روائع وآيات ¹. هذه هي الخلفية التي ينطلق منها الأديب محمد السعيد الزاهري في التعبير عن هموم أمته العربية والإسلامية خاصة الجزائرية منها . لذلك تجد آيات القرآن والحديث النبوي والأشعار لا تفارق كتاباته إلا نادرا .

وفن الحكاية في ركنه "قوارص" ممن حظي هو الآخر بالقسط الوافر من اقتباس وتضمين من القرآن الكريم . فانظر قارصته الموسومة بـ "خصام عنيف" ² التي احتوت على مفردات من القرآن جاءت في قصة مريم ابنة عمران في الآية (فلما وضعها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ³. لقد استعمل الزاهري الجملة التالية : (... ولم تضع ذكرا كما زعم الشيخ ولكن وضعتها أنثى ...) وكما نرى فإن المعنى مقلوب لأن الغرض الذي يريد أن يصل إليه هو السخرية بشيخ الطريقة الذي يزعم أنه في استطاعته تحديد نوع الجنس في بطن أمه . ويسمى مثل هذا النمط من التناص عند الباحثة نحلة فيصل الأحمد بالقلب أو العكس كما أشار ذلك الدكتور يحيى الشيخ صالح ⁴ في موضوعه التناص والتلاص في النقد الحديث .

ويستمر الزاهري في اقتباساته من القرآن الكريم قصد التعريض بشيوخ الطريقة وأتباعهم كما هو واضح في حكاية الطرقي الذي غرق في الخلوة العليوية ، وخرج من الدنيا بشعوره المميز عن غيره من الناس ، ونسي ماله في الحياة من واجبات نحو مجتمعه ، وخاصة أولاده وزوجته التي هجرها وتركها كالمعلقة ، وهنا في هذه الجزئية من القصة ألمح الزاهري إلى ما في القرآن من مفردات تجسد المعنى المطلوب . فقد أشار إلى الصورة

¹ - المرجع السابق . ص 115 - 116 .

² - تأبط شرا " خصام عنيف " البرق ، عدد 19، بتاريخ 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927م ، ص 3 .

³ - سورة آل عمران ، الآية 36 .

⁴ - يحيى ، الشيخ صالح " التناص والتلاص في النقد الحديث " مجلة الآداب . ص 110 .

التي تجمع بين حال خصمه وما صرحت به الآية كوصف لحالة المرأة التي هجرها زوجها وتركها لا هي تمتعت بالزواج الحلال ولا بالطلاق الشرعي . قال السعيد الزاهري يصف حال هذه المرأة في قارصة "غرق": ... وتركها كالمعلقة لا متزوجة ولا مطلقة . وهو يشير إلى الآية (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان توابا رحيمًا)¹.

وفي حكايته عن ثلاثة من الطريقين شن عليهم المصلحون من العلماء حربا وحولوا الأرض الواسعة في أعينهم ضيقة لا تسعهم . حيث نفهم ذلك مباشرة من عنوان القارصة " ضاقت بهم ". ويشير الزاهري من عنوان القارصة إلى الآية (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)². لقد استطاع الزاهري تصوير المشهد المخزي للطريقين باقتباس مفردة واحدة من الآية ولكنها كانت كافية للإشارة إلى قصة جيش المسلمين في غزوة حنين يوم أن اغتر بكثرة عدده . وبهذا الإسقاط تم تجسيد صورة الطريقين في معركتهم مع جماعة المصلحين ، ويمثل هذه الاقتباسات نبّه الزاهري الناس إلى خطورة البدع التي أدخلها الطريقون على الإسلام مثل الوعدة والزيارة .

وفي حكاية أخرى تضمنها ركنه قوارص بعنوان "غلام أمرد" قال : (فلبث فيها سبع ليالي وثمانية أيام) وهي إشارة إلى مدة مكوث غلام أمرد في خلوة شيخ الطريقة . وتوحي هذه الجملة إلى السلوك المنحرف الذي يجهله الشعب الجزائري عن شيوخ الطريقة مع الغلمان في خلواتهم . والاقتباس من الآية منصب على الألفاظ دون المعاني ، لأن معنى الآية يختلف تماما عما أراده الزاهري ، وهذا من باب قلب المعاني بغرض السخرية بالخصم ووضع موضع المتهم . أما الآية فمعناها في شأن مهلك قوم عاد (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية)³ . وأضاف الزاهري في الحكاية نفسها تضمينا آخر من القرآن - أيضا -

¹ - سورة النساء الآية 127 .

² - سورة التوبة ، الآية 25 .

³ - ، سورة الحاقة ، الآية 7 .

ليضيف إلى المشهد الأول مشهداً آخر يساعد على كشف الحقيقة التي يخفيها الطريقون عن الشعب فقال : (... وما كانت تدركه الأبصار ...) وهي إشارة قوية إلى ما يصرح به شيخ الطريقة أمام أتباعه من أنه لا يشبههم . والآية التي اقتبس منها الزاهري المعنى الذي يريده هي: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)¹.

سأكتفي بمثال أخير من حكاية بسيطة عن طريقي قال عنه الزاهري : (... فلماذا يدعيه وهو رجل فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) . وهذا اقتباس حرفي من سورة الإخلاص دون الإشارة إلى ذلك بوضعه - مثلاً - بين هلالين .

ونحب هنا قبل الانتقال إلى اقتباس محمد السعيد الزاهري من الحديث النبوي الشريف أن نشير إلى أن الوسط الاجتماعي الذي ساد فترة الكاتب هي التي فرضت عليه ألا يكتب مقالا أو حكاية إلا إذا ضمنها معنى من معاني القرآن الكريم لأن الدين عموماً والقرآن خصوصاً من أكبر العوامل التي تجتذب الأسماع وتؤثر في القلوب .

* * *

ب - من الحديث النبوي الشريف :

إن الاقتباس الذي وظفه الأديب محمد السعيد الزاهري من الحديث النبوي الشريف يكاد يكون نادراً في كتاباته التي تضمنتها جريدة "البرق" وذلك عكس ما جاء في كتاباته في فترة لاحقة والتي تضمنتها جرائد أخرى مثل جريدة "السنة النبوية المحمدية" والشرعية النبوية المحمدية .

* * *

رغم أن محمد السعيد الزاهري قد قسم مقال "التفرنج الآثم" إلى ثلاثة حلقات إلا أن مقاله لم يحتو إلا على اقتباس واحد وضعه الكاتب بين قوسين ليشير بذلك إلى المصدر الحقيقي وهو الحديث النبوي الشريف . جاء في المقال قوله : (... إذا فسدت فسد الجسد كله) وهذه الجملة تضمنها قول النبي الكريم في حديثه (إن الحلال بين و الحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه

¹ - سورة الأنعام ، الآية 103 .

وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب¹ .

ونجد في الرسالة التي بعث بها محمد السعيد الزاهري إلى الراهب الكبير رئيس الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي الجملة نفسها التي كان النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم يختم بها رسائله ثم يوجهها إلى ملوك العالم كالنجاشي ملك الحبشة ، وأسقف الروم في القسطنطينية ، والهلل صاحب البحرين ، وهي (والسلام على من اتبع الهدى)² . ويدل هذا الاقتطاع من الحديث على سعة أفق الثقافة الإسلامية لدى محمد السعيد الزاهري ، وتمكنه من توظيفها في الدفاع عن وطنه من مكائد المحتل وأعوانه كاليهود في مثل هذه الرسالة .

أما الاقتباس من الأشعار فإننا نجده قليلا منها ما هو من العامة ومنها ما هو من الشعر الفصيح . فأما الذي من العامة فقد استعمله الزاهري في مقاله "التفرنج الآثم" ليعرض من خلاله حقيقة الواقع الثقافي الجديد للقرن العشرين في تونس خاصة لدى تلك المرأة العربية المسلمة التي أظهرت تحديا لعادات المجتمع العربي الإسلامي وتقاليده ، ويتمثل هذا التحدي في الدعوة الصريحة إلى زواج المرأة العربية بالأجنبي ، ومحل الشاهد هو :

ما نأخذش سيدي الشيخ ... مانأخذش بوكشاطو

أنا نأخذ وشاشية ... في باريس يدوش بيا .

يبدو أن هذه هي الترجمة الحقيقية - في نظر الزاهري - لعواطف الحقد والكراهية والنفرة من الزواج بأبناء العمومة لدى المرأة التونسية ، وفي المقابل نمو عواطف الحب والرغبة عندها في الارتباط بالأجبيين . لقد أراد الزاهري الوصول من خلال ذلك إلى تبيان خطر داء التفرنج الذي أشار إليه في مقاله .

¹ - رواه البخاري ومسلم .

² - بيلق ، عز الدين ، منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، دار الفتح للطباعة والنشر بيروت - لبنان - 1982 م . ص 761 .

* * *

وظف محمد السعيد الزاهري في حكاياته عن الطريقين في ركنه "قوارص" أبياتا شعرية ثبتها في البداية أحيانا ، وفي النهاية أحيانا أخرى ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل بالتأكيد على الرصيد الأدبي الذي تنطوي عليه ذاكرة الزاهري .

جاء في ختام القارصة الموسومة بـ "خصام عنيف"¹

لا تنهى الأنف من غيها ما لم يكن لها منها زاجر .

وقد أفلح الزاهري في هذا النوع من الاقتباس الذي غرضه السخرية من خصمه ، واستطاع أن يفهم القاريء أن نفوس شيوخ الطريقة مجبولة على فعل المفاسد والمحرمات . وانظر إلى قارصة "الباش عدل عليوي" فقد توسطها الشاهد المأخوذ من إحدى قصائد جرير الشهيرة بهجاء خصمه الفرزدق .

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامتك يا مربع .

والبيت يحمل محاكاة ناجحة سخر الزاهري من خلالها بشخصية "الباش عدل العليوي" . ويذكرنا البيت الموظف بشعر النقائص الذي شاع في العصر الأموي بين الشعراء خاصة بين جرير من جهة والفرزدق من جهة أخرى .

وإذا تصفحنا ما كتبه محمد السعيد الزاهري من موضوعات في السيرة الذاتية ونشرها في جريدة "البرق" وبالضبط في العدد الثامن² تحت عنوان " وفد الشعراء يزور طولقة - فرفار - البرج " فإننا نجد مظاهر التجديد بادية ؛ إذ لا تحس وأنت تقرأ الموضوع بما تجده عند غيره من أدباء الصنعة اللفظية ، فقد جاء أسلوبه بعيدا عن الغموض قريبا في ألفاظه من مفردات القاموس المستعمل لدى عامة الناس ومما يزيد هذا الأسلوب عند الزاهري جمالا سرقة لبعض الأبيات الشعرية التي تزيد المعنى جمالا ووضوحا من مثل الشاهد التالي :

المستجير بعمره بكرته كالمستجير من الرمضاء بالنار³ .

¹ - تأبط شرا " خصام عنيف " البرق ، عدد 19 بتاريخ 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 13 جويلية 1927 م ، ص 3 .

² - بتاريخ 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أبريل 1927 م .

³ - المنجد في اللغة والأعلام ، الطبعة الحادية والثلاثون ، دار المشرق ، بيروت - لبنان - 1991 م ، ص 978 .

ج - من الجرائد :

لم يكن انتقاد محمد السعيد الزاهري لخصومه من الطرفين والشخصيات النيابية الجزائرية إلا عن معرفة تامة. بما يمكن أن يتعرض له من مكروه أو أذى ، خاصة وهو يعلم بمكانة هؤلاء الخصوم عند المحتل الفرنسي ، ولذلك نجده يعزز مقالاته بالأدلة وبالحدج الدامغة القوية في ما يذهب إليه من تحليل على صفحات الجرائد ، وهذا ما يفسر لنا انتصاره في جلسات المحاكم على خصومه السياسيين .

وتجسد لنا مقالات محمد السعيد الزاهري الانتقادية في جريدة "البرق" اعتماده الكلي على أقوال خصومه المصرح بها على صفحات الجرائد وكمثال على ذلك ما أورده في مقاله التفرنج الآثم الذي دافع به عن المرأة المسلمة في تونس والجزائر ، أبدى لها النعم التي خصها بها دينها الحنيف من سعادة وعيش كريم عكس ما ادعته المرأة التونسية الراقصة اللاهية التي تبيت الليل بين الأيدي الآثمة متبرجة يخاصرها الرجال . لم يخترع السعيد الزاهري كلام المرأة التونسية ولم يتخيله بل نقل ادعاءها بأمانة ، ومن المصدر الأساس ، وهو ما صرحت به وتناقلة وكالات الصحافة الفرنسية ، وكان ادعاؤها أن الحياة الحقيقية تكمن في الارتقاء في أحضان التجنس ، والجزم بأن الأخوات المسلمات سيدقن طعم الحياة متى تزوجن برجال يعظموهن ويحترموهن ، ولن يجدن مثل هذا الصنف من الرجال إلا في ديار الغرب خاصة الفرنسيين . وللموضوعية والأمانة العلمية أشار السعيد الزاهري إلى المصدر الذي أخذ منه قول هذه المرأة حتى تكون حجته دامغة فقال : قرأنا في جريدة "لاديباش الجيريان" ... وإني الآن لآت بما نشرته ... ثم أتعبه بما أراه ...

* * *

إن المطلع على مقال "الدكتور بن التهامي" يرى أن محمد السعيد الزاهري لم يترك للخيال والتخمين والعاطفة فرصة في مقاومته ، خاصة وهو يعرف أن خصمه قوي ويجيد فن السياسة ، ومن الذين يعينهم المحتل في السراء والضراء ، وأن مثل الدكتور بن التهامي لن تتخلى عنه فرنسا مادامت مصلحتها محققة ، لهذا نجد محمد السعيد الزاهري لم يترك

باب الغلبة مفتوحا لخصمه ، بل استعمل معه الحجة القوية في اتهاماته له التي تذكره بأنه يعمل من أجل إعادة قانون الأندجينا المعادي للجزائريين فقال : (ويشهد عليه بذلك كتابه الذي أرسله إلى وزير الداخلية في 14 جوان 1921 م وقد أخذ بالفوتوغراف من خط يده ، وعندنا اليوم منه نسخة)¹.

وبتحديد اليوم والشهر والسنة يكون محمد السعيد الزاهري قد أفحم خصمه في المسألة التي يطرحها ، وهذا ما تم بالفعل في مقاله "الصهيونية" فقد أشار إلى اسم الجريدة وعددها واليوم الذي صدرت فيه والشهر والسنة الهجرية والميلادية ، كل ذلك من أجل خلق المصادقية وجو الثقة بينه وبين القاريء .

ونصل في النهاية إلى أن الاقتباس من الجرائد قد خدم الكاتب في مقاومته لخصومه وخدم القضية الوطنية الجزائرية وذلك عن طريق الأمانة العلمية في نقل الأخبار ، والموضوعية في طرح القضايا التي تهم الشعب الجزائري .

2- الحوار :

أراد محمد السعيد الزاهري من حكاياته عن الطريقين ومن بعض مقالاته أن يصف ما جرى ويجري في حياة الطريقين العامة والخاصة من ألوان العبث والجون والاستخفاف بعقول العامة من الناس بخرافاتهم وضلالاتهم التي لا تعد ولا تحصى . واستطاع الزاهري أن يقاوم - إلى حد ما - الأفكار الدخيلة على المجتمع الجزائري ، وأن يصحح بعض المفاهيم الدينية والاجتماعية التي اتخذها الطريقون مطية للسيطرة على عقول الجزائريين . وقد وظف الزاهري أكثر ما وظف في كتاباته عموما وفي حكاياته خصوصا الأسلوب القصصي المشوق .

وكما استخدم محمد السعيد الزاهري الاقتباس في معالجة قضايا الأمة الشائكة ، فإنه بالحوار أفاض اللثام عن كثير من الحقائق المخزية ، الاجتماعية منها والدينية المتعلقة بشيوخ الطريقة وأتباعهم حتى في أتفه ما يقوم به هؤلاء الشيوخ والأتباع في خلواتهم . فإذا قرأت مثلا القارصة الموسومة بـ "قاضيان في النار" أدركت أن خاصية الحوار لعبت

¹ - البرق " الدكتور بن التهامي " البرق ، عدد 18 ، بتاريخ 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 1927 م . ص 1 .

دورا كبيرا في عملية تصوير بشاعة ما تنطوي عليه نفوس الطريقين من أمراض كثيرة منها حب التظاهر بالإخلاص في خدمة الطريقة وشيوخها والتفاني في عشق المجون والخلاعة والخبث ، وما إلى ذلك مما تعج به النفوس الخبيثة . وانظر مثلا إلى الحوار الطبيعي الذي أداره الزاهري بين الشخصيتين .

قال القاضي الأشقر الفاسي : إني خدمت الطريقة أكثر من كل أحد ، وألفت في الكرامات تأليف عديدة ، ومع ذلك فإن هؤلاء الجماعة لم يعدوني من أهل المعرفة والخصوصية ، إلا أن شيخ طريقة أخرى غير طريقتنا قد أشار إلى أنني من أهل المعرفة والخصوصية وذلك حينما زرته في زردته .

قال الجلف : إنك زرت شيخا آخر من غير طريقتنا ، وذلك عندنا ردّة ، وزيادة على ذلك فإنك مدحته مدحا عريضا طويلا .

فقال له القاضي الأشقر : وأنت رسالتك لا تزن جناح بعوضة¹ .

من خصائص الحوار الموظف في حكاية محمد السعيد الزاهري الموسومة بـ " قاضيان في النار " التسلسل في الأحداث ، وتناسب الدور المنوط بالشخصية ، والابتعاد عن الثثرة وما ينقل حرفيا على الألسنة ، ومن الخطأ أن يظن الكاتب الواقعي أن الحوار ما هو إلا نقل حرفي لما يدور على لسان الشخصيات في الحياة الواقعية² . زد على ذلك تنوع هذا الحوار بين الطول والقصر وتلك من ميزات الحوار الناجح في الحكاية أو القصة أو المسرحية .

* * *

لقد قاوم محمد السعيد الزاهري الفكرة القائلة بأن شيخ الطريقة يعلم الغيب ، ويهب لمن يشاء الذكور . ومن أجل السخرية بهذا الطرقي استخدم حوارا أجراه على لسان شيخ وصاحبه .

¹ - تأبط شرا " قاضيان في النار " البرق ، عدد 6 ، بتاريخ الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 1927 م . ص 3/2 .

² - نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان - د ت ، ص 121 .

فقال له صاحبه : إنا وهبنا لك ولدا ذكرا ، يكون لك قرّة عين ، ويعيش عمرا طويلا ، ولكن على شرط أن تدفع ثمانين فرنكا نقدا لا إلى أجل .
قال شيخ القرية : حبا وكرامة ، ولكني عهدتك تبيع الولد بستين فرنك فقط ، فما بال هذه العلاوة ؟

قال المرباط : لقد غلت الأسعار غلاء فاحشا ...¹

إن هذا الحوار يوضح الفكرة المطروحة ، ويحارب المفاهيم الخاطئة ، ويظهر الروح الساخرة المرحّة لدى محمد السعيد الزاهري .

3- السّخرية :

اللفت للنظر في كتابات محمد السعيد الزاهري التي نشرت في أعقاب (جريدة البرق) على صفحات جريدة "السنة النبوية المحمدية" ومجلة "الشهاب" أو "الصراط السوي" أو "جريدة السنة النبوية المحمدية" أنها تتميز بوجود ظاهرة السخرية ، غير أننا وجدناها في كتابات هذا الأديب في جريدة "البرق" بالذات في المقال والحكاية والسيرة فهي بهذه الصفة أكثر الظواهر وضوحا وانتشارا في نثره وبخاصة في ركنه "قوارص".
لقد أشار الدكتور محمد ناصر في كتابه (المقالة الصحفية - نشأتها - تطورها - أعلامها) إلى هذه الظاهرة واعتبرها ميزة في الأدب الجزائري الحديث واشترك فيها كل من الأدباء : محمد السعيد الزاهري ومحمد العزوزي . وإذا تصفحنا جريدة "البرق" فإننا نضيف إلى الأدباء المذكورين اثنين آخرين هما : الأمين العمودي وابن أدهم القسنطيني .
لقد قسم محمد ناصر سخرية الأدباء الذين أشار إليهم إلى قسمين :

- السخرية الضاحكة والمرحة وقد تميزت بها كتابات محمد السعيد الزاهري ونفريت .

- السخرية البذيئة أو العنيفة ، ويقتصر هذا النوع على الأدبيين محمد السعيد الزاهري ومحمد العزوزي حوحو .

¹ - تأبط شرا " خصام عنيف " البرق ، عدد 19 ، بتاريخ الاثنين 19 محرم الحرام 1346هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927 م ، ص 3 .

ولقد أصاب الدكتور محمد ناصر فيما ذهب إليه من حكم على سخرية الزاهري حينما قال عنها : بأنها سخرية مضحكة بذئنة (والذي أبدع في هذا النوع الزاهري ... ويكاد يقتصر حكمه على الطرقية ... يستخف برجالها استخفافا مضحكا ويطاردهم بوخزات قلمه)¹.

وقال أيضا (يكاد يقتصر هذا النوع على الزاهري ومحمد العزوزي حوحو ، وإن كان الثاني ساخرا عنيفا يتميز غيظا ويتقد غضبا ، فإن الأول كان بذاء مفحشا في القول لا يتورع عن أن ينال خصمه في عرضه أو شرفه ، ولا أن يصمه بأقبح النعوت وأقذر الصفات)². وقال أيضا: (والحق أن قلم الزاهري كان في مثل هذه المواقف مريرا مؤذيا . فإن المطلع على قوارصه التي كان ينشرها في جريدة البرق مطاردا للطرقية ليشعر أحيانا بالخلج مما يقرأ ، فإن الزاهري لا يتورع عن استعمال الألفاظ الماجنة والعبارات المسفة)³. ومن الاستعراض السابق يمكن القول بأن محمد السعيد الزاهري وغيره من أدباء الحركة الإصلاحية والوطنية في العصر الحديث قد عاجلوا الظواهر الاجتماعية السلبية المنتشرة في المجتمع الجزائري وقتئذ بأسلوب السخرية التي كان الجاحظ وبديع الزمان الهمذاني يعالجان به الظواهر الاجتماعية السلبية المنتشرة في المجتمع كالكدية والبخل والتحليل على الكسب .

* * *

ويمكن القول هنا أن الأديب أحمد رضا حوحو ربما يكون قد استفاد من قوارص محمد السعيد الزاهري ومقالات ابن أدهم الساخرة من شيوخ الطرقية ، وكذلك مما جاء في بعض كتابات الأمين العمودي ليؤلف بعد ذلك كتابه "مع حمار الحكيم". وليس غريبا - في رأينا - أن يستخدم محمد السعيد الزاهري أسلوب السخرية في قوارصه لأسباب كثيرة أبرزها :

¹ - ناصر ، محمد ، المقالة الصحفية - نشأتها - تطورها - أعلامها من 1903م على 1931م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ص 193 .

² - المرجع نفسه ، ص ن .

³ - المرجع نفسه ، ص ن .

- فضاعة أساليب الطريقة المتنوعة في السيطرة على عقول وقلوب أفراد المجتمع الجزائري .

- العلاقة الحميمة التي حظيت بها الطريقة لدى المحتل والتي أدت بها الاستخفاف بعقول الجزائريين عقودا من الزمن .

- ضرورة وصول الحركة الوطنية وبخاصة الحركة الإصلاحية منها إلى تحريك قوى الخير الكامنة في الفرد الجزائري .

- الحيلولة دون اعتقاد الشعب الجزائري بقدسية الخرافات أو المعتقدات الدينية الخاطئة التي يروج لها شيوخ الطريقة .

وبالعودة إلى ظاهرة السخرية وبالضبط إلى ركن القوارص فإننا لا نجد محمد السعيد الزاهري ينوع في الشخصيات المراد الاستهزاء من سلوكها . فشخصياته معروفة لدى الشارع الجزائري بالأسماء التي يصرح بها في حكاياته مثل شيخ الطريقة أحمد بن عليوة ، تلك الشخصية المحورية التي ركز عليه محمد السعيد الزاهري كثيرا الشيء الذي أدى به إلى تسليط الضوء حتى على الجوانب الخفية من حياته .

سلك محمد السعيد الزاهري لوصف خصومه من شيوخ الطريقة وأتباعهم في ركن "قوارص" طريقة الرسم الكاريكاتوري الساخر ، فساق جملة من الأوصاف المتعلقة بسيرة الأشخاص وأسلوب حياتهم وملاحظتهم المميزة تماما كما يفعل رسام الكاريكاتور . واستعان في ذلك بالأبيات الشعرية الغائرة في الوصف كهذا البيت الذي يجسد رغبة المرباط أن يكون مثل العسكريين ، فيعلق على برنوسه النياشين كما تعلق على بزة العسكريين . وهدف محمد السعيد الزاهري من هذا هو إعطاء الناس صورة مضحكة تقلل في الأعين من قدسية الرجل ، فيقول :

كأنك بعة في ذيل كبش معلقة ، وذاك كبش يمشي¹

وانظر إلى رسم آخر لعلوي ولوع بالخلوة مضيعا لحقوق بدنه وأهله غائر العينين ، مصفر اللون ، عليه بقايا من جمال ، قد أطلق لحية طويلة ملبدة ، وأسقط

¹ - تأبط شرا " سيدي " البرق ، عدد 3 ، بتاريخ 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927 م . ص 3 .

شاربه الطويل على فمه فغدا كما تغدو الحشائش على جنبات الساقية ، فقال الزاهري فيه: (فإذا هو مغفغف اللحية ، قد تهدل شاربه على فمه كما يتهدل على الماء حشيش جنبات الساقية ، مصفر اللون غائر العينين)¹. ولك أن تتصور موقف القاريء - الذي يراهن عليه محمد الزاهري - لهذا التصوير البارع والساحر في الوقت نفسه لشخص أقدم على عبادة الله بتضييع حقوق بدنه وعياله . ومن هنا فإن محمد السعيد الزاهري - لتفقه في المسائل الدينية - ينتقد بطريقة التصوير الفني ، وليس كما يعمل الإمام في المسجد - مثلاً - على تقديمها للمصلين . ومن خلال عنصر السخرية يقاوم الزاهري المظاهر السلبية في المجتمع الجزائري ، وربما يستطيع أن ينفر الناس من الطريقين أكثر من غيره .

ومن السخرية البذيئة تلك التي جاءت من خلال الأسئلة التي تضمنتها قارصة من قوارص السعيد الزاهري ، وقد كانت مشحونة بمعاني القذف والاقام في العرض والشرف . وقد وجهت تلك الأسئلة إلى الخصم لا ليحجب عنها ولكنها توحى إلى التحدي . والأسئلة هي : هل هرب أبوك بأموالك ؟ وهل أنت ولد شرعي لأبويك أيها الكهل؟².

وهناك نوع آخر من السخرية قاوم به الزاهري خصومه من الطريقين ويتمثل في أسلوب التشبيه . لقد شبه الزاهري في قارصة "الديك الأبحر"³ أتباع الطريقة بالديكة التي تنبعث من أفواههم الروائح النتنة ، وكذلك براعي الإبل العفن ، الذي يحتال في الدخول إلى الخلوة ، فيرسل الديك الأبحر إلى الشيخ يطلب منه أن يقبله في خلوته ، ويشترط الشيخ الصورة الفوتوغرافية ، فيحتال الديك لينجح في هدفه ويرسل صورة شاب أمرد بهيّ الطلعة جميل المظهر . فيقبل الشيخ طلبه بعد رؤية الصورة الجميلة ، ويسافر الديك الأبحر إلى مدينة الشيخ حيث الخلوة ويطلع الشيخ على حقيقة الأمر ويجده مخلوقا عفنا كان يرعى الإبل ، وأحوالا وكبيرا في السن تنبعث منه الرائحة الكريهة

¹ - " غرق " ، البرق . عدد 19 ، بتاريخ 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927 م ص 3 .

² - " أيها الكهل " البرق ، عدد 8 ، بتاريخ 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25-1 أبريل 1927 م . ص 3 .

³ - تأبط شرا " الديك الأبحر " البرق عدد 12 ، بتاريخ 19 ذي القعدة 1345 هـ ، الموافق لـ 23 ماي 1927 م ، ص 2 .

، وهنا يرفض الشيخ طلب الرجل وينقض عهده ، ويأبى الديك الأبخر إلا أن يدخل الخلوة أو يسترد أجرة سفره ذهابا وإيابا ، ولولا تدخل العدالة للحد من الخصام بينهما لتطور الأمر إلى الشجار .

ومن السخرية المضحكة غير البذيئة التي أشار إليها "محمد ناصر" تلك التي أوردها محمد السعيد الزاهري في مقاله "العربية والنواب" إذ كانت السخرية من النواب الأميين الذين وصفهم بالنواب ، ورأى بأن يقطع الشعب الجزائري منهم الأمل لتخاذلهم وتخلفهم عن نصرة الفقراء والضعفاء والدفاع عن حقوقهم . وفي هذا المضمار عرض محمد السعيد الزاهري قصة نائب وافق برفع يده على قانون يسمح بالاقتطاع من مرتب النواب ، ولما وجد مرتبه كما أقر القانون أنكر أن يكون قد وافق على ذلك . قال الزاهري ساخرا لهذا النائب : ولقد حدث أن بلدية عزمت أن تقطع مرتبا قدره مائة وخمسون فرنكا كان يتقاضاه نائب أهلي ، فجمعت الأعضاء لهذه المهمة فوافقوا جميعا على قطع هذا المرتب ، فوافق معهم هذا العضو الأهلي النائب على ذلك . ولما جاء الوقت الذي كان يقبض فيه طلب مرتبه وألح في طلبه جاهلا ، وأنكر كل الإنكار أن يكون وافق على قطع رزق له، وزعم أنه لو علم أن الأمر كذلك لما كان يرضى ...¹

4 - ظاهرة الروح الإسلامية :

قال محمد السعيد الزاهري : "... وفي الحق أن الأدب العربي الإسلامي ، لا يمكن أن يتجرد من الروح الإسلامي ، ومن أراد أن يفصل بين الأدب والإسلام فإنه لا يجد هذا الأدب يومئذ إلا جثة هامدة ، لا روح فيها . ومن لا يعلم من الأدباء أن القرآن الكريم هو معجزة الفصاحة وسحر البيان ، وأن منطق النبي صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى للحكمة وفصل الخطاب ، وأن فحول الشعراء المتقدمين وأئمة الأدب العربي في القديم إنما هم مسلمون متدينون ، وأن الروح الإسلامي يتجلى بوضوح في آدابهم التي تركوها لنا وما فيها من روائع وآيات"². تبدو شخصية محمد السعيد الزاهري من هذه

¹ - الزاهري ، محمد السعيد " العربية والنواب " البرق ، عدد 18 ، 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م . ص 1
² - خرفي ، صالح ، محمد السعيد الزاهري ، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986 م . ص 115 .

الفقرة جلية واضحة ، فهي عربية إسلامية متشعبة للغة العربية وفصاحتها ، ومتشعبة بمباديء ومنطق القرآن الكريم ، والنبي صلى الله عليه وسلم ، ومنتصرة للأدب القديم .

ولا غرابة بعد ذلك أن وجدنا هذه الروح مبثوثة في كتاباته كما سنبين بعد قليل . كان السعيد الزاهري يظهر شخصيته أثناء معالجته للقضايا الوطنية ؛ ففي معركته مع الداعين إلى تجنيس الشعب الجزائري بالجنسية الفرنسية انحاز بقوة إلى صف العلماء المصلحين الرافضين لمثل هذا القانون ، واعتبر المساهمة في إقرار القانون مساهمة في سلخ الأمة الجزائرية من جسم الأمة الإسلامية ، وإذابتها في كيان غير كيانها العربي الإسلامي ، وهذا قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقال : جاهل من يطلب من هذه الأمة المؤمنة أن تخرج مما عندها من جنسية وإيمان وعوائد وأخلاق ، ولو أنه طلب منها أن تخلع أرواحها لكان ذلك أهون عليها من أن تخرج مما بقي بأيديها من جنس ودين ، ويهون على الإنسان أن تنتزع منه نفسه التي بين جنبيه ولا يهون عليه أن يفرط في شيء مما يملك من عقيدة يعتقد أنها الحق¹ .

* * *

وكما لم يخف محمد السعيد الزاهري موقفه من قانون التجنس فقد أفصح عن رأيه في النيابة الصورية للجزائريين في المجالس رغم ما لقيه من بعضهم من محاولات لإسكات صوته وخنق حريته وتكسير جرأته ، لقد قال : إننا فقراء من الرجال ، أهل المقدرة واللياقة للنيابة عنا ، وليس لنوابنا - وهم غير أكفاء - أن يشغلوا أكثر من ربع المقاعد النيابية في سائر المجالس . فهل ينبغي لنا بعد هذا أن نعلق على هذه النيابة أملا كبيرا أو صغيرا ، أو نعتقد أنه يجيئنا منها خير ؟ أرى أن نقطع أملنا من هذه النيابة الموجودة الآن وأن نعرض عنها بكل ما لنا فيها من طمع ورجاء . إنه يجب علينا أن نمسك أصواتنا أيام الانتخابات ، فلا ننتخب أحدا من الناس ما دامت هذه الحال لئلا تكون على الجزائر حجة بعد هذه النيابة الكاذبة² . وهناك قضية أخرى تدخل في هذا الباب ، فقد كان

¹ - الزاهري ، محمد السعيد " العربية والنواب " المرجع السابق ص 1 .
² - المرجع نفسه ، ص ن .

الزاهري صاحب شخصية واضحة في الدفاع عن المرأة الجزائرية المسلمة ، فقد أرادها أن تكون كما كانت في عهودها السابقة ؛ جزائرية عربية مسلمة ، تتقلب في نعيم الحياة الإسلامية ، معتزة بحجابها وحيائها وعفافها ، منكرا عليها الوقوع في خداع المتمدنيات والمتبرجات الغريبات .

لقد حذر الزاهري من داء التقليد الأعمى للنساء الأجنيات ، وأعلن أن ذلك من أسباب هدم الشخصية المميزة للأمة العربية الإسلامية ، فقد (دخل التفرنج على البيض العقيلات في خدورهن المقصورات في الخيام ، فأفسد عليهن هناءهن ، وكدر عليهن صفاء العيش ، فلم يعدن يرتضين أن يكن في خدورهن كالمليكات في قصورهن ، ولا أن يكن قاصرات الطرف على بعولتهن)¹. ولولا الحس الوطني للأديب محمد السعيد الزاهري لما ترجم خوفه الشديد على فتيات الجزائر بهذه الصورة ، ولما دعا إلى ضرورة أخذ الحذر والحيلة وتدارك الخطر قبل أن يستشري بين النساء فيصعب علاجه (فإن لم يتدارك أبناء تونس عوائدهم المقدسة ، ولم يحذر أبناء الجزائر من هذا الخطر الهاجم على ما يملكونه من شخصية تميزهم ، فإنهم يكونون هم العاملين على هدم شخصيتهم ، وويل لهم مما عملت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)².

5 - ملامح الجدة في الموضوعات المطروحة :

إلى جانب سمة الروح الإسلامية وجدية الأفكار المطروحة في كتابات محمد السعيد الزاهري لفترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية عموما ، فإن كتاباته في جريدة "البرق" خصوصا تتميز هي الأخرى بميزة وحدة الموضوع وهي من أهم خصائص المقال الأدبي العربي في العصر الحديث . ولئن كانت بعض مقالاته تدل على أنه ينتمي إلى المدرسة التقليدية وينتصر لروادها وخصائصها إلا أن كتابات أخرى في جريدة "البرق" تدل على أنه من الأدباء الذين ابتعدوا بأدبهم عن قيود الصنعة اللفظية لتقترب من عامة

¹ - التحرير " التفرنج الآثم " البرق ، عدد 7 ، بتاريخ ، الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أبريل 1927 م . ص 2 .

² - المرجع نفسه ، ص ن .

الناس تأثرا بدعوة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده كما هو واضح في الرسالة التي بعث بها إلى صديقه "أبي حفص الحمادي".

إن معظم ما كتبه الزاهري ونشره في جريدة "البرق" يكشف أن النشر الجزائري في العصر الحديث بدأ فعلا في التحرر من قيود الصنعة اللفظية ، لينطلق معبرا ومعالجا وخادما لقضايا وطنية وسياسية ودينية . وخير مثال نوره هنا ليدل على المضمون الواحد مثلا في كتابات الزاهري رسالته التي بعث بها إلى كبير الطائفة اليهودية في الشمال الإفريقي . لقد التزم فيها بالحديث عن نقطة واحدة وهي : وضع الجزائريين المؤلم في ظل هيمنة تجار اليهود على اقتصاد الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي، وضرورة الانتباه إلى رد فعل الجزائريين . وانطوى هذا المعنى العام على ثلاث أفكار أساسية جسدت خصائص فن الرسالة من مقدمة وعرض وخاتمة .

ذكر محمد السعيد الزاهري في مقدمة رسالته إلى الراهب اليهودي بما يعرف عن الإسلام من سماحة وإحسان إلى أتباع الديانات الأخرى ومنهم اليهود ، ثم عرج على تصرفات اليهود غير اللائقة مع السكان الأصليين للجزائر ، وختم رسالته بضرورة رفع الأذى عن الجزائريين المحافظين على طهارة الروح وثبات العقل ، قبل أن ينتفض الجزائريون ويقاطعوا السلع اليهودية . وبهذه العناصر الثلاثة يكون الزاهري قد حافظ أثناء معالجته لهذا الموضوع على الفكرة دون أن يستطرد أو يعدد في المسائل . وكذلك فعل في رسالة أخرى بعث بها إلى "أبي حفص الحمادي"¹ التي خلت من المحسنات البديعية إلا ما كان عفويا ، مثل الطباق في قوله : (فكانت نفقاتهم قليلة جدا ، وكان ما يقبضون أكثر بكثير مما يصرفون . وقوله أيضا : إن إقبال الأهلي على المصنوعات الأجنبية ، وزهد أصحاب الصناعة الأهلي فيما يصنعون) . وكما خلت الرسالة من المحسنات البديعية فقد كانت - أيضا - بعيدة كل البعد عن الغرابة في اللفظ والتكلف في العبارة الشيء الذي مكّن الزاهري من الوصول إلى التعبير بصدق عن رفضه الشديد لما آلت إليه بلاده ، بعدما أقدم بعض الجزائريين تحت مبررات سخيفة على بيع أراضيهم

¹ - ابن الجزائر " رسالة إلى الراهب الكبير " البرق ، عدد 18 ، بتاريخ 12 محرم الحرام 1346هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م ، ص 3/2 .

الخصبة بأثمان بخسة إلى المستوطنين من الفرنسيين وغيرهم ، ثم هاجروا إلى بلدان غيرهم طلبا للعيش في ظل الأمن والاستقرار . وإذا تفحصنا الرسالة سنجدتها متضمنة لموضوع واحد هو : تدمير محمد السعيد الزاهري في المقدمة من الظروف الصعبة والأحداث الأليمة التي ألمت بالجزائريين . أما عن صلب الموضوع فهو : الأسباب المعقولة لما آل إليه حاضر الجزائر . و كانت خاتمة الرسالة اقتراح الأديب الزاهري : بعض الحلول المقترحة للمشكلة المعالجة . وهذا ما ذهب إليه الدكتور محمد مصايف في قوله : (على أنه في الفترة ذاتها لم تتضح معالم النشر الحديث تماما ، حيث ظلت كتابات هؤلاء الأدباء : العقبي والإبراهيمي والسعيد الزاهري تقليدية ، والجديد في هذه الكتابات إنما هو ظهور شخصية الكاتب ، واتضح موقفه العربي الإسلامي دفاعا عن العروبة والإسلام . ومع ذلك كانت هذه الكتابات وبخاصة كتابات حمود رمضان والسعيد الزاهري بداية طيبة للنشر الجزائري الحديث)¹.

¹ - مصايف ، محمد ، النشر الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1973 م . ص 114 .

خاتمة:

في نهاية هذه المحاولة المتمثلة في دراسة جريدة من جرائد عشرينيات القرن العشرين في الجزائر - تحت الحكم الاستعماري - يمكن القول بالوصول إلى مجموعة نتائج أهمها:

1 - التعرف على مجموعة من الكتاب الذين وظفوا أقلامهم لصالح الدفاع عن الجزائر وهويتها من أمثال الطيب العقبي ، ومحمد السعيد الزاهري ، وزهير الزاهري ، عباسسة الأخضرى ... وكانوا - وقتئذ - من الشباب الناهض .

2- التعرف على الأحداث التي كانت تجري في الجزائر بين الجزائريين من ناحية ، وبين الإدارة الاستعمارية من ناحية ثانية ، وذلك من خلال تحليل محتوى الجريدة الذي يجسد بصدق معاناة الشعب الجزائري النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية هذا من ناحية ، وأنواع الأساليب التي استخدمها المستعمر الفرنسي في محاولة محو الشخصية والسيطرة على الأرض من ناحية ثانية .

لم يقتصر دور الصحافة في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى على فكرة إصلاح المعتقدات الدينية والاجتماعية والسياسية الفاسدة فحسب ، بل أدى إلى إتاحة الفرصة لأدباء الحركة الإصلاحية والوطنية ومنهم محمد السعيد الزاهري إلى العمل بجد على تخليص الشعر والنثر من الجمود والتقليد اللذين مينا بهما بعد عصر الانحطاط ، ثم الارتقاء بهما إلى مرتبة ليست بالهينة من مراتب التجديد الذي دعا إليه أعلام النهضة في العالمين العربي والإسلامي من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، ثم من صاحبهم وجاء بعدهم سواء في المشرق أو في المغرب العربي ، إلى أن أصبح بإمكان أديب من أدباء الجزائر لفترة الثلاثينيات أن يناقش عميد الأدب العربي طه حسين وهو ما فعله رمضان حمود حين اعترض على تسمية الشاعر أحمد شوقي بأمير الشعراء بالحجة والبرهان ، وهذا الجهد - أيضا - هو الذي أنجب محمد السعيد الزاهري الذي برع في مختلف فنون النثر أو الشعر ، وهذه الحقبة وما بعدها أنجبت أيضا محمد البشير الإبراهيمي الذي كتب في المقالة فأجاد ، وفي المقامة فأتقن ، وفي الرواية الشعرية فأبدع ، وذلك بطريقة يضاهي بها أسلوب الجاحظ وابن العميد وعبد الحميد الكاتب . وهي طفرة نوعية - إن صح

هذا التعبير - لمستوى أدب يعيش رواده في ظل المحتل الفرنسي الذي منع الأدباء حتى من التعبير عن الرأي أو الاحتفال بتكريم شاعر أو أديب . والقياس على ذلك صحيح .

* * *

رغم زجر إدارة المحتل وضيق قوانينها فإن الصحافة الوطنية الجزائرية العربية الحرة ازدهرت بشكل ملحوظ ، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى ، واستطاعت أن تعيد للغة العربية كيانها من جديد انطلاقا من أن الرابطة القوية التي توصل الماضي المجيد بالحاضر المقاوم والمستقبل المنشود إنما هي اللغة العربية لغة الدين ، وأن تنشيء جيلا جديدا يشعر بشخصيته العربية الإسلامية الجزائرية ، ويؤمن بضرورة تحرير بلاده من التبعية الثقافية قبل السياسية . ومن هذه الصحافة جريدة "البرق" التي وجدناها تقاوم على ثلاث جبهات عراض هي :

- جبهة شيوخ الطريقة الذين أعانهم المحتل على ما هم فيه من ضلال وفساد ومروق من ربة الوطنية والدين ، حتى أصبح الواحد منهم إذا أراد فتح زاوية في سبيل نشر الخرافات استجاب له ، وأذنت له وربما أعانته بالمال وربما - كما قال محمد السعيد الزاهري - منحته وساما ، وربما كان ذلك وسام العلم ، وربما كان ذهبيا جزاء ما قتل من العقول وأمات من الفكر والشعور . وعلى رأس هؤلاء أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العلوية الذي أعلن للناس أنه ليس من الإنس ولا من الجن ولكنه سر من الرحمان ، وأن الأمة الجزائرية قد استودعت حكومة فرنسا دينها ودينها ، وأنها لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، وتراها دائما وأبدا تستمطر أنواع الرحمات من سماء الحكومة الفرنسية¹ ، وأن ما يتزل من الغيث فبقدر الرضا والاطمئنان .

وموقف جريدة "البرق" من هؤلاء معروف مسبقا . حيث لم تعرف الطريقة عاما حاربها فيه رواد الحركة الإصلاحية والوطنية كمثّل هذا العام 1927م ، ولا صحيفة كشفت ضلالا لهم مثل جريدة "البرق" ، ثم جرائد الحركة الإصلاحية .

¹ - تأبط شرا ، البرق ، عدد3 ، الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق ل 21 مارس 1927م

* * *

- ولقد وجدنا في جريدة (البرق) سلوكا آخر في التعامل مع جبهة النواب الجزائرية على أساس أنهم نواب على الأمة ، وخدام الغير ، ومحبي أنفسهم ، غير أكفاء ، يرفعون أيديهم حين الاقتراع على شيء مصادقة على ما لا يعرفون ، يضرون الأمة من حيث لا يشعرون ، وأن الكثير منهم قتل الأمة الجزائرية بإرجاع قانون الانديجينا والنفي الإداري ، وعليه فقد دعت هذه الجريدة الناس من خلال الأدباء والكتاب أن لا يعلقوا على النيابة والنواب أملا كبيرا أو صغيرا ، أو يعتقدوا أن الخير يدخل عليهم من أبوابها ، وأن يمسكوا أصواتهم أيام الانتخابات فلا ينتخبوا أحدا . ومن النواب الذين شملتهم المقاومة (ابن التهامي) زعيم حزب بني وي وي وصاحب جريدة "التقدم" ، والعدو اللدود للوطنيين الأحرار ، والساعي وراء نفي (الأمير خالد) ، والزج بالمصلح (عمر راسم) في غياهب السجن ، والسبب الأساس في تعطيل جريدة "البرق" .

- أما الجبهة الثالثة فتتمثل في المعمرين وسياستهم الإستطانية القاضية بجعل الأرض قاعدة مادية لهم ، وملاكها قاعدة بشرية مسخرة لهم ، وقد نجحت هذه الجبهة نجاحا باهرا إذ استطاعت تجريد أصحاب أجود الأراضي من ممتلكاتهم ، واستخدامهم عندها كخدم لا حقوق لهم إلا ما تتفضل عليهم من خمس المنتوج في أحسن الأحوال . وقد كشفت جريدة "البرق" عن أطماع هذه الفئة الظاهرة والمخفية ، وعن نياتها الخبيثة في تعاملهم مع شيوخ الزوايا وبعض أعيان القرى والمدن .

* * *

وكانت شخصية "محمد السعيد الزاهري" ذات صيت في المدن الجزائرية الكبرى مثل مدينة قسنطينة والجزائر العاصمة ووهران وبسكرة والأغواط وعنابة ، كانت أيضا ملفقة لأنظار العديد من الشخصيات في المشرق العربي أمثال محب الدين الخطيب ، وشكيب أرسلان . أضف إلى هذا أن محمد السعيد الزاهري يتمتع بثقافة عالية مكنته من إسكات أصوات تعرضت للإسلام بالقدح والتعريض ، وتعب منها المسلمون لعجزهم

عن الرد المفحم ، ومنها مقالات الكاتب الفرنسي الكبير (أندري سيرفي) . وكما رد محمد السعيد الزاهري للمسلمين الاعتبار مع الكاتب الفرنسي ، استطاع - أيضا - أن ييهر كاتبنا وشاعرا أسبانيا بقدرة اللغة العربية على نقل الأحاسيس والمشاعر .

* * *

وفي صحيفة "البرق" : كانت كتابات محمد السعيد الزاهري بداية طيبة للنشر الجزائري الحديث ، بفضل تطويعه للغة ، وتحكمه في أساليبها .
وكان "محمد السعيد الزاهري" أسبق من محمد البشير الإبراهيمي في التحذير من خطر اليهود ، وفي مقاومة نواب الشعب الجزائري . ومن أجراً الكتاب صوتا في وجه الظلم محذرا من عواقب السلوك الانجليزي حتى قبل صدور (وعد بلفور) ، وهي نظرة استشرافية قل أن تجد مثلها لدى المفكرين والعلماء الآخرين في الجزائر وغيرها .

* * *

وبركنه قوارص يعتبر محمد السعيد الزاهري من السباقين إلى الأدب الساخر ، ومن الأوائل الذين بذروا فن الحكاية في الأدب الجزائري الحديث .
لذلك ، فإننا نعد محمد السعيد الزاهري أحد أركان الأدب الجزائري في العصر الحديث ، ونراه من خلال جريدة "البرق" قد أخلص القول والفعل في الدفاع عن وطنه المحتل ، وتمنى على الله أن يعود مجد الآباء والأجداد ، لكنه لم يلق ممن قضى نحبه في سبيلهم إلا النسيان والتهميش .

ولأنه لم يلق عناية من الدارسين تستحق مكانته في الكتابة من أجل الدفاع عن الوطن ، فقد آثرت - من خلال التعاون مع المشرف - أن يكون هذا البحث تحية له على ما قدم من أجل الجزائر .

المصادر والمراجع :

☆ القرآن الكريم

أولا : المصادر

1 - "البرق" صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية اقتصادية فكاكية ، شعارها خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال أسبوعية تصدر كل يوم اثنين بمدينة قسنطينة - الجزائر - ، تاريخ صدور أول عدد لها الاثنين 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927 م ، وتاريخ صدور آخر عدد : الاثنين 1 صفر 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927 م ، المدير وصاحب الامتياز رحموني محمد عبد المجيد . ورئيس تحريرها محمد السعيد الزاهري .

2 - الزاهري ، محمد السعيد ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير . د. ط ، دار الكتب - الجزائر - 1983م .

ثانيا : المراجع :

3 - الإبراهيمي ، محمد البشير : عيون البصائر . د ط ، دار المعارف القاهرة ، - مصر - 1963م .

4 - _____ آثار الإبراهيمي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، - الجزائر - 1985م .

5- أبو عمرو ، عثمان بن بحر (الجاحظ) : البيان والتبيين . تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ، ج 3 ، ط 3 ، دار التأليف بالمالية ، مصر 1969م .

6 - آثار عبد الحميد بن باديس ، الجزء الثالث . ط 1 ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، دار البعث ، قسنطينة (الجزائر) 1984 م .

- 7 - **آيت بلقاسم مولود قاسم** : محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي . المجلد الأول ، منشورات وزارة الشؤون الدينية . مطبعة دار البعث قسنطينة - الجزائر - 1973 م.
- 8 - **إنية و أصالة** ، منشورات وزارة التعليم الأصلي الشؤون الدينية مطبعة البعث ، قسنطينة - الجزائر - 1975 م
- 9 - **بن نبي ، مالك** ، شروط النهضة ، ط 4 ، ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين دار الفكر . الجزائر مطبعة النخلة - بوزريعة الجزائر 1987 م
- 10 - **بوحوش ، عمار** : التاريخ السياسي للجزائري من البداي ولغاية 1962م . دار الغرب الإسلامي .
- 11 - **ابو الصفصاف ، عبد الكريم** : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931م - 1945م) ط 1 ، دار البعث قسنطينة - الجزائر - 1981 م .
- 12 - **بوعزيز ، يحيى** ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ورشة احمد زبانة الجزائر . 1986 م .
- 13 - **بيلق ، عز الدين** ، منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين : دار الفتح للطباعة والنشر بيروت 1982 م .
- 14 - **الجارم ، علي و أمين مصطفى** ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع . دار المعارف بمصر . 1964 م

- 15 - **الجرجاني ، عبد القاهر** ، أسرار البلاغة ، شرح وتحقيق وتعليق خفاجي عبد المنعم و شرف عبد العزيز . الطبعة الأولى ، دار الخليل - بيروت - لبنان - 1991م 1411 هـ .
- 16 - **حمدي ، أحمد** . الثورة الجزائرية و الإعلام . د ط ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، د ت .
- 17 - **خرفي ، صالح** . المدخل إلى الأدب . سلسلة في الأدب الجزائري الحديث . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر 1983م .
- 18 - **خليفة ، محمد العيد** ، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، - مصر - 1975م .
- 19 - **محمد السعيد الزاهري** " . سلسلة في الأدب الجزائري الحديث د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986م .
- 20 - **خير الدين ، محمد** . مذكرات محمد خيرا لدين . الجزء الأول . د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1986م .
- 21 - **دبوز ، محمد** ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م . د ط ، دار الغرب الإسلامي - الجزائر - 1974م .
- 22 - **روبير ، اجيرون** ، شارل ، تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور ، ط 3 ، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1982م .
- 23 - **الزاهري ، محمد الهادي** ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى بالمطبعة التونسية 1344 هـ 1926 م .

- 24 - **الزبيري ، محمد العربي** ، المثقفون الجزائريون والثورة ، د ط ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد . المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار وحدة الطباعة بالروية - الجزائر - 1995 م .
- 25 - **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** . المطبعة الجزائرية . قسنطينة . 1935 م
- 26 - **سعد الله أبو القاسم** ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900 - 1930 ، ج 2 ، دار الأديب ، بيروت - لبنان - 1969 م .
- 27 - تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16 - 20 م) ، ج 7 . د ط ، دار الغرب الإسلامي . 1985 م .
- 28 - أفكار جامعة ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب . 1988 م .
- 29 - **الزبير ، سيف الإسلام** ، تاريخ الصحافة في الجزائر ، ج 6 ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1971 م .
- 30 - **شرف ، عبد العزيز** ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، د ط ، منشورات وزارة الثقافة . دمشق 1971 م .
- 31 - **شريط ، عبد الله** ، المشكلة الأيديولوجية . د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1981 م .
- 32 - **طمار محمد** ، تاريخ الأدب الجزائري ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر مركب الطباعة رغاية (الجزائر) 1981 م .

- 33 - **عبد الرحمن عواطف** : الصحافة العربية في الجزائر ، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954- 1962 م ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب 13 شارع زيغود يوسف ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة رغاية - الجزائر - 1985م .
- 34 - **بن عتيق ، محمد الصالح** ، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر ، منشورات دحلب شارع طرابلس حسين داي - الجزائر - د ت .
- 35 - **العسلي ، بسام** . ابن باديس وبناء قاعدة الثورة في الجزائر . د ط ، دار النفائس . بيروت . الطبعة الثانية . 1993م
- 36 - _____ الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الإسلام . الطبعة الثانية دار النفائس ، بيروت - لبنان - 1993م .
- 37 - **العلوي ، محمد الطيب** . مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 م إلى 1945 م . ط 1 . نشر دار البعث . قسنطينة - الجزائر - 1985م .
- 38 - **علي ، الجارم ومصطفى أمين** ، البلاغة الواضحة المعاني والأسلوب والبديع ، د ط ، دار المعارف بمصر 1964م .
- 39 - **عميراي حميدة** ، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827- 1840م . د ط ، دار البعث ، قسنطينة - الجزائر - 1987م .
- 40 - **الغباشي ، شعيب** ، صحافة الإخوان المسلمين دراسة في الأصول والفنون ، ج 2 ، ط 1 ، دار التوزيع والنشر ، القاهرة - مصر - 2004 م .

41 - **فضلاء ، محمد الطاهر ،** دعائم النهضة الوطنية الجزائرية ، د ط ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة - الجزائر - د س .

42 - **طالبي ، عمار :** ابن باديس حياته وآثاره ، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان 1983م

43 - **خضر ، سعاد محمد خضر .** الأدب الجزائري المعاصر . منشورات المكتبة العصرية - صيدا بيروت . لبنان . 1967 م .

44 - **قدادرة ، شايب غزواني :** الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945 م . رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر جامعة الأسكندرية كلية الآداب قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية - مصر - 1991م .

45 - **لوثرروب ستودارد الأمريكي :** حاضر العالم الإسلامي ، نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض ، المجلد الثاني ، وفيه فصول وتعليقات وحواشي مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث ، بقلم الأمير شكيب أرسلان ، عنيت بنشره مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه القاهرة - مصر - 1352 هـ .

46 - **مجاهد ، مسعود :** كفاح الجزائر البطولي في عهد الأمير وبعد وفاته ، الطبعة الثانية بمناسبة الذكرى العشرين للاستقلال . د س .

47 - **محمود ، أدهم ،** الأسس الفنية للتحرير الصحفي العام ، ط 1 ، الناشر المؤلف ، 1984 م .

- 48 - مجدي ، وهبة ، والمهندس كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، دائرة المعاجم ، مكتبة لبنان ، - لبنان - 1979 م .
- 49 - المدني ، أحمد توفيق ، حياة كفاح - مذكرات - 1925م - 1954م ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985م .
- 50 - مرتاض ، عبد الملك ، أدب المقاومة الوطنية رصد لصور المقاومة في النشر الفني ج 1 و 2 - سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، مطبعة دار هومة . 2003 م .
- 51 _____ القصة في الأدب العربي القديم ، الطبعة الأولى ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر - الجزائر - 1968م .
- 52 _____ فنون النشر الأدبي في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1982 م .
- 53 _____ نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 م - 1954 م ، الطبعة الثانية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، مركب الطباعة - رغبة - الجزائر 1983 م .
- 54 - مفدي ، زكرياء ، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر . جمع وتحقيق د . أحمد حمدي . منشورات مؤسسة مفدي زكرياء . طبع بمطبعة دار هومة . الجزائر - 2003 م .

- 55 - **مصايف ، محمد ،** فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث .
دراسات ووثائق . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . مطب الطباعة . رغبة -
الجزائر - 1972م .
- 56 ————— النشر الجزائري الحديث . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .
الجزائر 1972م .
- 57 ————— في الثورة والتعريب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -
الجزائر - 1973م
- 58 - **المنجد في اللغة والأعلام ، ط 31 ، دار المشرق ، بيروت - لبنان**
- 1991م .
- 59 - **ناصر ، محمد ،** المقالة الصحفية ، نشأتها - تطورها - أعلامها من
1903 إلى 1931م . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر .
- 60 - **نجم يوسف ،** فن القصة . الجامعة الأمريكية نشر وتوزيع دار الثقافة
بيروت - لبنان - د ت .
- 61 - **النعمان ، بن أحمد ،** التعريب بين المبدأ والتطبيق ، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981م .
- 62 ————— كيف صارت الجزائر مسلمة عربية . الطبعة الثانية .
شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ص . ب 109 برج الكيفان
- الجزائر - 1998م .

63 - نويهض ، عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت - لبنان - 1983 م .

64 - هلال ، عمار ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجزائرية - الجزائر - 1995 م .

65 - وهبة ، مجدي والمهندس كامل ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب . دائرة المعاجم مكتبة لبنان . 1979 م .

66 - الورقي ، السعيد ، لغة الشعر العربي الحديث ، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت . د س .

الجرائد :

67 - البصائر : (1947م - 1956م) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

68 - البصائر : 2006م لسان حال جمعية العلماء بعد الاستقلال أسبوعية إصلاحية شاملة ، تصدر كل يوم اثنين ، المدير المسئول : عبد الرحمان شيبان ، رئيس التحرير : عمار طالبي ، العنوان شارع محمد مربوش حسين داي . وهي استمرار لجريدة " البصائر " التي أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق لـ 27 ديسمبر 1935 م .

69 - السنة النبوية المحمدية : لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، تصدر يوم الاثنين من كل أسبوع ، شعارها : " ولكم في رسول الله

أسوة حسنة " ، " من رغب عن سنتي فليس مني " تحت إشراف رئيسها الأستاذ عبد الحميد بن باديس ، يرأس تحريرها الأستاذان العقبي والزاهري ، الأعداد 1 - 13 ، قسنطينة (الجزائر) 1351 هـ - 1933 م .

70 - الشروق اليومي . جريدة وطنية جزائرية ، تصدر عن مؤسسة الشروق للإعلام والنشر . المدير العام مسئول النشر علي فضيل . مدير التحرير أنيس رحمان . رئيس التحرير محمد يعقوبي . العنوان : دار الصحافة 2 شارع فريد زويوش ، القبة - الجزائر . 2006 م .

71 - الشريعة النبوية المحمدية : لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، تصدر يوم الاثنين من كل أسبوع ، شعارها : " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها " ، " من رغب عن سنتي فليس مني " تحت إشراف رئيسها الأستاذ عبد الحميد بن باديس ، يرأس تحريرها الأستاذان العقبي والزاهري ، الأعداد 1 - 7 ، قسنطينة - الجزائر - 1352 هـ - 1933 م

72 - الشهاب ، أسبوعية تصدر بقسنطينة كل يوم خميس برزت . شعارها (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) . (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ، قسنطينة - الجزائر - 1925 م .

73 - الصراط السوي ، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، تصدر يوم الاثنين من كل أسبوع ، شعارها : " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها " ، " من رغب عن سنتي فليس مني " ، تحت إشراف رئيسها الأستاذ

عبد الحميد بن باديس ، يرأس تحريرها الأستاذان العقبي والزاهري ، الأعداد 1 — 17 ، قسنطينة (الجزائر) 1352 هـ — 1933 م .

74 - المحقق ، جريدة أسبوعية إخبارية جزائرية مستقلة ، السنة الأولى ، العدد 8 من 07 إلى 13 ماي 2006 م ، تصدر عن شركة (ليم للإعلام) ، الطبع شركة الطباعة ALDP السنة الأولى ، مدير التحرير هابت حناشي ، رئيس التحرير ياسين بن لمنور ، - الجزائر - 2006 م .

75 - النجاح جريدة جزائرية يومية صدرت بقسنطينة يوم 14 أوت 1920 م واستمرت حتى عام 1957 م .

المجلات :

76 - القبس شهرية ثقافية ، تصدرها وزارة الأوقاف . مطابع دار الكتاب ، السنة الأولى عام 1966 م حيدرة - الجزائر - 1966م

77 - الآداب ، علمية متخصصة العدد 07 السنة 1424م — 2006 م ، ومحكمة تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها . جامعة قسنطينة . الجزائر . 2006 م .

د - كتابات الزاهري في جريدة "البرق"

الفاخرة

باسم الله أستعين على خدمة هذا الشعب بما أنا أهله ، وبما أوتيت من موهبة ونبوغ ، فلا أدع طريقا من الطرق إلى نفع أمي إلا سلكته ، ولا وسيلة توفي على خير البلاد إلا اتبعتها . سأخدم أمي بقلمي وأنا أعتقد أن الصحافة مهمة شريفة جدا ، وأنه ليس كمثلهما من سبيل إلى نفع الأمة ، وأنه ليس كمثلهما من رافع لشأن الشعوب ؛ ولم يكن زعيم من الزعماء بقادر على أن يغني عن أمته شيئا إذا لم يكن في نصرته قلم مبین .

الصحافة وما أدراك ما الصحافة ، مهمة لا تكاد تدانيها مهمة أخرى في الشرف والفائدة ؛ إن كان الأستاذ المعلم يستطيع أن يعلم نفرا لا يتجاوزون المائة ، فإن الصحافة تستطيع أن تعلم الأمة ذات الملايين ، فحاجة الجزائر إلى المعلمين ليست بأشد من حاجتها إلى الصحافة ، فهي التي تدعو الناس إلى التعلم والقراءة .

لم تكن الصحافة بدعة من بدع المدنية الحاضرة ، ولا مخترعا من المخترعات الحديثة ، ولكنها أمر طبيعي لكل أمة ، وصفة نفسانية لكل شعب ، غير أنها ما كانت تسعى صحافة في القديم ولا القائمون بها يسمون صحفيين ، بل كانت تسمى شعرا ، وكان أصحابها يسمون شعراء . لقد كانت العرب تسمى الشعراء ألسنة القبائل كما نسمي نحن الصحفيين ألسنة الأمم سواء بسواء ، وإذا كان هناك فرق بين الشعر والصحافة اليوم فليس هناك فرق بين شعر الجاهلية وبين الصحافة .

ملئ شعر الجاهلية بأخبار العرب وأخبار الحروب والفخر والدفاع وما إلى ذلك من موضوعات الصحف في هذا اليوم . وللصحافة في الدين مكانة معتبرة ، فلقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة شعراء ينافحون عنه ، وما هم إلا أربع من كبريات صحف هذا العصر .

أخدم أمي بالقلم ، وأعتقد أنني أودي لها واجبا وطنيا ، وواجبا دينيا معا . فأعظم بمهمة الصحافة التي جمعت بين خدمة الدين وبين خدمة الوطن ، وهناك كثير من الكرام

الكاتبين يرون رأيي في الصحافة ، ولكننا قد نختلف في أسلوب حاجة الناس إليه أشد ، وإن كنا متفقين في أن أساليب الصحافة سواسية في حاجة الأمة إليها ، ولكن أيها يجب أن يقدم ، وأنا لا أرى وجهها من وجوه الصحافة أحق بالتقديم من سواه ، فكما أننا محتاجون إلى الصحف السياسية ، محتاجون إلى الصحف الدينية وغير ذلك ، وليس في مستطاعنا إلا أن نكتب ما نراه ينفع البلاد من أي موضوع كان من مواضيع الصحافة ، ونفتح أمام الكتاب باب النشر على مصراعيه ما لم يتجاوزوا حدود الكتابة ، ولا تقدر الجريدة أن تكون لسان الأمة أو لسان قسم وافر من الأمة ما لم تعط الحرية لأقلام الكتاب ، على أننا نلخص خطتنا فيما يلي تلخيصا ليس علينا من سبيل إذا نحن لم نلتزمه بوجه أخص :

- 1 - نشتغل بالتجارة وأسعار السوق والبورصة متى رأينا في ذلك فائدة .
- 2 - نجتهد أن تكون هذه الجريدة صوت الأمة ، فهي تعني بالحوادث الأليمة بالخصوص التي تقع على الأهالي .
- 3 - ننتقد بعض الأشخاص البارزة التي نراها تضر بالهيئة العامة انتقادا عفيفا لا يقصد منه غير التهذيب .
- 4 - نعتني بالأدب العربي اعتناء خاصا . وفي الأخير نقول إن البرق لا يلتزم غير المصلحة العامة أينما كانت .^{1*}

أنا أجيب

رأيت في عدد مضى من أعداد الشهاب الأغر سؤالا من " طلبة العلم بالعاصمة " ، موجهها إلى الأستاذ بيبضاوي هذا نصه : "لماذا يقرر الشيخ الزواوي أن الشيخ المربي إذا تكلم مع المتصرف والبوليس فالحامل فالوالي فالوزير فرئيس الوزراء فرئيس الجمهورية كفى وشفى ، فهل المنصور من المرشدين الجدد للدين (كما قال الزواوي في خطبته) القيام بمهام السياسة من النيابة المالية ، والعضوية العمالية أو البلدية ؟... ولست أدري

¹ - البرق " الفاتحة " ، لبرق ، عدد 1 ، قسنطينة يوم الاثنين 3 رمضان سنة 1345 هـ الموافق ل 7 مارس 1927 ص 1

لماذا أغفل بيضاوي هذا السؤال ؟ ولست أعلم لماذا وجه السائلون سؤالهم إلى بيضاوي بالخصوص ؟ قد يكون المسئول أغفل السؤال لأنه لا يرى موضعه شيئا أو لأنه يخاف أن يفرط عليه "تيس" من التيوس (كما يصفهم الناس) بهراوة أو دبوس ، أو لأنه يرى السؤال موجهها إلى سائر الكتاب . وقد يكون السائلون خصصوه بالسؤال لأنه أول من بدأ هذا الموضوع . ولم تطب نفسي أن يبقى هذا السؤال غفلا متروكا من غير أن يجيب عنه مجيب ، وعلمت أنا وبيضاوي وشهد الله والملائكة والناس أجمعين أن المراد هو الجواب من أي كاتب كان ؟ من بيضاوي أو من غيره فاشتبهت أنا أن أجيب .

أجيب عن هذا السؤال العجيب ، أحب بيضاوي أم كره ؟ شاء "طلبة العلم بالعاصمة" أم لم يشاءوا ؟ غضب الشيخ الزواوي أم رضي ؟ أجيب رغم أنوف هؤلاء كلهم ، وإذا سخطوا فليجعلوا أصابعهم في آذانهم لعلهم لا يسمعون مني هذا الجواب : يعلم من الناس أن الشيخ الزواوي قد طبع ديوان خطبة جمعية ويعلمون ، أنه قد فسد عليه ، وأنه سيطبع رسالة "الإسلام الصحيح" ورسالة "ذبائح أهل الكتاب" ، وبيان آخر سيطبع رسالتين في هذين الموضوعين يخاف عليهما الكساد مثلما كسد ديوان الخطب عليه فلزمته المصلحة إلى عقد المصالحة ، هذه التجارية بينه وبين الطريقي الجديد على رؤوس "التيوس المؤمنين" الذين لا يقرأون ولا يكتبون !

لم أر في من يحرصون على الفرنك مثل من يسبه بيضاوي بالطريقي الجديد ، فهو يطلبه بكل وجه وبكل حيلة ولو بالوجه الشرعي ! والحيلة الجائزة ! ولم أر طريقا ينطبق عليه مقال "الحكومة وأبناء الزوايا" الذي قرأناه في عدد فائت من الشهاب الأغر مثل هذا الطريقي الفرنكي ! فإنه يدعي لنفسه الولاية والشيخوخة ، ويدعي العلم ، وزاحم المتوظفين على القيام بما يؤمرون ، ويدعي لنفسه كل وصف تحترمه العامة ، وينتحل لنفسه كل ما يصلح أن يكون مكسبا ومرتقا ! يدعي لنفسه الولاية ، وديوانه الملحون بين أيدينا ينطق عليه بالحق ، ويشهد عليه بالحلول والاتحاد . ويدعي لنفسه العلم الظاهر والباطن ، وديوانه أيضا يدل على ما له من المنزلة العلمية ، ويدعي لنفسه الشهرة وكثرة الأتباع ما لا قل "شاوش أو مقدم" أي طريقة من الطرق الأخرى ؟ التي يريد أن يظهر

عليها بدعوى أن أتباعه يبلغون مائتي ألف ، ويزعم الشيخ الزواوي أنهم ثمانون ألف (كما قال في بعض مقالاته) ولعل الشيخ الزواوي يتمنى أن يطبع ثمانين ألف نسخة من كل رسالة من رسائله ! ...

يحسب الطرقي الفرنكي في أتباعه كل من اجتمع به أو كاتبه أو شهد له أو سمع به ، حتى الشيخ مناشو في تونس ، والشيخ سكيرج في المغرب ، وهما تيجانيان صميمان ! وليس له من غرض في ذلك إلا تكثير عدد الذين يشترون الكتب التي يسرقها ثم يطبعها باسمه ، مثل رسالته "نور الأئمة... " المنسوخة من "هيئة الناسك" . إن حرص الطرقي الفرنكي على تجارته أن تروج في "الأموات" الذين لا يقرأون ، هو الذي دفعه إلى وضع "كتاب الشهاد والفتاوى..." وهو كتاب وضع للتجارة في الأميين ! (قد نعود إليه مرة أخرى) هذه الأسباب وأشباهاها هي التي دفعت الطرقي العصري والخطيب السلفي إلى عقد محلفة اقتصادية .

وهذه التوطئة لابد منها لأنه لا يفهم الجواب بدونها ، فما أظنك لولاها تكاد تفهم عني ما أقول :

يقرر الشيخ الزواوي ما يقرر عن الطرقي الفرنكي لأنه لم يجد فيه فضيلة يصف بها سوى ذلك ، فهل يستطيع الزواوي أن يصف حليفه بالعلم وهو رجل عامي أمي ؟ أم يصفه بالتصوف وهو صاحب القول المعروف ، في الرد على من أنكر التصوف (كذا) ؟ على أن الزواوي قد أنكر التصوف من أصله في رسالته "الإسلام الصحيح" كما بلغنا وهذه مقالاته التي تنطق عليه بالحق وتشهد عليه أنه ينكر التصوف على المتقدمين ، لم يجد أبو يعلى شيئا يمدح به شريكه غير قوله : "إذا تكلم مع المتصوف والبوليس فاعامل فالوالي فالوزير فرئيس الوزراء فرئيس الجمهورية شفى وكفى " ولست أدري لماذا سكت الشيخ الزواوي ولم يصف زميله بأنه إذا تكلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل قوله : "عبس بالقول تهدد ... شفى وكفى ؟

أنا أعتقد أن الشيخ الزواوي لم يفهم هذه القولة التي قالها عن رصيفه (ولا أقول عن شيخه كما قال السلاوي) وإنما هي قولة قيلت له فقالها ولم يفهم ما يراد بها ، لأن

معناها : " إن هذا الطريقي أبرع واسطة بين العامة وبين المتوظفين ، وأحذق سمسار يدل به إلى الحكام ! والشيخ الزواوي أجل وأزكى من أن يكون داعية السماسرة النصابين ، ولأن يكون الشيخ أبو يعلى غرا كريما خير من أن يكون "بروفانديست ..."

ليس بعيدا أن يكون الشيخ المربي هو الذي أوحى إلى الشيخ الزواوي بهذه القولة ليعلم الناس أن هذا المربي أحسن وسيلة يتوصل بها الراغب في تسريح قهوة ، أو الراغب في الحصول على نيشان ! وأعجب من " طلبة العلم بالعاصمة " أن يسألون : "فهل المقصود من المرشدين المجددين للدين القيام بمهام السياسة من النيابة أو العضوية العمالية والبلدية ؟ ... ولو أنهم كانوا من طلبة علم الباطن لما ترددوا و لعلموا أن ذلك مقصود لا ريب فيه ، لأن هنالك في عالم الغيب حكومة سر عالمية تتصرف في أمم الأرض جميعا ، ولها برلمان عظيم يجمع بين مجلسين النواب والشيوخ ، والنواب (الديني) هم الأحياء ، والشيوخ (السيناتور) هم الأموات ، وللنائب ظل ، ولي للشيخ ظل فيما يقولون ، ولا يكون عضوا في هذا البرلمان إلا من كان وليا صالحا ، ويسمى هذا البرلمان الرباني ديوان "الصالحين" . أهل التصريف على الديوان وزارة ينتخبها أعضاؤه انتخابا حرا ، ولكن لا يترشح لها إلا من كان عضوا نائبا لا عضوا شيخا ، ويسمى كل وزير (قطبا) ويسمى رئيس الوزراء غوثا . ولا أدري من يسمى سلطان الصالحين ! رئيس الجمهورية أم رئيس الديوان ، أم هو لقب قديم لملك هذه الحكومة فبل أن تصير جمهورية ديمقراطية ! ذات وزارة حرة وبرلمان يمثل شعب الصالحين الخاملين

ولا يسعني إلا أن أحيلك أيها القاريء على أن تراجع بنفسك في كتاب السالكين نظام هذا الديوان ونظام هذه الحكومة حتى تعرف من هم الأبدال ؟ ومن هم الأوتاد ؟ ومن هم النقباء ؟ ومن هم ...؟ وتعرف أن تراتيب الكاثوليك الموجودة الآن ظاهرا خير من تراتيب برلمان الصالحين السري ...!

لو علم "طلبة العلم بالعاصمة" هذه الحكومة الباطنية لأيقنوا أن حضرة المربي يجب أن يرشح نفسه يوم الحج الأكبر للقطابة أو الغوثية أو رئاسة الديوان ! أو غير ذلك من الوظائف السامية ، ولهذا وصفه الشيخ الزواوي بقوله : : "إذا تكلم ... " ولهذا تسمع

فقراءه يسمون أنفسهم أولياء الله الذاكرين ! أستغفر الله ، بل يسمون أنفسهم آلهة أو أواني آلهة ، تسمع منهم هذا عندما يتلاقون ، أتدري لماذا ؟ لأنهم يحبون أن يكونوا من الناخبين ، عسى أن ينتخبوا كبيرهم ومربيهم لمنصب البابوية الباطنية ! أو ينتخبوه كاردينالا على الأقل ! وبرهان ذلك ما يتظاهر به خواصهم من الرهبانية التامة ، لاسيما في الأيام الأخيرة التي تركوا فيها الدنيا بحذافرها حتى الزواج المخالف بتربية اللحية ! في هذا الزمان ، وعادوا لا يبيتون وهم مجتمعون يفكرون في الاستعداد لمعركة الانتخاب التي ستشتعل قريبا في عالم الغيب ، ويتعاطون الآراء في ذلك ويتبادلون ! ولقد سمعنا أخيرا أنهم أجمعوا على تكثير سوادهم ولو بالغللمان الصغار ، أو بالذين يحلقون لحاهم ! ويقولون : إن دعوتهم قد انتشرت حتى في من لا يعترفون بشيء من الخرافات ، واستدلوا على ذلك بأن غرداويا (من غرداية) ترك أهله وولده والتحق بهم حيا في الولاية والصلاح فأصبح وليا "صالحا" له حق الانتخاب الباطني .

أزفت ساعة الانتخاب ، وليس أحد بقادر على أن يعلم نتيجة غير أولياء الله الذاكرين .

أظن أن طلبة العلم بالعاصمة عرفوا الآن ما هو المراد من وهب الشيخ الزواوي لحليفه مما ذكر ، وأظن أن الزواوي وجد سؤال هؤلاء الطلبة صوابا لم يقدر أن يعترف به مخافة أن يعدد لك منه اعتداء على المعاهدة ولم يستطع أن يسكت خشية أن يكون سكوته اعترافا متعديا أيضا على الاتفاقية ، فلم يسعه إلا أن أجابه ، ولم يجبه إلا بما معناه : أنه لا يسامحهم أبدا ... ، ثم حملة الغيظ وحب التشفي على أن يتطلب معرفة أشخاصهم وأسمائهم وعناوينهم ، وذكرهم بمذهب الأستاذ الأكبر أبي ذر العقبي الذي يرى التصريح بالاسم والعنوان واجب على كل كاتب ، وماذا يعني الشيخ الزواوي إن لم يعرف أشخاصهم وأسماءهم لولا أنه ينوي لهم الشر والأذى مثل ما فعل حليفه المربي بزعيم المصلحين الأستاذ باديس بعدما طلب من إدارة "الشهاب" أن تبين له أسماء "بيضاوي وطلبة العلم..." بواسطة البوقاطو المتطوع "برج بوعريريج فلم يفلح . فهل

ينكر الشيخ الزواوي هذا ؟ وهل يعود بعد اليوم إلى الدفاع عن الأوباش المجرمين ؟ إنه لمن الآثمين .^{1***}

فكر حر !!

صلاة العليويين .

لما كثر القيل والقال في المنتمين إلى الطريقة العليوية ، وذهب الناس في أقوالهم تلك مذاهب بشتى فمن مادح ومن قادح ... عزمت أن أذهب إلى الزاوية التي فتحوها منذ أعوام بالعاصمة !!

ذهبت إلى الزاوية - زاوية العليويين - مع صديق لي بعد صلاة العشاء فألفينا بها أحد "المقاديم" المدعو "العباس" وهو نائب الشيخ بالعاصمة في تلقين المريدين من أهل طريقة "الاسم الأعظم" ومعه ثمانية أنفار "مريدين" !! ..

سلمنا عليهم فردوا السلام ، وأشار إلينا المقدم إن نجلسا ، فجلسنا هنيهة نتجاذب أطراف الحديث العادي ، إذ قام أحد الجالسين وشرع في الصلاة ، وجعل ينقرها نقر الديكة ، الأمر الذي دل على بساطة الرجل (؟) وبينما هو في ركوع وسجود إذ تناول أحد دفا وجعل يقع عليه ، ثم صاح مريد آخر ينشد وترنم بآيات من ديوان شيخه "ديوان الضلال" وهي هذه :

يا من تريد تدري في فاسأل عني الربوبية

أما البشر لا يعرفوني أحوالي عنو غيبية

فأخذ مني العجب مأخذه ، وهمست في أذن المقدم " لا ريب أن هاته الطقطقة وهذا النشيد يشوشان فكر ذلك المصلي ، ويشغلان قلبه عن الصلاة ؛ إذ "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه" فأجابني بصوت جهور : إن طريقنا العليوية لها خواص وأسرار تتميز عن غيرها من الطرق ، ومن خواصها وأسرارها أن المنخرط في سلوكها والمنتمي

لشيخها لا ينصرف قلبه عن ذكر الله أينما كان وحيثما كان ، فما بالك بمن هو في حال الصلاة :

أما الطقطقة والترنم اللذين رأيتهما أمرا منكرا في وقت أنهما يشغلان قلبه عن الصلاة ... أيقن أن المريد لا ينصرف قلبه عن ذكر الله وعن الصلاة ولو طقطقوا مئات المطقطقين ، وترنم آلاف المترنمين ، وناهيك أن هذا الدف ضرب بمحضر الشيخ رضي الله عنه ، وأن الأبيات من تنظيم الشيخ . ولو أن للشيخ رية في ذلك لنهانا عنها ولما نظم شعره ، ولا طبع ديوانه ، لأن الشيخ رضي الله عنه ينظر بنور " الله " .

هنالك تحققت جهل المقدم بأصول دينه ، وعلمت زيغ طريقته ، وقد ذكرتنا هاته الصلاة بصلاة الجاهلية الأولى التي حكى عليها المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله : " وما كان صلاتهم إلا مكاء وتصدية " . ثم خرجت وصديقي نلعن المقدم والمنشد والضارب على الدف ، وعلمنا أن أولئك التسعة الأنفار هم " تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون " . " ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب " ***¹

التفرنج الآثم - 1-

اليوم بدأنا نذوق مرارة التفرنج ونحس به داءا عياء قد تغلغل في المسلمين والمسلمات ، فما أحسب أننا نجد بعد ذلك إلى علاجه سبيلا .

لقد دب هذا الداء الويل إلى العضو الذي إذا فسد فسد الجسد كله ما من ذلك بد وليس فيه شك . دخل داء التفرنج على البيض العقيلات في خدورهن ، وعلى المقصورات في الخيام ، فأفسد عليهن هناءهن ، وكدر عليهن صفاء العيش ، فلم يعدن يرتضين أن يكن في خدورهن كالمليكات في قصورهن ، ولا أن يكن قاصرات الطرف على بعولتهن .

لقد كن - وأزواجهن يخدمنهن - يتقلبن في أعطاف عيشة راضية ، ونعيم هنيء سائغ لا يعرفن فيه تعب ولا شقاء ، فوسوس لهن التفرنج كما وسوس الشيطان لآدم

¹ - طلاع الثنايا " صلاة اعلويين " البرق عدد 3 . الاثنين 17 رمضان 1345 هـ . الموافق لـ 21 مارس 1927 م . ص 2 .

(ص) إنهن مسجونات في بيوتهن ، وخيل إليهن أنهن قد حرمن من حياة طيبة قد سعد بها الرجال دونهن ، وأنهن حرمن من حرية واسعة يمرح الرجال في فضائها دون النساء ، فعفن العفاف ، وكرهن البقاء في البيوت فكشفن السر ، فخرجن يركضن وراء الشهوات والمخزيات ، فهن بعد ما كن عزيزات ، وابتذلن بعد ما كن أماني الطالبين ورغبات الراغبين .

لقد كانت المسلمة في هذه البلاد بيضة خدر لا يزال خباؤها ، محجوبة لو رأها الشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوما على أحد ، واليوم نرى بعض المسلمات تفرجن وعدن ملكا مشاعا بين سائر الناظرين ، وملمسا مشتركا بين أيدي جميع اللامسين . والمرأة في خدرها كالوردة في غصنها وفي أكمامها ينبغي أن يبقى بمكانه لا غير .

قرأنا في (لاديبش أليريان) مكاتبة جاءتها من تونس عن مسلمة متفرنجة قد رقصت في حفلة راقصة ... وكتبت سائر الجرائد الفرنسية إلا قليلا عن هذه الحادثة مقالات كثيرة كلها حمدا وثناء على هذه المرأة المارقة من جنسيتها ، وقد حملت هذه الجرائد على جريدة (النهضة) التي قلن عنها : إنها انتقدت هذه المرأة انتقادا مرا ، وخرجن من ذلك إلى سبب المسلمين ورميهم بالتعصب وبعداوة فرنسا . وأني لآت بما نشرته (لاديبش أليريان) ثم أتعبه بما أراه . قالت لاديبش : (حدث بتونس في هذه الأيام حادث أخلاقي مهم جدا ، يحتمل أن يحصل به انقلاب هائل في العالم الإسلامي . حدث بتونس أمر لم نسمع بوقوع مثله فيما سلف في هذه العمالة . حدث أن امرأة مسلمة تنتسب إلى أشرف عائلة مسلمة تونسية ، قد ذهبت إلى حفلة راقصة أقيمت بمحل المقيم العام ، تلك المرأة هي زوجة م . القبائلي المسلم المتفرنس والمحامي بتونس ، ورئيس جمعية المسلمين المتفرنجين بها ، ولقد أرادت هذه السيدة أن تبدي لنا ما ذاقته من مرارة العوائد الإسلامية وما تحس به في هذا الأمر . إني تأملت منذ عهد بعيد فيما تجتنيه العائلة المسلمة من التجنس بالجنسية الفرنسية ، فرأيت في ذلك فوائد أدبية كثيرة . إن الأمة الفرنسية تعظم المرأة وتعتني بها اعتناء كبيرا ، وليست كذلك المرأة المسلمة في العائلة المسلمة ، وكذلك يحترم الرجل المرأة عند الفرنسيين احتراما ، ويقدها تقديسا ،

ونحن المسلمات محرومات حتى من استنشاق الهواء الطلق ، قواعد في بيوتنا لا نبرحها بحال كما لا يبرحها المتاع والأثاث لقلا نطيش إذا نحن خرجنا إلى الشوارع . إنني لممتثلة غاية الامثال لشعائر دين الإسلام : دين آبائي ، باعتقاد جازم لا يتخلخل ، لكن الدين لا يوجب عليها أن تستتر ببرقع . وما الحجاب إلا عادة قدم عهدا ، لاسيما بعمالة تونس ، حتى رجعت مثل حكم ديني وشعيرة إسلامية ، وكذلك العادات إذا طال عليها الأمد أصبح الناس يحسبونها من شعائر الدين . وإني أجزم أن أخواتي المسلمات يذقن طعم الحياة متى عدن لا يقمن في بيوتهن وسيتلذذن اللذة التي لا نهاية لها خارج ديارهن ، تلك اللذة هي الزوج برجال يعظمونهم ويحترمونها ، ويرون فيهن الحليّة والحليّة ، وينظرونهن بعين التساوي في كل شيء من أشياء الحياة . لكن نجاح ذلك مشروط بأن يكون للمسلمات ميل شديد للجنس ، وهالك فيهن عليه . والجنس هو الذي يكفل لنا بقاء حريتنا التي هي ثمرة جهادنا ، لأن الركون إلى العائلة الفرنسية يهذب الإنسان ويمتعه بلذائذ الحياة دون أن يكون في ذلك طعن في الدين . وبحسب هذا الإدراك الذي أدركته ، أيقنت أنه يجب علي أن أكون فرنسية ، وأن أجنس من صميم الفؤاد . هذه هي السوانح التي أردت شرحها ببيان واضح بعد شعوري بها في هذا الاحتفال الراقص الذي أقامه المقيم العام) .

ثم علق مكاتب (لاديبش الجيريان) على هذا الخطاب فقال : إن زوجة م . قبائلي بمأثرتها هذه (أو منقبتها) قد استطاعت أن تنقب نقبا واسعا ذلك السد الذي لا يزال حائلا إلى اليوم بعمالة تونس ، بين النساء المسلمات وبقية العالم . فلنلتفت إلى هذا الحادث ولنفكر فيه وفيما يحصل منه ولننظر هل يكون له تأثيرا ؟^{1***}

نبأ عظيم

بلغنا أن حزب الله المؤمنين ، وجماعة الهداة المصلحين ، ومعشر الشباب الناهض ، قد عقدوا اجتماعا تناولوا فيه الحديث على حركة الإصلاح وما تلاقيه من أذى الأوباش

¹ - التحرير . " التفرنج الآثم - 1 - البرق عدد 4 الاثنين 24 رمضان 1345 هـ . الموافق لـ 28 مارس 1927 م ص 1 .

الجامدين ، فما انفض الاجتماع حتى اتفقوا بإجماع على أن يجددوا بعد شهر رمضان هذا حركتهم المباركة بنظام عجيب قرروه ، ومن فصول هذا النظام ما يوجب أن يكون في حملة الأعلام المصلحين من يقومون بالهجوم على الشرك والخرافات وأن يكون فيهم من يقومون ويحفظون خط الرجعة ، ومنهم من ييقون للمراقبة والاحتياط ، وقد تعين لخطه الهجوم كاتبان كبيران : الزعيم السلفي ، والمرشد الصريح الأستاذ الكبير الطيب العقبي والشاب المفكر والكاتب الجريء السيد العزوزي حوحو ، لأن هذين الكاتبين لم يتما حركة هجومهما التي بدأها في العام الماضي ، بسبب جريدة الشهاب التي أوقفت ذلك . وتعين لخطه الدفاع وحفظ خط الرجعة ثلاثة ليس فيهم إلا سيد كاتب مبين : بيضاوي وسمهري وتأبط شرا . وتعين للاحتياط والمراقبة على المهاجمين وعلى المدافعين ثلاثة كتاب كبار : الأستاذ العمودي والأستاذ الزاهري والأستاذ الملي .

وسأخذ زعيم المصلحين الأستاذ باديس راحته في هذه المرة ، وسيبقى بقية الكتاب أحرارا إن شاءوا بقوا يتفرجون . ومن دخل منهم المعركة فليكن إن شاء هاجما أو مدافعا أو غير ذلك ، وقد انفض الاجتماع بعدما كتبوا بهذا إلى من لم يكونوا حاضرين من أعضاء الحركة القلمية التي سيقوم بها هؤلاء المصلحون بعد شهر رمضان المعظم .

وقد قرروا أيضا للخطيب عباسة الأخضرية خطة الاشتغال بجريدته المهماز التي عزم أن يصدرها قريبا باللغة الدارجة ، وسيكون للمهماز شأنها مع في تبكيت المشاغبيين من الغوغاء والأجلاف . وسيكون الشهاب والبرق مجالا واسعا للكتاب المصلحين . فإن صح هذا الخبر فإننا نشد قول القائل :

في الأمر ما فيه من جد فلا تقفوا من واقع جزعا أو طائر طربا .^{1***}

فرج التلاثم - 2-

هذه التصريحات من هذه المرأة المسلمة المتمردة من جنسيتها ودينها هي ثمرة تعلم البنات المسلمات العربيات لغة غير لغة القرآن ، وغير لغة العرب ، فترين تربية عربية

¹ -جساس " نبأ عظيم " البرق عدد 4 . الاثنين 24 رمضان 1345هـ . الموافق لـ 28 مارس 1927 م . ص 2 .

ليس بينها وبين التربية الإسلامية من وشيجة نسب ، وتخلق بأخلاق ، وتعودن بعوائد لا تتفق مع أخلاقنا وعوائدنا بحال من الأحوال .

مرقت هذه المرأة من عوائد قومها هذا المروق كله ثم تزعم أنها لا تزال (مسلمة تونسية عربية) تتفق مع بنات عمها في القومية والدين ، وربما زعمت إنها برقصها ذلك قد عملت عملا صالحا سيشكره الله ورسوله (ص) ، وأنها تبتغي بذلك ثواب الدار الآخرة . وقد دعت المسلمات اللاتي كن لها أخوات إلى أن يلتحقن بها حتى ينلن عند الله أجر المتبرجات الراقصات .

أين المرأة المتبرجة التي تظل في الشوارع غادية رائحة مع الغادين والرائحين ، والتي تبيت لاهية راقصة في اللاهين والراقصين من المرأة القاصرة الطرف المقصورة في الخدر ، التي تحذر حتى من خطرة النسيم أن تمر بها ، ومن البدر المنير أن يلوح عليها خجلا وحياء ؟ .

إن هاته المرأتين لا تقفان بوجه من الوجوه ، وليس شيء من الأشياء بصالح أن تكون جامعا يجمع ما بينهما . فهيهات أن تبقى هذه المرأة مسلمة عربية في عوائدها وأخلاقها . تقول هذه المرأة أنها وجدت في تفرنجها من الغبطة والسرور ما لم تجده البيض الخفريات من النساء المسلمات ، وأنها تتمنى لمن أن يهتك سترهن ، وأن يسيدين زينتهن ، وأن لا يضربن بخمرهن على جيوهن ، وتقول لمن : إن الإسلام لا يوجب على المرأة أن تبقى مذمومة ومسجونة في دارها . لقد رزئت هذه المرأة في نظر المسلمين في عرضها دون بنات جنسها وسلب كل ما تملكه يدها من حشمة وحياء ، ولم ترد أن تخسر وحدها هذا الخسران المبين فأرادت أن تخدع المؤمنات المسلمات فيما بقي بأيديهن من حياء وعفاف فيخسرن ما خسرنه من الحياء الذي ليس للمرأة جمال بعده .

تزعم هذه المرأة أنها تمثل لدين الإسلام غاية الامثال ، وتخضع له غاية الخضوع ، ثم تبدي زينتها لغير بعلها ، وترقص مع أجنبي يخاصرها وتخاصره . فهل هذا هو الامثال للإسلام عندها ؟

إن الإسلام كما تقول هذه المرأة لا يوجب إخفاء المرأة ولكنه يحرم عليها أن تتبرج ، والرقص أجلى مظهر التبرج .

تزعم هذه المرأة أنها تحترم عوائد أجدادها المسلمين ، ثم تعتمد إلى عادة الحجاب التي هي كل ما يميز المسلمة من غيرها بتمزقها تمزيقا ، فهل هذا هو احترام العوائد عند هذه السيدة ؟

تقول إنها ذقت في رقصها لذة لم تذوقها بقية المسلمات اللاتي لا يرقصن ، وهو أمر واقع لا نجادلها فيه . فإن المرأة الساقطة تجد في سقوطها من لذة العيش ما لم تجده المرأة العفيفة الشريفة في عفافها وشرفها ، وقد تعاف المرأة الساقطة التي لا عرض لها حياة العفيفات ذوات الأعراض المصونة .

إنه لولا قراءة المرأة قراءة غير عربية وغير إسلامية لما كانت لتجرأ هذه المرأة الغريبة على تمزيق رداء الحياء ، ولولا ذلك لما كانت تدعو المسلمات جهرة إلى التفرنج الآثم والمدنية الفاجرة .

إنه لا يسمع هذه الداعية إلى التفرنج نساؤنا الغافلات ، ولكن ستسمعها بناتنا اللاتي قرأن كما قرأت ، وتهذبن كما تهذب ، أولئك الفتيات هن اللاتي يسمعنهن بأسماعهن وقلوبهن ، ويقبلن عليها بوجوههن ، ويغبتن بها اغتباطا شديدا ، أولئك الفتيات التي يتمنين كلهن أن يسبقن إلى الرقص والسفور وليس فيهن فتاة لا تتمنى أن تكون مكان هذه الفتاة إلا قتل التفرنج التي لا تملك من الحشمة مثقال حبة من خردل . أولئك الفتيات المتعلمات هن اللاتي يحسبنها ملكا من الملائكة الأطهار ، أو يتخذنها إلها يعبدنه من دون الله . فسيقتفين أثرها غدا أو بعد غد ، ما من ذلك بد ، وليس عنه محيص .

إنه وإن كانت هذه الفتيات قليلات في عددن قبل اليوم وحتى اليوم ، فإنهن لا محالة أخذن يكثرن ويكثر سوادهن في كل يوم وحين ، وليس ببعيد أن يصبحن الأكثرية

ساحقة ، تقضي على ما بقي بأيدينا من قوميتنا قضاء نعود به أمة غير أمة عربية وأمة لا تدين بدين الإسلام...^{1***}

خطيب الضالة المنشودة .

قام خطيب أصفر اللون ، نحيف الجسم ، على جبل الأنف من خريطة وجهه نظارتان نسيت لونهما ، يقال إنه ابن زاوية وأنه قضى شطر عمره ينشد ضالته ...؟
قام هذا الخطيب في مسجد حافل بمئين من الناس ، موجهها خطابه إلى رجل معين دعاه بابن حواء ! وقال عنه جاهل ، وإنه غني - وكرر هذا النعت مرارا ..؟ - (وما ذاك من ابن زاوية بغريب !) .

نادى الخطيب ابن حواء قائلا له : كنت سألتني عن المدرسة ومنفعتيها ولم أجبك قبل ، فاسمع الآن جوابي وفحوى خطابي .

المدرسة يا ابن حواء خير من ضرب الطوب (!!) ، وتشيت الصبابط (!!) ،
والتقرسين (كذا) (!!) ، والحماله (!!)...!

المدرسة هي الضالة المنشودة !... وهنا ابتلع ريقه . والمدرسة كما قلت لك وليس كما لم يقل . وهذا ما فاه به الخطيب بالحرف وما وصل إلى هذا الحد من خطبه حتى صاح كاتب هذه الأسطر : لتجى الخطابة لتعش المدارس !.^{2***}

مراسلات الانتخاب البلدي .

سيقع في اليوم 15 من هذا الشهر انتخاب عضو بلدي بالعاصمة يخلف السيد إبراهيم بن رضوان الذي حكم المجلس الدولي بإبطال نيابته البلدية لقربته من السيد شكيكين ، ومع ذلك فإنه رشح نفسه ثاني مرة . وهو لا محالة ساقط أيضا على فرض فوزه ، لأن قربته من شكيكين مازالت ولن تزال ، فليس يكون الرأي أن ينتخبه الناس ، وما أظنه ينجح في هذه المرة . ورشح نفسه أيضا الدكتور بن التهامي ولا أحسبه

¹ - التحرير . " التفرنج الأثم - 2 - " البرق عدد 5 . الاثنين 1 شوال 1345 هـ . الموافق لـ 4 أبريل 1927 م . ص 1 .
² فانك . خطيب الضالة المنشودة " البرق عدد 5 . الاثنين 1 شوال 1345 هـ . الموافق لـ 4 أبريل 1927 م . ص 2 .

سينجح لأنه يدعو الناس إلى التجنس الذي لا يرضونه بحال ، ورشح الشيوعيون السيد محمود بن الأكحل المنفي الآن بسعد (الجلفة) والناس يخافون إذا هم انتخبوه يرموا بالشيوعية معاداة الحكومة ، فما أظنه يفوز . ورشح كثير من الناس الشيخ السيد عمر راسم الوطني الصادق ، والمسلم الحقاني ، ذلك الذي قضى سبع سنين مسجوناً من أجل القضية الجزائرية ، ومن أجل الدفاع عن أبناء جنسه ، ذلك الذي لم يترك أعوام السجن تذهب بلا عمل لينفع به أمته ، فكتب جزءاً أولاً من تفسير القرآن الكريم كتابة فطرية ، سلفية فطرية لا تشوبها شائبة التقليد وجاء تفسير في غاية الإبداع ، تفسيراً سياسياً عمرانياً . ولو طبع لكان .. جزائر به شأن عظيم بين العالمين . والشيخ عمر راسم لا أكون مبالغاً إذا وصفته بأنه أول رجل جزائري ابتلي في سبيل الله وفي سبيل الجزائر .

الشيخ عمر راسم هو الذي لم يقدر الضغط الإداري أن يطفئ وطنيته ، وهو الذي لا يجهل أحد مواقفه الرهيبة التي وقفها في سبيل الجزائر ، وهو الذي كتب عنها ما كتب بالعربية والفرنسوية أيام لا يعلم الناس عنها شيئاً ، الشيخ عمر راسم هو الذي حرمت أمة الجزائر مما رزقه الله من موهبة ونبوغ ، وهو الذي ضاعت أفكاره الحية بسبب الجهالة الضاربة على أمة الجزائر ، حتى جعلتها ما تفرق بين قبيح وحسن .

وأراني ليست بي من حاجة إلى التنويه به ، ولا هو بمحتاج إلى التعريف به ، فإني أوقن أن الأمة ستكون معه في هذا الانتخاب ، ولا أحسبها تجهل إلى درجة أن تدع هذا الرجل العظيم صاحب الغيرة الملتهبة وتنتخب من لا يصلح لهذا المنصب .

أوقن أن الأمة ستكون معه لأنها لم تنتخب - فيما مضى - أحداً من غير الوطنيين الصادقين ما وجدت إلى هؤلاء سيلاً ، وانتخاباً للأمير خالد برهان قاطع على ما أقول .

أيها السادة المنتخبون لأن تتركوا الانتخاب بتاتا ، خير لكم من أن تنتخبوا رجلاً لا كفاءة فيه ، يقوم بوظيفته قياماً حسناً ، فإياكم أن تنتخبوا غير كفاء لهذا الكرسي البلدي ، وما أحسبكم تجدون الكفاءة في مترشح مثلاً تجدونها في الشيخ عمر

راسم***¹

¹ - مكاتب البرق " مراسلات الانتخاب البلدي " البرق عدد 6 . الاثنين 9 شوال 1345 هـ . الموافق لـ 11 أبريل 1927 م . ص 2 .

التفرنج الآثم -3-

وفي الواقع إن هؤلاء الفتيات المتعلّقات تعلّما غير عربي وغير إسلامي قد كثرن في تونس كثرة تغيرت بها أخلاق كثيرة وعوائد شتى ، ذلك بأن هنالك بتونس مدارس خاصة بتعليم البنات المسلمات ، وقد نشط الناس هناك على بنائهم ما رأوه من هالك العيان على ذلك ، حتى أصبح قسم وافر من الفتيات المسلمات متفرنجات ييغضن العوائد التونسية بغضا شديدا ، وعدن وليس شيء أبغض إليهن من التزوج بالفتيان الذين لا يزالون تونسيين غير متفرنجين لا يسمحون لهن بالتبرج ولا يرقصن معهن ، فوضعن أغاني كثيرة في هجاء الشاب التونسي الزيتوني ، مثل قولهن في أغنية طويلة في هذا المعنى (...). ما نخدش سيدي الشيخ ... ما نخدش بوكشاتو ... وهي كلها احتقار لكل زي من أزياء الزيتونيين ، وزراية على كل هيئة من هيئاتهم الخاصة بهم ، وتنفير الفتيات المتمدّنات من التزوج هؤلاء الفتيان ، وملئت أيضا هذه الأغنية بدعوة الفتيات التونسيات المسلمات أن يقبلن على الفتيان المتفرنجين وأن لا يتخذن أخدانا لهن سواهم مثل هذا البيت (أنا ناخذ وشاشية .. في باريس يدولش بيا ..) . أغاني غير هذه الأغاني وهي بلا شك تترجم عن عاطفة البغض الشديد التي تحملها البنات هنالك للشبان المسلمين ، وعما يضمّرنه لأبناء أعمامهن من الكراهية والنفرة ، وليس لذلك من سبب غير تعلّم البنات تعلّما هدم عليهن قوميتهن ، وأفسد عليهن دينهن فما بقي عندهن من عادة يحترمنها ، ولا من دين يمثّلن أوامره ، وينتهين عما نهى عنه ، وهذا المروق الذي مرّفته هذه السيدة الراقصة دليل على ما نقول . وإنا نخاف على زميلاتنا الكثيرات أن يقلدنها في الرقص والمروق بلا مهلة .

إن الجزائر وإن كانت المتعلّقات من بناتها قليلات في هذه الأيام ، فإنهن لا محالة سيكثر عددهن ، وتلحق الجزائر أختها تونس في تفرنج البنات ، وقراءتهن قراءة غير عربية وغير دينية .

وقد كثر في أبناء الجزائر من يطلب بإلحاح من الحكومة أن تحدث مدارس فرنسية للبنات المسلمات حتى لا يبقين جزائريات مسلمات ، وغير بعيد أن تجيب الحكومة ، فتحدث مدارس لبناتنا - دون أبنائنا - فتتعلم بناتنا كما تعلمت بنات تونس ، ويتفرجن مثلهن ، ويعدن وليس ثمة شيء من الأشياء يربط بينهما وبين أبناء أعمامهن ، وهنالك القضاء الأخير على ما بقي بأيدينا من العوائد التي لولاها ما كانت لنا من ذاتية ، لأنها وحدها صوان ما بقي لهذه الأمة من جنسية قومية .

فإن لم يتدارك أبناء تونس عوائدهم المقدسة ، ولم يحذر أبناء الجزائر من هذا الخطر الهاجم على ما يملكونه من شخصية تميزهم ، فإنهم يكونون هم العاملين على هدم شخصيتهم . وويل لهم مما عملت أيديهم وويل لهم مما يكسبون .^{1***}

تأثير الدعوة والإرشاد .

أثرت دعوة الهداة المرشدين في الناس تأثيرا كبيرا ، فكانت أقلام الكتاب أشد على أولي الشرك الخرافيين من وقع النبال ، وكانت نفثات تلك الأقلام الطاهرة الزكية أضر على الذين يكتسبون بالتضليل من طعنات الرماح ، وضربات السيوف ، وكانت حركات الدعوة والإرشاد باردة لذيدة في أكباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فإنه بلغنا أن فضيلة صاحب العزة الشيخ العيد إمام التيجانية في هذا الشمال الإفريقي قد وافق تماما على جميع ما يكتبه أنصار الله المؤمنون ، وأنه يدعو خاصته إلى أن يكونوا في عون هؤلاء الدعاة إلى الله ، وكذلك حضرة صاحب السمو الشيخ محمد الكبير بن محمد العيد الذي أصبح يدعو الناس جهرة إلى ما يدعو إليه المصلحون الكاتبون ، فقوي حزب الإصلاح الديني بهذين الرجلين العظيمين : الإمام التيجاني ، والعمدة المتينة من عمد تلك الطريقة التي أصبحت اليوم وليس بينها وبين سبيل المصلحين إلا قيد ظفور ، وليس ذلك من سبب فيما أرى غير شيء واحد وهو أن أشياخ هذه الطريقة لم يكونوا كبقية أشياخ الطرق الأخرى يتكففون ما في أيدي الناس ويتسولون ، فقد بلغنا إن إمام التيجانية

¹ - التحرير "التفرنج الآثم" البرق عدد 7 . الاثنين 16 شوال 1345 هـ ، الموافق لـ 18 أبريل 1927 م . ص 1 .

المذكور آنفا قدمت إليه ببسكرة كمية من المال على وجه الزيارة فأبى أن يقبلها ، ورفضها رفضا باتا ، وأشار على "المقدم" أن يوزع هذا المبلغ على الفقراء والمساكين . وبلغنا أيضا أن "مقادم" كثيرين في جهات متعددة من هذه البلاد قد اتبعوا سبيل المؤمنين ، سبيل دعاة الله المصلحين ، ونزعوا السبح من أعناقهم وعادوا يعافون "الزرد" و"الحضرات" و"الشطحات" وطهروا نفوسهم وزكوها من كل شائبة شرك ، ومن سائر الخرافات .

وبلغنا أيضا أن ناسا لهم شخصية بارزة بين العامة قد أعلنوا بقاءهم على الحياء ، وبراءتهم التامة من الطرق وما فيها من الأوهام والأحلام والخرافات ، وكان أكثر الطرق بحركة المصلحين قلقا طريقة العليوي إن كان يصح أن نقول : إنه ذو طريقة كالطرق ، وذلك لأنه حديث في هذا الباب الذي ابتدعه ، فما زال لم يشبع من "الزيارات" و"النذور" التي يستوردها بالتسول والاكتداء ، وكذلك زوايا أخرى من التي لا يعيش أبناؤها إلا بالدوران والطواف ، وليس لهم مكتسب ولا مرتزق غير التكفف والمسألة .

لييك يا سمهري !

قرأت في العدد السادس من البرق اللامع مقالا مليء غيرة وصوابا ، وجهه الكاتب المبين الأستاذ سمهري إلى الأخوين تأبط شرا ، وبيضاوي يسألهما رأيهما فيما كتبه "جساس" تحت عنوان "نبأ عظيم" بعدما بين لهما "سمهري" رأيه ، وما يجب أن يعملوه هؤلاء الثلاثة في الخطة التي عينوا لها ، وكيف ينبغي أن يدافعوا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وعما يدعون الناس إليه من الدين الخالص ، والإسلام الصحيح

قرأت ذلك كله فأعجبني رأي الأخ "سمهري" وراق لدي جدا ، فبادرت للمصادقة على ما رأى حتى ما دعانا إليه — بعد القيام بالدفاع — من الهجوم على أصحاب الأقلام الفاجرة ؛ دعاة الشرك والضلال ، ونعترف له بأن أول واجب علينا — بعد الدفاع — هو كسر شوكة هؤلاء المضلين ، وإن لم يكن ذلك الهجوم من خطة الدفاع التي عينها حزب الله المؤمنون في اجتماعهم الأخير ، وقد رأى لنا "سمهري" أن ندافع عن الله وعن حماة دين الله فاستحسن رأيه هذا أيضا . ولا يسعني إلا أن أشكر

هذا الأخ شكرا جما على ما أسدى إلينا من النصيحة التي كنا عنها غافلين . وهي قوله :
 " لتستسهلوا الأمر ولتستصعبوه معا " . فإني ما كنت أستصعب أمر هؤلاء الفاجرين ،
 حتى أستعد لهم كل الاستعداد ، وما كنت لاعبا بأحد منهم ، ولا لأحسب أن فيهم قرنا
 ينازل الكتاب المصلحين ، وما كنت أنوي أني أكتب فيهم كتابة جديدة ، ولكن كنت
 أحسبني أكتب ضاحكا عليهم ، ساخرا منهم ، ومما يعبدون من دون الله ، ولا أنوي
 العدول عن هذه الطريقة في الكتابة عنهم في حال من الأحوال ، وما كان يخطر ببالي أن
 أستعد لهم ، حتى نبهني "سمهري" إلى أن الأمر الحقير يجب أن يستعد له كما يستعد
 للأمر العظيم ، فكنت طوع إشارته ، وعملت بنصيحته ، فأعددت لأصحاب الأقلام
 الفاجرة والأيدي الأثيمة من الجد ما يكسر أقلامهم وأيديهم ، ومن السخرية منهم ما
 يجعلهم يضحكون على أنفسهم ، ويجعلهم في أعين الناس أضحوكا ومسخرة .

إني مستعد يا "سمهري" لأن أصرع القاصرين واحدا بعد واحد ، وأصفع كل
 واحد منهم صفعة يطير البرق فيها من عينيه ، وأنني والله لكما قيل :

لأمزقن "القوم" كل ممزق كالليث بعد الجوع في تيس عثر .

وخطي في الدفاع هي خطتك : محاماة عن دين الله ، وذبح عن الذين يهجمون
 على الشرك والخرافات ، وسائر رجال الإصلاح الديني . وقد قرأت في البلاغ العليوية
 في العدد 15 مراسلة فاسقة جاءتها من قسطنطينة تقول عن "الزاهري" (على سبيل التنقيص
 والخط) : إنه رجل عمل لا يستسلم للقضاء ، وإنه رجل الشجاعة الأدبية ، وليس عنده
 ما عند بعض الصحفيين من حياء الأ Bakar !...

وتقول تلك المراسلة الفاسقة عن "باديس" (على سبيل الخط منه كذلك) : إنه هو
 مؤسس البرق وهو "تأبط شرا" وهو "بيضاوي" وهو "سمهري" وهو "غازي" وهو
 "السلوي" وهو "الفرقد" وهو "حوحو" وهو "العقي" وهو "الزاهري" وهو "العمودي"
 وهو "الميلي" وهو السماء وهو الأرض وهو كل شيء ، وليس في الكون إلا باديس ،
 فهو الكائن في كل مكان والحال في كل موجود ، وهو الذي لا يسكن ساكن إلا بإذنه
 ، ولا يتحرك متحرك في هذا العالم إلا بمشيئته ... إلى آخره إلى آخره .

ولعل هذا الاعتقاد الذي يعتقده العلويون في الإمام الفذ باديس ناشيء عن عقيدة الحلول التي يعتقدونها ، وهي أن الله حال في كل شيء ولا سيما الخلوة العلوية (!!)

وإني أظن العلويين يعتقدون أن الأستاذ الكبير باديس حل حتى قي الشيخ بن عليوة وخش فيه (!!) ولا شك في كونهم يحسبونه إلها . كما يحسبون أن كل شيء إلها .

هذا موطن من موطن الدفاع ، وهذا رأيي اليوم فيه ، فهل يعجبك يا سمهري ؟ أم لا ترضى مني إلا أن أجد في هذا الموطن جدا مرا . وعلى كل حال فإني أجبتك بما رأيته ، فليجبك "بيضاوي" بما يراه .

وفد الشعراء يزور : طولقة - فرفار - البرج - 1 -

في اليوم التاسع من شهر أفريل 1927 م ، على الساعة الثالثة مساء ، ركبنا من بسكرة سيارة الأستاذ الفذ الشاعر المبدع والكاتب الكبير الشيخ الأمين العمودي ، وكنا أربعة : الأستاذ العمودي ، والزعيم السلفي الداعية إلى الله وحده الأستاذ الكبير الشيخ الطيب العقبي ، وشاعر الشباب صاحب الروح النظيفة الشاب السيد محمد العيد حم علي ، وكاتب هذه الأسطر وسائق السيارة . وكان هذا الوفد تحت إشراف الأستاذ العمودي . سافرنا في ساعة هائجة ، وفي يوم عبوس غضبان ، فما كنا نميز بين وجه السماء وبين وجه الأرض من شدة الغبار الثائر ، وكأن الطبيعة لم تري في هذا الوفد غير مهموم ، ولا فيه من يستلذ طعم الحياة ، فغضبت تقديرا لعواطف هؤلاء القوم في هذا اليوم ، على أننا كنا في تلك الساعة في غبطة وانسراح ، وفي أحاديث كلها في الأدب ، في رواية الشعر وارتجاله ، فما شعرنا بأنفسنا كيف قطعنا الطريق ، ولا عرفنا كيف وصلنا إلى طولقة .

وصلنا إلى طولقة على الساعة الخامسة فلبثنا بها مدة قليلة ، شربنا فيها الشاهي بجانوت الشاب السيد حشاني كباس في جماعة من الفضلاء الأعيان ، مثل الشيخ القاضي والسيد أحمد بن علي ... ومن هنا بدأ السيد الإمام الشيخ الطيب العقبي يدعو إلى الله ورسوله (ص) ، فانحنى بالتعنيف المر على من يزعمون أن سيدي خالد نبي هذه الأمة وشفيعها يوم لا تنفع شفاعة الشافعين ، ويزعمون أن الله على الناس أن يحجوا قبر سيدي

خالد " من استطاع إليه سبيلا " فشرعوا لهذا الحج مناسك خاصة وتلبية غير تلبية الحج الإسلامي ، وميقات هذا الحج اليوم السابع والعشرون من رمضان المعظم ، وفي الأخير أجمع الحاضرون - بعد البحث العلمي - على أنه لا وجود لقبر خالد بن سنان بهذه الأرض وليس هذا الموجود إلا أثرا من الزمان ، وأنه كانت ثمة مدينه رومانية تسمى نوبي ، ومازالت آثارها إلى الآن ، والعامه يسمونها (بلاد الجاهلية) وكلمة نوبي قريبة من كلمة نبي .

ثم مشينا إلى فرفار لنحضر الزفاف الذي جئنا من أجله : زفاف المصونة شقيقة الأستاذ الشيخ محمد خير الدين إلى حضرة الشيخ السيد بلقاسم المومني (الغسيري أو البسكري) فبتنا هناك ليلة ساهرة حتى مطلع الفجر ، وأعذب ما كان في هذه الليلة المباركة الأدبية بين هؤلاء الأدباء والإجازة الشعرية ، فما ارتجل أحدنا بيتا إلا وأجازه الآخرون . وقد بدأنا العقبي في تلك الليلة بارتجاله وبأراجيزه التي جعلتنا نحسبه أبا النجم أو رؤية بن العجاج ، أو العجاج أو غير هؤلاء من فحول الأراجيز . وقد غلب النعاس على الأستاذ العمودي آخر الليل من وعك ألم به ، فأراد أن يسترجع راحته بالنوم وأبى عليه القوم ذلك فقلت :

دعوا الأمين وما يلقاه من وعك فليس يرغب في لهو ولا ضحك .

فأجازه كل من العقبي ومحمد العيد ببيت يهجو به الأمين لكيلا يرقد ، فهجاه وهجا ليلتنا بقوله :

وإن شعركم هذا لكثرتة قد صار يشبه نثر " ... " المالكي .

وفي الحق كان أطفنا هجاء وأطرفنا تنكيتا ، وقد تبارينا في مواضيع جمّة : في تهنئة العروضين ، وفي هجاء بعض المردة المشركين ، وفي تصوير بعض عادات الناس في هذه الجهة ، فقد قيل لنا إن القوم يذبحون لكل عين " عتروسا " من المعز بزعم أن العين لا تنبع إلا إذا ذبحوا لها ، فقلت في ذلك :

لا تنبع العين في الزيبان جارية إلا إذا ذبحوا للعين " عتروسا " .

فأجازه شاعر الشباب على البديهة بقوله :

ماذا جنى وهو بهم غير مقترف ذنبا فحكمتوا في حلقه موسى .
وأجازه أيضا كل من العمودي والعقي ولكني نسيت الآن بيتهما .^{1***}

يا أعداء الشباب .

قد اتفق المؤمنون جماعة المصلحين على أن يلقوا الشيخ العقبي الأستاذ الإمام ،
وعلى أن يلقبوا الكاتب الحربي السيد حوحو بلقب فاتح ، ولكن حوحو اختار أن يجعل
هذا اللقب هو اسمه الشخصي عوض اسم العزوزي ، فأحب أن يكون اسمه هكذا : "
محمد فاتح حوحو" فأمضى المصلحون على ذلك ووافقوا عليه .

ولقد قرأ المصلحون مقال "إلى الأمام .." الذي بدأ فيه الهجوم "الأستاذ الإمام"
العقبي على جماعة الخرافيين ، فأيقنوا أنهم قد أصابوا شاكلة الصواب في اختيار العقبي
للهجوم ، وقرأوا مقال سمهري في العدد السادس من البرق ، فتحققوا أنه رجل الدفاع
وأنه رب اليراع ، وقرأوا مقاليتين اثنتين لـ "تأبط شرا" في العدد السابع من البرق ،
فعلموا أنه لا قبل لأشرار الطرقيين وصعاليكهم بما عند هذا الكاتب "تأبط شرا" من شدة
وقسوة على أولئك الذين يظلمون وهم الظالمون ، ويفسقون البررة الأطهار من المؤمنين
وهم الفاسقون ، ويتهمون الشباب الناهض بالفجور ، وليس أخبث في الدنيا وأفجر من
أولئك الذين لم تحمل بهم أمهاتهم إلا من خفايا الزوايا (!!) أو منعطفات الطرق (!!)
وقرأ الناس ذلك كله كما قرأ المصلحون ، فكانوا فريقين : فريقا هداه الله وشرح صدره
بالإيمان ، وفريقا بقي مزعزعا مضطربا في أوهامه وضلالاته ، ولكنه يدنو رويدا رويدا
من جماعة المصلحين وهو - وإن كان الآن حائرا في أمره - فلا شك أنه لا يلبث أن
يهتدي إلى رشدده ، ويرجع إلى صوابه ، فيتبع سبيل المؤمنين غدا أو بعد غد ، ما في ذلك
شك وليس عنه من محيص .

وهناك "قوم يلبسون الحق بالباطل والهدى بالضلال ، يحسبون أنهم على شيء ،
وأن الناس مازالوا يقيمون وزنا للساارقين الدجالين ، وما دروا أنهم يعومون في أضغاث

¹ - محمد السعيد الزاهري . وفد الشعراء يزور : طولقة - فرفار - البرج - 1 - البرق عدد 8. الاثنين 23 شوال 1345هـ الموافق لـ 25 أبريل 1927 م . ص 1 .

أحلامهم اللذيذة ، واستأهم مكشوفة ، وعوراهم عريانة (!!) ، يحلمون أنهم سينتصرون بسببهم وأضاليلهم على دعاة الله المرشدين ، الذين يألمون في سبيل الدعوة والإرشاد كما يألم الطريقون ، ويرجون من الله ما لا يرجوه أولوا الشرك والخرافات .

يا أعداء الشباب ويا أهل الخرافات ، توبوا إلى الله خير لكم ، ولا تقفوا في وجه الشباب الناهض تصدون الناس عن سبيل الله - وإن تفعلوا .. فاتقوا النار التي وقودها أعراضكم المدنسة ، وأفعالكم الخبيثة ، تأكل خرافاتكم أكلا لما . فاتقوا الله في أنفسكم ، واتقوا الشرف فيما تكتبون ، واتقوا الحق فيما تعتقدون ، فإن الشباب لكم بالمرصاد .
1***

وفد الشعراء يزور : طولقة ، فرفار ، البرج - 2 -

وظللنا هناك عند الشيخ خير الدين ذلك النهار وبتنا عنده الليلة الأخرى فحضرنا العقد ضحوة ذلك اليوم ، وحضره جماعة كثيرة من أعيان طولقة والبرج و(لشانه) ، وأما (فرفار) فقد حضرت كلها ، أعيانا وغير أعيان ، وبعد الفراغ من مأدبة الغذاء شرع الأستاذ الإمام الشيخ الطيب العقبي يدعو الناس إلى النجاة ويهديهم إلى سبيل الرشاد ، ويجاهد الذين يجعلون لله أندادا ويدعون من دون الله آلهة كثيرة بالقرآن جهادا كبيرا ، ومضى العقبي في هذا الموضوع ، وتغلغل فيه بشدة كأنه التيار الجارف الذي جرف طرق القوم وخرافاتهم ، وكأنه إعصار فيه نار تأكل ضلالات المشركين أكلا لما ، فلم يبق في مجلسه ذلك أحد إلا خضع لكتاب الله وسلم لله ورسوله تسليما ، ولم يخرجوا من هنالك حتى عادوا لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضى الله ورسوله ، وقد دعاه سكان فرفار أن يقرئهم درسا دينيا فأجابهم لذلك ، وقضى في هذا الدرس يهدي إلى الله أكثر من ساعتين .

وكانت ليلتنا هذه كليتنا البارحة في مباراة شعرية وفي أحاديث أدبية ، فلما كان الغد مشينا إلى البرج ، فترلنا في ضيافة الشيخ علي بن عمارة ، فظللنا عنده عامة يومنا . وقد أقرأ الأستاذ الطيب العقبي بعد صلاة العصر درسا هائلا حضره أهل البلاد كافة ،

¹ - جساس يا أعداء الشباب البرق عدد 8 . الاثنين 23 شوال 1345 هـ . الموافق لـ 25 أبريل 1927 م . ص 2 .

ولقد فتحنا بذلك فتحا مبينا فأصبح الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، وإن كانوا قبل ذلك من المسلمين .

ثم رجعنا إلى فرفار ، فبتنا بها عند الشيخ بن محبوب آخر ليلة بقيناها خارج بسكرة ، ثم مشينا الغد إلى طولقة ، دعانا للغداء الشاب السيد عبد القادر بن الأخضر عدل المحكمة ، هنالكم اجتمعنا في داره بشيخ طولقة الإداري ، وبنفر آخرين من الأعيان ، فلم نر فيهم إلا من يهزأ بالخرافات ، ويسخر من الطريقين ، ومما يعبدون من دون الله . وقد بلغنا أن شيخ طولقة هذا هو الذي يسعى بكل ما في استطاعه في إبطال المواسم التي يقيمها العامة للقبور ، فأصدرت إدارة التراب العسكري نهيا عاما ينهى عن مواسم الطريقين ، وخصوصا الموسم الذي يقام على ضريح الأخضر ، والذي يقام على ضريح سيدي خالد ، لما فيهما من المنكرات والبدع في اختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك .

ثم ركبنا عند الزوال بقطار بسكرة ، وشايعنا إلى محطة (ليشانة) حضرات الأساتذة السادة محمد خير الدين بن عمارة ، بلقاسم الميموني ، وكان الشيخ السعدوني ركب وتبوأ مقعده قبلنا ، ولم أكن رأيته قبل اليوم ، فتفضل خير الدين بتعريف كل منا إلى الآخر ، فتهادينا تحية التعارف وقد حياه الجماعة قبلي ، وسبقوه بالسلام عليه ، وما كدنا نتبوأ مقاعدنا حتى أخرج سيدي علي بن عمارة العدد السادس من جريدة البرق ، وكلفني أن أقرأه أنا بالجهر على القوم وهم يسمعون ، فقرأت أكثر ، وقرأ هو ما بقي كذلك . ثم دعونا في محطة (ليشانة) ، ولم يتكلم الشيخ السعدوني في أثناء هذه المدة بكلمة ، مع أننا جميعا نكلمه ونقبل عليه بكل أدب ، ورأينا على ملامح وجهه انقباض من لا يحب أن يسمع بالشباب ، ولكننا تغاضينا عن كل ذلك ، وجعلنا نتباحث معه في حركة الإصلاح وفي المصلحين ، وفي أعداء الإصلاح المفسدين ، فاعترف بأنه قال : الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله (ص) ضلال مبين ، وشقاوة وخسارة سرمدية ... اليوم وقبل اليوم ... وقال إنه لا يزال مصرا على هذا القول ، وأنه سيتمادى على هذا الرأي يدعو الناس أن ينبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وأن لا يرجعوا إليه ولا إلى سنة

رسوله (ص) ، وقد بين لنا مراده بتأويل ، لم نستطيع أن نفهمه ، وقد هجم عليه العقبي هجوم الحق على الباطل ، فتركه حائرا مبهتا ، وكان هذا الموقف الذي وقفه الأستاذ العقبي موقف جد ، موقف صراحة ، موقف من لا يخاف في الله لومة لائم ، موقف من يجاهد الخرافيين بالقرآن جهادا كبيرا بتلك الفصاحة العربية التي لم تكن لغير العقبي ، فإنه أحاط بالسعدوني من كل جانب يحتج بالقرآن ، ولم يكن للسعدوني من حجة إلا ما يلجأ إليه الأوباش ، والقذف ، ورمي الشبهة بالفسوق ، مع أنه لم يعرف أحدا منهم ، وأخيرا عجز عن كل شيء ، واعترف بأنه لا يستطيع أن ينتصر علينا بلسانه ولكنه سيكتب في الجرائد ، فقر القرار على هذا ، وقد قرعه العقبي على طعنه في ابن تيمية ، والأستاذ محمد عبده تقريرا حلوا ومرا . وكان هذا اليوم نائرا عجاجة ، شديدا غضبه ، مكفهرها وجهه ، وكان كذلك يوما عصيبا على الشيخ السعدوني الذي كان يستنجد بي ولكن .

المستجير بعمره بكرته كالمستجير من الرمضاء بالنار .

وقد شفني حال الشيخ ورثيت له ، فلم أعتذر عنه بعد ذلك إلا بأنه رجل يقول ما يعتقد ، ويعتقد اعتقادا من لا تتم ملكتهم في العلم والعقل .^{1***}

إلى النديم التونسي .

رأينا بعدد 305 من النديم التونسي أسطرا محشوة فحشا ، لا يقوله ولا يكتبه إلا سافل الأخلاق ، منحط التربية مثل الجزيري . أقذع صاحب النديم في مقاله الذي عني به محرر مقالات " التفرنج الآثم " إقذاعا يترفع عنه خريجو مدرسة البحيرة .. فضلا عن صحفي .. لا لسبب غير أن محرر " التفرنج .. " قال إن بعض الفتيات التونسيات المتعللمات ينفرن من الزي الأهلي ، وينفرن غيرهن بأناشيد يغنيها ويغنيها لهن أشباه الرجال ..

ولم يكن في حسابنا أنه ينكر هذا ، ويا ليتة إن أنكر كتب إنكاره كما يحب ، ولكنه جعل يمن على الكاتب بفتات الموائد¹ ، ومزاحمة الدجاج والقطط ، ويتعجب

¹ - الزاهري " وفد الشعراء يزور : طولقة ، فرفار ، البرج - 2 - " البرق عدد 9 . الاثنين 30 شوال 1345هـ . الموافق لـ 02 ماي 1927 م ص 1

كيف ساغ له بعد هذا الإكرام التونسي .. أن يكتب عن التونسيات ويحذرهن من عواقب التعلم الإفرنجي البحت العقيم النتائج .

ارجع إلى عقلك يا صاحب النديم ، واطرح ثوب الإعراض ، لترى أن هذا الكاتب لم يكتب عشر معشار ما كتبه أنت وغيرك من الصحفيين عن التونسيات وأدوارهن ..؟ ولئن غرك سكوت أبناء تونس عنك احتقارا أو خوفا منك ، فإن الجزائريين لا يسكتون ، خصوصا على الذي يأتي بالكذب الحبريت ، والافتراء الحبريت .

أما دعواك أن الأناشيد التي ذكرها المحرر هي من وضع العميان ، فذلك مما لا ننكره عليك ، لأننا نعلم أن تونس لم ترزق مغنيين فنيين ، ولكننا نحقق لك أننا وسمعنا الفتيات ينشدونها بحماس .

وإن رأيت إلا لجاجا ، فما عليك إلا أن تؤمم مسرح البساج ، لترى وتسمع ، وهل ما في المسرح إلا مظهر من مظاهر إحساس الأمة ؟ وهل عندكم بتونس غير مسرح البصاج ؟

ولولا أني أحترم إخواني التونسيين لناقشتك الحساب فيما تتغنى به من العفاف الذي خدشته مرارا بورقتك ، وما حديثك عن "العوادات" التي تقام وسط الديار بمحضر العفيفات حتى في ديار العلماء منا ببعيد .

ألم تنكر هذا ؟

ألم تحل لنفسك ما تحرمه على غيرك ؟ . الحقيقة في نهج الحقيقة يا صاحب النديم .. ولا يختلفن بخلدك أنا لم نكتب كتابة شخصية لأنا حتى ما هو أبعد من ذانك .. ومن يستطيع إسكات وقح مثلك غير فاتك .^{2***}

الجامع .

باريس 21 أفريل 1927م

¹ - ما سمعنا في تونس موائد ذات فتات حتى يلتقطه محرر مقالات التفرنج الآثم الذي كان يقوت خالة للنديم وأولادا لها .. ولا سمعنا عن أبناء الجزائر المتعلمين هنالك بتونس إلا أن أكثرهم يقوتون كثيرا من فقراء وفقيرات تلك البلاد في مقابلة الطبخ والغسل وما إلى ذلك مثل خالة النديم التي كانت في كفالة محرر مقالات "التفرنج"

² - بقلم الكاتب الفاتك الأستاذ "فاتك" إلى النديم التونسي "البرق عدد 11. الاثنين 12 ذي القعدة 1345هـ. الموافق لـ 16 ماي 1927 م ص1/2 .

باريس أم العواصم الأوروبية ، ومدينة النور ، جمعت من مرافق الحياة وملذات الحياة ، وملذات النعيم ، ما تفرق في مدن الأرض ، ففيها ما تشتهيهِ الأنفس ، وما تلذ الأعين ، فعاد الناس يؤمونها مثلما يؤم المسلمون البيت الحرام ، ولم يكن ينقصها شيء من أشياء الحياة إلا جامع إسلامي يتفرج عليه السواحون ، ويتتزه فيه من لا يعرف دين الإسلام ، فبني في باريس هذا الجامع الجميل ، ذو المنظر البهيج ، ولا أقول إنه هو مسجد الضرار فقط ، بل هو أشد على المسلمين ، وأضر على الإسلام من مسجد الضرار . بني جامع باريس أرسادا لمن حارب الله ورسوله كما بني مسجد الضرار ، وبني لإظهار الإسلام في صورة دين الشهوات ، وفساد الأخلاق ، فلم يكن جامع باريس إلا ملعبا للقمار ، ومسرحا للفجار من السائحين ، تؤتى فيه المنكرات كما تؤتى في أرذل ماخور ، يؤمه السواحون ومرادهم أن يتعرفوا ، أي أولئك الأندال الأراذل ممن يحسبون أنهم مسلمون وما هم بمسلمين . من كل منحط التربية سافل الأخلاق ، ماله في الإسلام من خلاق ، والسواحون يحسبونهم هم المسلمين لأنهم يطفئون لهم نار الله الموقدة (!) .

وسأفصل لكم ما يجري في هذا الجامع في رسالة أخرى إن شاء الله .^{1***}

إكرام في محله من أجل المستقبل والتاريخ .

كانت ليلة الجمعة 10 ماي ، ليلة زاهرة ، ساهرة بوفود الأستاذ مبارك الملي .
آب من جهاده العلمي بعد أن عانى في سبيل ذلك من المتاعب ، شأن عظيم تجاه
العظماء .

جاء من بلد الأغواط التي اشتهر أهلها باللطف والذكاء ، والإقبال على العلم ،
وكل ما تنتج إنتاجا حسنا لهم ولمن بعدهم في هذه الحياة من أبنائهم وبني وطنهم جميعا .

¹ - مكاتب البرق الخاص . " الجامع " البرق عدد 11 . الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق لـ 16 ماي 1927 م . ص 2 .

العهد والأمانة هما اللذان حملاه مشقة السفر ، فأقبل يحمل بين جنبيه مودة الأمين وصدق الحميم .

رب سائل يسأل ماذا ترك وراءه وأي إنتاج أنتجه في جهاده العلمي ؟
للسائل أن يسأل وما علينا إلا أن نخيله على تلك النخبة التي تركها وراءه منشوحة الصدر ، باسمه الثغر بما غرس في ضمائر أفرادها من العلم الصحيح ، وبما نفخ فيها من روحه الحية الوثابة ، وهاك ما قاله أحد الذين لزموا الأغواط أمدا ، زاعمين التعليم لم تثمر أعمالهم شيئا وقد رآها في الدورين الأخيرين : دور الأستاذ الشيخ السعيد الزاهري ، والأستاذ مبارك الملي " ما كنت أظن بالأغواط أن تخطو هذه الخطوة الواسعة في هاته المدة الأخيرة " ، وفاته ما للزاهري من البراعة في معرفة أساليب التعليم ، وما للميلي من الروح الساحرة والتعليم الصحيح .

حظينا بعزیزنا الملي ، ومراعاة لما قام به رأيت نخبة من الشبيبة الناهضة بقسنطينة أن تحتفل به وتعطيه حقه من التكريم والتبجيل .

جاء ميعاد الحفلة ، فأقبل الناس أفواجا كأنهم إلى نصب يوفضون ، فكانت الساعة الثامنة ، واللييلة المذكورة آنفا ، وكانت الحفلة جلالا وجمالا .

أدباء ، علماء ، صحفيون ، تجار ، أناس مختلفو المناهج في الحياة ، متفقون غاية ومنهجاً ومبدءاً.

ترأس الحفلة الأديب السيد محمد الهادي الزاهري ، فافتتحها بخطاب حسن ، ثم تبارى بعده على هذا المنوال الأديب السيد السعيد بن حافظ ، الشيخ محمد بن خير الدين الفرغاري . الأديب مصطفى المستغانمي . الأديب الفاضل عبد الحفيظ الجنان . الشاب الناشط محي الدين دردور . وكلما قام منهم خطيب قوبل بالتصفيق والتهاف الشديد ، وأخيرا ألقى الأديب الزاهري خطابا مملوءا جدة وابتكارا . ولئن كان الشعر هو العواطف والخيال السامي ، فإن الزاهري في خطابه أشبه بشاعر منه بخطيب .

وأخيرا اقترحت النخبة على الأستاذ أن يهدهم من حقائق علمه ما هي في حاجة حاجة إليها من أمثاله ، فأملى على الجمهور المزدحم ما ارتاحت له النفوس ، ووهبت له الأرواح .

وفي أولويات القوم نهض الحازم السيد عبد المجيد الرحموني " مدير جريدة البرق " وأخذ صورة الحفلة وهو عازم على أن يضمها إلى زينة البرق الأغر .
وأخيرا أديرت أطباق الحلواء على الحاضرين ، وخرج الجميع ألسنتهم لاهجة بذكر الشيبية ، معجبة بسعة علم الأستاذ الوافد على الرحب والسعة .^{1***}

أحمد سكيرج !

سكيرج يا سكيرج تهجو شيبية " كجرو الكلب حين يفور "
سكيرج ، امسك عن حوارك برهة فما أنت إلا في الحقيقة ثور
استغفر الله ، بل أنت صاحب الجلالة ، وأية جلالة ؟ إن الجلالة لا تكون لغير الملوك ، فهل أنت ملك حتى سمتك "البلاغ العليوي " بصاحب الجلالة ؟ ملكا أنت طبعا تحسب نفسك صاحب جلالة ؛ ولكن لا ندري جلالتك من أي نوع هي ؛ باطنية أم ظاهرية ؟ والظاهر أنها باطنية ؛ وأنت ملك حكومة السر الباطنية ؛ وأنت صاحب العزة والجلالة في عالم الغيب ، ولهذا زعمت أنك قادر على تحجير (البرق) الذي خطف بصرك وأعشى عينيك ، قادر على تحجير البرق ؟ ما شاء الله كان . عفوا يا جلالة الملك سكيرج ! سبحانك يا سكيرج ! يا ذا الجلال والإكرام استغفرك وأتوب إليك ، يا غافر الذنب (!!) ويا قابل التوب ، يا سكيرج لا إله إلا أنت ، يا سكيرج سبحانك ، إني كنت من الظالمين . لا تعطل جريدة البرق ، ولا تصدر فيها إرادتك السنية يا صاحب العزة والجلالة يا سكيرج . اللهم يا سكيرج ، يا لطيف ألطف بعبدك الضعيف ، أترك له جريدته لا تعطلها ، لا تعطلها يا سكيرج ، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين ، يا سكيرج ، سألتك بالخلوة العليوية ، وما فيها من الفيوضات ، أن تغفو عن صاحب البرق ، وتصفح عنه فإنك أنت الغفور !!

¹ خادم الوطن . " إكرام في محله " البرق عدد 12 ، الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق لـ 23 ماي 1927 م . ص 2 .

كذبت يا سكيرج ؛ لست بـإله ، ولا تملك ، ولا بذى الجلالة ، وليس لك من الأمر شيء حتى تعطل البرق . فإن قدرت أن تعطل البرق ولم تفعل فأنت جبان ، كذاب أشر ، أقض ما أنت قاض يا سكيرج .

أعدك وعد صحفي شريف لا يرجع عن قوله ، لا قاض خسيس يدور مع الرشوة حيثما دارت : أنا نرد على كل مشترك في البرق ثمن اشتراكه المدفوع إذا أنت عطلت جريدة "البرق" ، ونزידك أننا نعوضها بالصاعقة والرعد إذا أنت قدرت أن تحجر "البرق" ، أشك يا سكيرج ، وارفع ضدنا دعوى شرعية ، ونحن مستعدون لأن ندفع لك أجرة المحامي وسائر المصاريف الأولية .

هل أنت سكيرج قاضي الجديدة حقاً ؟ وهل أنت سكيرج التجاني خادم الحضرة الأحمدية التجانية حقاً ؟ وهل أنت الذي ألفت في الطريقة التجانية كتباً كثيرة ، وأقررت فيها منع الشيخ التيجاني لزيارة الأولياء ؟ فإن كنت فما بالك عدت عليوياً ؟ وعدت تمدح العليوي بأكثر مما مدحت التيجاني . ما لك يا سكيرج تؤيد العليوي الذي جاء لينسخ الشيخ التجاني ؟ إن كان التجاني رأى النبي يقظة فإن العليوي - عز وجل - هو الله كما قال :

فتشت عليك يا الله لقيت روحي أنا الله .

ولكنك يا سكيرج تبصص لكل من تظنه يرمي بعظم "تكده" . ارجع إلى نفسك يا سكيرج وانها عن غيها . وعلى كل حال فإننا نرد عليك صوابك طوعاً أو كرهاً ، ونعرفك من أنت ، وما هي قيمتك ؟ . وسنبداً أولاً بإجابتك كما سودته يدك الأثيمة في العدد 20 من البلاغ ، ثم نقتفي آثارك حتى نسد فاك وأنفك راغم .^{1***}

آلان ؟ ...

لو كتبت يا حضرة السيد أحمد المديني قبل اليوم إلى ابن خالتك (!) صاحب النديم كلمتك التي كتبتها إلى كتبة البرق اليوم ، لقلنا إنك رجل لا تحب أن تتدخل في الفتن

¹ - تأبط شرا "أحمد اسكيرج" البرق عدد 12 . الاثنين 19 ذي القعدة 1345هـ الموافق لـ 23 ماي 1927م . ص 2 .

الداخلية (!) أو الخارجية . ولكنك لم تفعل إلا بعدما رأيت ابن خالتك (!) بدأ يذيقه البرق جزاء الظالمين . فلم يبق عندنا شك أنك جئت لتعين المحرم على جريمته . ولتعين الظالم على ظلمه . ولتنقذ ابن خالتك من الهوة السحيقة التي كبه فيها لسانه الفاجر ، وقلمه الآثم . لو نهيت ابن خالتك (!) قبل اليوم قبل عن الوقوع في أعراض المؤمنين والمؤمنات ، لما رأيت اليوم مهتوك العرض ، مكسور الجناح ، ولما احتجت أن تقول لنا ما قلته اليوم .

إنك تعلم - يا أحمد المدني - أن صاحب "النديم" بدأ - ظلما وعدوانا - يمس شرف محرر مقالات "التفرنج الآثم" ويسخر به . بمناسبة وبلا مناسبة ، منذ أكثر من ست سنوات ، كنت تعلم ذلك كله ، وتسمعه وتراه ، ولم تكن نهيته عن ذلك ، بل كنت تضحك كثيرا من تمزيق ابن خالتك للأعراض البريئة ، والشخصيات المصونة . ولما حاربنا ابن خالتك بمثل سلاحه ، وكلمناه بلغته التي يفهمها وتعلمناها عنه ، وأخذناه أخذة رابية ، جئت أنت تدافع عنه وتنتصر له ، وقد كنا نربأ بك أن نراك تحامي عن الرذيلة ، وتغضب للدناءة ، وتنتصر للتفرنج الآثم ، والمدنية الفاجرة ، ولكن هل أنت إلا ابن خالة صاحب "النديم" ، وشريكه في السراء والضراء ؟ وإلا فلماذا تبيع للنديم ما لا تبيع لغيره ؟ يعجبك كل ما في نديم الرذائل والمخازي ، وتفرح بهجومه على كرامة السادة الأماجد ، فإذا أجيب بما يفهم ، وكما يدين الفتى يدان ، أخذتك الحمية وغضبت له ، فهل كان النديم من أهل الخصوصية ؟؟ يسب الناس ولا يسبونه ، ويهتك أعراض الناس ولا يهتكون عرضه ، ولا يستبيحون دمه ! ، أجبن يا حضرة السيد أحمد المدني ، وما أظنك إلا أن تكابر - وما علي إذا كابرت ؟ إنك قريب صاحب النديم - أنت له وهو لك ، ربيما تربية واحدة ، وتخلقتما بأخلاق واحدة ، فتلك الرذائل التي يملأ بها النديم في كل وقت ، وحين لا تراها أنت إلا فضيلة وكرامة لأنك تعودت على ذلك ، ولا يستطيع الإنسان أن يرى الرذيلة التي تعودها رذيلة ، ولكن يراها فضيلة مقدسة (!) .

لقد كان يجتمع بك في العاصمة محرر مقالات "التفرنج الآثم" فذكرت ما النديم ، وما يكتبه دائما من الهزؤ بهذا الكاتب ، فقال لك إني الآن أعزل لا صحيفة لي ، فليسخر مني النديم ما شاء ، فإن قدر لي أن تكون لي يد في صحيفة دافعت عن شرفي ، وذدت عن حماي بما أراه ، فلم يكن منك إلا أن قلت : " سأكتب للنديم أن يترك سبيلك " قلت هذه الكلمة في شيء من الهزؤ وعدم الاكتراث .

شاء الله أن تكون له يد في صحيفة " البرق " الحرة التي رحبت بها "النديم" من قبل أن تعلم أن محررها هو صاحب مقالات "التفرنج الآثم" الذي كنت تهجم على كرامته بغير حق ، ثم لما عرفت - وصاحب النديم غير شريف - انقلبت شر منقلب فكُتبت - ظلما - بلا مناسبة وبلا سبب عن محرر "التفرنج ... " كلاما فاحشا يتدفق حقدا وضغينة . فسكتنا عنها رجاء أن يرجع إلى النديم صوابه ، فيعرف أنه ظالم متعدي ، غير شريف يسب اليوم محرر البرق الذي رحب به أمس لمجرد غرض شخصي ، ورجونا أيضا أن يعرف النديم أن صاحبه الذي كان بالأمس أعزل أصبح اليوم يملك قلما يقدر أن يكتب عن النديم بما يصيب من دوات (!) النديم ، ولكن صاحب النديم مخلوق أحق لئيم لا يقبل إلا اليد التي تصفعه (!) فصفعناه بعدما أصدرنا عدددين من "البرق" بعد ذلك تلوما واعدارا لم نذكر عنه شيئا فيهما ، ولم يسكت النديم في مدة التلوم والاعدار ، بل سبنا مرة ثانية ، وقذفنا بالفجور والدعارة ، فلم يسعنا بعد هذه الإهانة كلها ، وهذا السب كله الذين وجههما نحونا إلا أن فتحنا باب النشر للكتاب الأحرار الجزائريين الذين غضبوا لشرفهم الذي لوته النديم في شخص أديب منهم يعتبرونه إماما من أئمة الأدب الجزائري .

أراد النديم أن يتهجم على سائر أدباء الجزائر ولكن بحذقة الصحفي (!) جعل ذلك في قالب مسألة شخصية ، فسب محرر البرق بما يصدق على سائر أبناء الجزائر الذين تعلموا في تونس ، فتنبه له أبناء الجزائر فقاموا له هذه القومة التي تنم عن رابطة متينة وأخوة تامة بين أبناء هذه البلاد .

وسواء تهجم النديم على عموم أدبائنا أم على خصوص محرر البرق ، فإنهم يحسبونه ظالما لهم جميعا ، والظلم أحق بالحمل عليه .

ما تقول يا حضرة السيد أحمد المدني ؟ هل تبرر تهجم النديم على رجل بريء ليس بينه وبين النديم أية علاقة ، ولا أية معرفة ، ولا أية عداوة شخصية ، فكيف وهما لم يتعارفا قط ؟

أظنك لا ترضى بهذا الظلم المبين إن كنت من الذين يعقلون . فلماذا لم تنتصر للكرامة التي مسها النديم بسوء ، إن كنت ممن ينتصرون للكرامة ، ويغارون على الفضيلة ، ويغضبون للشرف ، ولكن أنى لك ذلك ، وأنت ترى بيد النديم الفضل والشهامة ، والأدب والاستقامة والغيرة على الدين وعلى الأخلاق ... فأنت ترى اعتدائه أيضا على الأعراض البريئة من الفضل والأدب والاستقامة والغيرة على الدين ، وعلى الوطن والشرف (!) . لم تنصف يا حضرة السيد المدني ، ولم تتكلم إلا بعصبية عمياء . إن الرجل السليط الذي يعيش في أعراض المؤمنين مثل صاحب النديم ينبغي أن ينال حظه من الوقوع في عرضه ، وأن يجازى جزاء وفاقا " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ... " إننا لم نكتب عن النديم ما كتبنا ، إلا بعدما اعتدى علينا أكثر من ثلاثمائة مرة ، وقد استعملنا معه كل وسيلة ظنناها تسد فاه ، فما صنعنا شيئا ، لأن اللئيم يغرر السكوت ، ويهيجه الإعراض عنه ، فلم نجد بدا من الانتصار لشرفنا " ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل " ، فهل تحسب يا حضرة المدني هذا الاعتداء اعتداء منا على صاحب النديم ؟ إنه ابن خالتك قبل كل شيء ، فأنت شريكه فيما له من الفضل والأدب والاستقامة والغيرة على الدين والوطن والشرف ، وبلا ريب أنك تحسب ظلمه واعتدائه علينا من الفضل والأدب والاستقامة والغيرة على الدين ... إننا ليست بنا من حاجة أن نحملك مسؤولية ظلم ابن خالتك واعتدائه ، فإن في كلمتك التي وجهتها إلى كتاب " البرق " من التبعة والمسؤولية ما لا يشتد به كاهلك ولا تستطيع أن تنهض به .

وجهت كلمتك إلى كتاب البرق وأنت تزعم أنك تذود عن العفيفات ، وتحمي
عن ربات الخدور ، ولسنا ندري من هن هؤلاء العفيفات ، ومن هن ربات الخدور
اللاتي قمت تذود عن عفافهن ، وتغار على حماهن ، وتزعم أن البرق لم يصن لهن حرمة
، فهل هن أولئك اللاتي تفرجن وعفن العفاف ، وتركن الخدور ، وخرجن يركضن
وراء الشهوات والمخزيات يقضين نهارهن في مقابلة الغادين والرائحين ، ومصافحة
القريب والبعيد ، المحرم وغير المحرم ، يقضين ليلهن في المسارح والمراقص ، متفرجات
تارة وتارة راقصات مع الراقصين ، فإن كان هؤلاء هن العفيفات في نظرك أيها "المدني"
وفي نظر ابن خالتك فقمتهما تدافعان عنهما ، وعن عفافهن (!) وعن خدورهن (!) فإننا
لا نستطيع أن نصدق (إذن) بوجود امرأة غير ذات عفاف ، وغير ذات خدر ، ولا
نستطيع أن ندافع عن هؤلاء المتفرجات المتمدنيات ، لأننا غير متمدنين (!) لقد كان حقا
عليك أن توجه أولا كلمة إلى ابن خالتك صاحب "النديم" الذي كثيرا ما رأيناه يطعن
العفيفات في أعراضهن ويتهجم على ربات الخدور في خدورهن ، تعاتبه وتظهر له
غيرتك على العفاف والشرف والكرامة . ولقد كان حقا عليك أن لا تنام دون أن تتأمر
للشرف المدوس بمنسم النديم والفضيلة المهانة والأعراض المنتهكة ، والحرمان المستباحة ،
ولكنك لم تنفطن إلى ذلك إلا بعدما رأيت ابن خالتك مكبوبا على وجهه ، من سوء ما
كتب ، ومن شر ما قال و ...

ولا أكتمك أيها المدني أننا لم نعاقب ابن خالتك على اعتدائه علينا في هذين
الشهرين فقط ، بل عاقبناه حتى على الاعتداءات التي اعتداها علينا منذ ست سنين .
وبلا شك جاء كلية وافيا على قدر مظالمه وجرائمه ، ولظننا أنه لا يتبعه إلا ذلك المكيال
المستوفي ، ولو أن ابن خالتك كان رجلا شريفا بصيرا لجعل نصب عينيه دائما هذه الآية
" واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " فإن كانت النار التي أوقدناها على
النديم قد أضرت دخالها ببعض جيرانه ، والشدة التي شددناها عليه قد أعمت بغارها بعض
قرنائها فليس علينا من سبيل في ذلك إنما السبيل على النديم ، وعلى الذين يظلمون الناس
... على أنه لم يكن شيء من هذا ، فلم نعد على غير الظالم ، ولم نغز غير عدونا

الأزرق (كرها) فبه وحده أحطنا من كل جانب ، وأذقناه - وسنديقه إن لم ينته - وبال أمره وسوء عاقبته .

إنك لو أردت الانتصار على الفضيلة لنصرتها ، وأنقذتها من تحت حوافر "النديم" الذي داسها دوسا ، ولكنك أجبت داعي العصبية العمياء ، والحمية الجاهلية ، فجئت تركض لتنجد ابن خالتك الذي جوزي بظلمه ، ووقع في شر مسعاه ، وهذه قومية نشكرك عليها ، ولكننا لا نترك كلمتك التي وجهتها إلينا تمر بلا مناقشة ولا جدال .
فإلى العدد القابل إن شاء الله .^{1***}

بيان للناس .

إن لكل شخص كائنا من كان حرمة ينبغي أن تحترم ، وشخصية يجب أن لا تمس كيفما كانت الحال . ومن التهور أن يعتدي كاتب على عرض إنسان يخالفه في الفكرة ، أو لا يتحد معه في عقليته ، ما لم ييادئه خصمه بذلك ، فهناك كان له أن يدفع بالتي هي أحسن في إسكات الخصم ، والتي هي أحسن في قمعه ، والتي هي في رد جماعه . وليس معنى ذلك أن تلبق له ولو في موضع الشدة والعنف ، بل معناه : أن تنصف خصمك ما أنصفك ، وأن تلين ما لان ، وأن تشدد ما اشتد ، وأن تهجوه ما هجأك ، وأن تحاربه ما حاربك ، وأن تجنح للسلم ما جنح لها .

ولو كان معنى التي "هي أحسن" هو خصوص اللين في الحاجة لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه : " اهجم وروح القدس معك " ولو لم يكن من التي هي أحسن لما هجا حسان (ض) امرأة من أعف نساء قريش ، ومن أطهرهن وأزكاهن عرضا ، هي هند امرأة أبي سفيان رئيس جمهورية قريش قبل الإسلام . هجا حسان هذه المرأة الشريفة العفيفة هجاءا مرا فاحشا نكاية من زوجها ، وتمزيقا لعرضها . وهل هنالك هجاء أفحش من قول حسان فيها :

¹ - قلم التحرير . "آلآن" ، البرق عدد 13 . الاثنين 26 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق لـ 30 ماي 1927 م . ص 1

لعن الإله وزوجها معها هند الهنود كثيرة القدر .

وقوله :

وحكى الولائد أنها ولدت ولدا صغيرا كان من العهر .

إلى غير ذلك مما كان يقوله على مرأى من النبي صلى الله عليه وسلم ومسمع .
إننا نعتقد هذا الهجاء هو الدفاع بالتي هي أحسن وأليق في إسكات الخصم المعاند ،
ونعتقد أن حروب النبي صلى الله عليه وسلم هي الدفاع بالتي هي أحسن . وإذا تتبعنا
سيرة النبي (ص) وجدناه لم يدفع تارة باللين وتارة بالشدة والإغلاظ ، وتارة بالحرب و
...

ونحن نجتهد أن نتهدي بهدي الرسول (ص) في دفع خصومنا المعاندين ، بالتي هي
أحسن والتي هي أليق في دفعهم ، ورد جماحهم ، وكسر عنادهم . نقول القول اللين
لغير المعاندين ، ونغلظ في القول على أولئك الذين أفحشوا لنا في القول ، ومسوا
أعراضنا بسوء ، وإننا نتمنى لو لم يكن شيء من مس الأعراض ، ولكن أولياء الله
الصوفية السالكين قد اعتدوا على أعراضنا مرارا ، من غير أن يعلموا أن سباب المسلم
فسوق ، فاضطررنا أن رفعناهم بالتي هي أحسن في كفهم عنا ، ولم نعتقد قط على غير
المعتدي على أعراضنا وديانتنا ، وهذا هو الهدى الذي تهتدي به في القابل إن شاء الله
لأننا عرفنا بالتجربة أن خصومنا لا يفهمون إلا هذه اللغة : لغة السباب والشتيمة ، فهي
لغتهم التي يخاطبوننا بها ، فكم رجل منا مزقوا عرضه ، ولم يخافوا الله فيه ، ولا اتقوا فيه
حياء ولا مروءة ظلما وتعديا . وهذا الأستاذ باديس كم اعتدوا على عرضه ، بغير الحق
بقدر ما يقابلهم به من الحلم والعفو والصفح ، فلم يكتب قط مقالا غير معتدل في
الطريقين ، وهم كانوا على عكس ذلك : شتموه كثيرا حتى أعياهم السب . ولم يبرد
غليلهم المتلهب حسدا فبعثوا إليه "وليا صالحا ذاكرا" ليقضي عليه القضاء الأخير . وهذا
السيد بوشمال الشاب المذهب لم تبدر منه بادرة سوء ضد الطريقين حتى نشرت النجاح
ضده قدرا بجلفاوي ، ونقلته البلاغ العليوي . وهذا شاعر الجزائر الملي محمد السعيد
الزاهري لم يكتب عن الطريقين شيئا سيئا حتى بدأ العليويون يسبون شخصه ، ويغضون

عرضه بقصيدة بامضاء "صالح بن سعيد" مملوءة فحشا وبذاءة ضد الزاهري بالخصوص وضد سائر الشباب بالعموم ، وسبوه وسبوه وسبوه ، ولم يكفهم أن يسبوننا من عند أنفسهم ، بل نقلت البلاغ ما سب به نديم المخازي سيده الزاهري منذ سنين . ونقلت أيضا عن النجاح ما تقيأ به الجلفاوي ضد السيد أحمد بوشمال . وهكذا يسبوننا بكل وجه ، بالتقول والافتراء ، وبالنقل أيضا ثم يزعمون أنهم أولياء الله الصالحون الذاكرون السالكون الزاهدون العابدون السائحون التائبون أهل التسليم . وإذا سبنا لكلمة سوء أحد منهم تناقلتهم أفواه الآخرين وصحفهم . وطيروها بكل فرح وسرور ، كأن الولاية والصلاح وذكر الله والتصوف عندهم هو سب الشباب ، وتقطع أعراضهم لا غير .

لقد رأيت أفاضلهم أكابرهم وسادتهم يمتثلون غبطة وسرورا إذا ما أؤذي أحد منا في عرضه بيد من أيديهم ، إنني لا أشك أنهم يعتقدون أن سباب المسلم غير الخرافي كذكر الله وكالصلاة على النبي (ص) في الأجر والثواب ، فهم يسبوننا بما فينا وفيهم مما لا يخلو منه غير المعصوم ، ويتقولون علينا ما لا يكون حتى في أرذل بشر ، ويعتقدون أن الله سيثيبهم على ذلك في دار الثواب والعقاب ، إنهم يتفاخرون برذيلة السب والشتيمة ، ودليل ذلك أنك لا تقرأ مقالا من مقالاتهم الفاحشة إلا وتجد صاحبه لا يستحي ولا يحتشم أن يضع إمضاءه الصريح تحت ذلك المقال البذيء الفاحش ، وليس كذلك جماعة الشباب ، فإن الكاتب منا يربأ بنفسه ويعف أن يضع إمضاءه الصريح على مقال فيه إقذاء اضطره إلى كتابته الدفاع عن أعراض المؤمنين وعن شرف المصلحين . إننا نحترم الأعراض ونقدسها ، ولكن أعداء الشباب لم يعرفوا حرمة الأعراض حتى يحترموها ، أفنحن ندعوهم إلى القرآن وسنة الرسول (ص) وهم يتكالبون على أعراضنا ولا يعرفون لنا حرمة ، فأعرضنا عنهم مدة " وقل يعظ الكلب إن عض "

فلم تحد علينا ذلك شيئا ، ثم رأينا أن نقطع ألسنتهم عنا ، ما من ذلك من بد ، " وجزاء سيئة سيئة مثلها ... " فكتبنا عن كل واحد منهم مثل ما كتبت يده عنا ، لنذيقهم بعض الذي كتبوا .. وفعلا فإن منهم من زاده سكوتنا تكالبا على أعراضنا ، وظن أنه قد أطفأنا ، وأطفأ حركة لشبابنا ، فلما أرينا الناس عوراه ومخازيه خسأ ، وبقي مذموما

مدحورا . وهذه هي الطريقة التي توفقنا إليها أخيرا في كسر شوكة هؤلاء المعتدين ، هي الطريقة التي هي أحسن على قتل العقارب والحشرات التي تعترضنا في طريق الرقي والنهوض .^{1***}

كلمة إلى السيد أحمد توفيق المدني .

الأديب السيد أحمد توفيق المدني شاب جزائري الأصل تونسي الحمية ، كاتب مفكر في القضية التونسية مقام محمود ، وطني ضيق الوطنية متطرف فيها : لضيق وطنيته ، لم نر له في صحف الجزائر - على طوال إقامته بها - كتاب ومع أنه كاتب مفكر ، ولضيق وطنيته نراه يبدي في تقويمه قلقه من الغربة ، مع أنه بين قوم يقدرون قدره ويكرمون شخصه ولا يمتنون من بعيد . ومن ذا الذي يخفى عليه مغزى شعار تقويم هذه السنة : " العزيمة والثبات " ؟

ولتطرفه في وطنيته نراه يفعل لمجرد ما يمس تونسي دستوري فقط ، ولا يبالي إذا كان ذلك الدستوري الحر يعث بأعراض أصدقائه الجزائريين ، كأن الدستوريين من أهل بدر مغفور لهم سلفا كل ما يجترحون .

ومن أحدث شاهد على ذلك - وهو الباعث على تحرير هذه الأسطر - كلمته في الشهاب عدد 97 إلى كتاب البرق .

حاول هذا الأديب أن يلبس كلمته لباس الدفاع عن الشرف العام ، ويستر على القارئ غرضه الخاص . ولذلك أوجز في الكتابة عملا بالمثل العامي " إذا طال السفر تقطع النفر " .

وقد كان هذا اللباس يكون سابغا لولا تأخر هذه الكلمة إلى حين مناقشة صاحب النديم الدستوري الحر .

أيها الأديب الذي لا يطيع غير صوت الواجب ، والذي يتشرف أن يكون من بين أصدقاء صاحب النديم . أكل إلى ضميرك الطاهر الحكم في قضية مفروضة :

¹ " بيان للناس " البرق عدد 13 ، الاثنين 26 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق لـ 20 ماي 1927 م . ص 2

" يكتب كاتب جزائري يذكر - بحق - إحسان الجزائريين إلى شخصك وإشراكهم لك في موائدهم لا في فتاتها ، ويريد بذلك أن ينقص من علو همتك " .
 كيف يكون موقفك وموقف إخوانك التونسيين مع هذا الكاتب المفروض ؟
 أما موقف الجزائريين فإني لا أشك في أنه يكون شديدا على هذا الكاتب ،
 ويحملون عليه حملة عنيفة لأنهم لا يحبون أن يشوه كرمهم بالمن والأذى . ولكونك تكره
 المناقشة والمجادلة فإني لا أضيف إلى غربتك وحشة المناقشة في اللهجة التي خاطبت بها
 كتاب البرق ، والحملة التي حملتها على الجريدة نفسها .

ولكني أراي مضطرا لإلقاء أسئلة على فضيلتك لم اهتمد إلى حلها :

- 1- كيف تفسر تتبع الجزيري للزاهري منذ كان بتونس ، وتجسسه عليه حتى في
 أبعد النقط عنه ، ونشره لكل نقيصة تبلغه عنه من أعدائه ؟
- 2- هل دعاك صوت الواجب لخطاب النديم بما خاطبت به البرق على تهكمه
 بالشيخ معاوية وغيره من التونسيين والجزائريين ؟
- 3- لم خصصت كتاب البرق في هذه القضية الحاضرة - وهم مدافعون - وأثنت
 على الجزيري المهاجم ، فكأنك أمضيت معه سبه للكتاب الجزائريين ؟
- 4- ما هذا التفوق والامتيار الذي ناله الجزيري في عصر طلب المساواة ونزع
 الامتيازات حتى يترك وشأنه في تنقيص من شاءه والويل كل الويل لمن دافع عن نفسه ؟
 نحن في انتظار ما يمليه عليك صوت الواجب في هذه القضايا . وأملنا وطيد أن
 تحرر كتابتك ثانيا بأسلوب أصرح ونظر أسمى .^{1***}

خدام الغير .

إن كان في الجزائر صاحب غيرة صادقة وشفقة وإنسانية فإنهم يشكرونكم لافتتاح
 أعمدة (البرق) اللامع لإعانة والدي شهيد العسكرية المرحوم مصطفى بن محمد الذي
 مات (قبل أجله) في خدم الدولة . مات هذا الشاب مغصوبا من الحياة ولم يتأسف

¹ - واصل البرق" كلمة إلى توفيق المدني " عدد 13 الاثنين 26 ذي القعدة 1345هـ الموافق لـ 30 ماي 1927 م ، ص 2 .

عليه إلا أهله وذووه . وكما ذكرتم في جريدتكم لم يحضر جنازته إلا إخوانه من البحرية وضباطه ، أما الرسميون ومنهم الأهليون فإنهم ذهبوا إلى جنازة منكوبي مصيبة (حسين داي) الأغنياء .

يعد موت هؤلاء الذين تأسفوا على موتهم جميعا - ولسنا من المتحزين حتى في المصائب مثل أولئك دعت الصحف الفرنسية إلى أعانة أهالي المصابين - ولم تمض جمعية حتى جاز الاكتتاب ستين ألف فرنك . أما الاكتتاب لوالدي مصطفى بن محمد الفقراء العجزة فإنه مازال زهيدا .

والمصيبة العظمى التي على الأمة حفظها في ذاكرتها أن السيد حمود وشكيكن في جلسة المجلس البلدي الذي انعقد يوم الجمعة 27 ماي طلب ونال أربعة آلاف فرنك لمصابي حسين داي وألفين وثلاثمائة فرنك إعانة (للأموارات سان فانسان بول) وتسعة عشرة ألف فرنك لمدير (التياتر)

وفي الجلسة نفسها ابن التهامي المستحوذ على سياسة المستعمرة طلب أيضا ونال ثلاثمائة فرنك لدار العميان الغير الأهالي . كل ذلك وقع بحضور الإثني عشر صورة التي قدمها منتخبو الجزائر للدفاع عن حقوقهم ، ومراقبة أعمال خصمائهم . أما مصطفى بن محمد الذي قتلته طلقة مدفع عيد جان دارك ، فقد أهمل ونسى حتى من النواب الأهالي الذين هم في الحقيقة خدام الغير ومحبو أنفسهم أولئك هم الضالون تنبهوا .^{1***}

أين تذهب أموالنا ؟.

حل بين ظهرانينا المحامي ناطان لابيرن المفوض من لدن جمعية "كيرنهايسود" اليهودية يدعو إخوانه الإسرائيليين لإعانة معمر (أرض المعاد) ، وقد احتفل به يهود بلادنا بكل أبهة وإكرام ، واجتمعوا عليه مع رؤساء الاشتراكية في قاعة (مركز العساكر والبحرية حيث ألقى خطابا يحرض فيه المهمة اليهودية لتأييد دين آبائهم وأجدادهم بالفعل ، وتعظيم جنسيتهم بإعانة (دولة فلسطين) . ما هي جمعية (كسيرن هايسود) ؟ هي الخزنة المعتمدة من تبرعات اليهود المستمرة لتجديد بناء معهد سليمان وتأسيس مملكة

¹ - (الجزائر) في 29 ماي 1927 م . " خدام الغير " البرق عدد 15 . 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927 م . ص

اليهود ، وعلى الأقل لإعانة مستعمري " أرض المعاد " التي أخرجهم الله منها أذلاء لما قاموا به من العتو والفساد . وإن كانت هناك جمعيات أخرى سرية وغير سرية مؤسسة لهذا المبدأ . فهذه هي المشهورة المقدمة في الترتيب حتى على (الإتحاد الإسرائيلي العام) الذي أسسه (صاحبنا) كريميو مغري إخوانه الجزائريين بالجنسية الفرنسية لهذا السبيل ...

أتى الجزائري مسيو نطال لايرن وجمع الأموال لإعانة إخوانه وتحديد مجد آبائه ، وهو عمل محمود ، وهو عمل الرجال . فليتدبر إخواننا وزعمائنا وليتأملوا في نشاط اليهود ووطنيتهم ، كانوا متلبسين بجنسيات مختلفة ، وأحزاب متفائلة ، عليهم ألفان من السنين ذاقوا فيها من الذل والهوان ما استوجبه بوحشيتهم وإنكارهم لفضائل الرب ، وجميل الناس ، ولكنهم لم ينسوا وطنهم ، ولم يتبرؤوا من قوميتهم إلى أن عضدتم إنكلترا واختطفت من يد العرب فلسطين وأيدت أماني اليهود فيها وجعلت المسجد الأقصى ومسجد عمر تحت سلطتهم

هذه الأعمال وهذه الجمعيات دينية محضة وإن أبرزوها في قالب سياسي أو إنساني ، لأن الغرض والغاية إرجاع ملك داوود إلى أبنائه ورهطه . وإن كان هذا حقاً يهم جميع المسلمين فنحن الجزائريين يسوعنا والله أن نرى أموال بلادنا وخيراتنا ذاهبة إلى بلاد اغصبتها الأجانب من يد إخواننا ، وجعل أمرها في يد اليهود ضد أهاليها الحقيقيين .

يقول اليهود إن فلسطين ملكا لهم بأمر الرب . وإذا كان الأمر كذلك فمن الذي أخرجهم منها هل هو أقوى من الرب ؟ وعلى كل حال فهي ليست لهم لأن أهاليها هم الذين لم يفارقوها ومكثوا فيها من قبل التيه إلى اليوم ، ولم يأمر الرب ولم يوافق العدل على أن لا يملك تلك الأرض إلا المتدين باليهودية ، بل الحق الذي لا مرأى فيه هو أن استعمار فلسطين باليهود هو ظلم كسائر الاستعمار ، ولذلك لا نرضى أن تكون تلك الأموال التي اختلسوها منا ومن غيرنا بالربا وبالوجوه المعلومه أساسا لبناء ملكهم ونفوذ سيادتهم على إخواننا المسلمين أهالي فلسطين الحقيقيين . فليتأمل نطال لايرن وليتأمل هانري وشارل أبو الخير وليتأمل كثيرون وليتأمل الشبيب بن هيمون كاتب الشبيبة الاشتراكية وليتأمل الاله الرود شيلد نفسه

وليعلموا أن فلسطين في أرض عربية إسلامية ، وان أموالنا وأتعبنا وأرواحنا التي
أزهقت في الحروب الأخيرة لا تذهب وراء سعي المرائين...^{1***}

رأي حر عن الجريدة اليومية

نحدد القول عن الجريدة اليومية "المتزجة" لأننا لم نرض أن من نخبه يغتر ويفتن
بأقوال المشعوذين الذين دأبهم قلب الحقائق لفائدة ...

ونأسف كل الأسف أن البعض ممن يرجى منهم الخير للبلاد قد اغتروا ، والمغرور
في نظرنا يعاقب ولا يحاسب ...

لما كتبنا عن مشروع الجريدة - ولنا الحرية في إبداء رأينا وبيان فكرنا - زعم
بعض الأفراد المستفيدين أن دأبنا التعرض لكل ما يصلح وجريدتهم لا تصلح ، ولو أن
من بين هؤلاء بعض أحبابنا لضربنا صفحا عن أبناء القحاب . ولم نتعرض لمشروع هو
في نفسه أضغاث أحلام - لا ينجح ولا ينفذ خصوصا إذا ساروا سيرة (غبريطية) حسب
ما يريد " ذيل الغنياء" الذي كلفته الإدارة "الأجنبية" بتدبير السياسة الأهلية التي يجهلها
جهلا وطبعا وأصلا . ولكن غرضنا النصيحة ، ولذلك نوجه كلمتنا ليس للأمة فقط ،
بل لأفراد ، وأخص المجتهدين في تأييد هذا المشروع على ما هو عليه .

إننا رافة بالجميع وشفقة عليهم أوضحنا لهم الواقع وبيننا لهم مقاصد الذين طلبوا
منهم الإعانة التي امتنع منها ساداتهم وكبرأؤهم المتلبسون بالاشتراكية الذين امتصوا
أموال ودماء الأهليين في تأييد الدولة الصهيونية والحرية اليهودية .

نحن قد درسنا السياسة حتى وقفنا على أسرارها ، وعلمنا مقاصد رجالها وإخوانهم
- وتقلبهم - والحمد لله لا يغرننا الآن قولهم ، ولا وسواسهم ، ولذلك رأينا من
الواجب استطلاع إخواننا جميعا على ما أخفي عليهم لحسن ظنهم بالأقوال المزخرفة
كيلا يغتروا بما تزينه أمام إخلاصهم شعوذة السياسيين الموسوسين ، ولا يقعوا في حبال
الغرور والإهمال .

¹ - الراصد (الجزائر) في 4 جوان 1927 م . " أين تذهب أموالنا ؟ " البرق عدد 15 . الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20
جوان 1927 م . ص 1 .

لم نقصد بمقالنا منع الجزائر من جريدة يومية إصلاحية لكن على الشرط الذي أوضحناه وهو أن تكون إدارتها إسلامية جزائرية لا مدخل للحزب الاشتراكي ، ولا لأي حزب آخر دونه في خط سيرتها لتكون لها الحرية في النطق بمصالح الأهالي حسب ما يأمرها الواجب المقدس ، وتوجيهه لمديريها روح الإصلاح مع مراعاة القوانين الإنسانية .
ولا نريد ولا نرضى أن تكون مصالحنا ذبيلا لأغراض حزب من الأحزاب الاستعمارية ، وبالأخص حزب الاشتراك الصهيوني الذي صرح زعيمه بفائدة الاستعمار ووجوبه على الدول " المتمدنة " في الأمم " المتأخرة "

نعم نحن متأخرون ولكن نرى السبب في هذا التأخر الذي نلام عليه ولم نل حقا من حقوق الإنسانية لأجله هو " الاستعمار " نفسه ، ولا نطيل القول في أمر معلوم من أثينا وروما ... وليس الخبر كالعيان ... ما استفاد الهنود المتوحشون من الأمريكان المتمدنين ؟ ...

ولكيلا نطيل القول في مسألة هي في رأينا لا تستوجب العداوة والبغضاء بين الإخوان نلقي بعض أسئلة إلى من لامنا لعله بفضله يجيب عنها ونحن له من الشاكرين ...

ألم تقدم إدارة التأسيس قسم السياسة الأهلية من الجريدة لرجل متفرنج جاهل للكتابة ؟ ألم يعتمد الحزب الاشتراكي أو زعماءه في هذا المشروع على الممولين من أشرار المسلمين ؟ ألم يعتمد قبل عرضه هذا المشروع على المسلمين على ممولي إسرائيل ؟ ... نحن ننتظر الجواب ! ***¹

العربية والنواب .

جاءنا من العاصمة أن بعض النواب قد دعا الناس نوابا وغير نواب إلى أن يعقدوا جلسة يتفاوضون فيها في مسائل جزائرية إسلامية ...
وقد وجهوا دعوتهم هذه إلى سائر النواب وإلى أكثر الناس إلا الصحافة العربية فإنهم لم يستدعوها ، ولم يستدعوا الناس بلسانها بل ولم يخبروها البتة .

¹ - رقيب . البرق " رأي عن الجريدة اليومية " . البرق ، عدد 17 . الاثنين 5 محرم 1345 هـ . الموافق لـ 4 جويلية 1927 م . ص 1

وأنا أقول إن هؤلاء النواب قد احتقروا الصحافة العربية لأن معنى ذلك أنهم يحسنون العربية . ويعرفون الصحافة العربية ثم لم يهتموا بها . ولكنني أقول إن هؤلاء النواب غير أكفاء . وليس فيهم كفاءة ، ولا أهلية للكراسي التي يستوون عليها ليكونوا لسان هذه الأمة . وليكونوا صوت الجزائر ذلك بأن أكثرهم - وهم ربع مجموع النواب - جاهلون لا يعون ما يدور حولهم من الأحاديث ، ولا يفقهون حتى مواضيع المسائل التي تطرح أمامهم للبحث والمناقشة فكثير منهم يرفعون أيديهم حين الاقتراع على شيء - مصادقة على ما لا يعرفون ، فيضرون من حيث يريدون أن ينفعوا وهم لا يشعرون . ولقد حدث أن بلدية عزمت على تقطع مرتبا قدره مائة وخمسون فرنكا كان يتقاضاه نائب أهلي ، فجمعت الأعضاء لهذه المهمة ، فوافقوا جميعا على قطع هذا المرتب ، ووافق معهم هذا العضو الأهلي النائب على ذلك ، ولما جاء الوقت الذي كان يقبض فيه طلب مرتبه وألح في طلبه إلحاحا جاهلا ، و أنكر كل الإنكار أن يكون وافق على قطع رزق له ، وزعم أنه لو علم أن الأمر كذلك لما كان يرضى ولا يقبل . ولم يكن هذا النائب وحيدا في حيوانيته فإن أمثاله من الأعضاء الأهالي كثيرون .

وهناك فئة قليلة جدا من النواب علماء يفهمون الخطاب ، ويعرفون كيف يردون الجواب ، بل إن منهم من يحملون شهادات عالية في مختلف الفنون والعلوم ، ولكنهم حصلوا على علومهم ومعارفهم بلغة غير لغة قومهم ، ولسان غير لسان أمتهم . فهم بمقدار ما برعوا في الفرنسية وحذقوا فيها كان نصيبهم من الجهل بالعربية والجهل بأحوال أمتهم التي يدعون النيابة عنها ، ويزعمون أنهم يتكلمون بلسانها ، ويجلبون إليها النفع ، ويدرعون عنها العذاب ، فهم كثيرا ما يجتهدون - ومنهم المخلص وغير المخلص - أن يداووا هذه الأمة ولكن سرعان ما يقعون في الخطأ فيداوونها بغير دوائها ، ولأنهم لا يعرفون مرضها . ولا يبرأ داء يداوى بدواء لم يخلق له .

وليس هناك في النواب أشد حمقا ممن يطلب للجزائر أن تخلع جنسيتها ، وأن تتفرنج كرها . إننا لا نقذف من يحاول هذا الأمر بالخيانة وبعدم الإخلاص ، ولكننا

نحكم عليه حكما لا معقب له فيما نظن ، نحكم عليه حكما بأنه يجهل أحوال الأمة تماما ، فلا يميز بين ما يحب الناس وبين ما يكرهون ، ولا بين ما ينفعهم وبين ما يضرهم .

جاهل مسكين من يطلب من هذه الأمة المؤمنة أن تخرج مما عندها من جنسية وإيمان وعوائد وأخلاق . ولو أنه طلب منها أن تخلع أرواحها .. لكان ذلك أهون عليها من أن تخرج مما بقي بأيديها من جنس ودين . ويهون على الإنسان أن تنتزع منه نفسه التي بين جنبيه ، ولا يهون عليه أن يفرط في شيء ما مما يملك من عقيدة يعتقد أنها الحق .

إن من يطلب من أمتنا المسلمة أن تخرج من إسلامها وجنسها كمن يطلب منها أن تخرج من لحومها ودمائها وعظامها وأمخاخها ، ولن يكون ذلك بحال أبد الدهر وآخر الليالي . فليرح الجادون في هذا الأمر أنفسهم ولا يتعبوا في طلب ما لا يرجعون منه بغير الخيبة والإخفاق ، ولا يرجع على الأمة إلا بالخسران المبين .

هذه حالة نوابنا : جهل بالعربية عام يعم سائر النواب .. فليس فيهم من يعرف كيف يضع إمضاءه بالقلم العربي . وجهل بأحوال الأمة عام يعمهم جميعا فليس فيهم من يعرف حاجات الشعب وطلباته ، ولا من يحس بما تحس به الجزائر من ألم وشقاء . إنني بعد هذا لا ألوم النواب على هذه الجهالة التي جهلوها على الصحافة العربية وعدم اهتمامهم بها ، وإنما ألوم الأمة التي انتخبتهم وهم غير أكفاء لأن يكونوا عنها في المجالس نوابا ولها ممثلين وبلسانها ينطقون .

إننا فقراء من الرجال أهل المقدرة واللياقة النيابية عنا . وليس لنوابنا - وهم غير أكفاء - أن يشغلوا أكثر من ربع مقاعد النيابة في سائر المجالس . فهل ينبغي لنا بعد هذا أن نعلق على هذه النيابة أملا كبيرا أو صغيرا ، أو نعتقد أنه يجيئنا منها خير ؟

إنني أرى أن نقطع آمالنا من هذه النيابة الموجودة الآن ، وأن نعرض عنها بكل ما لنا فيها من طمع ورجاء . إنه يجب علينا أن نمسك أصواتنا أيام الانتخاب فلا ننتخب أحدا من الناس ما دامت هذه الحال لئلا يكون على الجزائر حجة بعد هذه النيابة الكاذبة

1***

¹ - محمد السعيد الزاهري " العربية والنواب " البرق عدد 18 . الاثنين 12 محرم الحرام 1346هـ . الموافق ل 11 جويلية 1927م . ص 1 .

الدكتور بن التهامي .

حقا إن الدكتور بن التهامي قد اتخذ لنفسه وجها من الوجوه الاكتساب وبابا من أبواب الارتزاق لم يعرفه غيره ، ذلك بأنه يخاصم الناس بغير حق ويظلمهم في الخصومة ، ويشير غضبهم بمس أعراضهم والتعدي على حرماهم الشخصية ، فمن أخذ منهم بثأره وانتصر لنفسه ودافع عن شرفه طلب من "الدكتور بن التهامي" لدى المحكمة ارش عرضه (دوماج انتيري) وهذا هو ما دعا الدكتور إلى الهجوم على جريدة البرق ظلما وعدوانا ، وغرضه أن يجر البرق إلى المخاصمة لدى المحكمة رجاء أن يحكم علينا — (دوماج) يقدر بالآلاف مؤلفة من الفرنكات ، وأحسب أن كيسه لا يسع ما سيأخذه منا من إرش و (دوماج) . فليوسع الدكتور كيسه وليهيء البنك الذي سيضع فيه ما سندفعه إليه من إرش وغرامة ، فإننا مؤاخذوه لا محالة ، ولسنا بتاركيه بحال من الأحوال نشرنا في العدد السادس من هذه الجريدة الحرة مراسلة لمكاتبنا السياسي الخاص بالجريد عن انتخاب 10 من أفريل الماضي ذكر فيها المكاتب عقلية ورأيه في انتخاب ذلك العضو البلدي وذكر المترشحين ، وذكر لكل واحد منهم ما يميزه عن سواه ، فقال عن الدكتور بن التهامي أنه يدعو الناس إلى التجنس ، وذلك ما لا يرضونه بحال ولهذا فإني لا أظنه ينجح في هذا الانتخاب ، ولم يقل المكاتب إن بن التهامي متجنس كما قال "التقدم" كذبا وافتراء . كذب "التقدم" هذه الكذبة على مكاتبنا في مقالة يرمي بها الصحافة العربية قاطبة بأن شأها الكذب والافتراء وبأنها تخفض العالي ، وتعلي من سفل (!) وذكر المكاتب أن الشيخ عمر راسم قد رشحه جماعة من الأحرار الوطنيين ، وذكر بعض ما للشيخ راسم من الأعمال الكبيرة التي عملها للجزائر ، وبعض ما له من الحسنات التي سجلت الأيام بها اسم (راسم) في جريدة أسماء رجال العقول والأعمال ، ولم يشأ الأستاذ راسم أن ينوب عن أمته نيابة صورية ، فرفض أن يرشح نفسه قبل الانتخاب بيومين أو ثلاثة أيام .

ونشرنا مكاتبة أخرى لمكاتبتنا الخاص نفسه عن المجلس البلدي بالعاصمة قال فيها "...إن شكيكن طلب (وهو نائب عن المسلمين) من البلدية أربعة آلاف فرنك لمصابي حسين داي الغير الأهالي ، وطلب ألفين وثلاثمائة فرنكا إعانة (للاسورات سان فانسان بول) وتبعه عشر آلاف لمدير التياتر) ... وطلب بن التهامي ثلاثمائة فرنك إعانة لدار العميان غير الأهالي ...".

نشرنا هاتين المكاتبتين ، فثار غضب بن التهامي وهاج من هذا الانتقاد ، وأحب أن نحمده بما لم يفعل . ونشر في العدد الأخير من "التقدم" ردا علينا بالفرنسية وبالعربية ، وما دفعه إلى أن يجعل صفحة بالعربية في هذا العدد بالخصوص - وقد ترك العربية منذ أمد طويل - إلا ليرد علينا وليجادلنا في الحق بعدما تبين .

وقد كتب إلينا كتابا خاصا يقول فيه إن الصحافة العربية شأنها أن تمدح من لا يستحق المدح وتذم من لا يستحق الذم ... وهكذا أخذ يذكر الصحف العربية بسوء بكل وقاحة وبلا حياء لأنه يجهل العربية ، ثم ذكر لنا جميع ما ذكره "التقدم" الأخير . وأراد بن التهامي أن يبين لنا أنه طلب الثلاثمائة فرنك إعانة لبعض الأهالي الفقراء أو لجمعية الشبيبة الجزائرية أو لمشروع أهلي آخر ، وأراد أن يبريء نفسه مما نسبته إليه مكاتب البرق من أنه يسعى في مصلحة غير الأهالي فقال : طلبت الثلاثمائة فرنك لا لدار العميان الغير الأهالي كما قال "البرق" ولكن طلبتها إعانة للمرضى المصابين بالسل وهم غير أهالي وإن زعم الدكتور أنهم بين أوروبيون وأهالي .

هذا هو كل ما عمل بن التهامي في المجلس البلدي ، وبهذا يفخر ويقول إنه لا ينوب عن المسلمين وحدهم ولا يدافع عن خصوص الذين انتخبهم فقط بل هو نائب عن جميع الأجناس من إنس وجن وفرنسيين ومتفرنسين وأهالي ، حتى أولئك الذين يمثلهم في المجلس البلدي ستة وثلاثون عضوا من أنفسهم ، وليس يمثل الأهالي هنالك غير اثنا عشر عضوا منهم الجاهل الذي يجهل مأموريته ، ومنهم من يخدم الغير ، ومنهم العضو النائب المشترك ، وذلك هو الدكتور بن التهامي فيما يقول ويدعي .

دافع الدكتور بن التهامي بغير حق عن زملائه النواب وهم أولى بالدفاع عن أنفسهم فيما نرى ، وجعل يفخر علينا بأعمالهم وحسناتهم مثل مسألة المقبرة التي لم تتم ، ولم يشارك فيها هو لأنه حديث عهد بالنيابة البلدية . وإن مثل الدكتور في فخره بأعمال غيره كممثل المرأة التي تزهو بزينة مستعارة ، فإن كان الدكتور يحب الفخر ، ويجب أن يحمده الناس فليأتينا بماله من الأعمال الجليلة ، وما له في الباقيات الصالحات إن كان من الرجال العاملين ، وليت شعري ما يقول الدكتور في طلبات زميله شكيكن هل هي لصالح المسلمين أم هي خدمة للغير ؟

يزعم الدكتور أنه سعى في مسألة البحري وفي إعانة عائلته لدى العامل حتى حصل لها على مائة فرنك ، وهي إعانة نتمنى لو دفعها الدكتور من كيسه الخاص دون أن يبين لنا أنه لا يستطيع أن يعمل أكثر من هذا ، ويزعم أنه لم يظهر لنا هذا العمل إلا عملاً بآية (إن تبدو الصدقات فنعمما هي ...) ونحن نجزم بأنه لم يسع فيها قط وإنما سعى فيها سواه . كيف يسعى فيها وهو الذي بذل كل ما في استطاعه في إرغام الأهالي على أن يتجندوا في البحرية ، وقد عارضه يومئذ الدكتور بن العربي ، والأستاذ عمر راسم وغيرهم من الوطنيين الأحرار ، فرماهم الدكتور بن التهامي بأنهم شيوعيون ، وسعى بهم لدى الحكومة بهذه التهمة ، وهذه هي عادة الدكتور ، وهذه هي عدته التي يجارب بها خصومه ولبئس السلاح سلاح الوشاية والنميمة ضد الأحرار المخلصين . ولو كان بن التهامي هو الذي سعى في إعانة أبوي الشهيد البحري لما جاز أن يخفي الدكتور ذلك ، وكيف يخفي عملاً من أعماله وهو الذي يفخر بأعمال غيره ويتشدد بغير ما كسبت يده .

ويزعم الدكتور أنه أعان الأستاذ راسم على الخلاص من السجن الذي دخله بسبب وشايات الدكتور ، ووشايات أمثاله الذين لا ذمة لهم ولا دين بتهمة الإيمان وحب الوطن ، ولم يدخله لسرقة أو خيانة . ونحن نعلم أن الدكتور قد عمل بكل ما يقدر على بقاء راسم بالسجن ، لأنه كان عدوه الأزرق في مسألة تجنيد الأهالي ، ولئن كان الدكتور يجب للأستاذ راسم أن يبقى خاملاً في زوايا النسيان فإنما يجب له ذلك

ليخلو له الجو ويسود غير مسود ، ولم يكن راسم ليحمل أم ينسى أو يحمد ذكره بعدما عرفناه رجلا من رجال العمل وأولي العقل وقادة الفكر . وعمر راسم خاملا مدفونا في زوايا النسيان خير للوطن من الأحياء الخائنين . وكان الدكتور بن التهامي يريد أن يجهز على راسم بوشاية أخرى ظلما وتعديا ولذلك هددته بهذا التهديد .

ولم يكن الدكتور ليخرج عن عادته في تكالبه على الشيخ عمر راسم بل عقر قبله جميع رجال الأعمال واحدا واحدا ، مثل الدكتور بن العربي والقائد حمود والحاج عمار . وليس أحد حارب الأمير خالد مثل ما حاربه بن التهامي حتى نفاه وقطع أثره فيما يزعم وظن أنه أصبح بمكان الأمير ، وأن جريدته " التقدم " أصبحت في صدق الدفاع مثل جريدة " الإقدام " .

عجيب من الدكتور بن التهامي أن يدعي أنه يسعى في مصلحة المسلمين وقد خرج منهم ، ومرق من جماعتهم ، وتجنس بجنس غير جنسهم وبدين غير دين الإسلام ؟ إن تجنس الدكتور بن التهامي فعل فعله ليبين للمسلمين أنه يستقذرهم ويحتقرهم ، فلا يحب لنفسه أن يبقى كأحدهم ، وبخروجه من جماعة المسلمين ورفضه للجنسية الجزائرية يبين لنا أنه ساخط على أبيه الذي ولده جزائريا مسلما ، فلا يريد هو الآخر أن يلد أولاده مسلمين جزائريين . وأية جنسية جزائرية تبقى وأي إسلام يبقى لأولاد أمهم غير جزائرية وغير مسلمة وأبوهم خرج من الجنسية الجزائرية وخرج من دين الإسلام ؟ . وأعجب من ذلك أن الدكتور بن التهامي يدعي أنه قضى حياه في نفع الجزائر ، وفي خير أبنائها المسلمين ، وهو الذي أرجع قانون (الأنديجينا) ، وأرجع النفي الإداري ، ويشهد عليه بذلك كتابه الذي أرسله إلى وزير الداخلية في 14 جوان 1921 م وقد أخذ بالفوتوغراف من خط يده وعندنا اليوم منه نسخة .

إن الدكتور قتل الأمة الجزائرية بإرجاع (الأنديجينا) وإرجاع قانون النفي الإداري ليكون عضوا في المجلس الزجري يحكم على المسلمين بالنفي والتعذيب وبالأشغال الشاقة ، وكان بالفعل عضوا بهذا المجلس ، ولولا أن أحدا من الأحرار الأهالي أثر له عن هذا الكرسي المخصوص بالأهالي الذين لم يتفرنسوا ، لبقى هنالك

عضوا إلى اليوم ، وإذا لحكم على كل خصم من خصومه بالنفي المؤبد والأشغال الشاقة والعذاب الأليم ولكن الله - وله الحمد - كفانا شره . ولو كنت أعجب من شيء في هذه الحياة لعجبت من هذا الدكتور يزعم أنه يهتم بما ينفع هذه الأمة ويده ما تزال تقطر من دم الجزائر .^{1***}

رسالة مفتوحة إلى الراهب الكبير "المعلم فريدمان" رئيس الطائفة اليهودية في شمال إفريقيا .

أيها الراهب مازلتَ متذكرا بلا شك ما أحسن به المسلمون إلى الطائفة الإسرائيلية حين ما كانت يذيقها المسيحيون أشد العذاب ، فمهما شرعت الأمم العيسوية في تطهير بلادهم من اليهود إلا ووجدوا في بلاد المحمدين صدرا رحبا ، وحنانا ومروءة وراحة وسلامة ، وهذا ما شهد به التاريخ وما لا يوجد منكم من ينكر ، ولكن هناك شيء آخر لا يمكنك إنكاره وهو احتقار أمتك للأمة الجزائرية في هذا العصر وسخريتها بها تنبه واعتبر.

إن يهود القطر عموما والجزائر خصوصا قد تجاوزوا الحد في التعدي على المسلمين ، مع أنهم نالوا منهم فوق ما تمنوه لهم من الذل والهوان ، والآن لما فئنا واضمحلت آثار عزنا ، وشرفنا ، وصرنا خدمة لكم ، ولعبة أهوائكم ، وآلات لمصالحكم ، وأسراء أغراضكم ، جعل شبانكم المتبخترون والمتعنتون نشأنا وشيوخا وفقراءنا - وكلنا فقير وانتم الأغنياء - سخرية ومضحكة فلا يمر أحدنا في الطريق ولا يدخل محل أحد من تجاركم - وكلكم تجار - إلا ويستمتع من الشتم ما تشمئز منه النفوس ، ومن الاستهزاء ما يذوب له القلب حزنا وغضبا . إذا استخدم أحدكم مسلما وحمله بما لا يطيق ، وامتنع من إعطائه حقه ، مع أنكم تعلمون أنه لو اعتصب المسلمون عليكم وقطعوا معاملتكم لرجعتم كلكم إلى الحالة التي تستحقونها ، والتي تليق بكم لأنكم أسأتم لمن أحسن إليكم ومن كان سببا في غناكم وتحريركم .

¹ - بريد العاصمة الجزائر في 3 جويلية 1927 م الدكتور بن التهامي "البرق" ، عدد 18 . الاثنين 12 محرم الحرام 1346 هـ الموافق ل 4 جويلية 1927 م .

أيها الراهب إن أساء الزمان إلينا في هذه البلاد التعيسة حتى صرنا في نظر طائفتكم بالخصوص أمثال البهائم ، فليعلم كل منكم أن أرواحنا لم تنزل طاهرة ، وعقولنا ثابتة ولم تغفل عن أي شيء سعيتم به في إذائتنا ، ولكن غلبت علينا المروءة الإسلامية بان نطاوكم حتى نعلم إلى أي حد تقفون ، والآن بالغتم في هجومكم علينا بقولكم وسوطكم ، وصار أعزنا أسيرا لديكم ، وسخرية لأبنائكم . ننصحكم لترفعوا عنا هذا الأذى وأن لا تتدخلوا في شؤوننا السياسية ، ولا الاقتصادية ، وأن أبنائكم في الأزقة ، وتجاركم في مخازنهم يعاملوننا معاملة الرجال (معاملة أبناء الوطن) وإن استخدم أحدكم مسلما فليعطه حقه ، وإن ظلم أحدكم أخا لنا فلا تتعصبوا ولا تتكاتفوا وإلا فالتعصب يجلب التعصب ولا تنسوا أن الأغلبية لنا ، والبلاد بلادنا ونحن أحق بالسيادة فيها منكم . فانتبه أيها الراهب ونبه إخوانك لعلهم يرجعون . والسلام على من اتبع الهدى .^{1***}

"البرق" هذه المقالة تفضل علينا صاحب جريدة "الجزائر" التي استشهدت في سبيل الوطن قبل أن تنشر هذا المقال .

الصهيونية .

إني والحمد لله أول مسلم كتب بحرية عن المسألة الصهيونية ، ولم أحن ديني وضميري لأرضي على جماعة اللصوص وعار الإنسانية اليهود . كيف أخون ديني وضميري أمام هؤلاء وهم الذين تسببوا في كل أضرارنا منذ بعث خير الخلق بأكمل دين لتحرير البشر ، وهم الذين ألقوا العداوة والبغضاء بين الجنس الإنساني ، وأوقدوا نيران الحروب ليتولوا ويتسلطوا ؟ ولم يسبقني في هذه المسألة إلا الشيخ عمر راسم . لقد كتب ما شاء في جريدة المرشد وغيرها . وهذا ما كتبه في العدد الرابع من (ذو الفقار) 4 شعبان 1332 هـ 28 جوان 1914 م .

المسألة الصهيونية (نقلا عن المنار) : من عجائب العبر في تفاوت البشر تصدي جمعية من يهود أوربة لتكون دولة جديدة في البلاد المقدسة من مملكة العثمانيين من

¹ - ابن الجزائر " رسالة مفتوحة إلى الراهب الكبير "المعلم فريدمان" رئيس الطائفة اليهودية في شمال إفريقيا" البرق عدد 18 . الاثنين 12 محرم الحرام 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م . ص

مهاجرة فقراء اليهود الممزقين في جميع أطراف الأرض بمساعدة هذه الجمعية . فكيف تسمو همة جمعية أسسها رجل من اليهود إلى تكوين دولة من أوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تتنازع على شبر من الأرض فيها أقوى الأمم والدول ، وتسفل همة أصحاب هذه البلاد عن حفظها لأنفسهم . دع سمو المهمة إلى تأسيس ملك جديد في قطر قريب أو بعيد . وهكذا تموت الناس وتحيا ، وهكذا ترقى وتردى . وأسباب ذلك ظاهرة لا محل هنا لشرحها ، وكلها تدور حول العلم والجهل ، وعلو المهمة ووطؤها ، وكبر المقاصد وصغرها (والعلم ما يعرفك من أنت ممن معك) .

علم الصهيونيون (اليهود) أن الدول الكبرى (المسيحية) لا يسمحن لواحدة منهن بامتلاك مهبط الوحي ، ومصدر الدين الموسوي والعيسوي ، وأنه إذا زالت تركيا من بلاد فلسطين ، فلا بد أن تكون مستقلة تحت حماية جميع الدول (وهذا رأي بعضهم في الحجاز أيضا) فطمعوا في إرضاء الدول بأن تحل إشكال التنزع بين الدول والمذاهب المسيحية بأن يكون اليهود أصحاب الملك في هذه المملكة ، بل طمعوا أيضا في إرضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وسعوا بكل جراءة لتكثير خصوم العرب في بلادهم .

يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين : إما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن . هذا خطأ فاحش من صاحب المنار لأنه يريد أن يرضي الدخلاء بتنازل أهل البلاد إليهم حتى يعترفوا لهم بالمساواة ، وإما صرف قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة وأولها تأليف الجمعيات والشركات ، وأخراها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة ، وإنما هو الكي والكي آخر العلاج .

(ذو الفقار) إن اتفاق زعماء العرب أبناء الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل لأنه اعتراف بزعامة اليهود ، ورضى بمشاركة هؤلاء الأجانب في بلاد اشتراها آبائهم بدمائهم الطاهرة ، فلا يحق لغير العرب ، وهم أبناء إبراهيم الأصفياء الأزياء الموعودون بتلك البقعة المطهرة أن يملك تلك الأرض ، ولا لغير راية الإسلام أن تخفق عليها مادام في عروق العرب دم ، وفي أجسام المسلمين روح مسلمة ، وليعلموا أن

أنساق الدولة العثمانية ، وانفصال بلغاريا وصربيا واليونان وطرابلس وتنازعها الداخلي ، كل ذلك مقدمة لاستقلال فلسطين ونتيجة أعمال اليهود بواسطة أوروبا . هم من جهة ودسائسهم من جهة أخرى ، وإن استمر الحال على ما هو عليه وبقيت دولة الخلافة تحت سلطة (كارسو وهو الذي خلع عبد الحميد ورئيس حزب الاتحاد يهودي وصهيوني) ، وجاويد وحقي بائع طرابلس لأخيه لوزاتي ، فلا شك أن تقع الدولة في مخالب اليهود يوما ما ، ولا يكفيها حينئذ لنجاتها لا الست المدرعات التي أوصلت عليها ولا عشرون ، فيجب عليها الانتباه وعلى أبناء العرب العمل . ذو الفقار عدد 4 سنة 1914 م الموافق 1332هـ .

إن هذه المسألة صارت من المسائل الوقتية لتظاهر اليهود بمبدئهم صراحة ، فإنهم بعد أن أرسلوا مندوب جمعيتهم الصهيونية للقطر الجزائري ... أقاموا اجتماعات بفرنسا وأخيرا بمرسيليا ، حيث خطب فيها محامون ، ودعوا أبناء إسرائيل إلى إعانة المشروع المقدس ، وإظهار راية سليمان . وصرحت (ماكسانا ردو) بنت (نادو) أحد مؤسسي هذه الجمعية الذي أناله اليهود درجة النبوة لاجتهاده في تحرير شعبه بأن اليهود في فلسطين أمة نشيطة ستتولى على الأرض المقدسة ...

وقد عثرت على كتاب بالفرنسية ترجم من الإنكليزية ، مجموع فيه بعض قرارات من الجمعية السرية الصهيونية (لا شك في صحته) يؤيد ما قلت ، وهو أن اليهود هم الذين سعوا في الحروب الأخيرة وتقسيم تركيا شيئا وأجزاء النيل (قدسهم) وذلك سنة 1897م في مدينة بال من وطن سويسرة . وبحوله تعالى أعرب منه بعض فصول .

سنرجع إلى المسألة ونعطيها حقها بحرية ، وقد انتقدت قبل الحرب على باي تونس في جريدة تونس وعلى صحافي تونس الذين كانوا ينشرون وبارتياح وشماتة ما كان يقوله الراهب أمام الباي أيام الاحتفالات من الأدعية بإنقاذ وطنه (الذي كان تحت سلطة المسلمين وكان لا يكلمه إلا بالعبرانية ...^{1***}

¹ - الراصد . " الصهيونية " البرق عدد 20 . قسنطينة الاثنين 26 محرم 1346هـ . الموافق لـ 24 جويلية 1927 م ص 2/1 .

إلى التقدم .

قرأنا بمزيد الدهشة ما صدر في آخر عدد من تقدم ابن تامي في شبه رسالة ، زعم المدير الضخم أنها أتته من أحد قرائه (هكذا) ضد زميله السيد التمزالي الذي كان يدافع عنه بالأمس ، يتهمه اليوم كونه شيوعيا وبرقيا ، ويتهم البرق بكونه شيوعيا ، يا له من نمام .

ولما خرج عن الموضوع وأظهر أنه ما أداه إلى الطعن في الخلائق غير الحسد وحده ، نسأله سؤالا واحدا ، لأنه يزعم أننا تعدينا عليه ، ولعله لتكراره لهذا القول صار يعتقد صحته لضعف حافظته ، وصغر ذاكرته من هو المتعدي الأول ؟ أنت يا ابن تامي أم نحن ؟ أنت لا نحن لأننا لما انتقدنا عليك بما انتقد به غيرنا ، لم نخصصك وحدك وإنما ذكرنا ما سطرته الصحافة الفرنسية عن جلسة المجلس البلدي ، ولم نخترع ولم نختلق ولو حرفا من تلقاء أنفسنا من دون أن نتنصر لأحد ، ولا آذينا آخر ، أخطأتم كلكم أو جنيتم نحو من وكلكم أمره فحكمنا عليكم

إن المعتدي الذي يتحامل على الأبرياء من غير سبب إلا ليظهر فهو أحق لا يعارض ، وهذا أظنه ليس بحق بل هو داء الكلب ، ولكن ... منذ أيام انتبهنا أن ابن تامي لم يقصد بطعنه إلا من كان أصله زواويا ، فبعد أن تحامل على السيد الطاهر الشريف الذي هو من أشرف القبائل ، أتبعه بالشيخ عمر راسم ، لأنه ينتسب إلى هذه الأمة الباسلة ، والآن زاد الدكتور التمزالي الذي هو من أغنياء بجاية عاصمة الحماديين ، فهل له عداوة مع العنصر القبائلي ؟

هذا هو القريب من الحق لأن جل القبائل لم يرضوا أن ينتخبوه لما يعلمونه من ماضيه في مسألة العسكرية والاندجينا وغيرها .. وعلى كل حال فليعلم أن التعديات ليست مكتوبة في برنامج البرق ، بل هي من خصوصيات بن التهامي الذي رمانا بالشيوعية كذبا .

إن البرق لا يعادي أحدا ، يسعى في مصالح الأمة ، ولذلك تأسف رصفأونا عن سيرة نواب مدينة مستغانم الذين لازموا السكوت لما زار مدينتهم سمو الوالي ولم يقدموا

له المطالب المقدمة التي أهل بلدهم في احتياج شديد إلى إنجازها . لم تولوا النيابة إذا كان دأهم السكوت . هل لمثل هؤلاء نطلب (تحتاً) في البرلمان ؟

لا والله إذا نريد إبطال الانتخاب كله لأنه مفسدة لنا وحجة علينا وسلم يصعد عليه المترفون و الأرذلون .^{1***}

الرسائل الخاصة .

إلى أخي العزيز، سيدي أبي حفص الحمادي ، عم صباحا ، عم مساء ، عم كل وقت وحين ، أهنئكم بهذا العيد وأرجو أن لا يعود على أبناء الجزائر مرة أخرى إلا وهم إيقاظ غير رقود ، أحياء غير أموات ، يشعرون بما هجم عليهم من البؤس الأليم ، والفقر المدقع ، والجهالة العمياء .

إن الناس هنا خرجوا لهذا العيد وكأنهم غير الناس في الأعياد الماضية ، فقد كانوا يأخذون زينتهم عند كل عيد ، ويخرجون في أفخر الملابس ، ويظهرون في أجمل المظاهر . وقد خرجوا اليوم في مظاهرهم المألوفة لهم في غير العيد إلا قليلا منهم . خرجوا في زينة جميلة أعدوها للأعياد والمواسم .

وكثيرا من أهل الثروة واليسار خرجوا اليوم وليست وجوههم ضاحكة ولا مستبشرة وأكاد أقول لك : إنني لم أبصر بطلاقة ولا بإشراق متهلل في وجه من الوجوه المسلمين في هذا اليوم العظيم ، وكان حادثا أليما يملأ صدورهم حزنا وحسرة ويعقد ألسنتهم حتى عن الكلام ، وإني لأنظر إلى الخطيب يخطب الناس من على المنبر فأحسبه نائحة يبكي ويستبكي الناس السامعين فتكاد تسبيني الدموع ، وتبتدري العبرات لولا أنني أثوب إلى رشدي فأعلم أنني في يوم عيد .

ولست أشك أن هؤلاء الناس بدأوا يحسون بما صارت إليه الجزائر من الحالة الشقية البائسة ، وعادوا يشعرون بما أشرفوا عليه من الموت الأحمر . فهم لا يريدون أن يفرحوا فرحا كاذبا ، وأن يسعدوا سعادة موهومة .

¹ - مكاتب (البرق) السياسي الخاص - الجزائر - " إلى التقدم " البرق عدد 20 . قسنطينة الاثنين 26 محرم 1346 هـ . الموافق لـ 24 جويلية 1927 م ص 2 .

إن الدين والعادة يجبان للناس أن يأخذوا زينتهم عند كل عيد ، ويملأن قلوبهم رغبة في التحمل لمثل هذا اليوم ، و لكن كثيرا من الناس لا يستطيعون إلى ذلك سبيلا ، ولا يجدون في مثل هذا اليوم ما ينفقون .

عاد الجزائري اليوم يعجز أن ينفق على عياله نفقة واسعة في الأعياد و المواسم ، فكيف له أن يكسوهم كسوة فاخرة بما يتزينون ويفرحون . لقد أخذت علينا مدينة الغرب الزاهرة جميع سبل العيش ، وسائر وجوه الحياة ، فلم تبق بأيدي الجزائريين فلاحا و لا تجارة و لا صناعة و لا وظائف يرتزقون منها و يعيشون .

أما الفلاحا فقد أصبحت اليوم بأيدي الأجانب "الكولون" المتفرنسين و خرجت أملاك الأهالي من أيديهم إلى سواهم بطرق كثيرة لا أستطيع أن أشرحها لك جميعا في هذه الرسالة القصيرة وأهمها فيما أرى أخذ الحكومة لأراضي الأقباس العامة ، واستيلائها عليها بدعوة أنها ستنفق ريعها على المساجد ، وأنها ستكفل بإعطاء مرتبات المدرسين وأهل الفتيا . إلى غير ذلك عن مصالح الدين ، ثم أنعمت على "الكولون" بتلك الأراضي الواسعة الطيبة ، وحرمت منها الأهالي المسلمين المحبين و أبناء المحبين .

وأن تتعلم حالة المساجد اليوم وحالة "مصالح الدين" وتعلم أن تلك الأقباس لا تنقص عن خمس مجموع ما كان بالجزائر أرض فلاحية .

ومن الأسباب التي خرجت بها أراضي الأهالي من أيديهم ، هذا التفرنج الآثم ، وهذه المدينة الفاخرة ، فقد كان الجزائريون قبل ذلك يؤثرون أن يعيشوا عيشة راضية ، هي عيشة البساطة الفطرية وكانوا ينكرون كل النكير على كل من يميل إلى التبسط في الشهوات والملذات ، فكانت نفقاتهم قليلة جدا ، وكان ما يقبضون أكثر بكثير مما يصرفون . وحكى لي شيخ طاعن في السن أنه كان يملك خمسة عشر فرنكا قعدت عنده في صرته تسع سنين لم يعرف فيما ينفقها ولا أنى يصرفها ؟ وهو صادق في هذا لأن عيشته بسيطة جدا لم تزد على الرغيف والتمر والماء ، ثم جاءتنا هذه المدينة فأكثر من ضروريات الناس . فأكثر من نفقاتهم وفتحت في وجوه المسلمين أبواب الحانات والمخامر ، ونصبت لهم المواخير ودور القمار ، وأباح لهم ذلك كله إباحة حرة ،

وجعلت تمدهج وتثني على من يقع في شراكها بأنه متمدن "سيفيليزي" ، وبأنه حر "ليبر" ، وتزين لهم هذه الرذائل بمثل هذه الأوهام التي تلقوها في رؤوس الناس وهم جاهلون أميون ، لا يقرأون ولا يكتبون ، ولا يعرفون مركزهم من الحياة ، فتساقطوا على تلك المفاصد ، وتمالكوا عليها حتى باعوا فيها كل ما تملكه أيديهم من عقار وماشية

و لقد كان الآباء حبسوا على أبناء هذا الجيل أملاكاً خاصة وكأنهم خافوا على أبنائهم من هذه المدينة المخطرة بما فيها من شهوات ومهلكات ، وحصنوا لأبنائهم أملاكهم التي تركوها لهم ، وعوذوها بالتحبيس الخاص ، والوقف المشروع ، ولعل هؤلاء الأبناء يلجأون إلى هذه الأوقاف والأحباس وقت الحاجة والضرورة ، يتقون بها عوادي الفقر والفاقة ، ولو بقيت تلك الأحباس على حالها من غير تبديل لنجت من غائلة الفقر عائلات كثيرة ، ولبقيت عند أمتنا ثروة وافرة ومال جم . و لكن الاستعمار أبى إلى أن يجرد الجزائر من كل ما عندها من علم ومال ، فلم تكن العدالة لتعتبر الحبس الإسلامي الخاص ، ولا لتحترم نصا من نصوص الحبس المسلم متى تعلقت به دعوى يهودي أو "كولون" .

وهناك سبب آخر ما أظن أبناء الجزائر يتفطنون إليه ، وبه ملك "الكولون" أملاك أولي العلم والدين من الجزائريين الذي منعمهم عفافهم وتقواهم من أن يصرفوا أموالهم في الشهوات واللهوات وذلك السبب هو الذي يثبته الكولون في المسلمين بالأسنة "المرابطين" و "الدراويش" من الدعاية إلى الهجرة إلى المشرق ، والترغيب في ترك هذه البلاد للمحتلين ، والفرار من الظلم والجور إلى بلاد الشرق التي لا ظلم فيها ولا جور . وأفقي كثير من مشايخ الزوايا بكفر من تخلف عن هذه البلاد ، ورضي أن يبقى تحت سلطة الكافرين . فزهد الناس في هذه البلاد ، وزهدوا فيما يملكون فيها من أرض وممات ، فباعوا أملاكهم بثمن بخس ، وخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وتركوا بجهلهم الأجانب يمرحون في بلاد عرضها السماوات والأرض .

ومن العجيب أننا مازلنا نسمع بعض دعاة الاستعمار والطريقين الحاسدين يدعون الناس أن يهاجروا إلى الشرق ، وأن يتفرقوا في بلاد العرب ، وليس أحد يجهل ما ذاقه

الجزائريون المهاجرون من الذلة والهوان ، وما عانوه في غربتهم وهجرتهم من الحاجة الأليمة والبؤس الشديد ، بعدما كانوا في الجزائر في رفاهية ، وكانوا من أبناء النعيم - استغفر الله - كانوا في الجزائر في رفاهيتهم وكانوا من أبناء النعيم ، ولكنهم أباة الضيم وأولي نفوس عزيزة ، لم تستطع أن تتجرع ما أذاقها الاستعمار من الذل وعذاب الهون . وكانت الحكومة إذ ذاك حكومة عسكرية حربية يفعل الحاكم في الناس ما يشاء ويختار . وقد قدر الله لبعض أولئك المهاجرين أن يرجعوا إلى بلادهم ، فعادوا فلم يجدوا أن يكونوا حتى عملة يعملون بأجر معلوم في أراضيهم التي خدعوا فيها ، وخرجوا منها مختارين مغرورين بالدراویش والمراطين. ولا يسعني هنا أن أذكر بكل حمد وثناء هذه الهجرة التي هاجرها شبان زواوة الجزائريون إلى فرنسا وأمريكا ليسترجعوا تلك الأراضي التي خرجت من أيديهم إلى الكولون. تمثل الطرق المتقدمة . وقد امتلأت رؤوس هؤلاء الشباب بفكرة هي التي افتكوا بها اليوم من أيدي المعمرين سائر ما كان يملك آبائهم وما كانوا يملكون . وإن كانوا بذلوا في ذلك أموالا كثيرة ، ذلك أنهم يعتقدون عقيدة لا تتخلخل ، أنهم لا يفلحون في هذه الحياة ، ولا يسعدون إلا إذا ملكوا أراضي آبائهم الأولين ، وأنهم لم يخسروا ولم يذوقوا الشقاء إلا بعدما فرطوا في تراث الأقدمين ، وليت سائر أبناء الجزائر يعتقدون هذا الاعتقاد ، وليتهم تزول من أدمغتهم تماما فكرة الهجرة وترك البلاد والزهد في وطن الآباء .

وأهم موارد الثروة في هذه البلاد هي الفلاحة ، وقد أصبحت كما تعلم بأيدي الكولون ، وأصبح الجزائريون لا يجدون أن يكونوا حتى خماسة في أراضيهم التي ملكت عليهم ، والتي أصبح الأجانب ينعمون في بجوحة نعيمها ويتقلبون في خيراتها .

وأما التجارة فقد كان بنو ميزاب هم الذين يملكونها في هذه البلاد ، قبل ثلاثمائة سنين . وعادت اليوم بأيدي اليهود ، وعاد بنو ميزاب عملة يخدمون على اليهود ، ولا يربح الميزابي فرنكا واحدا إلا إذا ربح اليهودي مئتين من الفرنكات ، على أي مستبشر بالنهضة التجارية المباركة التي نهضها " القبائل " الجزائريون في هذه الأيام نحو استرجاع

التجارة إلى اليد الأهلية الجزائرية ، ونتمنى على بني ميزاب أن ينهضوا نهضة تجارية
عصرية ، نسترد بها ما كان للجزائر من المكانة الكبرى في الثروة والاقتصاد .

وأما الصناعة الأهلية فقد قتلها الصناعة الأجنبية ، وقطعت أثرها إلا شيئا قليلا من
صناعتها لا يزال يحتضر ويوجد بالنفس الأخير ، وعما قريب ستخلف برانس الملف
المجلوب من الخارج عن برانس الصوف الجزائرية ، وسوف لا يبقى أثر للأحذية الأهلية
، ولا لبقية الملابس الجزائرية ، وسيبدل ما في بيوتنا من أثاث وآنية وماعون . وسيحل
محل ذلك كله أشياء يجاء بها من الخارج ، تخالف أشياءنا القديمة في جوهرها ومادتها ،
وقد تكون مثلها في الشكل والصورة .

إن إقبال الأهالي على الموضوعات الأجنبية ، وزهد أصحاب الصناعة الأهلي فيما
يصنعون ، كل ذلك يجعلنا نتشاءم .

وأما الوظائف فالمسلمون كما نعلم محرومون من كل وظيف ، كبير المرتب أو
صغير ، حتى وظيف " كناس " أو " زبال " ، فضلا عن وظائف الإدارات ، اللهم إلا
بعض شواش وحجاب ، اتخذوا من المسلمين بمرتب طفيف لا يغني عن الحاجة شيئا .
هذه هي حال الجزائر محملة ، وأرى الأمة تشعر بهذه الحالة المؤلمة ، وأظن أن
النواب المسلمين مازالوا إلى اليوم يجهلون أموريتهم ، ولا يشعرون بألم هذه الآلام ... و
السلام من أحيكم المخلص محمد السعيد الزاهري .

إن في هذه الرسالة نظريات صادقة عن خروج الأراضي من أيدي المسلمين
إلى الكولون ، وأسبابا لم أعثر عليها في غير هذه الرسالة . وإني أطلب من سائر
الكتاب والمفكرين أن يرسلوا إلي بإدارة البرق كل ما يقع بأيديهم من أمثال هذه
الرسائل .^{1***}

رأيت بعيني .

¹ - جساس " الرسائل الخاصة " البرق عدد 21 . 3 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 1 .

ركبت عربة أوتوبيس (طاكسي) يوم 7 من أوت الجاري إلى مستشفى الأطفال المصابين بالسل الذي طلب له الدكتور بن تامي إعانة قدرها ثلاثمائة فرنك بدعوى أن هذا المستشفى يعالج المصابين ، لا فرق بين أطفال النصارى وأطفال المسلمين .

استقبلتني ناظرة المستشفى بكل بشاشة وأطلعتني على دخائل المستشفى ، فإذا عدد الأطفال الموجودين اليوم هنالك خمسون طفلا ، بين ذكور وإناث ، كلهم من الأوروبيين ليس فيهم وليد مسلم في هذه الحال الحاضرة ، ولم يدخل له وليد مسلم من يوم أنشئ هذا المستشفى ... وقد سألتها عن سبب ذلك فقالت : بكل أسف أقول لك إن قانون هذا المستشفى لا يبيح لأطفال المسلمين أن يدخلوا هذا المستشفى المخصوص بغير المسلمين . والدكتور بن التهامي يزعم أن هذا المستشفى يوم على رعاية الأطفال المسلمين وغير المسلمين ، ونحن نطلب من الدكتور إن كان صادقا يخبرنا بعدد أطفال المسلمين وبأسمائهم الموجودين هناك اليوم ، فنكون له من الشاكرين .^{1***}

التقويم والبلاغ الجزائريان .

إن كنت تعرف القيء الممجوج ، وتعرف فضلة الإنسان ، فهما شيئان قذران ليس في الدنيا أقدر منهما غير "البلاغ الجزائري" و"التقويم الجزائري العام" ، وليس أدل على ما أقول مثل أن أضع بين يدي القاريء نتفة من جريدة "البلاغ" ... ونتفة أخرى من التقويم . فأما "البلاغ" فإنه قال (فض الله فاه) ... حتى سمح القدر بكم مع شحه (..) بوجود أمثالكم على أمثالنا ... " جاءت هذه الكلمة في افتتاحية العدد 12 موجهة إلى الوالي العام ، والقاريء يعلم ما في هذه الكلمة من الكفر والجهل ، والإلحاد الأعمى ، لأن فيها نسبة من الشيخ إلى قدر الله (تعالى الله علوا كبيرا عما يقولوه الأغواث الكافرون والأقطاب الكافرون) وجاء في هذه المقالة نفسها ما نصه : ... ولا ينسى جنابكم أن أمة الجزائر استودعت حكومة فرنسا دينها (!) ودنياها .. وهاهي اليوم لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، تراها تستمطر أنواع الرحمات من سماء حكومتها (..) فإن

¹ - محمد السعيد الزاهري " رأيت بعيني " البرق عدد 23 . 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927 م . ص 2 .

نزل عليها من الغيث القدر الذي فيه روح الاطمئنان على ... (!) البقية الباقية من دينها فهو سبب حلولكم (..) بين ظهرانيها (!) ... " ولا ريب أن هذا الكلام كلام غوث ، يعتقدون سمو الوالي إنما هو إله لا حاكم أو أنه آنية حل فيها الله ، تعالى الله عما يقوله المتصوفون المشركون ، ثم قال "البلاغ" الكافر الجاهل : "إلا إذا كانت الحكومة بمتزلة إبراهيم الخليل (!) (ص) والأمة الجزائرية بمتزلة إسماعيل (ص) إذ قال له : (يا بني إني أرى في المنام ...) وإنك لا تكاد تجد في جريدة البلاغ جملة مركبة تركيبا صحيحا ، أو كلمة مستعملة في موضعها فهو مملوء بمثل قوله : " وعلى فرض تكون ... " وقوله (.. فمن يكن أفحش قولاً من صاحبه ياترى؟؟) من إضافة الاسم إلى الفعل ومن الجزم بمن الاستفهامية ، وغير ذلك مما لا يحصى ولولا أني أشفق على القاريء أن يعتجله القيء من وسخ "البلاغ" لأوردت له شيئا كثيرا من جهل البلاغيين وأغلاضهم اللغوية والنحوية والصرفية والأدبية والدينية والصحافية ...

وأما التقويم "الجزائري" العام فإنه جاء فيه ما نصه : " ... إن كاتبنا بتاريخ 8 رجب 23 جانفي الفارطين إلى طائفة ممن شهرُوا بالكتابة والتفقه بجزائرنَا (!) ثم شفّعتهم (!) بمثلهم (!) لما حسست (!) بتشيطهم لنا في 3 شعبان - لأن - المؤمن غر كريم ... منهم اثنان بتونس أحدهما جزائري أيضا واقترحت على كل بما اشتهر به من الاختصاص العلمي ... " ثم استمر يسب الكتاب والعلماء بغير حق ، يسبهم لأنهم لم يعينوا مجرما جانيا على اللغة العربية التي هم ساعون في إحيائها ، ولم ينصروا حيوانا ناطقا يجهل كل شيء على هدم الأدب الجزائري الذي هم مجدّون في بنائه ورفع مناره . وما كان هذا التقويم ليطلع لولا السيد الحمار التونسي اعتنى بنشره ظنا منه أن الجزائريين سيسارعون إلى هذا "التقويم" ويتهاكون عليه ، والجزائريون أرفع من أن يشترّوا هذا العار لأنفسهم ، وما من جزائري إلا وهو يقول للبلاغ .. والتقويم اخسأ ، فإن عليكما لعنة الأدب والعربية إلى يوم الدين .^{1***}

¹ - تأبط شرا "التقويم والبلاغ الجزائريان" البرق عدد 3 . الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق ل 21 مارس 1927 م ، ص 3 .

عليوي بعد 11 عاما .

هاجر الشاب الفلاني السّوفي إلى عنابة في طلب العيش ، وتحصيل القوت ، فانقطع خبره عن أبويه وصاحبه وولده منذ أحد عشر عاما . قطع خبره عن ذوي قرباه وعن هذا العالم أجمع لأنه دخل الحضرة الإلهية أو الخلوة العليوية بعنابة . وبينما أبوه وأمه وصاحبه وولده يرتقبون منه إعانة مالية مما كسبت يداه بمدرسة عنابة أرسل إليهم جريدة "البلاغ الجزائري" العليوية فردوها عليه ليصرفها على نفسه...!

سيدي

في هذا الشهر شهر رمضان زار عاصمة الجزائر مرابط في طلب نيشان لا أدري ماذا يسمى لي جعله إلى جانب النياشين الكثيرة التي ملأت برنوسه . فكان من أمره أنه كان يمشي في "رودزلي" (وقد وضع برنسه "الموسم" على كتفيه) وتلك النياشين تتدلى من خلفه فتذكرنا قول القائل :

كأنك بكرة في ذيل كبش معلقة وذاك الكبش يمشي .

وقد قيل : إنه لا يبيت إلا وهو لابس برنسه "وقنوره" كأنه يخاف أن يفاجئه سفر في نومه إلى الآخرة ولم تكن معه نياشينه !

و قيل : إنه كان يصوم ولكن اقتصادا فقط لأنه لم يجد من يضيفه نهارا .^{1***}

جدها ..!

سودت جريدة "البلاغ" "فصلا ملأته بـ" القوادة" بين الإمامين العظيمين : باديس والعقي ، وحسبت بذلك تستطيع أن تحدث الشقاق بين صفوف المصلحين ، ولكنها فاتها أن أمثال هذه الوشايات لا تفيد في غير الصم البكم العمي من العليويين . أما جماعة المصلحين فإنهم أولو صدور طاهرة زكية ، ينتقدون الناس انتقادا طاهرا زكيا ،

¹ - تأبط شرا " سيدي " البرق عدد 3 . الاثنين 17 رمضان 1345 هـ . الموافق ل 21 مارس 1927 م ، ص 3 .

وينتقد بعضهم بعضا كذلك . فإن كانت البلاغ ترغب في التفريق بين المصلحين فلتجدد "....." أخرى .^{1***}

باش عدل عليوي .

في محكمة من محاكم التراب العسكري الشرعية يوجد اليوم باش عدل ، قضى ربع عمره كاملا في الارتشاء بكل وسيلة دنيئة ، حتى أنه يعرض نفسه على الناس عرضا ، عسى أن يعيشه أو يغدوه ، أو على الأقل يتقاضى منهم ثمن قهوة لا في مقابلة شيء . وقضى ذلك الأمد كله في السرقة ، حتى في غرق في آثامه وخطاياها ، فلم يعد يسمع الناس يتحدثون عنه إلا بالسوء ، وربما سمع من يلعنه منهم لعنا كبيرا ، فإنه ما من رسم أو كاغد يكون على يده إلا ويستخلص من صاحبه على وجه السرقة أجرة ضعفين . وقد أصدر في أمره هذه الأيام إلى العدل بأن يتقاضى أجرة الرسوم مرتين على أن يقتسما ذلك الفائض على السواء في كل مساء ، ويقال : إنه يأخذ تلك الزيارة باسم "فطور رمضان" فباسم الرشوة ، وقد رفع الناس أمر هذا الباش عدل إلى قاضيه ؛ فإن أوقف وكف يده أن يمدها إلى الاختلاس والارتشاء مرة أخرى فذلك ، وإلا فإنهم عازمون على الشكاية به إلى حاكم الدائرة ولست أعني الدائرة الباطنية ، بل الملحقة العسكرية التي لها النظر عليه وعلى سواه .

خبثت سيرة هذا الباش عدل عند الأمة وعند الحكومة التي لم يبق له وجه يقابلها به ، وقد غاضه أن يبق باش عدل طول حياته ، ولكنه لم يجد إلى الارتقاء سبيلا ، وزاد في همه أن رأى رجالا كثيرين أصبحوا قضاة وكانوا منذ أعوام في مثل وظيفه ، ورأى أيضا أن عدولا كان هو باش عدل عليهم قد سبقوه إلى وظيفة القضاء .

لقد عاجل هذا الباش عدل وجوها كثيرة ينفذ منها إلى وظيفة القضاء ، فلم يقدر له نجاح ، ولا فلاح ، لكثرة ما سرق ولكثرة ما ارتشى ولكثرة ما اكتدى وسأل وتسول ، ولكنه توفيق أخيرا إلى وسيلة ظن نفسه ينجح إذا هو تسول بها ، ظن نفسه يخرج من

¹ - تأبط شرا " سيدي " البرق عدد 3 . الاثنين 17 رمضان 1345 هـ . الموافق ل 21 مارس 1927 م ، ص 3 .

ذنوبه وخطاياهم كما ولدته أمه إذا هو دخل الطريقة العليوية ، وقد عزم أن يدخل خلوتها ، وأن يبقى فيها حتى تفنى ذاته في ذات الله ! ويومئذ يصير هو الله الغافر للذنوب ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله .

دخل هذا الباش عدل خلوة العليويين ونيتته أن تمحى عنه ذنوبه ، وآثامه ، وأن يصير إلها يعصم نفسه من جميع الخطايا والأدناس . ولكنه لم يحصل شيء مما كان يطمع فيه ، فلم يصبر إلها يغسل عن نفسه مآثمه وخطاياهم التي كثرت عليه ، ولا سيما في هذه الأيام ، فإنه عظم أمره في السرقة والارتشاء والاختلاس ، ولقد سمعنا عنه وقائع شنيعة ما أحسبه أنه ينجو من شرها .

بلغنا عنه أنه خرج يطوف في القرى التابعة للمحكمة التي هو متوظف فيها ، فترل عند رجل من سوقة الناس ، لأن الأعيان قد يئسوا من إطعامه وسرقاته ، فلم يعودوا يترلونه عند ساحتهم ، ولم يعودوا يكثرون بممثلته ، وكان من أمره أنه سأل رجل أن يتفضل عليه بصينية من الشاهي (الاتاي) فجاد الرجل عليه بذلك فشرب الشاهي ودس الصينية وما فيها من أباريق وكؤوس في جوف حقييته ، وأوصى العون أن يقول للرجل المتفضل صاحب الصينية : إن الكيسان قد انكسروا ، وضاعت الصينية وضاعت الأباريق . فجاء الرجل وقال له العون هذا القول ، فلم يتمالك من شدة الغضب أن أنقض على الحقيبة بمرأى من الباش عدل ومسمع ، ففضها بعنف فإذا بها الصينية والأباريق والكيسان ، فصاح الباش عدل عدل "الله الله" !. ولست أدري ماذا يعني بهذه الصيحة ؟ ومع هذا فإن الباش عدل لا يزال يحسب أن شيخه سيصفيه بنظرة !***¹

الشعر المتجنس .

بهذا العنوان نشرنا في العدد الأول انتقادا على شاعر جزائري مرق من جنسيته الجزائرية إلى الجنسية التونسية ، وأنكر أباه (هذا القطر) ، وانتسب إلى عمه (ذلك

¹ - تأبط شرا " باش عدل عليوي " البرق عدد 4. الاثنين 24 رمضان 1345 هـ . الموافق لـ 27 مارس 1927 م . ص 3 .

القطر) ، ولم يرم أمه الجزائر ، ورام حالته تونس ، ومن غير أن نمس التونسيين في انتقادنا ، فما هي إلا أن أومض البرق بتونس حتى قرأنا بجريدة النديم كلمة آثمة صوبها نحونا من جراء هذا الانتقاد ، ونحن لا لنرد عليه في هذه الساعة إلا بقولنا بأن الجزائر وتونس قطران شقيقان ولكن :

إنا بني نهشل لا ندعى لأب عنه ، ولا هو بالأبناء يشرينا .
ولا نزيده الآن على هذا الجواب .^{1***}

الولي الصالح .

يشاع بأن العليويين سيحتفلون في شهر شوال المقبل بتكريم الولي الصالح الميزابي الذي دخل طريقهم بعدما ترك زوجته وولده ومذهبه وأصله ، فأصبح عازبا فردا واحدا أحدا ! بعدما كان متزوجا ذا أولاد ، وأصبح عليويا بعدما كان أباضيا لا يؤمن بالخرافات ، وعاد عنايبا دخيلا بعدما كان ميزابيا حرا صميما ، وذلك بمناسبة مرور حول كامل على دخوله في طريق الضلال ، ولا ندري نصيب هذه الإشاعة من الصحة
^{2***}

أمجوسي هو .

قرأنا في البلاغ العليوي والنجاح أن الشيخ المربي مات بنجله ، ونحن نعلم أنه عقيم لا نجل له ، ونعلم أن الذي مات ولد أخته لا نجله . فهل كان الميت نجل الشيخ المربي حقا ؟ فإن كان نجله حقا - كما قالت الجريدتان - فإن المربي مجوسي بلا ريب فإن دين المجوس هو الذي يبيح نكاح الأخت . وإن لم يكن نجله حقا فلماذا يدعيه وهو رجل واحد فرد أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .^{3***}

الباش عدل عليوي .

¹ - تأبط شرا " الشعر المتجنس " البرق عدد 4 . الاثنين 24 رمضان 1345 هـ . الموافق لـ 27 مارس 1927 م . ص 3 .

² - تأبط شرا " الولي الصالح " البرق عدد 4 . الاثنين 24 رمضان 1345 هـ . الموافق لـ 27 مارس 1927 م . ص 3 .

³ - تأبط شرا " أمجوسي هو " البرق عدد 6 . الاثنين 9 شوال 1346 هـ . الموافق لـ 11 أبريل 1927 م . ص 3 .

ضاقت بهم الأرض بما رحبت وكاد ينتحر من الفضيحة التي فضحه بها تأبط شرا ، فجعل يطوف على باعة البرق يجمع نسخ العدد الرابع من البرق ، ويذل في كل نسخة ثمنا وافرا عسى أن يستر فضيحته ولكن فاته أن البرق قد انتشر في هذه الأمة بسرعة فوق سرعة البرق ، وأصبح يطبع من النسخ ما لم تطبع الجرائد ذات الأعمار التي هي أطول من أعمار الكلاب . وقد بلغنا بأنه تعرف على تأبط شرا بشخصه وأنه سيحرق عليه تيسا يعتدي عليه مثل الاعتداء على الأستاذ باديس ، ويؤجره بشيء مما أخذ من الرشوة . وتأبط شرا يقول له ما قاله جرير :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول السلامة يا مربع .

ولئن لم ينته هذا الباش عدل ليعودن إليه الكاتب تأبط شرا فيمزقه ويمزق أصله وفصله .^{1***}

قاضيان في النار .

اجتمع في العاصمة (الجزائر) عام أول مشركان من عمد المشركين . القاضي الجلف الشهير والقاضي الأشقر الفاسي ، وكلاهما خرافي مشرك ، وكلاهما مؤلف ، وكلاهما من أولياء الله الكمل ، وكلاهما طرقي ملحد يبغض الشباب المؤمن وكلاهما " مقدم " وكنت أحسب أنهما قد رزقا فيما بينهما رابطة متينة لا انفصام لها أبد الآبدن . ولكن أهل الطرق لا يجتمعون " تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى " ، فقد اتفق أن اجتمعا في جماعة من الناس وكانوا جميعا مستمسكين بعهد طريقة واحدة وجعلوا يخوضون في الحديث عن طريقتهن وعن رجالها وعن خدمتها وعن عرشها ، ولم يعدوا القاضيين في أعلام هذه الطريقة فاستشاط القاضي الجلف غضبا فقال : لقد خدمت أولياء الله وجوزت زيارتهم ، فما لكم لا تحسبونني من أنصار الأولياء ؟ فقال القاضي الأشقر الفاسي : "... إني قد خدمت الطريقة أكثر من كل أحد ، وألفت في الكرامات تآليف عديدة ، ومع ذلك فإن هذه الجماعة لم يعدوني من أهل الخصوصية . إن شيخ طريقة

¹ - تأبط شرا " الباش عدل عليوي " البرق عدد 6 . الاثنين 9 شوال 1346 هـ . الموافق ل 11 أفريل 1927 م . ص 3 .

أخرى غير طريقتنا قد أشار إلى أي من أهل المعرفة والخصوصية وذلك حينما زرتة في زاويته ... " فقال الجلف : إنك زرت شيخا آخر من غير طريقتنا وذلك عندنا ردة ، وزيادة على ذلك فإنك مدحته مدحا عريضا طويلا .. " فقال له القاضي الأشقر : وأنت رسالتك لا ترن جناح بعوضة .. " فhez الجلف فردة نعله (صباطه) وقذف بها الأشقر ، فشج جبينه ، ثم ثار فبرك عليه ، فلم يفكه الحاضرون منه إلا بعد اللتيا والتي .. !

افترق هذان القاضيان وكلاهما يشتعل غضبا على صاحبه ، ويلعنه لعنا كبيرا . وكنت أظن أنهما لا يفترقان ما دامت السماوات والأرض بعدما كانا أخوين في السراء والضراء والشدة والرخاء . ولا يسعني إلا أن أروي لكما عنهما واقعة وقفها فيها موقف رجل واحد :

نزلت بالخان (هوتل) الذي يسكنه هذان القاضيان ، وكنت أقرب جار لهما ، فكانا يقضيان الليل في أحاديث كلها مجون ونسيب ، وذكر محاسن النساء... فقضى عليهما الشبق أن يبيتا مع مومستين تجيآهما إلى الخان ، ففعلا بفتيا أنهما "مقدمان" يباح لهما ما لا يباح لغيرهما ، وأن شيخهما يغفر لمريده جميع الذنوب ، ويمحو عنهم سائر الآثام ، ولو كانت مثل زبد البحر . وأنهم لفي سكرتهم يعمهون ، وفي خمرتهم يتألهون ، وفي أحاديثهم يمحنون ويعبثون ؛ إذ قال القاضي الأشقر الفاسي لصاحبه : " لا أرضى منك بأقل من مائة فرنك " زيارة " وسيكون الشيخ معك يحل " حزامك " إذا أنت تزوجت .. "

فقلت له : يا لك من طماع فهل تظن أنك ناجيا من يدي الليلة ؟ " . فقال لها القاضي الجلف : " ..إنه مقدم الشيخ سيدي فلان .. " .

فقلت صاحبة الجلف : " ونحن بنات الشيخ شريفات !.. "

فقال لها : " ..إننا مؤلفون ، ألفنا كتبنا في الرد على الشبان الذين لا يؤمنون بالمشايخ ، ويحلّقون لحاهم .. " فأخذت بلحيته وصاحت في وجهه " ..وهل أعجبتك هذه المكينة !؟ يا عدو الله " . فقال لها الأشقر : لا تعاند هذه المومسة " فصفعته صفعه لعج البرق فيها من عينه ، وعيرته بأنه مومس ذكر . فركلها الجلف برجله ، فلطمته

الأخرى في خده بقرعة بيرة... ثم كثر الصياح والنواح فجاء صاحب الخان ، وجاء أكثر من يسكنون الخان ، فلم يستطيعوا أن يطفئوا المعركة ، فتدخل أعوان البوليس ، فسافر الجميع إلى السجن ، ثم انتهت على ما يقال بصلح يوجب على القاضيين غرامة كبيرة يدفعانها إلى المومستين زيادة على أجر المبيت ..^{1***}

ضاقت بهم .

ضاقت الأرض بما رحبت ببني الزوايا فلم يعودوا يحصلون على (زيارة) ولا (وعدة) لأن الناس قد انتبهوا . فعمد بعضهم إلى وجه آخر يتكفف به إلى ما في أيدي الناس ، فزعم أنه سيحج في هذا العام وأخذ يطوف على العامة ويتكففهم باسم (الإعانة على الحج) (لا باسم الزيارة) ... واقتدى به في ذلك نفر من بني عمه ثم عادوا بيد فارغة وأخرى لا شيء فيها (لأن الناس قد انتبهوا) . ولم يكن هذا الإخفاق ليصدهم عن الاكتداء فقد صمموا على أن يسافروا إلى مرسيليا ثم إلى جدة ليمروا في طريقهم على العملة (الخدمة) الأهالي بفرنسا - يوم فتح جامع باريس - وغرضه الطواف على العملة هناك لجمع الزيارات .^{2***}

بالرفاء والبنين .

علقت جريدة البرق العليوية من البرق الفحل ، وأخذها المخاض في هذه الأيام ، وعلم الناس كل ذلك فجعلوا يرسلون إلينا رسائل التهاني الكثيرة ، ولكن جاءتنا رسالة تقول : هل تزوج البرق بجريدة البلاغ حقا ؟ وهل وطئها وطئا حلالا ؟ حتى تضع له ولدا شرعيا . أم كان ذلك من البرق سفاحا كسفاح الجاهلية الأولى ؟ أم اتخذها خليله كما يفعل المتمدنون في هذا العصر ؟ وعلى أية حال فإننا نهىء (البرق) بهذه الزوجة الصالحة ... وندعو لهما بالرفاء والبنين .

ونحن نقول لهذا السائل : إن البرق أغار على قوم (البلاغ ...) فأوغل فيهم قتلا ونهبا ، وسباها فيما سبي . فهي ملك يمينه ، وأم ولده .^{3***}

¹ - - تأبط شرا " قاضيان في النار " البرق عدد 6 . الاثنين 9 شوال 1346 هـ . الموافق ل 11 أبريل 1927 م . ص 3/2 .

² - تأبط شرا " ضاقت بهم " البرق عدد 8 . الاثنين 23 شوال 1345 هـ . الموافق ل 25 أبريل 1927 م ، ص 2 .

³ - تأبط شرا " بالرفاء والبنين " البرق عدد 8 . الاثنين 23 شوال 1345 هـ . الموافق ل 25 أبريل 1927 م ، ص 2 .

يتظلمن وهن الظالمات .

يتظلم العليويون ويشتكون من " البرق " وما يكتبه كتبة " البرق " عنهم ، والعليويون هم البادئون ، وهم الظالمون ، فلقد اعتدوا علينا بأيديهم وبهراواتهم ، فكادوا يذهبون بحياة زعيم المصلحين الأستاذ باديس لولا أن الله سلم ، وقيل أنهم أرسلوا " تيسا " إلى الأستاذ الملي ليغتاله ، وتيسا آخر إلى زعيم السلفيين الأستاذ العقبي ، وآخر إلى الشاعر الملي الزاهري ، ولكن الله خذل التيوس بمجرد ما قبض على الجاني العليوي الذي سطا على الأستاذ باديس ، وكان ذلك قبل أن يتمموا ما أمروا به من القتل هؤلاء العلماء الأعلام والكتبة الطاهريين ، ثم أسسوا جريدة البلاغ العليوية لثلب الأعراض البريئة ، يستبيحون دماء من لم يدخلوا طريقهم المعوجة ، ويستبيحون أيضا أعراضهم ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ، لا يدرون أن كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله .

لم يكف هؤلاء الأوباش في مقاومة المصلحين بالهراوي والعصي فأنشأوا ورقة البلاغ العليوية ليشوهوا أعراض الكتاب بما فيها من قيء ونجس ، وكتب فيها حتى من يمسك في عمره قلما ، مثل ابن أمه (عدة بن تونس) وصالح بن سعيد المنسلخ عن قوميته وكان (!) وصالح بن ديمراد . وغير هؤلاء من السفلة الأنذال والرعاع الأميين . بهذا البلاغ العليوي (في أول عدد) يسب دعاة الله ، ويقول إنهم ملاحدة أعداء الدين والملة أولياء الله الصالحين .

فلما كلنا لهم بصاعهم ، وكلمناهم باللغة التي يفهمونها ، تظلموا وتشكوا وصرخوا ، ولكن لا صريخ لهم ولا هم ينقذون ، فإنه لا عدوان إلا على الظالمين .

تطاول الأوباش العليويون - وهم جاهلون - على علماء الأمة الجزائرية وكتبتها الأحرار ، وجعلوا يسبونهم بأشخاصهم ، ويسمونهم بأسمائهم - شأن التيوس والأوباش

- فلما أجابهم "تأبط شرا" و"سمهري" و"بيضاوي" وغيرهم من أنصار الله حاص العليويون حيصة حمر الوحش "كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ...". منا .
إنه لا ينجي العليويين إلا الرجوع إلى الحق ، والتوبة إلى الله مما عملت أيديهم ،
ومما نطقت به ألسنتهم الفاسقة و إلا فإننا سنردهم (طوعا أو كرها) على أدبارهم
فينقلبون خاسرين . ويل للعليويين مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون !***¹

ضبة الجزيري .

أحرقه الجوع وأكله الهم وسدت مسالك العيش في وجهه ، فلا يكاد يرى ما حوله من شدة فراغ بطنه ، وليس عليه من ثياب بالية تتساقط بالقمل ، وتكاد تشتعل من شدة الوسخ ، تصدق عليه بها بعض الشيوخ الزيتونيين الذي كان الجزيري يبيت له من الساجدين ، ولكنه سجود ضبية (أنثى الضباب) ثم عافه لما لم يعد غلاما طريا فاتخذة ضبة مرتزقا ومكسبا يصطاد بها ما يقوت به بطنه وبطن حليلته ..

ولكم من سعى ليصطاد فاصطي — د ، ولم يلق غير خفي حنين .
ففي مرة من المرات وجدته البوليس تحت ثلاثة أطباء تخرجوا من كلية البحيرة يضربونه بالإبر (البيكير) وهو يعض التراب .. فسحبه البوليس إلى السجن وهو يوبخه تارة بقوله :

لم يا ضبة يا ما لا تقي ظهر ضب لك ضرب البندق ..

وتارة يصفعه على قفاه حتى زجه في السجن الذي قضى فيه — لهذه الرذيلة — أمدا طويلا .

أحرق الجوع ضبة وأكله ، وأكل معه حليلته ، فلم تكن تتركه يدخل الدار مع الداخلين .. فركب رأسه وهام على وجهه يلتمس خبزا فلم يفلح إلا في الليلة العاشرة فإنه حصل على 5 فرنكات بوجه من الوجوه الخسيسة ، فطار فرحا وكاد يخرق الأرض بقدميه مرحا ، ورجع راكضا إلى الدار وهو يظن أنه رجع بغنى الدهر ، وبخير الدنيا لأنه لم يكن ملك في عمره خمسة فرنكات ، ولا تجمععت عنده ولو في المنام . دخل

¹ - تأبط شرا "يتظلمن وهن الظالمات" البرق عدد 10. الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ. الموافق لـ 9 ماي 1927 م ، ص 3 .

البيت فلم يجد ربة البيت ، تلك الفتاة المتمدنة ذات الشعر المقصوص " لا قارصون " ففتش عليها في كل موضع وفي كل خان ، فبعد اليأس منها أرشد إلى أنها في " البراكة " الفلانية من الشط الفلاني تلهو مع خليل متمدن (بوشاشية) وتشرب معه " البوخة " لأنها فتاة متمدنة ينبغي أن تعيش حرة .. فدخل عليها ضبة وهي في تلك الحال فلم تحفل به ، ولم تلتفت إليه فجعل يستعطفها بقول القائل : ما للنديمة غضبي لا تكلمينا ؟ ... فأخذت عودها وأنشأت تغني بهذا الصوت (ماخذش بوكشاطو ... ماخذش سيدي الشيخ ، وهي تعني بذلك ضبة لأنه هو بوكشاطو وهو سيدي الشيخ ولهذا السبب ليس بـ (السوري) بعدما كان يلبس اللباس الزيتوني فيما يقال ...^{1***}

الديك الأبحر !

أرسل الديك الأبحر إلى العليوي يطلب منه أن يقبله عليويا جديدا وأن يدخله الخلوة ، فطلب منه العليوي ميرزا أن يرسل إليه بصورته الفوتوغرافية ، فأرسل إليه بصورته وسجل اسمه ، ولما سافر الديك إلى صاحب الخلوة ، وجده خلقا عفنا كأنه راعي إبل ، إذا نظر إليك نظر بعين إلى مطلع الشمس ، وبأخرى إلى مغربها ، كبيرا في سنه ، أبحر الفم ، منتن الرائحة ، فنقض العليوي العهد ونكث وأبى على الديك أن يدخل الخلوة معه ، وحلف الديك ليدخلنها معه أو ليقبضن من العليوي أجرة السفر مجيئا ورجوعا إلى أورال . وما زالت تلك الخصومة بينهما أمام " ترينال " الصالحين الذاكرين (!!).^{2***}

إبن...

ابن غير شرعي تنازع فيه رجلان ، كل واحد يدعيه ، ويستلحقه ، ويزعم أنه هو أبوه ، وجرى بينهما خصام عنيف أمام إحدى المحاكم العدلية ، فحكمت به لأحدهما ، لم يقطع دابر الخصام إلى اليوم بينهما ثم كبر هذا الابن ... غير الشرعي ، وأصبح اليوم عليويا من أعيان العليوية وأنصارهم ، ومن أعداء الشباب الناهض ، وبلغنا عنه حلول

¹ - تأبط شرا " ضبية الجزيري " البرق عدد 11 . الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق ل 16 ماي 1927 م ص 3 .

² - تأبط شرا " الديك الأبحر " البرق عدد 12 . الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق ل 23 ماي 1927 م ، ص 2 .

العليوي وإلحاده بقدر ما ينال من أعراض المصلحين ، ونحن ننذر هذا اللقيط إنذاراً أخيراً ، فإن لم ينته نشرنا فيه قضية النزاع فيه ونشرنا الحكم الذي صدر فيه ، ومن أعذر فقد أنذر . ***¹

الماء أو مما رزقك الله .

أحاك أحاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح .
وقد جاء في الحديث الشريف : " أنصر أخاك... " أنصر أخاك السعدوني يا أخي ، ولا يخفى عليك مما هو في ضيق ذات اليد ، ومن المصاريف التي تلزمه كل يوم .
وأما لالة فلانة فقل لها : إن السعدوني يقرئك السلام ، من صميم فؤاده ويقول لك : أراك رايحة في الدارين ، لأنك شريفة ما عليك من إثم ولا حرج في كل ما تفعلين ، وإذا ضاقت بك يا مولاتي فاستغيثي (أندهي) بجذك ، فإنه ينجيك من كل سوء .
وكرامات الشيخ جذك لا تحصى ولا تعد ، فإنه حضر لي أنا مرارا لما استغثت به .
سافرت إلى مصر في طلب العلم ، فلم أجد ما أكل ولا ما أشرب فأعرضت عن القراءة بحكم الضرورة ، وعدت أبيع الفول لأني لم أستطع خدمة غير ذلك ، فلما طال علي الأمد وأردت الرجوع إلى بلادي أستحي أن أرجع بلا علم ، واهتممت بذلك كثيرا حتى صرت لا يغمض لي جفن ، ولا يهدأ لي بال من كثرة الوسواس وشدة التخمين ، ففي ليلة من الليالي استغثت بجذك يا شريفة ، فرأيت في نومي إنسانا أبيض اللحية كأنها فضة ، أزهر اللون جميل الصورة ، مربوع القامة ، قد أقبل إلي وهو يضحك ويتبسم ابتسامة الفرح والسرور ، فلما دنا مني سلم علي وحياني ، فرددت عليه السلام وقال لي : لا تخف يا سعدوني فإني حاضر لك أقضي جميع حوائجك . ثم قال لي : افتح فاك ، ففتحت ، فبصق فيه بصقة كبيرة ... وقال لي : اسرط فإنك أخذت العلم ...
فلما استيقظت وجدت طعمها ما زال في فمي أحلى من العسل ، ووجدت نفسي أصبحت عالما أزهريا كبيرا بل علامة وفهامة ودراكة وتكلامه ، فرجعت إلى هنا ، وهي

¹ - تأبط شرا " ابن " البرق عدد 12 . الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق ل 23 ماي 1927م ، ص 2 .

أنا ذات يوم أحارب شرذمة الضلال الذين لا يؤمنون بالمشائخ ويكفرون بجدك يا لالة الشريفة ، تلك الشرذمة التي لا تؤمن إلا بالله وحده ، ولا تشرك به شيئا من الأشياء ، ولو كان جدك أنت يا مولاتي ، وسأنتصر عليهم بجاه جدك . وقل لهما يا أخي : إني رأيت لها رؤيا صالحة سأقصها عليها عندما أجيء إلى بسكرة ، وأجتمع بتلك الشريفة ، وأقبل يدها الطاهرة الكريمة .

وبلغ إليها هذا الحرز الذي كتبته لها بنية حسنة ، وقل لها تبخره ببخور طيب ، من مصطكي أولبان فكر ، وإذا أضافت إلى هذا البخور سندروسا فذلك حسن حسن ، وبعد تبخره تطويه طيا جيدا ، ثم تعلقه في رجل من أرجل سريرها الذي تمام ، فإن فعلت ذلك قوي بختها ، واشتد إقبال الناس عليها ، وتزاحم عليها زبناؤها وحرفاؤها (ليكليان متاعها) ، وأصبحت ذات بخت وقبول ، وإني أوصيها وأنصحها - والدين النصيحة - أن تبر بأبناء الزوايا الشرفاء ، وشيوخ الطرق الصوفية وأن تتهاود معهم في أجرة البيت (!!) 13 فرنك فإنك إذا أخذت فرنكا واحدا من شيخ صوفي يبيت عندك يكون لك فيه بركة عظيمة وينفعك ذلك الفرنك الواحد أكثر مما ينفعك ألف فرنك من غير الشيوخ الصوفيين ، الحاصل أوصيك بشيوخ الطرق خيرا فإنهم صفوة خلق الله ، وأقرب عباده إليه ، وإياك يا مولاتي أن تفتري بما تسمعيه من شرذمة الضلال (القرآن) الذين يطعنون في أولياء الكافرين بالقرآن ، إني صارحت هذه الشبيبة بأن الرجوع إلى الكتاب والسنة ضلال وهلاك وخسارة أبدية وشقاوة سرمدية اليوم وقبل اليوم ... وأنت يا أخي ، ويا شقيق نفسي ، أوصيك بطاعة هذه السيدة الشريفة ، فإن الله سيثيبك على قدر طاعتك ، وإخلاصك في خدمتها ، ولا تنس أخاك وشقيق نفسك ، واذكره دائما عندها بخير لعلها تعطف علي عطفة ، وتغمرنني بإحسانها كما غمرتك ، " والله لا يضيع أجر المحسنين ... " . هذا نص كتاب جاءنا به حساس ولسنا ندري هل هو من عند السعدوني حقا أم هو مدسوس مفترى عليه .^{1***}

اللس الأبخر .

¹ - - تأبط شرا " الماء أو مزارقك الله " البرق عدد 12 . الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق ل 23 ماي 1927 م ، ص 2 .

جاءنا من أورال أن الديك الأبحر أو الدجاجة أورال الأبحر قد سرق مالية المسجد ، وزعم أنه اتجر بها في الصوف والتمر فخسر ، وسنشر له قضية سرقة "الطباسة" التي اختلسها من أحد المغارات بقسنطينة .^{1***}
أنصر أخاك .

للشيخ السعدوني أخ شقيق كدته الأيام وتلاطمت به الحوادث ، فبقي خادما عند شريفة من الشريفات (!) بنات سيدي نائل (!) ببسكرة . ولم يستطع المسكين أن يشبع بطنه من الفتات حتى جاءه كتاب من عند الشيخ السعدوني ، يقول له فيه : " يا أخي ، ويا ابن أمي بلغني أنك عند "لاله" "فلانة" الشريفة النسب والحسبية والنسبية بنت الشيخ سيدي نائل ، وأنت تتقلب في نعمتها السابقة عليك وفضلها العميم ، وأنت تعيش معها عيشا رغدا وتشرب .^{2***}

في سبيل الدفاع

قرأنا في البلاغ جريدة " أهل التسليم " قدرا قذفت به على الأستاذ الزاهري ، ورمته بأنه كان اتخذ خلية يهودية ... وهي تريد بذلك أن تحط من كرامة هذا الشاب العفيف . ونحن نكذب البلاغ بما سينشره " البرق " من ترجمة هذا الأستاذ ، ومن الرسائل التي لا يأخذها الإحصاء التي أرسل بها أهل الأغواط الكرام إلى الزاهري ، وهي كلها بكاء وحزن على فراقه ، وعواطف حسنة نحوه ، تدعوه إلى أن يرجع إليهم " ولهم عليه ما يشاء ويختار ...

نعرف الزاهري ونعرف منه شابا مخلصا زكيا ونعلم أن البلاغ كاذبة فيما قالته عنه من الإشاعة الطرقية ، ونعرف مع ذلك أنه ليس له في علمه الجرم ، وعقليته الراجحة ، وسيرته المرضية عصمة تعصمه من هفوة الشباب ، وصبوة الصغر، والله يعجب من شاب لا صبوة له ."

¹ - تأبط شرا " اللص الأبحر " البرق عدد 12 . الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق ل 23 ماي 1927 م ، ص 2 .
² - تأبط شرا " اللص الأبحر " البرق عدد 12 . الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ . الموافق ل 23 ماي 1927 م ، ص 2

ولنفرض أن البلاغ المرابطة صادقة ... فهل ذلك خير أم ما فعله شيخها العليوي ولا يزال مصرا على عليه من وأد فتاة مسلمة لم تعد التاسعة عشرة من عمرها ، ودفنها في داره أو خلوته ليقال أنه متزوج ، مع أن فيه من عيوب الزوجين عيبا يوجب لها الخيار كما يقول العليويون الذين شاهدوا ذلك بأنفسهم في الخلوة ؛ وهو بعد ذلك هرم ومشغول بالكد الذي يكده طول الليل وعامة النهار في معمل الخلوة .

لماذا فعل شيخك ذلك الحرام الممقوت أيتها الجريدة المرابطة الولية الصالحة ؟ أجيبي أيتها البلاغ ، لماذا نصب تلك المؤودة فخا في خلوته يصيد بها من اتخذ إلهه هواه فلا يعبد غير شهوته ، من كل ما هاجت عليه غلمته (!)

أظنك لا تجيبين لغير هذا الجواب ؛ لأن شيخك همه أن يجمع الناس إليه ، ويجلبهم بما يحبون وما يستلذون ، وليس هناك أحب ولا ألد من النساء إلى الرجال ، زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ... " ...

ولنفرض أنك - أيتها البلاغ - غير كاذبة فيما تقولين عن الأستاذ الزاهري فهل نسيت أيتها الولية الصالحة مديرک (محي الدين) الذي كان ولا يزال إلى هذه الساعة في كفالة ساقطة يعيش إلى اليوم على نفقتها ، وكاد يموت من شدة الجوع من قبل أن يلجأ إليها ، وهي الآن تقوته ، وليس لها من كسب غير "الكوميرس" الذي تعرق في عمله بياض النهار وسواد الليل "وخير الرزق ما كان بعرق الجبين وكد..."

هل عميت أيتها البلاغ من مصائب قومك ؟ أم كثرت عليك حتى لم تستطيعي لها إحصاء ولا عدا ، فتركت الاشتغال بتلك المخازي العليوية ؟ وأبشرك بأني سأشتغل بكشف الستر عن شيخك العليوي ، وما دمت لم أترجم له ترجمة تليق بها فليس لمتابي عن الكتابة من سبيل .^{1***}

الوطنية الصادقة .

نقرأ كل يوم في جرائد العالم أخبارا جديدة عن الأسبان ، وما يلاقونه من الهزائم والخسائر في الريف ، ولكننا قرأنا في عدد من أعداد جريدة العليوي أن الأسبان قد

¹ تأبط شرا " في سبيل الدفاع " . البرق عدد 15 . الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927 م . ص 3 .

انتصروا على المجاهدين المسلمين بالريف ، وأن الأسبان قد ملأوا الأرض عدلا ، وأنهم بنوا المساجد ، وأقاموا شعار الإسلام ، وهكذا أخذت تصفهم بأوصاف دونها أوصاف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ودونها أوصاف أصحابه المطهرين ، وخلفائه الراشدين . فعرفنا أن العليوي صاحب غيرة حامية على جنسه ، وعلى قومه الأسبان يصفهم بكل فضيلة ويترهم عن كل رذيلة ، يحمدهم بما ليس فيهم ، ويشني عليهم بالحق وبالباطل . فهذا هو الإحساس القومي . وهذه هي الوطنية الصادقة ! ^{1***}

فرنك فرنك .

دخل واحد من أبناء الزوايا مسجدا جامعيا في وقت صلاة الجمعة ، فنظر يمنة ويسرة فإذا خلق كثير لا يعد ، ولا يحصي عددهم غير الله ، فقال في نفسه ولأحد أتباعه : ليت هؤلاء يعطوني "فرنك فرنك" "زيارة" فقال له من معه : ليتهم يعطونك "دورو دورو" ولو شاء الله ويشاء جدك لحصلت يا "سيدي" هذه الأمنية بكل سهولة ، وأيضا لو أعطوك "فرنك فرنك" لما أغناك ذلك شيئا . فقال الم رابط : إن القناعة مطلوبة شرعا ، فإن أقنع بأن يعطوني (فرنك فرنك) فيه (مائة بركة) ، على أن عدد هؤلاء كثير جدا يبلغ كذا وكذا ... فقال له صاحبه : ياسيدي لا يبلغ عددهم ما ذكرت . فلا يكفيك أن يعطوك (فرنك فرنك) فاطلب أن يعطوك (دورو دورو) فإن فضل الله واسع ، وخير جدك واسع كثير ، فقال الم رابط : يبلغ عددهم إلى كذا وكذا ، وعارضه الآخر وصمم هو ، ولج بينهما الخصام حتى تراهنا على ذلك وخرجا دون أن يصليا . ووقف كل واحد منهما على باب من أبواب المسجد ليعد الخارجين من ذلك الباب ولكنهما غلطا في العد ، وضاع عليهما الحساب لأن الأبواب كانت أكثر من إثنين . ^{2***}

خصام عنيف .

خرج شيخ زاوية على أتباعه لجمع الزيارات والوعائد ، فإنه لمتنقل من بلدة إلى بلدة ، إذ نزل يوما بشيخ قرية صغيرة ، فأكرم الشيخ نزل الشيخ وأحسن مثواه ، فأراد

¹ - تأبط شرا " الوطنية الصادقة " البرق عدد 15. الاثنين 19 ذي الحجة 1345هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م . ص 3 .

² - تأبط شرا " فرنك فرنك " البرق عدد 16. الاثنين 19 محرم 1346هـ. الموافق لـ 18 جويلية 1927م . ص 3 .

الشيخ الرباني أن ينفخ على الشيخ الحكومي من نفحاته ، وأن يختص بشيء من بركاته ، ولم يكن لشيخ القرية من ولد صغير ولا كبير ، ولم يرزق غير جنين لا يزال في بطن أمه . فاعتنم شيخ الزاوية فرصة لإظهار كرامته فقال لصاحبه : إنا وهبناك ولدا ذكرا يكون لك قرة عين لك ويعيش عمرا طويلا ، ولكن على شرط أن تدفع ثمانين فرنكا لا إلى أجل . فقال شيخ القرية : حبا وكرامة ، ولكني عهدتك تبيع الولد بستين فرنكا فقط ، فما بال هذه العلاوة ؟ فقال الم رابط : لقد غلت الأسعار غلاء فاحشا . ثم تناول الثمانين كاملة . ولم تمض لهما غير ليلتين حتى وضعت ربة المنزل حملها ، ولم تضع ذكرا كما زعم الشيخ ولكن وضعتها أنثى ، ولم تعيش طويلا كما زعم الشيخ ولكن ماتت ليومها ، فغضب شيخ القرية وزعم الم رابط أن لانية له . فثار بين الشيخين خصام عنيف أفضى بينهما إلى المشاتمة ثم الملاكمة والمصافحة ... ثم دعيا أخيرا إلى مكتب الأمور الوطنية (بيرو عرب) حيث دفع الم رابط إلى شيخ القرية مائتين وخمسين فرنكا هي مجموع ما أعطاه للشيخ وما أنفقه على ضيافته وهي صلح ذلك ، ويقال إن الحاكم قد نهى الم رابط أن يعود إلى مثل هذه الأفاعيل ولكن :

لا تنتهي الأنفس عن غيرها ما لم يكن لها منها زاجر .^{1***}

زيارة جديدة .

ضاقت الحيل ببني الزوايا وشيوخ الطرق ، فلم يعودوا يحصلون على أموال الناس بالباطل باسم الزيارة ولا باسم "الوعدة" فجعلوا يحتالون على "الزيارات" ولكن بأماء أخرى . فمنهم من يتسول باسم "الإعانة على الحج" . ومنهم . ومنهم . ومنهم هذا العليوي يتسول باسم "إعانة البلاغ" . ولو كانت هذه الإعانة لجريدة البلاغ حقا لما وسعنا إلا أن نحبد ذلك لأنه مشروع عام نرجو له التوفيق إلى خدمة المصلحة العامة ، وإن كنا نراه اليوم في ضلال مبين . ولكننا نعتقد ونعلم أن هذه الإعانة وهذا الاكتتاب هو لفائدة المربي ، وسيدخل في جيب ولي الله الزاهد (!) . وهكذا أولياء الله الصالحون

¹ - تأبط شرا " خصام عنيف " البرق عدد 19. الاثنتين 19 محرم 1346 الحرام هـ الموافق ل 18 جويلية 1927م ، ص 3

الزاهدون يكونون فقراء ثم لم يزالوا يحتالون على الناس ويخدعونهم باسم "الله" وباسم "الدين" حتى يصبحوا أغنياء ... وليتهم صرفوا ما جمعوه في مصالحهم الخاصة ، إذ لم يهدمهم الله إلى المصالح العامة التي تفيد الأمة ! ولكن الله يأبى إلا يصرف المال الحرام إلا في الحرام ، فإن هؤلاء الصالحين الزاهدين يسرفون أموال الناس باسم "الدين" ثم ينفقونها بين هدايا "كادوات" إلى الإفرنج ، وبين خمور يشربونها لضيافتهم . ومن هنا تعلم شيوخ الطريقة شرب الخمر لأنهم بدأوا أول مرة يشربون مع ضيوفهم إرضاء لهم ، ثم أصبح شيوخنا الصالحون الزاهدون يدمنون على الخمر ، ولعل ذلك كان برورا بآبائهم وإرضاء لأجدادهم الذين كانوا يؤمنون على الخمر (!) فإن الخمر والخمرة متقاربان ... ^{1***}

غرق .

طلعت على الشيخ القاضي وهو جالس للحكم بين الناس وفصل النوازل فتاة لم يشك في أنها حوراء ، طلعت عليه من لجنة ، وتقدمت حتى مثلت بين يديه ، ثم أخذت تشكو إليه من زوجها الذي جفاها منذ عام كامل وتركها معلقة لا متزوجة ولا مطلقة فأمر القاضي عونه فأتاه بالزوج فإذا هو "مغفغف" اللحية قد تهدل شعر شاربه على فمه كما يتهدل على الماء حشيش جنبات الساقية ، مصفر اللون غائر العينين ، ولكن لا تزال بسحنته بقايا الجمال ، فاستنطقه القاضي فقال بصوت عال : الله الله . ثم قال : كيف أشتغل بها ، وكيف لا أجفوها وقد شغلت بالخلوة العليوية وما أدراك ما الخلوة ... فيها ترى الله حقا ، وفيها ترى اللجنة حقا ، وترى النار ، وفيها ، وفيها ... لقد شغلت بالخلوة حتى عن نفسي ، فطلقها أيها القاضي إن شئت ، فإنه لم تبق لي بها حاجة . فقضى القاضي بطلاق الفتاة ، وهنا اغرورقت عيناه بالدموع شوقا إلى الخلوة ، وغرق ... ^{2***}

الغوث !

¹ - تأبط شرا " زيارة جديدة " البرق عدد 19، الاثنين 19 محرم 1346 الحرام هـ الموافق ل 18 جويلية 1927م ، ص 3
² - تأبط شرا " غرق " البرق عدد 19، الاثنين 19 محرم 1346 الحرام هـ الموافق ل 18 جويلية 1927م ، ص 3

أكل فلان الغوث رمضان ولم يصم منه يوما واحدا فقليل له في ذلك فقال : إني أمضغ لغيري من الجنون . وترك الصلاة فلم يعد يصلي فقليل له في ذلك فقال : وقالوا لي يا هذا تركت صلاتك ولم تعلموا أنني أصلي بمكة .^{1***}

إمام عليوي ؟

في عناية إنسان ذكر من بني آدم كان في أول أمره ذا سيرة لا بأس بها ثم ساعدته الظروف حتى صار إماما يصلي بالناس في المحراب (!) ثم صار مع ذلك عليويا آنية من الأواني يحل فيها " الله " وهذا ما جعله اليوم لا يخرج من حانة إلا إلى حانة ولا من مخمرة إلا إلى مخمرة ولا يترك المبيت في مأخور إلا إذا بات في مأخور آخر . ما شاء الله كان ، هذا هو الصلاح وهذا التصوف ، وهذه هي تربية بن عليوة .^{2***}

العليوي الخاسر .

الشاب السيد محمد العيد بن عبد الباري الشريف التونسي مؤلف كتاب " الشهادت والفتاوي " قضى سبع سنين في الخلوة العليوية حتى أعطاه بن عليوة "إجازة" بخط يده يقول فيها : إن بني هذا (يعني محمد العيد) ولي من أولياء الله الكبار وهو خليفتي في الأرض بعد غيابي ومماتي ، وقد أعطيته التصريف في كل هذا الكون ، ومكنته اليوم من ذلك كله ، أنا مدينة الولاية وسيدي محمد العيد بابها ، أنا بمثابة "الله" وسيدي محمد العيد بمثابة "جبريل" وهو صفوة أصحابي كلهم ، ومن أراد أن ينال مني سرا من الأسرار أوفضيا من الفيوضيات فعليه بسيدي محمد العيد فإنه هو أنا وأنا هو . ومن لم يطعه فإني أسلبه . وهكذا أخذ يصف العليوي خريجه هذا بأوصاف الألوهية ، ولكنه بعد ذلك بقليل أصبح هذا الخاصة العليوي يعلن في الناس أنه لا إله إلا الفرنك وما الدين والمروءة إلا وهم فقط .

¹ تأبط شرا " الغوث " البرق عدد 19، الاثنين 19 محرم 1346 الحرام هـ الموافق ل 18 جويلية 1927م ، ص 3
² - تأبط شرا "إمام عليوي" البرق عدد 21 . الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 1 أوت 1927م . ص 3.

وقد علم عنه حتى العليويون أنه دائما يخاصر ساقطة ويمشي معها في عاصمة الجزائر في النهار المبصر . وكم مرة بات بها في الزاوية العليوية التي هو المتصرف عليها وخليفة "الله" فيها (..) وكان إذا غلب عليه الحال يقول:

وسكرة مع بنت وسط "زاوية" أشهى إلي من الدنيا وما فيها
أبيت في "خلوتي" أحسو المدام وهـ ذي "المدامة" أحسو لريق من فيها
فهاات لي الخمر يا "حمار زاوية" تسكن من الجنة العليا أعاليها
و"حمار الزاوية" لقب من ألقاب الشرف في نظرهم ، أطلقوه على غليظ سمين
(هوري) فارغ القلب فارغ الجيب ، ويدعونه أيضا (خديم الزاوية) .

هكذا يقضي ليلة في زاوية ، أما النهار فيقضيه في مخمرة ومحشاشة ، وهو متأبط تلك الساقطة لا يدعها تفارق ذراعيه . هذا هو مؤلف كتاب "الشهائد والفتاوي" الذي عاد اليوم يقول : هذه الساقطة أفضل عند الله من بني عليوة ، وعاد يلعن بني عليوة لعنا كبيرا بما نثره عنه قلمنا .

هذا هو السلوك وهذا هو التصوف "الـ" وهذه هي الولاية وهذا هو الصلاح . وهذا هو الوصول إلى الله . وهذه هي الدلالة على الله . (!)***¹

العليوي والعلمي .

قضى العليوي أشهراً في خيانة يسقي الماء ويحمله إلى الشريفات بنات الشيخ بالجزائر . وقد يتمنى وهو حامل القلة على رأسه أن يعطينه بعض العطاء ، وكثيراً ما يتوسل في ذلك بهذا البيت :

بجاه صاحب "العطا" (الـ) "شولاق" وساكنات ذلك الزقاق (الـ) ، وقد استجيب دعاؤه لأنه صار بعد ذلك شيخاً عليهن يعطينهن السبحة ثم مشيت الأيام ومضت الليالي حتى قذف الفقر إلى ذلك الزقاق . محمد بن البشير الجريدي النفطي العلقي فكان حجاً لتلك الشريفات وحلاقاً لهن ، فعرف هنالك آثار الشيخ فلحق به

¹ - تأبط شراً "العليوي الخاسر" البرق عدد 21 . الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 3 .

وانضم إليه بعدما خرج من المستشفى الذي دخله من جراء جرح بليغ جرحه بيد شريفة لم يحمها في مرة من المرات ولم يقيم بواجب "الشوكرة" عليها . فيالهم من أولياء سالكين ...! 1***

وقاحة .

يسب العليوي في بلاغه سيده الوطني الحر محمد الصغير أبو صالح أحد أعيان تلمسان وسراها ويصفه بالجهل ... ونحن لا ندي في الأرض أجهل من العليوي ومن الذبان الذي يلف حوله ، ولا أغلظ حافرا منه ، ولا من محي الدين مدير البلاغ الذي لا يقرأ ولا يكتب ولا يكاد يعرف حتى العربية العامية ... يصفون أسيادهم من الناس بالجهل وهم (العليويون) أجهل من خلق الله . ياللقاحة ! 2***

صدقت ...

اليوم فقط صدقت البلاغ فيما منت به علينا من أن إدارتها مملوءة بالقاذورات والفضالة ، وأنها لم ترسل علينا من ذلك إلا بريح منتنة فقط ... 3***

"عوق"

قالت البلاغ إن السعدوني جاء إلى الجزائر بنية أن يزور الشيخ العليوي ، ولكنه لما كان غير صافي النية ناقه الاعتقاد لم يبلغ مراده و"عوق" ، وقيل إنه رجع يردد هذا البيت :

الناس قد حجوا وقد بلغوا المنى وأنا حججت وما بلغت مرادي (١) . 4***

الشيوخ الكلاب ؟.

بلغنا أن كلبين من كلاب بن الحملاوي خرجا في هذا المصيف يطوفان على الإخوان ويدوران لجمع الزيارات . وكان مهما دخلا حيا من الأحياء ودوارا من

1 - تأبط شرا "العليوي والعلمي" البرق عدد 21 . الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 3 .

2 - تأبط شرا "وقاحة" ، البرق عدد 21 . الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 3 .

3 - تأبط شرا "صدقت" البرق عدد 21 . الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 3 .

4 - تأبط شرا "عوق" البرق عدد 21 . الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 1 أوت 1927 م . ص 3 .

الدواوير إلا استقبلتهما الطريقون الحملاويون بكل حفاوة وإكرام ، وأحسنوا ضيافتهما ، وبالغوا في رفع منزلتهما . وخضعوا لهما خضوعا خالصا لهما .

والتمسوا منهما البركة والخير ، وطلبوا منهما صالح الدعوات ولا سيما إذا جعلوا لهما " حضرة " وأطلقوا فيها بخورا هو شعرات أخذوها للبركة من ذبي ذنيك الشيخين الكلبيين القطبين الغوثين ولم يكن أهل ذلك الحي ليركوا هذين الضيفين الكريمين عليهما يخرجان إلى دوار آخر إلا إذا خضبوهما بالحناء إكراما لهما وبرورا بهما ، وأخذوا منهما شعرات يتقاسمونها شعرة شعرة للبركة ، وأخذوا منهما بركة فاتحة و"معروفا" ويقال إن الأهالي الدواوير تنازعوا على الشيخين الكلبيين نزاعا شديدا ، كل دوار يريد أن يختص بإكرامهما ، وبستائر بما في الكلبيين من صلاح وتقوى ، وما فيهما من بركة وخير . وبلا شك أن التصوف هو الذي أعمى بصائر الناس وأمات قلوبهم حتى صاروا يعتقدون الكلاب شيوخا وأولياء الله يزارون ويحترمون وتلتمس منهم البركة كما تلتمس من كبار المتصوفين . وبئس التصوف تصوف يساوي بين الكلاب وبين عباد الله الصالحين .^{1***}

رحمه الله .

إن كان في أشياخ الطرق رجل شريف ماجد فهو الشيخ بن عزوز دفين البرج (طولقة) وعائلته أكرم عائلة ، وزاويته أكرم زاوية في بلاد الجزائر . ولقد مات أكثر أبناء هذا الشيخ في سبيل الله وفي سبيل الوطن مع الأمير عبد القادر المجاهد .

ثم إن كان في أبناء الزوايا حر صريح فهو المرحوم السيد أحمد بن عزوز أحد أفراد هذه العائلة الكريمة . وقد مات قتيلا مطعوناً في جنبه ، لا منتحرا كما قالت البلاغ الفاسقة . وما زالت السلطة لم تعثر على قاتله الشقي الآثم إلى اليوم . ويكفي العليويين جبنا وحزنا أنهم لم يذكروه بسوء إلا بعدما مات ، والنبي (صلعم) يقول : " اذكروا موتاكم بخير " . بعدما مات هذا المرحوم جعل العليويون ينسبون إليه كل نقيصة وعار ، ويأكلون لحمه ميتا ، ويقولون عنه كذبا إنه هو الذي كاتب للشهاب ضد العليويين

¹ - تأبط شرا " الشيوخ الكلاب " البرق عدد 22. الاثنين 10 صفر الخير 1346هـ . الموافق لـ 08 أوت 1927م . ص 3 .

بإمضاء "طلبة العلم بالعاصمة" ولو كانوا صادقين لقالوا ذلك أيام كان المرحوم بقيد الحياة ، وأيضا فبأي دليل عرف العليوي أن هذا المرحوم الذي كتب إلى الشهاب بإمضاء "طلبة العلم بالعاصمة" . وأما ما أشاع العليويون عن هذا المرحوم من الفاحشة فإننا نتلوا عليهم آية " إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ...".

وبعد فهذا المرحوم أشرف طريقي سمعنا به في هذه البلاد (!!!).^{1***}

في الإدارة .

عندنا راوية شيقة ظريفة لذيدة جدا ومضحكة بقلم الأستاذ الكبير "تأبط شرا" لا ننشرها مادنا نرجو أن يرتفع الحجر الذي يمنع البرق من الدخول إلى المغرب لأنها عن حياة سكيرج ، أحصت عليه فعائله في الحجاز وباريس ووجدة والجزائر وتونس ومستغانم ، وحجة مقره الجديد ... ونحن لا نحب أن يحرم من الاطلاع عليها إخواننا المصلحون بالمغرب .^{2***}

قضية (!) .

حكم الأستاذ "تأبط شرا" حكما نهائيا على أبي العزم الفاسي بأنه مجهول الأبوين معا ، ولو لم يكن مجهول الأم أيضا كما هو مجهول الأب لكان وضع لنا عنوان والدته الذي طلبه منه الأستاذ "سمهري" بكل إلحاح ، وحكم عليه بأنه لا يعرف أمه ولا أباه ، وإنما هو وأبناء "دار الناقوس" فيما قضى عليه به الحكم العدل "تأبط شرا".^{3***}

خبر .

أخبرنا "تأبط شرا" بأنه لم تنتخب الوزارة الباطنية ولا رئيس برلمان الصالحين السري لفي يوم الحج الأكبر الماضي ، وقال : إن هذه المحكمة الباطنية أصبحت فوضوية (ليزاناريشت) لأن جلالة ملك الحجاز هدم عليها كل قبة تجتمع فيها ، فلم يترك لها

¹ - تأبط شرا " رحمه الله " ، البرق عدد 22 ، الاثنين 10 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 08 أوت 1927 م . ص 3 .
² - - تأبط شرا " في الإدارة " ، البرق عدد 22 ، الاثنين 10 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 08 أوت 1927 م . ص 3 .
³ - - تأبط شرا " قضية " ، البرق عدد 22 ، الاثنين 10 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 08 أوت 1927 م . ص 3 .

برلماننا ولا دار وزارة ولا مقر رئيس ولا قنصلية ولا غير ذلك ... وطردها من الحجاز
تماما . 1***

جناية اللحية .

أعرف فقيرا عليويا لحيته حية طويلة طبعاً ، خطب فتاة آنسة إلى أبيها ، فأنكحه
أيها . فجهز الزوج جهاز الزواج وتهيأ له ، ولم يبق له دون البناء والدخول إلى يومان
وليلة حتى جاءه من خطيبته كتاب يقول فيه : (خطيبي فلان سلام عليكم لا نبتغي
الملتحين أما بعد : فلا تطمع أن يكون لك من سبيل إلي ما لم تحكم موسى في لحيتك
... ثم ختمت له الكتاب بقول ابن الرومي :

إن تطل لحية عليك وتعرض فالمخازي معلقة للحمير

خلق الله فوق خدك محلا ة ، ولكنها بغير شعير .

(. ولما قرأ الكتاب بكى حتى ابتلت لحيته التي هان عليه أن يفرط في الخطيئة دون
أن يفرط فيها . 2***

إفلاس .

أسرف ولد من أولاد الزوايا على نفسه حتى أفلس وساءت حاله . ولم يبق له
أثاث في داره يبيعه وينفق ثمنه في ضروريات الحياة غير مصحف قرآن شريف مخطوط
باليد ، فلمته الحاجة أن يبيعه فجعل يطوف على معارفه وأصدقائه يعرض عليه ويحثهم
على شرائه بقوله ! إن هذا المصحف بخط يد المؤلف نفسه " ! ويعني بخط يد الله . أستغفر
الله . ما أقبح الجهل والإفلاس بالرجل ... 3***

عزم ...

عزم أحد الشبان العاملين المصلحين على أن يطلب من الحكومة أن تأذن له في فتح
زاوية ، ومراده مدرسة لأن الحكومة لا تحب أن تسمع كلمة مدرسة ، ولا أن تأذن فيها
لأحد مع أنها دولة العلم فيما تقول . 4***

¹ - - تأبط شرا " خبر " ، البرق عدد 22 . الاثنين 10 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 08 أوت 1927 م . ص 3 .

² - تأبط شرا " جناية اللحية " ، البرق عدد 23 . الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 15 أوت 1927 م . ص 2 .

³ - تأبط شرا " إفلاس " ، البرق عدد 23 . الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 15 أوت 1927 م . ص 2 .

⁴ - تأبط شرا " عزم " ، البرق عدد 23 . الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 15 أوت 1927 م . ص 2 .

على الطائر الميمون .

انتقل السعدوني من مخمرة الزيبان (أورال) إلى محشاشة الجزائر (نقاوس) وقد شيع في جم غفير من رجال حانة الزيبان وكانوا جميعا (عند توديعه هو معهم) في عالم الغيب وفي المخمرة الربانية . وقد قدم أيضا نقاوس على الطائر الميمون حيث أقام له رجال الحشيشة الصوفية احتفالا فخما وعلقوا على صدره وسام "نقاوسي" .^{1***}

بلا لحية .

هنالك ... عليوي ولكنه حليق اللحية طويل الشوارب (الشلاغم) فلم نفهم لماذا فرط في شعار العليويين إن لم يكن كاذبا في عليويته ؟.^{2***}

بولحية .

ما زال يمشي في شوارع قسنطينة بلحيته ، وما زال ينقي الفضاء بمكنسته ، وقد كنا نظن أنه تركها في قفا يهودي صغير بباتنه ... السبب الذي أخرج به من باتنة مذموما مدحورا .^{3***}

¹ - تأبط شرا " على الطائر الميمون " البرق عدد 23 . الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 15 أوت 1927 م . ص 3 .

² - تأبط شرا " بلا لحية " البرق عدد 23 . الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 15 أوت 1927 م . 3 .

³ - تأبط شرا " بولحية " البرق عدد 23 . الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ . الموافق لـ 15 أوت 1927 م . ص 3 .

أ- جدول كتاب جريدة " البرق " .

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
ابن أدهم	- أخذها المخاض - جنون البلاغ - جنون البلاغ في عدد 16 - لا علم عنده - العالم الباطني	الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 أفريل 1927 . الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أفريل 1927 م الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927 م . الاثنين 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927 م . الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 اوت 1927 م .	6 8 10 19 21	3 3 2 2 2
ابن الجزائر	رسالة مفتوحة	الاثنين 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م .	18	3/2
ابن الحاج	أولاد جلال مع الشيخ عبد الحميد شيخ الزاوية .	الاثنين 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م .	18	3
ابن الخطيب	اليوم أكتب	الاثنين 3 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 6 جوان 1927 م	14	3/2
أبو العزائم	النفوس المتمردة	الاثنين 26 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 26 جوان 1927 م	16	2

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
أبو ماضي إيليا	العنقاء	الاثنين 10 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 14 مارس 1927م	2	3
أخوه ... السموأل	نصر من الله وفتح قريب	الاثنين 10 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 8 أوت 1927م .	22	3
الأخضري عباسة	- اتحاد نواب المجلس البلدي البسكري - الشعر الفحل في الرد على عصبة الباطل والجهل	الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م الاثنين 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927م .	15 20	2/1 3
أديب	أدبيات أدبيات أدبيات	الاثنين 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927م الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927م الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أفريل 1927م	1 3 5	3 3 2
البرق	الفاخرة	الاثنين 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927م	1	1
تأبط شرا	قوارص	الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927م	3	3/2

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
التحرير	التفرنج الآثم - 1 -	الاثنين 24 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 28 مارس 1927م	4	1
	التفرنج الآثم - 2 -	الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أبريل 1927م	5	1
	التفرنج الآثم - 3 -	الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أبريل 1927م	7	1
	آلآن	الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927م .	13	1
ج . ح	إلى الضال المضل	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م .	23	2
جساس	نبأ عظيم	الاثنين 24 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 28 مارس 1927م .	4	2
	تأثير الدعوة والإرشاد	الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أبريل 1927م	7	2
	يا أعداء الشباب	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أبريل 1927م	8	2
	الرسائل الخاصة	الاثنين 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927م .	18	3
	الرسائل الخاصة	الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927م .	21	1

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
جماعة من الأغواط	الزاهري بالأغواط	الاثنين 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927م .	19	1
جماعة من الأهالي	سدراته استعمار فوق الأرض وتحتها	الاثنين 5 محرم 1346 هـ الموافق لـ 4 جويلية 1927م	17	2
الجيلالي محمد بن العابد	مظاهر العدل في خفايا الإدارة	الاثنين 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927م .	20	1
الحراشيون	الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 اوت 1927م .	21	2
حسان بن ثابت	إلى شاعر الشيوخ	الاثنين 3 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 6 جوان 1927م	14	3
حسن	حذار من الجلوس في بعض المقاهي الفرنسية	الاثنين 26 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 30 ماي 1927م .	13	3
حسن وارزقي	تكريم شوقي في الجزائر	الاثنين 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927م .	18	2
ححو فاتح	هاهي أقلامنا	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927م	11	1

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
حيدر	حديث اليوم	الاثنين 20 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 8 أوت 1927 م .	22	3/2
الحمادي أبو حفص	الرسائل الخاصة	ا . الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927 م .	10	1
خادم الوطن	إكرام في محله		12	2
خبير	ابن زاوية متحيل وقائد خوؤل	لاثنين 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927 م .	19	2/1
خليل غريب	بنات الصدور	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927 م .	23	2
خمار	أدبيات	الاثنين 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927 م	1	3
الراصد	أين تذهب أموالنا	الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927 م	15	1
الرايس حميدو	صوت الجزائر	الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927 م .	10	3/2
الرحموني	البرق	الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 افريل 1927 .	6	1
رمضان حمود	الدهر كفيل بتنبية النيام	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927 م .	23	3

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
رقيب	رأي حر عن الجريدة اليومية	الاثنين 5 محرم 1346 هـ الموافق لـ 4 جويلية 1927م	17	2/1
زاجر	طنين الذباب	الاثنين 20 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 8 أوت 1927م .	22	2
الزاهري زهير	اضمروا خلاف ما أظهروا ففضحهم الله - 1 -	الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م	15	3
	اضمروا خلاف ما أظهروا ففضحهم الله - 2 -	الاثنين 5 محرم 1346 هـ الموافق لـ 4 جويلية 1927م	17	2
الزاهري محمد السعيد	أدبيات	الاثنين 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927م	1	3
	وفد الشعراء يزور - 1 -	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 افريل 1927م	8	1
	وفد الشعراء يزور - 2 -	الاثنين 30 شوال 1345 هـ الموافق لـ 2 ماي 1927م	9	1
	العربية والنواب	الاثنين 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927م .	18	1
	رأيت بعيني	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م .	23	2
زغيش محمد	بائعوا الذمم وقليل الهمم	الاثنين 30 شوال 1345 هـ الموافق لـ 2 ماي 1927م	9	3

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
السائح	من البرج	الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 اوت 1927م .	21	2
السبوسي	المعركة الاقتصادية	الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 اوت 1927م .	21	2
السعيد بن رويحة	حادث قتل	الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أفريل 1927م	5	3
سكيرج	هم أججوها	الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 افريل 1927 .	6	3
السلمي سالم بن الطاهر	الزرقم والجور والاضطهاد	الاثنين 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927م .	20	2
سمهري	إلى الأخوين بيضوي وتأبط شرا .	الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 افريل 1927 .	6	1
	رجال البلاغ نومرو 17	الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927م .	10	2/1
	. ما انصف الدهر ضبة ، إليك يا نديم المخازي .	الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927م .	10	2
	مباهلة .	الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 23 ماي 1927م	12	3

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
	رجال البلاغ نومرو 23 .	الاثنين 26 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 26 جوان 1927م	16	3
	رجال البلاغ نومرو 24	الاثنين 5 محرم 1346 هـ الموافق لـ 4 جويلية 1927م	17	3/2
	الكلاب على البقر ، رواية مضطربة	الاثنين 5 محرم 1346 هـ الموافق لـ 4 جويلية 1927م	17	3
سياسي عربي	مشكلة الصين - 1 -	الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 أفريل 1927 .	6	2
	مشكلة الصين - 2 -	الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أفريل 1927 .	7	3
	مشكلة الصين - 3 -	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أفريل 1927م	8	2
شاعر سلفي	من هو تأبط شرا	الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أفريل 1927م	5	3
الشورى	عالمة الغرباء الزهرية	الاثنين 3 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 6 جوان 1927م	14	3
الصاعقة	في أذان الملاحدة الطرقيين فقط	الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م	15	2
صالح	الكفر هو الظلم	الاثنين 30 شوال 1345 هـ الموافق لـ 2 ماي 1927م	9	3
الطرابلسي	من القرارة	الاثنين 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927م .	19	2
طلاع الثنايا	فكر حر	الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس	3	2

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
الطولقي	المرءاة	الاثنين 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927م .	19	3/2
عامري	ملوك الطوائف	الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م	15	2
عبد الله	سيدي عقبي	الاثنين 10 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 14 مارس 1927م	2	2
	الانتفاعيون	الاثنين 20 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 8 أوت 1927م .	22	3
عبد ربه محمد الشريف	لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م .	23	3/2
عتيد	خدام الغير	الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م	15	1
العروسي	حول تبرج النساء بالمقابر	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 افريل 1927م	8	2
زغيب	حول تبرج النساء بالمقابر	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي	11	2

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
العزوزي أحمد	الإسلام دين طبيعي	الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927م	3	1
	الإسلام دين طبيعي	الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أبريل 1927م	5	2
عطا الله المزغاني	الامتياز بصالح الأعمال	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927م	11	1
العقبي الطيب	أدبيات الصحافة ومن هم رجالها - 1 - الصحافة ومن هم رجالها - 2 - الصحافة ومن هم رجالها - 3 - الصحافة ومن هم رجالها - 4 - إلى الأمام إلى الأمام	الاثنين 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927م	1	3
		الاثنين 10 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 14 مارس 1927م	2	1
		الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927م	3	1
		الاثنين 24 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 28 مارس م 1927	4	2
		الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أبريل 1927م	5	2
		الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أبريل 1927م	7	2/1

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
العقبي عبد الغني	إليكم يا معشر الشباب	الاثنين 10 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 8 أوت 1927 م.	22	2
علي عبد الزاق	فرنسا في الجزائر	الاثنين 10 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 8 أوت 1927 م.	22	2
العمودي الأمين	أخطار المدينة	الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927 م.	3	1
غريب	النيابة والشعور	الاثنين 5 محرم 1346 هـ الموافق لـ 4 جويلية 1927 م.	17	1
فاتك	خطيب الضالة المنشودة إلى النديم التونسي	الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أفريل 1927 م. الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م.	5 11	3 2
قال ... نوح	موبقات العصر - ذوو الأقدار - 1 - موبقات العصر - ذوو الأقدار - 2 -	الاثنين 24 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 28 مارس 1927 م. الاثنين 30 شوال 1345 هـ الموافق لـ 2 ماي 1927 م.	4 9	3/2 3
محمر البرق	شؤون	الاثنين 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية	20	1

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
محي الدين	ما هي حالة القبائل غليك يا قسنطينة	الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927م الاثنين 26 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 26 جوان 1927م	15 16	2 3
مدير البرق	إلى أعداء البرق	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927م	11	3
محمد جبار	موقف الأفرنسيين إزاء الطرق	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927م	11	3/2
محمد صبري	القومية في الأدب والتاريخ	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م .	23	2
محمد عبد الله	تركيا الاقتصادية والمالية	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م .	23	3/2
محمد كباش	الحرية	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927م	11	2
محمود بورقيبة	تحية تونسية	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927م	11	3

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
مسلم	الجمعية الخيرية الإسلامية الجزائرية بتونس . لا من هؤلاء ولا من هؤلاء .	الاثنين 3 صفر الخير 1345 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927م .	21	3/2
		الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م .	23	2/1
المسيح	ذوو الأقدار . لا من هؤلاء ولا من هؤلاء .	الاثنين 5 محرم 1346 هـ الموافق لـ 4 جويلية 1927م	17	1
مشرح	أردنا ناديا وأرادوا مخمرة .	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927م .	23	3/2
مصطفى بن شعبان	الصحافة الصادقة .	الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أفريل 1927م	5	2/1
	ها قد جئت .	الاثنين 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927م .	20	3/2
المقتطف	التليفون السلكي واللاسلكي - 1- التليفون السلكي واللاسلكي - 2-	الاثنين 10 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 14 مارس 1927م	2	3
		الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927م	3	3

الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
مكاتب البرق	الانتخاب البلدي . الجامع .	الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 أفريل 1927 . الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م	6 11	2 2
	بريد الجزائر العاصمة .	الاثنين 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م	18	2
	لا يسأل عما يفعل .	الاثنين 12 محرم 1346 هـ الموافق لـ 11 جويلية 1927 م	18	2
	الصهيونية .	الاثنين 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 2 جويلية 1927 م	20	2
	إلى التقدم .	الاثنين 26 محرم 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927 م	20	2
المولود بن الصادق الحافظي	فوائد الاقتصاد - 1 -	الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أفريل 1927 م	7	3
	فوائد الاقتصاد - 2 -	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أفريل 1927 م	8	3
	فوائد الاقتصاد - 3 -	الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927 م	10	3
	فوائد الاقتصاد - 4 -	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م	11	3

		1927م		
الكاتب	الموضوع	التاريخ	العدد	ص/ص
ناقم	ما هكذا يا فتى ؟	الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 اوت 1927م .	21	3
ن . ل	الخرافات والتعصب الأعمى	. الاثنين 10 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 8 اوت 1927م	22	1
واصل	كلمة إلى توفيق المدني	الاثنين 26 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 30 ماي 1927م .	13	2
يعلى الشهاب	هل انتخب الرئيس ؟	الاثنين 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927م .	19	2
الوافي محمد	سخافة العلويين	الاثنين 3 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1 اوت 1927م .	21	3
الوكيل	صلاح الدين	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 افريل 1927م .	8	2/1

ب - جدول كتابات الزاهري .

الموضوع	إمضاء الكاتب	نوعية الموضوع	العدد	التاريخ	ص/ص
الفتاحة	البرق	مقال سياسي	1	الاثنين 3 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 7 مارس 1927 م	1
أنا أجيب	تأبط شرا	مقال نقدي	2	الاثنين 10 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 14 مارس 1927 م	2/1
فكر حر : صلاة العلويين	طلاع الثنايا	مقال نقدي	3	الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927 م	2
قوارص	تأبط شرا	حكاية أو حديث قصصي	3	الاثنين 17 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 21 مارس 1927 م	3/2
لتفرنج الآثم - 1 -	التحرير	مقال اجتماعي سياسي	4	الاثنين 24 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 28 مارس 1927 م	1
نبا عظيم	جساس	رسالة	4	الاثنين 24 رمضان الموافق لـ 28 مارس 1927 م	2
قوارص	تأبط شرا	حكاية أو حديث قصصي	4	الاثنين 24 رمضان الموافق لـ 28 مارس 1927 م	

3					
ص/ص	الموضوع	إمضاء الكاتب	نوعية الموضوع	العدد	التاريخ
1	التفرنج الآثم - 2 -	التحرير	مقال اجتماعي سياسي	5	الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أبريل 1927 م
3	خطيب الضالة المنشودة	فاتك	مقال إصلاحي	5	الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 4 أبريل 1927 م
2	راسلات الانتخاب البلدي	مكاتب البرق	مقال إعلامي	6	الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 أبريل 1927 م
3/2	قوارص	تأبط شرا	حكاية أو حديث قصصي	6	الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 أبريل 1927 م
1	التفرنج الآثم - 3 -	التحرير	مقال اجتماعي سياسي	7	الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أبريل 1927 م
2	تأثير الدعوة والإرشاد	جساس	مقال ديني	7	الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أبريل 1927 م
3/2	لبيك يا سمهري	تأبط شرا	مقال صحفي	7	الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أبريل 1927 م

الموضوع	إمضاء الكاتب	نوعية الموضوع	العدد	التاريخ	ص/ص
قوارص	تأبط شرا	حكاية أو حديث قصصي	7	الاثنين 16 شوال 1345 هـ الموافق لـ 18 أبريل 1927 م	3
وفد الشعراء يزور - طولقة - فرفار - البرج - 2-	محمد السعيد الزاهري	سيرة ذاتية	8	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أبريل 1927 م	1
يا أعداء الشباب	جساس	مقال صحفي	8	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أبريل 1927 م	2
قوارص	----	حكاية أو حديث قصصي	8	الاثنين 23 شوال 1345 هـ الموافق لـ 25 أبريل 1927 م	3
وفد الشعراء يزور - طولقة - فرفار - البرج - 2-	الزاهري	سيرة ذاتية	9	الاثنين 30 شوال 1345 هـ الموافق لـ 2 ماي 1927 م	2

الموضوع	إمضاء الكاتب	نوعية الموضوع	العدد	التاريخ	ص/ص
الرسائل الخاصة	جساس	الرسالة	10	الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927 م	1
قوارص	تأبط شرا	حكاية أو حديث قصصي	10	الاثنين 5 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 9 ماي 1927 م	3
إلى النديم التونسي	فاتك	مقال صحفي	11	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م	2/1
الجامع	مكاتب البرق	مقال نقدي	11	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م	2
قوارص	تأبط شرا	حكاية أو حديث قصصي	11	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م	3
إكرام في محله	خادم الوطن	السيرة	12	الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 23 ماي 1927 م	2
أحمد سكيرج	تأبط شرا	مقال نقدي	12	الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 23 ماي 1927 م	2

الموضوع	إمضاء الكاتب	نوعية الموضوع	العدد	التاريخ	ص/ص
قوارص	-----	حكاية أو حديث قصصي	12	الاثنين 19 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 23 ماي 1927	2
آلآن ؟	التحرير	مقال نقدي	13	الاثنين 26 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 30 ماي 1927 م	1
كلمة إلى أحمد توفيق المدني	واصل	مقال صحفي نقدي	13	الاثنين 26 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 30 ماي 1927	2
بيان للناس	-----	مقال صحفي	13	الاثنين 26 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 30 ماي 1927 م	2
خدام الغير	عتيد	مقال سياسي	15	الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927 م	1
أين تذهب أموالنا	الراصد	مقال سياسي	15	الاثنين 19 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 20 جوان 1927 م	1
صحافتنا في خطر	البرق	مقال سياسي	16	الاثنين 19 محرم 1345 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927 م	1

الموضوع	إمضاء الكاتب	نوعية الموضوع	العدد	التاريخ	ص/ص
رأي حر عن الجريدة اليومية	رقيب	مقال سياسي نقدي	16	الاثنين 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 27 جوان 1927م	2/1
العربية والنواب	محمد السعيد الزاهري	مقال سياسي	18	الاثنين 12 محرم الحرام 1346 الموافق لـ 11 جويلية 1927 م	1
الدكتور ابن التهامي	البرق	مقال سياسي	18	الاثنين 12 محرم الحرام 1346 الموافق لـ 11 جويلية 1927 م	2/1
رسالة إلى الراهب الكبير الصهيونية	ابن الجزائر	مقال سياسي	18	الاثنين 12 محرم الحرام 1346 الموافق لـ 11 جويلية 1927 م	3/2
الرسائل الخاصة	الراصد	مقال سياسي	20	الاثنين 26 محرم الحرام 1345 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927 م	3/2
طنين الذباب	جساس	رسالة	21	الاثنين 3 صفر 1345 هـ الموافق لـ 1 أوت 1927م	1
رأيت بعيني	زاجر	مقال نقدي	22	الاثنين 10 صفر 1346 هـ الموافق لـ 8 أوت 1927 م	2
	محمد السعيد الزاهري	مقال سياسي	23	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 15 أوت 1927 م	2

ج - جدول قصائد جريدة "البرق"

الملاحظة	ص/ص	التاريخ	العدد	الشاعر	القصيدة
42 بيتا من نيويورك مأخوذة من المقتطف	3	الاثنين 10 رمضان 1345 هـ الموافق لـ 1927 م	2	إيليا أبو ماضي	العنقاء
07 أبيات للتعريف بالشاعر والكاتب والعالم محمد السعيد الزاهري		الاثنين 1 شوال 1345 هـ الموافق لـ 1927 م	5	شاعر سلفي	من هو تأبط شرا
22 بيتا في مدح الشباب الناهض	3	الاثنين 9 شوال 1345 هـ الموافق لـ 11 أفريل 1927 م	6	سكيرج	هم أججوها
30 بيتا	3	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م	11		تحية تونسية

القصيدة	الشاعر	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظة
الحرية	محمد كباس بسكرة	11	الاثنين 12 ذي القعدة 1345 هـ الموافق لـ 16 ماي 1927 م	2	قصيدة لشاعر فرنسي ترجمت إلى العربية .
القصيدة	الشاعر	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظة
إلى شاعر الشيوخ	حسان بن ثابت المغرب الأقصى	14	الاثنين 23 ذي الحجة 1345 هـ الموافق لـ 6 جوان 1927 م	3	55 بيتا في ذم الطرقيين ومدح المصلحين
إليك يا قسنطينة	محمد بن يحيى الصقلي الحسني	16	الاثنين 19 محرم 1346 هـ الموافق لـ 18 جويلية 1927 م	3	13 بيتا تضمنها مقال أدبي في الإشادة بقسنطينة

أضمرُوا خلاف ما أظهرُوا ففضحهم الله	أحمد بن عليوة	17	الاثنين 5 محرم 1346 هـ الموافق لـ 4 جويلية 1927 م	2	10 أبيات لأحمد بن عليوة تضمنها مقال لزهير الزاهري
القصيدة	الشاعر	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظة
الشعر الفحل في الرد على عصبة الجهل والباطل	عباسة الاخضر ي	20	الاثنين 26 محرم الحرام 1346 هـ الموافق لـ 24 جويلية 1927 م	3	55 بيتا في التشنيع بالطرقين وصحيفتهم وانتصارا للعلماء المصلحين
القصيدة	الشاعر	العدد	التاريخ	ص/ص	الملاحظة
بنات الصدور	خليل الغريب		الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1927	2	مأخوذة من مجلة الزهراء
الدهر كفيل بتنبيه الغافل	رمضان حمود	23	الاثنين 17 صفر الخير 1346 هـ الموافق لـ 1927 م	3	18 بيتا ينعي فيها الشاعر الأمة التي لا تريد النهوض والهداية والتقدم رغم جهود علمائها وقيلت القصيدة بغليزان يوم 29 جويلية 1927 م .

الفصل الأول :

الواقع الجزائري من خلال قرن من الاحتلال .

- 1- الواقع السياسي .
- 2- " الاجتماعي .
- 3- " الثقافي .
- 4- الصحافة : أهميتها ومنافعها للمجتمع .
- 6- آراء بعض رواد من كتب حول الصحافة في مجال الحركة الوطنية في الجزائر .
- 7- النشاط الصحفي لمحمد السعيد الزاهري .
- 8- جريدة البرق في آراء الباحثين .
- 9- كتاب جريدة البرق .
- 10- تأثير جريدة البرق في الرأي العام الجزائري .

الفصل الثاني :

المحتوى العام لجريدة "البرق" لمحمد السعيد الزاهري 1927م .

- 1- نبذة تاريخية عن حياة محمد السعيد الزاهري رئيس تحرير جريدة "البرق" 1927 م
- 2- جداول محتوى جريدة "البرق" .
- 3- تعليقات حول مضامين جريدة "البرق" .

الفصل الثالث :

تجليات المقاومة في كتابات محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة "البرق" .

- 1- المقاومة السياسية .
- الانتخابات .
- الخطر الصهيوني .
- الفلاحة والتجارة والصناعة .

2 - مقاومة الغزو الثقافي .

3- المقاومة الثقافية .

- الزوايا في الجزائر .

- الطرقية والشعراء .

- الطرقية العليوية .

- الجانب الفني في المقاومة الثقافية .

- صدى الثقافة التراثية في كتابات محمد السعيد الزاهري .

- كتابات الزاهري .

4 - مقاومة محمد السعيد الزاهري لمضامين جريدة "البلاغ" وجريدة "التقدم" .

الفصل الرابع :

المظاهر الفنية لأسلوب محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة "البرق" .

1- كتابات محمد السعي الزاهري في جريدة "البرق" .

2- لغة التعبير الأدبي الفني .

3- أهم وسائل التعبير الأدبي .